

مِنَ الثَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ



المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مركز أبحاث التراث الإسلامي
مكة المكرمة

١٧٩ - - - ٤

مُعَاذِ الْفِرَاقِ الْكَبِيرِ

لِلْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ النَّحَّاسِ

المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

تحقيق

الشيخ محمد علي الصَّابُونِي

الأستاذ بجامعة أم القرى

الجزء الرابع

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م
حقوق الطبع محفوظة
لجامعة أم القري

إِنَّا لَنُحِبُّ مِمَّنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، كَيْفَ
يَكُنْ ، بُتِ الْأَوْتِمَاءِ وَلَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ
« الإمام الطبري »

تفسير سورة الحج

مكية وآياتها ٩٩ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْحَجَرِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ^(١)

١ — من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [آية ٢] .

روى سفيان عن حُصَيْفٍ ، عن مجاهد ، عن حمَّاد ، عن إبراهيم ، قال : « يدخل قومٌ من الموحَّدين النَّارَ ، فيقول لهم المشركون : ما أغنى عنكم إسلامكم وإيمانكم ، وأنتم معنا في النار ؟ فيخرجهم الله جلَّ وعزَّ منها ، فعند ذلك ﴿ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ ^(٢) .

ورَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ذلك يوم القيامة ^(٣) .

ورَوَى عن ابن عباس قال : (يقول المشركون لمن أُدْخِلَ النَّارَ من الموحَّدين : ما نفعكم ما كنتم فيه ، وأنتم في النار !؟ فيغضبُ الله

(١) قال الشوكاني ١٢٠/٣ : سورة الحجر تسع وتسعون آية ، وهي مكِّيَّة بالاتفاق . وفي البحر

المحيط ٤٤٣/٥ : هذه السورة مكِّيَّة بلا خلاف ، وكذلك قال ابن الجوزي ٣٧٩/٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤/١٤ عن مجاهد ، وابن كثير ٤٤٢/٤ والسيوطي في الدر ٩٤/٤ وعزاه إلى الحاكم في الكنى عن حمَّاد قال : سألتُ إبراهيم عن هذه الآية .. وذكره .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المشور ٩٢/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، والبيهقي في البعث ، عن ابن عباس ، ولفظه : قال : ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين يعني موحَّدين . ويرى عن الضحاك أن ذلك عند الموت .

جَلَّ وعَزَّ لهم ، فيخرجون إلى نهر يقال له « نهر الحياة » فينبئون فيه ،
ثم تبقى على وجوههم علامة يُعرفون بها ، يُقال هؤلاء « الجهنميون »
فيسألون الله جَلَّ وعَزَّ أن يُزيل ذلك عنهم ، فيزيله عنهم ، ويدخلهم
الجنة ، فيتمنى المشركون أن لو كانوا مسلمين ^(١) .
وقيل : إذا عاين المشركون تمنوا الإسلام ^(٢) .

فَأَمَّا معنَى (رُبَّ) ها هنا ، فَإِنَّمَا هي في كلام العرب
للتقليل ، وَأَنَّ فيها معنَى التهديد ، وهذا تستعمله العرب كثيراً ، لمن
تتوَعَّدُه وتتخذدُه ، يقول الرجل للآخر : رُبَّمَا ندمت على ما تفعل
[و يشكون في تَنَدُّمِهِ ولا يقصدون تقليله] ^(٣) بل حقيقة المعنى : أَنَّهُ

(١) الحديث روي موقوفاً وروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، والمرفوع أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك
قال قال رسول الله ﷺ (إِنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ « لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول
لهم أهل اللآت والعزى — يعني المشركون — ما أغنى عنكم قولكم « لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » وأنتم معنا
في النار ؟ فيغضب الله لهم ، فيخرجهم فيلقبهم في نهر الحياة ، فيبرأون من حرقهم ، كما يبرأ
القمر من خسوفه ، فيدخلون الجنة فيسمون فيها الجهنميين) وانظر جامع البيان للطبري ٣/١٤
وتفسير ابن كثير ٤/٤٤٣ .

(٢) لم يذكر المصنف مفعول « عاين » وهو القيامة ، أو الموت ، كما نبّه عليه الزجاج في معانيه
١٧٢/٣ حيث قال : وعائِن الكافر القيامة ودُّ لو كان مسلماً ، وقيل : إذا عاين الموت ودُّ لو أنه مسلم .
(٣) في المخطوطة طمس لما بين المعكوفتين ، وقد أثبتناه من تفسير الكشاف ٣١٠/٢ حيث قارب
كلام المصنف ، ورُبَّمَا كان الزمخشري قد أخذَه عن النحاس لما بينهما من الاتفاق الكبير ،
وعبارته في الكشاف : فَإِنْ قُلْتُ : فما معنى التقليل ؟ قلتُ : هو واردٌ على مذهب العرب في
قولهم : لعلك ستندم على فعلك ، وربما ندم الإنسان على ما فعل ، ولا يشكون في تَنَدُّمِهِ ،
ولا يقصدون تقليله ، ولكنهم أرادوا : لو كان الندم مشكوكاً فيه ، أو كان قليلاً ، لحقَّ عليك
أن لا تفعل هذا الفعل ، لأنَّ العقلاء يتحرزون من التعرُّض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن
أهـ وكلامه هنا نفيس .

يقول : لو كان هذا ممّا يقلُّ ، أو يكون مرةً واحدة ، لكان ينبغي أن لا تفعله .

وأما قول من قال : إنّ « رَبَّ » تقع للتكثير ، فلا يُعرف في كلام العرب^(١) .

وقيل : إن هذا إنما يكون يوم القيامة إذا أفاقوا من الأهوال التي هم فيها ، فإنما يكون في بعض المواطن .

والقول الأول أصحُّها .

والدليل على أنه وعيدٌ وتهذُّدٌ قوله بعد : ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

٢ — ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ [آية ٤] .

أي أجل لا يتقدّمه ولا يتأخّره .

٣ — وقوله جل وعز : ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ ﴾ [آية ٨] .

(١) أنكر الزجاج أن نجىء « رَبَّ » للتكثير ، وقال : هذا ضدُّ ما تعرفه العرب ، وقد ردَّ على من زعم أنها للتكثير ، وهي على أصلها للتقليل ، قال : وهذه الآية خارجة مخرج الوعيد ، وانظر البحر المحيط أيضاً ٤٤٤/٥ .

معنى (لَوْ مَا) و (لَوْلَا) و (هَلَّا) واحد^(١) ، وأنشد أهل

اللغة :

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ
بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمُقْنَعَا^(٢)
أَي هَلَّا تَعْدُونَ الْكَمِيَّ الْمُقْنَعَا .

وروى حجاج عن ابن جريج قال : في هذا تقديم وتأخير .
يذهب إلى أن جوابه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِّنَ
السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ يذهب إلى أن هذا متصل بقوله تعالى :
﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٣) .

(١) قال الطبري ٦/١٤ : العرب تضع موضع « لو ما » لولا ، وموضع « لولا » لَوْ مَا لَقَوْلِ
الشاعر :

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدَّيْنُ عَيْتُكُمَا يَبْعُضُ مَا فَيْكُمَا إِذْ عَيْتُمَا عَوْرِي
يريد : لولا الحياء ، والظاهر أن لولا في هذا الشاهد هي الامتناعية وليست للتحضيض .
(٢) البيت لجرير يهجو الفرزدق ، وهو في ديوانه ٣٣٨ والنَّيْبُ بكسر النون : جمع ناب وهو الناقة
المسيئة ، و « ضَوْطَرَى » : الرجل الضخم اللثيم ، وهي كلمة سب و ذم ، والكمي : الشجاع ،
والمقنع : الذي وضع على رأسه المغفر ، يقول : تعدون عقر النوق المسية هو المجد والسؤدد
لديكم ، فهلاً عدتم قتل الشجعان يا أيها اللئام هو الفخر والمجد ؟ وانظر الكامل ١٦٣
وشواهد المغني ٢٢٩ والخزانة ٤٦١/١ .

(٣) هذا بعيد ، والأظهر أن الآية مرتبطة بما قبلها ، والمعنى : هَلَّا جَعَلْنَا بِالْمَلَائِكَةِ ، لتشهد لك
بالرسالة ، إن كنت صادقاً في دعواك أنك رسول الله ؟ قالوه له بعد أن اتهموه بالجنون ،
والافتراء على الله ، قاتلهم الله .

٤ — ثم قال تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي بالإرسال والعذاب ^(١) .

٥ — ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ [آية ٨] .

أي لو نزلت الملائكة مأمهلوا ، ولا قُبِلَتْ توبتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَاً لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ ^(٢) .

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(٣) [آية ٩] .

قال ثابت وقادة : حفظه الله من أن يزيد الشياطين فيه باطلاً ، أو يُبطل منه حقاً ^(٤) .

وقال مجاهد : هو عندنا ^(٥) .

(١) الأثر في الطبري ٧/١٤ والدر ٩٤/٤ وعلى هذا القول يكون المعنى : ما ننزل ملائكتنا إلا بالعذاب لمن أردنا إهلاكه .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٨ .

(٣) في المخطوطة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ بزيادة «عليك» والنص القرآني المجيد كما أثبتناه .

(٤) الأثر في الطبري ٨/١٤ وابن الجوزي ٣٨٤/٤ وفي المخطوطة « بدلاً » وهو تصحيف ، وصوابه « باطلاً » كما في الطبري ، والدر ، وعبارته : حفظه فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ،

ولا يُنقص منه حقاً ، قال ابن كثير : وهو سبحانه الحافظ له من التغيير والتبديل .

(٥) الأثر عن مجاهد في الطبري ٨/١٤ وفي الدر المنثور ٩٤/٤ .

٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ
الْأَوَّلِينَ ﴾ [آية ١٠] .

أي فرق الأولين .

٨ — وقوله جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهِ ﴾ [آية ١٢] .

روى سفيان عن حميد ، عن الحسين ، قال : كذلك نسلك
الشرك^(١) .

وقال أبو عبيد : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن
مجاهد ، قال : نسلك التكذيب^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير ،
وأهل اللغة ، إلا من شذ منهم ، فإن بعضهم قال : المعنى : كذلك
نسلك القرآن ، واحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا القرآن
عليهم وأسمعهم إياه ، ووصل إلى قلوبهم — وكان ذلك بأمر الله
وقوته — كان الله عز وجل هو الذي يسلكه في قلوبهم على هذا
المعنى^(٣) .

(٢،١) انظر الآثار في الطبري ٩/١٤ وتفسير ابن الجوزي ٣٨٥/٤ والبحر المحيط ٤٤٨/٥ ورجح
الطبري القول الأول فقال والمعنى : كما سلكتنا الكفر في قلوب شيع الأولين ، بالاستهزاء بالرسول ،
كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجمعوا . اهـ ومعنى ﴿ نسلكه ﴾ نُدخله ،
يُقَال : سلكه ، وأسلكه .

(٣) حكاها في البحر ٤٤٨/٥ بصيغة التضعيف قال : ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على القرآن ، =

وقيل : لما خلقهم خلقة يفهمون بها ما يأتيهم من الوحي ،
فإذا خلقهم خلقة يفهمون بها ما يسلك ذلك في قلوبهم فكأنه
سلكه .

٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَدْ حَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [آية ١٣] .

أي قد تقدمت سنتهم في التكذيب بالآيات ، والبراهين
وكفرهم ، فهؤلاء يقتفون آثارهم^(١) .

١٠ — ثم قال جل وعز ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ
يَعْرُجُونَ ﴾ [آية ١٤] .

قال عبدالله بن عباس : أي فضل الملائكة فيه يعرجون .
أي : يذهبون ويحيئون^(٢) .

قال أهل اللغة : عَرَجَ يَعْرُجُ : إذا صَعِدَ وارتفع ، ومنه قول
العامة عُرِجَ بروج فلان .

= والمعنى هلى هذا القول : كذلك نسلك القرآن في قلوبهم فيكذبون به ، والجمهور على خلافه .
(١) الأظهر أن المعنى : مضت سنة الله بإهلاك الكفار ، حين كذبوا رسلهم واستهزؤا بهم ، وهو
تهديد لكفار مكة .

(٢) الأثر في الطبري ١١/١٤ وفي الدر المنثور ٩٥/٤ قال القرطبي ٨/١٠ : والمعارج : المصاعد أي
لو صعدوا إلى السماء ، وشاهدوا الملكوت والملائكة ، لأصروا على الكفر ، وقال الضحاك : لو
فتحننا على المشركين بآب من السماء ، فنظروا إلى الملائكة تعرج بين السماء والأرض ، لقال
المشركون : سحرنا محمد وليس هذا بالحق .

١١ — ثم قال تعالى : ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾ [آية ١٥] .

قال ابن عباس : أُخِذَتْ^(١) .

قال أبو جعفر : والمعروف من قراءة مجاهد والحسن
(سُكِّرَتْ)^(٢) بالتخفيف .

قال الحسن : أي سُجِّرَتْ .

وحكى أبو عُبيد عن أبي عُبيدة أنه يقال : سُكِّرَتْ أبصارهم :
إذا غَشِيَهَا سَمَادِيرُ^(٣) حتى لا يُبْصَرُوا .

وقال الفراء : من قرأ (سَكِرَتْ) أَخَذَهُ من سكون
الريح^(٤) .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة ، والأصل فيها ما قال
« أبو عمرو بن العلاء » يرحمه الله قال : هو من السُّكْرِ في الشراب .

(١) الأثر في الطبري ١٢/١٤ ولفظه : أخذت أبصارنا ، وأخرجه ابن كثير عن قتادة عن ابن عباس
٤٤٦/٤ .

(٢) قراءة ﴿ سُكِّرَتْ ﴾ بضم السين وتخفيف الكاف ، قراءة ابن كثير كما في السبعة لابن مجاهد
٣٠١/٢ وأما قراءة ﴿ سَكِرَتْ ﴾ بفتح العين وكسر الكاف فهي من القراءات الشاذة كما في
المختسب لابن جني ٣/٢ قال (سَكِرَتْ) أي جَرَتْ مجرى السكران في عدم تحصيله ، وكذلك
حال السكران في وقوف فكره ، والاعتراض عليه مما يُحِيرُهُ ويُغْصِصُهُ اهـ .

(٣) السَّمَادِير : هو ما يتراءى للإنسان من ضعف البصر عند السكر من الشراب .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٨٦/٢ قال : العرب تقول : قد سَكِرَتْ الرِّيحُ : إذا سَكَنَتْ وَرَكَدَتْ .

وهذا قول حسنٌ أي غشيمٌ ما غطَّى أبصارهم ، كما غَشِيَ السكران ما غَطَّى عقله^(١) .

وسكُور الريح : سكُونُها وفتورها ، وهو يرجع إلى معنى التَّخْيِير .

١٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [آية ١٦] .

قال مجاهد : يعني الكواكب^(٢) .

قال أبو جعفر : ومن قال : إنها إثنا عشر برجاً^(٣) ، فقولُه يرجع إلى هذا ، لأنها كواكبٌ عظامٌ .

ومعروفٌ في اللغة أن يُقال : بَرَجٌ يَبْرُجُ : إذا ظَهَرَ وارتفع ، فقليل لهذه الكواكب بروجٌ ، لظهورها وثباتها ، وارتفاعها ، والبَرَجُ : كِبَرُ العين^(٤) .

(١) هذا القول حكاه الطبري في جامع البيان ١٢/١٤ عن ابن العلاء قال : هو مأخوذ من سكر الشراب ، ومعناه : قد غَشِيَ أبصارنا السُّكْرُ . ثم قال : وأولى الأقوال بالصواب أن معنى الآية : أخذت أبصارنا وسُجرت ، فلا تُبصر الشيء على ما هو عليه ، ذهب حدُّ إبصارها ، وانطفأ نوره .

(٢) الأثر في الطبري ١٤/١٤ وابن كثير ٤/٤٤٦ .

(٣) البروج : منازل الشمس والقمر ، وهي الحَمَلُ ، والثَّوْرُ ، والجوزاء ، والسَّerpان . الخ .

(٤) في الصحاح ٢٩٩/١ : البُرْجُ : واحدُ بروج السماء ، والبَرَجُ بالتحريك : أن يكون بياضُ العين =

١٣ - ثم قال تعالى ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [آية ١٧] .

أي : لا يصل إليها ، ولا يَسْمَعُ شيئاً من الوحي إلا مُسَارِقَةً ، وكان هذا من علامة نبوة محمد ﷺ ولا نعلم أحداً من الشعراء ، شبه شيئاً بسرعة الكواكب إلا في الإسلام ، ولو كان هذا قبله لشبهوها به (١) .

قال ابن جريج : الرجيمُ : الملعونُ (٢) .

قال الكسائي : كل رجيم في القرآن فهو بمعنى الشتم (٣) .

وقيل : رجيمٌ بمعنى مرجوم ، أي يُرْجَمُ بالكواكب .

= مُخْدَقاً بالسَّوَادِ كُلَّهُ ، لا يغيبُ من سوادها شيءٌ ، ومنه ثوبٌ مبرَّجٌ : للمزَيْن من الحُلل ، والتبرُّجُ : إظهارُ المرأة زِينَتها ومحاسنها للرجال . اهـ .

(١) هذا ما قاله الزجاج في معانيه فقد قال رحمه الله ١٧٧/٣ : والرميُّ بالشَّهْب من آيات النبي ﷺ مما حدث بعد مولده ، لأنَّ الشعراء في القديم لم يذكروه في أشعارهم .. الخ ثم قال القرطبي : ولا يبعد أن يُقال : انقضاضُ الكواكب كان في قديم الزمان ، ولكنه لم يكن رجوماً للشياطين ، ثم صار عند مولده ﷺ وانظر أيضاً القرطبي ١٢/١٠ .

أقول : يعارض ماذهب إليه المصنف ما روي في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان جالساً في نفر مع أصحابه ، إذ رُمي بنجم فاستنار ، فقال : ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ .. الحديث فدلَّ على أن الرمي بالشَّهْب كان قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ، فالصحيح أن انقضاض الكواكب قديمٌ ، وزاد بعثته صلى الله عليه وسلم .

(٢) الأثر في الطبري ١٥/١٤ وفي الدر ٩٥/٤ .

(٣) حكاه الطبري في جامع البيان ١٥/١٤ عن القاسم عن الكسائي قال : الرجم في جميع القرآن : الشتم .

١٤ - وقوله جل وعز : ﴿ وَأَبْتَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [آية ١٩] .

روى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ وَأَبْتَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ .

قال : أي معلوم^(١) .

وكذلك روى علي بن الحَكَم عن الضحَّاك .

وقال أبو صالح وعكرمة : أي مقدور^(٢) .

وقال مجاهد : أي مقَدَّر بقدر^(٣) .

ومعناه : مُقَدَّر لا يزيد على قَدْرِ الله ، ولا ينقص ، فكأنه موزون .

وقيل : أراد بموزون : ما يُوزن من الذهب ، والفضة ، والحديد ، والرصاص ، وشبهه^(٤) .

(١) رواه الطبري عن ابن عباس ١٥/١٤ .

(٢، ٣) الأثران أخرجهما الطبري ١٩/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩١/٤ .

قال : وعلى قول مجاهد وعكرمة يكون المعنى : معلوم القدر كأنه قد وُزن ، لأن أهل الدنيا لمَّا كانوا يعلمون قدر الشيء بوزنه ، أخبر تعالى عن هذا أنه معلوم القدر عنده بأنه موزون . وقال الزجاج : المعنى : أنه جرى على وزن من قَدَّر الله تعالى ، لا يستطيع أحد زيادة فيه ولا نقصاناً .

(٤) هذا اختيار الفراء في معانيه ٨٦/٢ يريد أن كل ما له وزن كالذهب ، والفضة ، والنحاس أوجده =

والمعنى على هذا : وأنبئنا في الجبال من كل شيء موزون .

١٥ — ثم قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۚ ﴾ [آية ٢٠] .
أي في الأرض .

١٦ — ثم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ [آية ٢٠] .

قال مجاهد : يعني الدواب ، والأنعام ^(١) .

وقال غيره : يعني الممالك ، والدواب ^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا أولى لأن « مَنْ » لا تكون لما لا يعقل ،
إلا أن يختلط معه من يعقل .

والمعنى : وجعلنا لكم الممالك ، والدواب ، والأنعام .

ويجوز أن يكون المعنى : أعشناكم ، وأعشنا من لستم له
برازقين ^(٣) .

= لبيبي آدم ، وحكاة ابن الجوزي عنه ٣٩١/٤ قال : وهو مروى عن الحسن ، وعكرمة ، وابن
زيد ، وابن السائب ، واختاره الزجاج أيضاً في معانيه ١٧٦/٣ .

(٢، ١) انظر الطبري ١٧/١٤ والدر المنثور ٩٥/٤ والبحر المحيط ٤٥٠/٥ واختار الطبري العموم من
العبيد ، والإماء ، والدواب ، والأنعام ، وكذلك قال صاحب البحر : والظاهر أن « مَنْ » لمن
يعقل ، ويُراد به العيال ، والممالك ، والخدم ، ويدخل معهم ما لا يعقل بحكم التغليب كالأنعام
والدواب ، قاله الفراء .

(٣) هذا قول الزجاج في معاني القرآن ١٧٦/٣ قال والمعنى : أعشناكم وأعشنا أمماً غيركم ، وكفيناكم
مؤونة أرزاق الدواب والعبيد .

١٧ — وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ۚ ﴾ [آية ٢١] .

أخبر أن خزائن الأشياء بيده .

أي أنه جل وعز حافظها ، والمتولي تدبيرها .

١٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ۚ ﴾ [آية ٢٢] .

قال عبدالله بن مسعود : تحمل الرِّيحُ الماء فتلقح السحاب ،
وتَمْرِيه ، فيدُرُّ كما تَدُرُّ اللَّقْحَةُ ، ثم يُمَطَرُ^(١) .

وقال ابن عباس : تُلقح الرياحُ الشجر ، والسَّحاب ،
وتَمْرِيه^(٢) .

وقال أبو رجاء : قلتُ للحسن : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ
لَوَاقِحَ ﴾ فقال : تلقحُ الشجر ، قلتُ : والسَّحاب ؟ قال :
والسَّحاب^(٣) .

وقال أبو عبيدة : ﴿لَوَاقِحَ﴾ أي مَلَاقِحَ ، يذهبُ إلى أنه جمع
مُلْقِحَةٍ ، ومُلْقِحَ ، ثم حُذِفَتْ منه الزوائد^(٤) .

(١، ٢) الآثار في الطبري ٢٠/١٤ وزاد المسير ٣٩٤/٤ وتفسير ابن كثير ٤٤٨/٤ ومعنى قوله
« وتَمْرِيه » أي تجعل المطر يدُرُّ منه ، يُقال : مَرَى النَّاقَةُ إِذَا مَسَحَ ضَرْعُهَا ، فَأَمْرَتْ هِيَ أَيْ دَرَّ
لَبَنُهَا ، وَاللَّقْحَةُ بِكَسْرِ اللام وَفَتْحِهَا : النَّاقَةُ الْقَرِيْبَةُ الْعَهْدِ بِالنَّجَاحِ ، وَاللَّقْوُحُ : غَزِيرَةُ اللَّبَنِ ،
وَكَلَامُ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ لِأَثَرِ الرِّيَّاحِ فِي السَّحَابِ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤٨/١ قال : لأنَّ الرِّيحَ مُلْقِحَةٌ لِلْسَّحَابِ ، وَالْعَرَبُ قَدْ تَفْعَلُ هَذَا
فَتُلْقِي الْمِيمَ ، لِأَنَّهَا تَعِيدُهُ إِلَى أَصْلِ الْكَلَامِ ، كَقَوْلِ نَهْشَلٍ « وَأَشَعَتْ مِنْ طَوَّحْتِهِ الطَّوَّائِحُ » .

قال أبو جعفر : وهذا بعيدٌ ، وإنما يجوز حذفُ الزوائد ، من مثل هذا في الشعر ، ولكنه جمع لاقحة .

و « لَاقِحٌ » على الحقيقة بلا حذف ، هو على أحد معنيين : يجوز أن يُقال لها لَاقِحٌ على النَّسَب أي ذات إلحاح كأنها تُلقح السحاب والشجر ، كما جاء في التفسير ، وهو قول أبي عمرو ^(١) .

ويجوز أن يُقال لها لَاقِحٌ أي حاملٌ ، والعرب تقول للجنوب لَاقِحٌ وحاملٌ ، وللشمال حائلٌ وعقيمٌ ، وقال الله جل وعز : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا ﴾ ^(٢) فأقلتُ ، وحملتُ واحدٌ ^(٣) .

١٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ [آية ٢٤] .

رَوَى ابنُ أبي نجیح عن مجاهد قال : ﴿ الْمُسْتَقْدِمُونَ ﴾ القرونُ

(١) أبو عمرو هو ابن العلاء ، اسمه زيان المازني النحوي ، المقرئ ، من كبار علماء اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ١٣٢/١ .

(٢) سورة الأعراف آية ٥٧ .

(٣) قال في البحر ٤٥١/٥ : « لواقح » جمع لاقح ، يُقال : ريح لاقح ، وهي التي تأتي بخير من إنشاء سحاب ماطر ، كما قيل للتي لا تأتي بخير بل بشرٌ « ريحٌ عقيمٌ » أو ملاقح أي حاملات للمطر . أهـ . وفي البخاري ١٠٠/٦ : لواقح : ملاقح مُلقحة .

الأولى ، و ﴿المستأخرون﴾ أمة محمد صلى الله عليه وسلم^(١) .
 ورَوَى سفيان عن أبيه عن عكرمة قال ﴿المستقدمون﴾ كلُّ
 من خرج ، و ﴿المستأخرون﴾ كلُّ من كان في أصلاب
 الرجال^(٢) .

ورَوَى علي بن الحَكَم عن الضحَّاك قال ﴿المستقدمون﴾ من مات ،
 و ﴿المستأخرون﴾ الأحياء^(٣) .

ورَوَى سفيان عن أبان بن أبي عيَّاش ، عن أبي الجوزاء عن
 ابن عباس : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْكُمْ﴾ الصَّفَّ الأول
 ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَأَخِّرِينَ﴾ الصَّفَّ الآخر^(٤) .

حدثنا محمد بن إدريس ، قال : نا إبراهيم بن مرزوق ، قال
 نا مسلم بن إبراهيم ، قال : نا نوح بن قيس^(٥) ، قال نا عمرو بن

(٤،١) انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ٢٣/١٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٩٦/٤ والدر المنثور للسيوطي ٩٧/٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٩/١٠ وأصحُّ هذه الأقوال ما ذكره الخافظ ابن كثير ٤٤٩/٤ عن ابن عباس قال : المستقدمون : كلُّ من هلك من لدن آدم عليه السلام ، والمستأخرون : من هو حيٌّ ومن سيأتي إلى يوم القيامة ، ورجحه الطبري فقال ٢٦/١٤ : لقد علمنا الأموات من بني آدم الذين تقدم موتهم ، وعلمنا المستأخريين الذين استأخرو موتهم ممن هو حيٌّ . اهـ .

أقول : وقد فُسِّرَت الآية بثمانية أقوال ، ذكرها صاحب البحر المحيط ، ثم قال : الأولى حملُ هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر .

(٥) هو نوح بن قيس بن رباح الأزدي البصري قال أحمد وابن معين : ثقة ، وقال النسائي : ليس به =

مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في قول الله تبارك وتعالى :
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّخِذِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّخِذِينَ ﴾ قال :
كانت امرأة جميلة تُصَلِّي مع النبي ﷺ ، فكان رجال يتقدمون حتى
لا يَرَوْهَا ، وكان رجال يتأخرون فإذا ركع النبي ﷺ وضع أحدهم يده
على ركبته ، ونظر إليها من تحت ضَبْعِهِ (١) فأنزل الله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا
الْمُتَّخِذِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّخِذِينَ ﴾ (٢) .

٢٠ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
صَلْصَالٍ .. ﴾ [آية ٢٦] .

فيه قولان :

أحدهما : رواه معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ،

= بأس ، توفي سنة ١٨٤ هـ وانظر تهذيب التهذيب ٤٨٥/١٠ .

(١) في المصباح المنير ٣/٢ : الضَّبْعُ بالسكون : العضد ، والجمع أضباع مثل فَرْخٍ وأفراخ . اهـ . وفي
رواية المسند : فإذا ركع نظر من تحت إبطيه .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٠٥/١ والترمذي في تفسير سورة الحجر رقم ٥١٢٨ من رواية
أبي الجوزاء عن ابن عباس ، قال الترمذي : وروي هذا عن أبي الجوزاء ولم يُذكر فيه عن ابن
عباس ، وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح . ورواه ابن ماجه في سننه برقم ١٠٤٦
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٥٠/٤ وقال : ورد في هذا حديث غريب جداً ، رواه ابن
جرير ، وأحمد ، وابن أبي حاتم ، والترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق عن نوح بن قيس ، ثم
ذكر الحديث وقال : وهذا الحديث فيه نكارة شديدة . اهـ وهو كما قال ، لأن مثل هذا العمل لا
يصدر إلا من الفساق والفجار ، لا من الصحابة الأظهر ، رضوان الله عليهم أجمعين .

عن ابن عباس قال : الصَّلْصَالُ : الطَّيْنُ الْيَابِسُ^(١) .
 وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ : هُوَ الطَّيْنُ يَبِسَ ، فَتَصْبِرُ لَهُ صَلْصَلَةٌ^(٢) .
 وَقَالَ الضَّحَّاكُ : هُوَ الطَّيْنُ الصُّلْبُ^(٣) .

وَالْقَوْلُ الْآخَرُ : رَوَاهُ ابْنُ نَجِيحٍ ، وَابْنُ جَرِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ
 قَالَ : الصَّلْصَالُ : الْمَتِينُ^(٤) .

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْقَوْلَانِ يَحْتَمِلَانِ ، وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ أُبِينُ لِقَوْلِ
 اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾^(٥) .

وَحَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ يُقَالُ لِلطَّيْنِ الْيَابِسِ : صَلْصَالٌ مَا لَمْ
 تَأْخُذْهُ النَّارُ ، فَإِذَا أَخْذَتْهُ النَّارُ فَهُوَ فَخَارٌ^(٦) .

وَأَنشَدَ أَهْلُ اللُّغَةِ :

« كَعَدُوِ الْمُصْلَصِلِ الْجَوَّالِ »^(٧)

وَالصَّلْصَلَةُ : الصَّوْتُ .

(٤١) انظر الآثار في الطبري ٣٢٨/١٤ وابن كثير ٤٥١/٤ والدر المنثور ٩٨/٤ .

(٥) سورة الرحمن آية ١٤ .

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ولفظه قال : الصَّلْصَالُ : الطَّيْنُ الْيَابِسُ الَّذِي لَمْ تَصْبِهِ نَارٌ ، فَإِذَا نَقَرْتَهُ صَلَّ فَسُمِعَتْ لَهُ صَلْصَلَةٌ ، فَإِذَا طُبِّخَ بِالنَّارِ فَهُوَ فَخَارٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ صَوْتُ فَهُوَ صَلْصَالٌ سِوَى الطَّيْنِ .

(٧) هذا عجز بيتٍ للأعشى ، وقامه كما في ديوانه ص ١٦٥ .
 عَتَرَيْسٌ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّوْ طُ كَعَدُوِ الْمُصْلَصِلِ الْجَوَّالِ
 من قصيدة يمدح فيها الأسود بن المنذر ، ومطلعها : ما بكاءُ الكبير بالأطلال .. يصف فيه الناقة بأنها عتريس أي صلبة تركض إذا مسها السوط ، كما يعدو حمار الوحش الجوّال ، وانظر الكامل =

وقال القراء : هو طين حرٌّ يُخلط برملٍ ، فيُسمع له صلصلة^(١) .
وأما القول الثاني : فالأصل فيه صِلَالٌ ، ثم أبدل من إحدى
اللامين صاد .

[وحكى الكسائي أنه يقال : صَلَّ اللحمُ ، وأصل : إذا أَتَنَ .

٢١ — ثم قال جل وعز : ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [آية ٢٦] .

[فالحمأ ، والحمأة : الطِّينُ]^(٢) الأسود المتغير^(٣) .

وفي المسنون أربعة أقوال :

رَوَى سفيان عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال : المسنون : المتن^(٤) .

وكذلك روى قيس بن الربيع عن الأعمش عن مسلم عن سعيد
ابن جبير قال : تُخْلَقُ الإنسانُ من صلصال من طين لازب ، وهو
الجيد ، ومن حَمَإٍ مسنون وهو المتن^(٥) .
وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : هو المتن^(٦) .

= ٤٨٩ واللسان ، والتاج مادة صلصل .

(١) انظر معاني القرآن للقراء ٨٨/٢ وفي المخطوطة « طير حر » وهو تصحيف وصوابه طين حرٌّ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش .

(٣) قال القرطبي ٢١/١٠ : والْحَمَاءُ : الطين الأسود ، وكذلك الْحَمَاءُ بالتسكين ، وقال أبو
عُبَيْدة : الْحَمَاءُ مثلُ الْكَمَاءِ والجمع حَمًا ، مثلُ تَمْرَةٍ ، وتَمَرٍّ ، والمسنون المتغير .

(٤،٦) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ٢٩/١٤ وتفسير ابن الجوزي ٣٩٤٨/٤ والدر المنثور

. ٩٨/٤

وذهب إلى هذا القول من أهل اللغة الكسائي ، وأبو عمرو الشيباني ، وزعم أبو عمرو الشيباني أن قول الله ﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾ ^(١) من هذا ، وأن الأصل فيه (لَمْ يَتَسَنَّ) فأبدل من إحدى النونين هاء ، فهذا قول .

والقول الآخر : وهو مذهب أبي عبيدة أن المسنون : المصبوب ^(٢) .

وروى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال المسنون : الرطب ^(٣) .

فهذا بمعنى المصبوب ، لأنه لا يكون مصوباً إلا وهو رطب ، وهذا قول حسن لأنه يقال : سَنَنْتُ الشَّيْءَ أَي صَبَيْتُهُ ، وفي الحديث « إِنَّ الْحَسَنَ كَانَ يَسْنُ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِ سَنًّا » ^(٤) ولو كان هذا من

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩ ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّه﴾ أي لم يتغير بمرور الزمان ، وقد رد هذا القول أبو حيان في البحر المحيط ٤٥٣/٥ قال : وهو من أسن الماء : إذا تغير ، ولا يصح لاختلاف المادتين .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٥١/١ .

(٣) الأثر في الطب ٣٠/١٤ والبحر المحيط ٤٥٣/٥ وتفسير ابن الجوزي ٣٩٨/٤ وأرجح الأقوال في معنى الآية ما حكاه الطبري عن قتادة وابن عباس ، أن الحمأ المسنون الطين الأسود الرطب الذي قد تغير وأتسن . اهـ . جامع البيان ٢٩/١٤ .

(٤) الأثر ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٢/١٠ عن عمر رضي الله عنه « أنه كان يسن الماء على وجهه ، ولا يشته » قال : والشن بالشين تفريق الماء ، وبالسِّن المهملة صبّه من غير تفريق .

أَسِينَ الْمَاءُ لَكَانَ مُؤْسِنًا^(١) .

والقول الثالثُ : قول الفراء وهو المحكوك ، ولا يكون إلا متغيراً ، من سننتُ الحديد^(٢) .

والقول الرابع : أنه المصبوبُ على مثالِ صورة ، من سنَّة الوجه^(٣) .

٢٢ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [آية ٣٨] .

قال سفيان : بلغني أنَّ الوقتَ المعلومَ النفخةُ الأولى^(٤) .

٢٣ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [آية ٤١] .

أحدهما : وهو مذهب مجاهد قال : الحقُّ طريقه عليّ ، وهو يرجع إليّ^(٥) ، كما يقال في التوعيدِ : طريقك عليّ فاعمل ما شئت ،

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٠٥/٨ قيل : هو من أسين الماء إذا تغير ، والتصريف يردُّ هذا القول .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٨٨/٢ ولفظه قال : والمسنونُ : المتغيرُ — والله أعلم — أخذ من سننتُ الحجر على الحجر ، والذي يخرجُ ممَّا بينهما يُقال له السنين . أهـ .

(٣) هذا قول سيبويه كما في القرطبي ٢٣/١٠ قال : المسنونُ : المصورُ ، أخذ من سنَّة الوجه وهو صورته . حكاها الطبري ٢٨/١٤ عن بعض نحويي البصرة قال : عنى به : حمًّا مصوّر تام ، سنُّ على مثال سنَّة الوجه أي صورته .

(٤) الأثر في الدر المنثور ٩٩/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ٣٣/١٤ ولفظه : الحقُّ يرجع إلى الله ، وعليه طريقه ، لا يُعرج على شيء .

وَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ ^(١) .

والقول الآخر : إن هذا صراط على أمري وتحت إرادتي .

وقرأ قيسُ بنُ عُبَادَةَ ^(٢) ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ

مُسْتَقِيمٌ﴾ ^(٣) وقال أي رفيعٌ ، ومعناه رفيعٌ في الدين والحق .

٢٤ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [آية ٤٢] .

أي الضالين .

٢٥ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ . لَهَا سَبْعَةُ

أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [آية ٤٤] .

أي لكل منزل منهم من العذاب ، على قدر منزلته في

الذنب ^(٤) .

وَرَوَى مالِكُ بن مَعْوَلٍ ، عن حُمَيْدٍ ، عن ابن عمر أن رسول

الله ﷺ قال : « لجهنم سبعة أبواب ، بابٌ منها لمن سَلَّ سيفه على

أمتي ، أو قال على أمة محمد » ^(٥) .

(١) سورة الفجر آية ١٤ .

(٢) في المخطوطة : قيس بن عباد ، وصوابه « قيس بن عباد » ذكره في الإصابة ٤٨٧/٥ قال ابن منده : لاتصح له صحة . اهـ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣/٢ .

(٤) حكاه ابن كثير عن قتادة ٤٥٥/٤ قال : هي والله منازل بأعمالهم .

(٥) الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة الحجر ٥٥١/٨ من تحفة الأحوذى ، قال صاحب =

٢٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ .. ﴾ [آية ٤٧] .

الْغَلُّ عند أهل اللغة : الشحْنَاءُ ، والسَّخِيمَةُ ^(١) ، والعداوة ، يُقال منه : غَلَّ يَغِلُّ .

ويُقال : من الغُلُول — وهو السرقة من المغنم — غَلَّ يَغِلُّ ، ويُقال من الخِيَانَةِ أَغْلَّ يَغِلُّ كما قال الشاعر :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَمْرَةَ ابْنَةِ نَوْفَلٍ

جَزَاءً مُغِلًّا بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ ^(٢)

٢٧ — ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [آية ٤٧] .

روى سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى :

﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ قال : لا ينظر أحدهم إلى قفا صاحبه ^(٣) .

= التحفة : وأخرجه البخاري في تاريخه . ورواه السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٤ والحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٥٥/٤ وقد ورد في المخطوطة « على من سلَّ سيفه على النبي » ورواية الترمذي « على أمتي » وهو الصواب ، وانظر الدر ٩٩/٤ .

(١) في الصحاح مادة « سخم » السَّخِيمَةُ : الضَّعِيفَةُ والمُوجِدَةُ في النفس .

(٢) البيت للنمر بن تَوَلَّب ، سبى امرأة من بني أسد يُقال لها « حمزة بنت نوفل » فأبغضته ، فحبسها حتى استقرت عنده وولدت له أولاداً ، ثم ذكرت له أنها اشتاقت إلى أهلها ، فقال لها : أخاف ألا ترجعي وأن تغليبيني على نفسك فعاهدته على الرجوع ، ثم لما وصل ديار أهلها مكثت فلم ترجع إليه ، فقال هذه الأبيات ، وانظر الأغاني ١٥٩/١٩ . ورواية التاج « جَمْرَةَ » وفي الأغاني حمزة ، ولعل الصواب ما في التاج .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٣٨/١٤ وابن كثير ٤٥٧/٤ والسيوطي في الدر ١٠١/٤ .

٢٨ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [آية ٤٨] .

أي تعب .

٢٩ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ بُنِيَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ

الرَّحِيمُ ﴾ [آية ٤٩] .

أي أخير^(١) .

وروي أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يضحكون ، فقال : أتضحكون وبين أيديكم الجنة والنار ؟ فشق ذلك عليهم ، فأنزل الله ﴿ بُنِيَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾^(٢) .

٣٠ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا لَا تَوَجَلْ ﴾ [آية ٥٣] .

معناه لاتفرع . والقانطون اليائسون .

(١) قال الحافظ ابن كثير ٤/٥٨٨ : أي أخير يا محمد عبادي أي ذو رحمة واسعة ، وذو عقاب أليم .

(٢) الحديث أخرجه الطبري عن ابن أبي رباح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وسنده ضعيف ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤/٥٨٨ من رواية ابن أبي حاتم وهو مرسل ، وأورده السيوطي في الدر ٤/١٠٢ وعزاه إلى ابن مردويه ، ورواية الطبري : طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه ونحن نضحك ، فقال : ألا أراكم تضحكون ؟ ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر ، رجع إلينا القهقري ، فقال : إني لمَّا خرجتُ جاء جبريل فقال يا محمد : إن الله يقول : لِمَ تُقْنِطُ عِبَادِي ؟ ﴿ بُنِيَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ .. ﴾ الآيات .

٣١ — قوله جلّ وعز : ﴿ إِلَّا أَمْرًائُهُ قَدْ دُرْنَا إِنَّهَا لَمِنْ
الْعَابِرِينَ ﴾ [آية ٦٠] .

قيل : « قَدْ دُرْنَا » بمعنى علمنا ، وقَدْ دُرْنَا على بابهِ ، أي هو في
تقديرنا وفيما أخبرناه به هكذا .

والغابرُ : الباقي ، وقد يُستعمل للذاهب ، والمعنى : إنها لمن الباقيين
في الهلاك ،

وأنشد أهل اللغة :

لَا تَكْسَعِ الشَّوْلُ بِأَغْبَارِهِ _____

إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ النَّاتِجِ _____^(١)

الأغبارُ : بقايا اللبن .

٣٢ — وقوله جلّ وعز : ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ [آية ٦٢] .

قال مجاهد : أنكرهم لوط صلى الله عليه وسلم^(٢) .

وقيل : أنكرهم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يأكلوا من

(١) البيت للحارث بن حِزَرة ، واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٣٧/١٠ يريد : لا تضرب
الماء البارد على ضرع الناقة ليَجْفَ لبنها ، فيكون أقوى لها على الحمل في العام القابل ، فإنك لا
تدري ، ما يحدث ، ومن يلى أمر نتاجها ، وانظر لسان العرب ٣٧٣/٢ .

(٢) الأثر في الطبري ٤١/١٤ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٠٢/٤ .

طعامه^(١) ، وكانوا يُنكرون أمر الضَّيِّف إذا لم يأكل .

٣٣ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [آية ٦٣] .

قال مجاهد : بالعذاب^(٢) .

قال أبو جعفر : المعنى : بل جئناك بما كانوا يشكُّون من نزول العذاب بهم^(٣) .

٣٤ — وقوله تعالى : ﴿ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ .. ﴾ [آية ٦٥] .
السُّرَى لا يكون إلَّا بالليل^(٤) ، إلَّا أن قوله تعالى ﴿ بِقِطْعٍ ﴾^(٥) يدلُّ على ذهاب كثيرٍ من الليل .

٣٥ — ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ .. ﴾ [آية ٦٥] .

-
- (١) هذا القول ضعيف لأن الآية صريحة في أن المراد بها لوط عليه السلام ، لقوله سبحانه ﴿ فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ . قَالَ إِنَّكُمْ قومٌ مُنكَرُونَ ﴾ فهذا من كلام لوط لا إبراهيم .
- (٢) الأثر في الطبري ٤١/١٤ قال ابن جرير : والمعنى : جئناك بما كان فيه قومك يشكُّون من عذاب الله أنه نازل بهم ، وقال الزجاج : المعنى : جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكُّون في نزوله . اهـ .
- (٣) كلام المصنف تفسيرٌ للامتراء ، وهكذا قال ابن الجوزي ٤٠٦/٤ : أي أتيناك بالأمر الذي لاشك فيه من عذاب قومك .
- (٤) في المصباح المنير ٢٩٤/١ : سَرَيْتُ لَيْلًا ، وَسَرَيْتُ بِهِ سَرِيًّا : إذا قطعته بالسير ، وأسريتُ بالألف لغةٌ حجازية .
- (٥) قراءة الجمهور ﴿ بِقِطْعٍ ﴾ بسكون الطاء ، وأمَّا قراءة « قِطْع » بفتح الطاء فقد ذكرها في البحر ٤٦١/٥ عن فرقة ، وليست من القراءات السبع .

قيل : نهى عن الالتفات إلى ما في المنازل ، لئلا يقع الشغل به
عن المضي^(١) .

٣٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ ﴾ [آية ٦٦] .

أي أخبرناه به ، ثم بينه فقال تعالى : ﴿ أَنْ ذَابِرَ هَؤُلَاءِ
مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ [آية ٦٦] .

أي إن آخرهم مستأصل^(٢) .

وقال الفراء : الدَّابِرُ : الأصل^(٣) .

٣٧ — وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ؟ [آية ٧٠] .

يُروى أنهم كانوا نَهَوْهُ أَنْ يُضَيِّفَ أَحَدًا^(٤) .

٣٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ

فَاعِلِينَ ﴾ [آية ٧١] .

(١) قال القرطبي ٣٨/١٠ : نَهَوْهُ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ لِيَجِدُوا فِي السَّيْرِ ، وَيَتَبَاعَدُوا عَنِ الْقَرْيَةِ قَبْلَ أَنْ
يَفَاجِئَهُمُ الصُّبْحُ .

(٢) هذا كلام الزجاج كما حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٤ قال : والمعنى : إن آخر من يبقى
منكم يهلك وقت الصبح .

(٣) انظر معاني الفراء ٩٠/٢ .

(٤) هذا قول قتادة كما في الطبري ٤٣/١٤ وعبارته : قالوا : ألم نهك أن تُضَيِّفَ أَحَدًا . وقال ابن
الجوزي ٤٠٧/٤ : أي ألم نهك عن ضيافة العالمين .

هذا الجواب محمول على المعنى ، والمعنى : أنهم أرادوهم
للفساد ، فقال لهم لوط عليه السلام : هؤلاء بناتي فتزوجوا^(١) .

وأحسن ما قيل في هذا : أن أزواج كل نبي بمنزلة أمهات
أمته ، وأولاد أمته بمنزلة أولاده^(٢) .

٣٩ - وقوله جل وعز : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ﴾ [آية ٧٢] .

رَوَى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن
عباس ، قال : ﴿لَعَمْرُكَ﴾ لعيشك^(٣) .

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس قال : لحياتك^(٤) .

وروي أن إبراهيم النخعي كره أن يقول الرجل لعُمري ، قال :
لأنَّ معناه : وحياتي^(٥) .

وكذلك هو عند أهل اللغة .

(١) لم يقصد لوط عليه السلام بقوله ﴿هؤلاء بناتي﴾ بناته من صلبه ، إنما قصد بنات البلد ، فكأنه
يقول : هؤلاء النساء فتزوجوا بهن ، ولا تركنوا إلى الحرام إن كنتم تريدون قضاء الشهوة .

(٢) هذا ما اختاره الطبري ، وابن كثير ، وأبو حيان ، وجمهور المفسرين ، قال الحافظ ابن كثير
٢٦٨/٤ : يرشدهم إلى نسائهم ، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد ، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم
في الدنيا والآخرة ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وتذرون ما خلق لكم
فيكم من أزواجكم﴾ ؟ وانظر البحر ٢٤٦/٥ .

(٣، ٥) الآثار في الطبري ٤٤/١٤ وابن الجوزي ٤٠٨/٤ والدر المشور ١٠٣/٤ .

قال سيبويه : العَمْرُ ، والعُمُرُ واحدٌ ، ولا يستعملون في القَسَمِ إلاَّ الفتح لِحَفَّتِهِ ^(١) ، وحُكِيَ : لَعُمْرِي ، وكلُّه بمعنى العُمُر .

وهذه فضيلة للنبي ﷺ ، أقسم الله جلَّ وعزَّ بحياته .

قال أبو الجوزاء : ما سمعتُ اللهَ جلَّ وعزَّ حلفَ بحياة أحدٍ غيره صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

قال سفيان : سألتُ الأعمش عن قوله تعالى : ﴿ لَعْمُرُكُ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

فقال : أقسمَ بالنبِيِّ إنهم لفي غفلتهم يتردّدون ^(٣) .

٤٠ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَعْدَتْهُمْ الصَّبْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴾ [آية ٧٣] .

(١) قال ابن الأنباري : وفي العَمْرِ ثلاثُ لغات : عَمْرٌ ، وعُمُرٌ ، وعُمُرٌ ، وهو عند العرب البقاء ، وحكى الزجاج أن الخليل وسيبويه وجميع أهل اللغة قالوا : العَمْرُ والعُمُرُ في معنى واحد ، فإذا استعمل في القسم فُتِحَ لاغِيْرٌ ، وإنما آثروا الفتح في القسم لحَفَّتِهِ ، والمعنى : لعمرِكَ قسمي أي أقسم الله . وانظر زاد المسير ٤٠٨/٤ ومعاني الزجاج ١٨٤/١ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ٤٤/١٤ ورواه السيوطي في الدر ١٠٣/٤ عن ابن عباس ولفظه قال : ما خلق الله ، وما ذراً وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ ، وما سمعتُ الله أقسمَ بحياة أحدٍ غيره قال ﴿ لعمرِكَ إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ يقول : وحياتِكَ يا محمد ، وعُمُرِكَ وبقائك في الدنيا ، إنهم لفي غفلتهم يتردّدون . وانظر ما ذكره القرطبي في تفسيره ٤١/١٠ . حول هذه الآية الكريمة ، ففيه بيان وإبداع .

(٣) انظر الأثر في جامع البيان للطبري ٤٤/١٤ والدر المنثور ١٠٣/٤ .

أي فأخذتهم الصيحة بالعذاب ، وقتَ إشراق الشمس^(١) .

٤١ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [آية ٧٥] .

قال مجاهد : أي للمتفرسين^(٢)

قال الضحاك : أي للناظرين^(٣) .

قال أبو جعفر : وحقيقته توسَّمت الشيء : نظرتُ نظراً

متَّبت ، حتى تثبت حقيقة سِمة الشيء^(٤) .

٤٢ — وقوله عزَّ وجل : ﴿ وَإِنَّهَا لِبَسِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [آية ٧٦] .

يجوز أن يكون المعنى : وإن الآيات ،

ويجوز أن يكون المعنى : وإن مدينة قوم لوط .

(١) قال أبو حيان في البحر ٤/٤٦٢ : والصيحة : صيحة الهلاك . أي أخذتهم صيحة العذاب المهلكة المدمرة وقت شروق الشمس .

(٢،٣) انظر الآثار في الطبري ٤/٤٥ وابن كثير ٤/٤٦١ والدر المنثور ٤/١٠٣ .

(٤) هذا قول أهل اللغة ، قال ابن قتيبة : يُقال : توسَّمتُ في فلانٍ الخير أي تبينته ، وقال الزجاج : المتوسِّمون في اللغة : التُّظَاُّرُ المتبَيَّنُّونَ في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سِمة الشيء اهـ . زاد المسير ٤/٤٠٩ وقال الحافظ ابن كثير ٤/٤٦١ : أي إن آثار هذه التَّقم ظاهرة على تلك البلاد ، لمن تأمل ذلك وتوسَّمه بعين بصره وبصيرته .

قال مجاهد : ﴿ لَيْسِيلٌ مُّقِيمٌ ﴾ لبطريق معلّم ، أي واضح^(١) .

٤٣ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ [آية ٧٨] .

قال الضحاك : الأيكة : العِصَّةُ ذاتُ الشجر^(٢) .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة ، يُقال للشجرة أيكة ، وجمعها أَيْكٌ^(٣) .

ويُروى أن شجرهم كان دُومًا^(٤) .

وأما رواية من روى أن « لَيْكَةً » اسمُ القرية التي كانوا فيها ، و « الأيكة » البلاد كلها ، فلا يُعرف في اللغة ولا يصح^(٥) .

٤٤ — وقوله جلّ وعز : ﴿ فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [آية ٧٩] .

(٢،١) انظر الطبري ٤٨/١٤ وتفسير ابن الجوزي ٤١٠/٤ .

(٣) في المصباح المنير ٣٨/١ : الأيكة شجر يُقال من الأراك ، الواحدة أيكة ، مثل ثمر ، وثمرّة . اهـ .

(٤) حكاها القرطبي ٤٥/١٠ قال : ويُروى أن شجرهم كان دُومًا وهو المُقْل . اهـ .

قال الزجاج : الأيكة : الشجر الملتف ، والفصل بين واحده وجمعه الهاء . قال المفسرون : هم قوم شعيب ، كان مكانهم ذا شجر ، فكذبوا شعيباً فأهلكوا بالحر . انظر زاد المسير ٤١٠/٤ .

(٥) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٤٥/١٠ فقد ادّعى أن هذا قول أبي عبيدة ، وأنه بمنزلة بكة من مكة .

قال الضحاك : أي لطريق مستبين^(١) ، أي يمرُّون عليها في أسفارهم .

قال أبو جعفر : ومعروف في اللغة أن يقال للطريق : إمام ، لأنه يُؤْتَمُّ به ، ويُتَّبَع .

٤٥ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [آية ٨٠] .

وروى معمر عن قتادة قال : الحِجْر : الوادي ، يذهب إلى أنه اسم له^(٢) .

٤٦ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [آية ٨٢] .

أي آمين أن تَسْقُطَ .

٤٧ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [آية ٨٥] .

قال مجاهد : هذا قبل أن يُؤمر بالقتال^(٣)

(١) الأثر في الطبري ٤٩/١٤ قال ابن جرير : والضميرُ في « وإنهما » للمدينتين أي وإن مدينة أصحاب الأيكة ، ومدينة قوم لوط ، لطريق واضح يأتمون به في أسفارهم ويبتدون ، وإنما جعل الطريق إماماً لأنه يُؤْتَمُّ ويُتَّبَع . اهـ .

(٢) الطبري عن قتادة ٤٩/١٤ والحِجْر : مساكن ثمود . وقال ابن الجوزي ٤/٤١١ : الحِجْر : اسم الوادي الذي كانوا به ، قاله قتادة ، والرجاج .

(٣) الأثر في الطبري ٥١/١٤ يذهب مجاهد إلى أن الآية منسوخة بآية القتال ، وانظر الدر المنثور ١٠٤/٤ .

٤٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ [آية ٨٧] .

روى عبدُ خَيْرٍ^(١) ، عن عليِّ بنِ أبي طالب ، أنه قال في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ يعني فاتحة الكتاب^(٢) .

وكذلك قال أبو هريرة : هي فاتحة الكتاب ، وليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم^(٣) .

وكذلك روى أبو يحيى عن مجاهد ، وكذلك روى معمرٌ عن قتادة^(٤) .

وروى سفيان بن منصور ، عن مجاهد عن ابن عباس قال :
﴿ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾
قال : السبع الطُّولُ^(٥) .

وكذلك روى شعبَةُ عن أبي بشرٍ عن سعيد بن جُبَيْر :
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ .

قال : السبع الطُّولُ : « البقرة ، وآل عمران ، والنِّسَاءُ ،
والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس »^(٦) .

(١) هو عبد خير بن يزيد « أبو عُمارة » الكوفي ، روى عن ابن مسعود ، وعلي ، وزيد بن أرقم ، قال يحيى بن معين : عبدُ خير ثقةٌ ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٢٤/٦ والجرح والتعديل ٣٧/٦ .
(٢) هذه الآثار كلها عن السلف ذكرها المفسرون ، الطبري في جامع البيان ٥٢/١٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٥٤/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٥/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤١٣/٤ =

كذلك في الحديث ، وكذلك قال الضحاك هي السبع الطُّول ،
وكذلك روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال : « السبع المثاني والقرآنُ
العظيم : أمُّ القرآن »^(٧)

قال الضحاك : ﴿ القرآن العظيم ﴾ سائره^(٨) .

وقد صحَّ عن عليِّ بن أبي طالب أنه قال : السبعُ المثاني
الحمدُ ، وقال به قتادة^(٩) .

وفسر معناه قال : لأنَّ فاتحة الكتاب تُثنَّى في كل ركعة ، فريضةً
أو نافلةً .

والمعنى على هذا القول : ولقد آتيناك سبع آياتٍ مما يُثنَّى في
الصلاة .

و (مِنْ) ها هنا لبيان الجنس على هذا القول ، كما قال

= وابن كثير في تفسيره ٤/٤٦٥ وأرجح هذه الأقوال وأصحُّها أن السبع المثاني هي « سورة الفاتحة »
لأنها سبع آيات باتفاق ، وهي تُثنَّى أي تُقرأ وتُكرَّر تلاوتها في كل فريضة ونافلة ، وممَّا يؤيد هذا
القول ما رواه البخاري ١٠١/٦ من حديث سعيد بن المعلَّى أن النبي ﷺ قال له : لأعلمَنَّكَ
أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد ، فلما أراد أن يخرج من المسجد ذكرَّته فقال :
﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته « وهذا الحديث نصٌّ
صریح في أنها فاتحة الكتاب ، واختاره ابن جرير ، وابن كثير ، وجمهور المفسرين ، وانظر تفصيل
الأقوال في زاد المسير ٤/٤١٣ وعلى هذا القول يكون عطف « القرآن » على المثاني ، من باب
عطف العام على الخاص لمزيد من الاهتمام بالخاص .

تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ ^(١) .

ويجوز أن يكون المعنى : مما يثنى به على الله ، لأن في الحمد ثناءً على الله ، وذكر توحيدِهِ ، وملكه يوم الدين ، وتكون (مِنْ) على هذا القول لبيان الجنس أيضاً ^(٢) .

ويجوز أن تكون للتبعض ، ويكون المعنى : ولقد آتيناك سبع آيات من المثاني أي من القرآن ، الذي يُثنى فيه الآيات ، والقصص ، ويُثنى فيه على الله ^(٣) .

وهذا أحسن ، وهو مذهب أبي مالك ، لأنه قال ﴿المثاني﴾ : القرآن .

وأما من قال : هي السبع الطُّول ، فقد فسر سعيد بن جبير مذهبه ، فقال : لأنه تُثنى فيها الحدود ، والفرائض ، فتكون (من) على هذا لبيان الجنس ^(٤) .

(١) سورة الحج آية ٣٠ والشاهد أن « من » للبيان ، أي اجتنبوا الرِّجْسَ الذي هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس .

(٢،٤) انظر توضيح هذه الأقوال في المحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٢/٨ وتفسير ابن الجوزي ٤١٥/٤ وجامع الأحكام للقرطبي ٥٥/١٠ والبحر المحيط لأبي حيان ٤٦٦/٥ قال ابن الجوزي : قال ابن الأنباري : والمعنى : آتيناك السبع الآيات التي تُثنى في كل ركعة ، وإنما دخلت « مِنْ » للتوكيد كقوله تعالى ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ ثم قال : ومن أعظم فضائل سورة الحمد ، أن الله تعالى جعلها في حيز ، والقرآن كله في حيز ، وامتنَّ عليه بها كما امتنَّ عليه بالقرآن كله .

ويجوز أن تكون للتبعيض ، على ما تقدّم .

وروى أبو عبيد أن سفيان بن عُيينة كان يتلو هذه الآية ، يتأولها على حديث النبي ﷺ « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن »^(١) قال أي يستغني به .

قال : فأمر الله جلّ وعز النبي ﷺ أن يستغني بالقرآن عن المال ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ .

٤٩ — ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ لَا تُمَدَّنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ .. ﴾ [آية ٨٨] .

وروي عن عبد الله بن عمر أنه قال : « من حفظ القرآن ، فرأى أن أحداً أُعطي أفضل ممّا أُعطي ، فلقد صغّر عظيماً [وعظّم صغيراً]^(٢) .

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ١٨٨/٩ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، قال — أي البخاري — وزاد غيره : يجهر به . ورواه أبو داود ٧٤/٢ باب التغني بالقرآن ، وهو في سنن الدارمي ٢٨٨/١ ومسند أحمد ١٧٢/١ .

أقول : الحديث مأخوذ من التغني أي تحسين الصوت وتجميله بتلاوة آيات القرآن ، وليس من الاستغناء بمعنى الاكتفاء بالقرآن ولو كان منه لقال « ليس منا من لم يستغن بالقرآن » قال الحافظ ابن كثير ٤/٤٦٦ : ذهب ابن عُيينة إلى أن المعنى : يستغني به عما عداه ، وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث الشريف .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش ، والأثر رواه ابن جرير ٦٠/١٤ وابن =

قال مجاهد في قوله تعالى ﴿لَا تُمَدَّنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾

قال الأغنياء الأشباه ، أي أمثال في النعم .
والأزواج في اللغة : الأصناف^(٢) .

٥٠ — وقوله جل وعز : ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ . كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ [آية ٩٠] .

في الكلام حذف ، والمعنى : قل إنني أنا النذير المبين عقاباً ،
كما أنزلنا على المقتسمين .
وفي المقتسمين أقوال :

أحدها : أنهم قوم تحالفوا على عَصِيهِ^(٣) النبي ﷺ .

= عطية في المحرر الوجيز ٣٥٣/٨ وقد رواه الطبراني مرفوعاً من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ « من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي ، فقد استصغر ما عظم الله » . وانظر الدر المنثور للسيوطي ١٠٦/٤ فقد أورد الأثر السابق وعزاه إلى ابن المنذر .

(١) الأثر رواه الطبري عن مجاهد ٦١/١٤ وهو أيضاً في الدر المنثور للسيوطي ١٠٦/٤ ومراده أن الأغنياء أمثال بعض في الغنى ، فهم أزواج .

(٢) في المصباح المنير ٢٧٧/١ : الزَّوْجُ : الشَّكْلُ يكون له نظير كالأصناف والألوان . ويؤيده ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ أي الأصناف .

(٣) قال الجوهري في الصحاح مادة عَصَى : وَعَصِيَهُ عَصَتْهُ : رماه بالهتان ، قال الكسائي : الْعِصَّةُ : الكذب والهتان ، وجمعها عِصْوَنٌ ، مثل عِزَّة وعِزِينَ ، وأصله عِصْوَةٌ من عِصْوَتِهِ أي فَرَّقَتْهُ ، لأن المشركين فَرَّقُوا أَقَابِلَهُمْ فيه ، فجعلوه كذباً ، وسحراً ، وكهانة ، وشعراً ، وقيل : الْعِصَّةُ في لغة قريش : السَّحَرُ . اهـ .

والقول الآخر : أنه روى الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ فقال : اليهود ، والنصارى ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ قال : آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه^(١) .

وقال الضحاك : ﴿ المقتسمين ﴾ : أهل الكتاب ، مزقوا الكتب وفرحوا بما عندهم منها^(٢) .

وقال مجاهد : ﴿ المقتسمين ﴾ : أهل الملل^(٣) .

قال ابن جريج وقال عطاء : هم المشركون من قريش ، مزقوا القول في القرآن ، فقال بعضهم : هو شعر ، وقال بعضهم : هو سحر ، وقال بعضهم : هو أساطير الأولين ، فذلك العضون^(٤) .

وقال عكرمة : ﴿ عِضِينَ ﴾ : سحر^(٥) .

وكان أبو عبيدة يذهب إلى أن ﴿ عِضِينَ ﴾ مأخوذ من الأعضاء^(٦) .

قال أبو جعفر : وهو قول حسن . أي فرقوا القول ، وأنشد :

(١) الأثر أخرجه البخاري عن ابن عباس ١٠٢/٦ وابن كثير ٤٦٧/٤ وابن الجوزي ٤١٧/٤ والدر

المنثور ١٠٦/٤ .

(٢-٥) انظر هذه الآثار في الطبري ٦٢/١٤ وابن كثير ٤٦٧/٤ والبحر المحيط ٤٦٨/٥ .

(٦) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٥٥/١ حيث قال : أي عضّوه أعضاء أي فرقوه فرقاً .

« وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ بِالْمُعْضَى »^(١) .

أي بالمُفَرَّق .

وكان الفراء يذهب إلى أنه مأخوذ من العَضَاهِ وهي شجر^(٢) .

وكان الكسائي يذهب إلى أنه يجوز أن يكون مأخوذاً منهما .

٥١ - وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آية ٩٤] .

قال مجاهد : أي اجهر بالقرآن في الصلاة^(٣) .

قال : ومنه تَصَدَّعَ القَوْمُ : إذا افترقوا .

قال : ومنه الصُّدَاعُ ، لأنه انفراق قبائل الرأس .

(١) هذا شطر من رجز رؤبه بن العجاج ، وهو في ديوانه ص ٨١ من قصيدة مطلعها :

دَايَــــنْتُ أَرْوَى وَالْدَّيــــنُ تَقْضَى

فمَطَــــنْتُ لَتَ بَعْضًا وَأَدَّتْ بَعْضًا

وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ بِالْمُــــعْضَى

يقول : إن دين الله ليس أقساماً ولا أجزاء .. وهو من شواهد الطبري ٦٥/١٤ وفي اللسان ،

ومجاز القرآن ٣٥٥/١

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ٩٢/٢ ولفظه : وواحدة العِضِينَ عِضَّةٌ ، رَفَعَهَا عِضُونٌ ، وَنَصَبُهَا

وخفضها عِضِينَ ، قال والمعنى ﴿ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ أي فَرَّقُوهُ إِذْ جَعَلُوهُ سِحْرًا ، وَكَذِبًا ،
وأساطير الأولين . اهـ .

(٣) الأثر في الطبري ٦٨/١٤ وابن كثير ٤٦٩/٤ والدر المنثور ١٠٦/٤ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي

حاتم .

قال أبو جعفر : ومعلومٌ عند أهل اللغة أنه يقال : صدّع بالحق : إذا أبأته وأظهره ، وكأنّه : ابنٌ ، وأظهر^(١) .
وأشدد أبو عبيدة لأبي ذؤيب يصف عيراً وأثناً ، وأنه يحكم

فيها :

وكانَّهُنَّ رِبابَةً وكأنَّه

يَسْرُ يُفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ^(٢)

ومن هذا قيل للصُّبح : صَدِيعٌ ، كما قال :

« كَأَنَّ بَيَاضَ لَيْتِهِ صَدِيعٌ »^(٣)

وأبو العباس^(٤) يذهب إلى أن المعنى : فاصدّع الباطل بما تؤمر به أي افرق .

(١) في الصحاح ١٢٤١/٣ : الصَّدْعُ : الشَّقُّ ، والصَّدِيعُ : الصَّبْحُ ، وصدَّعتُ الشيءَ : أظهرته وأبنته ، يُقال : صدعتُ بالحق إذا تكلمت به جهاراً . اهـ .

(٢) البيت لأبي ذؤيب وهو في ديوان الهذليين ٦/١ وفي الطبري ٦٧/١٤ وفي اللسان والتاج مادة صدع ، وفي مجاز القرآن ٣٥٥/١ والقرطبي ٦١/١٠ يصف فيه حمار الوحش والأثن يطردها ويسوقها أمامه ، والربابة : الخوقة التي تُلَفُّ بها القِداح ، وقيل : هي القِداح نفسها . واليسرُ : واحد الأيسار وهو الذي يضرب بالقِداح ، ومعنى يُفِيضُ على القِداح أي يدفعها ويضرب بها .
(٣) هذا عجز بيت لعمر بن معد يكرب ، وهو في حاشية المحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٩/٨ وصدَّره :

تَرَى السَّرْحَانَ مَفْتَرشاً يَدِيهِه كَأَنَّ بَيَاضَ لَيْتِهِ صَدِيع
أي كأنه صبح يشق الظلام ويفلقه ، والسَّرْحَانُ بكسر السين : الذئب .

(٤) أبو العباس هو الإمام الميرد ، وقد تقدمت ترجمته .

٥٢ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [آية ٩٥] .

حدثنا «أبو بكر» أحمد بن محمد بن نافع ، قال : نا سلمة بن شُعيب بن عبدالرزاق ، عن مَعْمَر ، عن قتادة ، وعثمان الجَزْري عن مَقْسَم ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ قالوا : «المستهزءون» : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعَدِي بن قيس ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلّب .. مَرُوا رجلاً رجلاً على النبي ﷺ ومعه جبريل عليه السلام ، فإذا مرَّ رجلٌ منهم قال له جبريل : كيف تجدُ هذا ؟ فيقول : بئسَ عبدُ الله ، فيقول جبريل : كَفَيْنَاكَه .

فَأَمَّا الوليد ابن المغيرة فتردَّى فتعلّق سَهْمُ بردائه فذهب يجلس فقطع أكله فنزف فمات .

وأما الأسود بن عبد يغوث فَأَتَى بغصن فيه شوك ، فضرب به وجهه فسالت حَدَقَتاه على وجهه ، وكان يقول : دعوتُ على محمد دعوةً ، ودعى عليّ دعوةً ، فاستُجيب لي ، واستُجيب له . دَعَا عليّ أن أعمى فعميتُ ، ودعوتُ عليه أن يكون وحيداً طريداً في أهل يثرب فكان كذلك .

وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكة ، فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك .

وأما الأسود بن المطلّب ، وعَدِي بن قيس فَإِنَّ أحدهما قام في

الليل ، وهو مطمئن ليشرب من جرة ، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات ، وأما الآخر فلدغته حية فمات^(١) .

٥٣ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [آية ٩٨] .

أي كن من المصلِّين^(٢) .

٥٤ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [آية ٩٩] .

قال سالم بن عبدالله^(٣) ومجاهد : أي الموت^(٤) .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٦٩/١٤ بزيادة في الرواية ، ورواه ابن كثير في تفسيره ٤٧٠/٤ من رواية محمد بن إسحق ، قال : كان عظماء المستهزئين خمسة نفر ، كانوا ذوي أسنانٍ وشرفٍ في قومهم .. وذكر الرواية بأوسع مما ذكرها المصنف ، وهو في الدر المنثور للسيوطي ١٠٧/٤ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٢/٤ وهو في القرطبي ٦٢/١٠ وفي البحر المحيط ٤٧٠/٥ قال ابن الجوزي : أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ والمستهزئون يطوفون بالبيت ، فمرَّ الوليدُ بنُ المغيرة ، فقال جبريلُ يا محمد : كيف تجد هذا ؟ فقال : ينس عبدالله ، قال : قد كُفيتَ وأوماً إلى ساق الوليد .. وذكر الأثر كاملاً .

(٢) أطلق السجود وأراد به الصلاة ، وهذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ، وهو مجاز مشهور ، والمعنى : سبِّح ربك فيما نالك من مكروه ، وكن من المصلِّين ، يكفك الله ما أهَمُّكَ ، قال الطبري ٧٣/١٤ وهذا نحو الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ ، أنه كان إذا حزبه أمرٌ فرجع إلى الصلاة اهـ . وكذلك قال ابن كثير ٤٧١/٤ : وعبادته التي هي الصلاة .

(٣) « سالم بن عبدالله » هو — كما قال الحافظ ابن كثير ٤٧١/٤ — سالم بن عبدالله بن عمر ، توفي سنة ١٠٦ هـ كان من فقهاء المدينة ، يشبه أباه في العلم ، والثقي ، والعبادة قال العجلي : مدنيٌّ تابعيٌّ ثقة ، وقال أحمد بن حنبل : أصحُّ الأسانيد : الزهري عن سالم عن أبيه ، وانظر ترجمته في التهذيب ٤٣٦/٣ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٧٤/١٤ وابن كثير ٤٧١/٤ وابن الجوزي ٤٢٣/٤ قال : وهو قول ابن =

قال أبو جعفر : ونظيرُ هذا ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾^(١) .

والفائدةُ في هذا أنه لو قال : واعبد ربَّك مطلقاً ، ثم عبده
مرةً واحدةً كان مطيعاً ..

وإذا قال ﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ أو أبداً ، أو ﴿ حَتَّى يَأْتِيَكَ
الْيَقِينُ ﴾^(٢) كان معناه : لا تُفارق هذا .

تمت سورة الحجر

* * *

= عباس ، ومجاهد ، والجمهور اهـ . أقول : وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير
١٠٢/٦ ولفظه : ﴿ واعبد ربَّك حتى يأتِيَكَ اليقين ﴾ قال سالمٌ : الموت .

(١) سورة مريم آية ٣١ .

(٢) كذلك قال الزجاج إن المعنى : اعبد ربك أبداً ، وقال في البحر ٤٢٣/٥ : وحكمةُ الغاية
﴿ حتى يأتِيَكَ اليقين ﴾ وهو الموت ، أنه يقتضي ديمومة العبادة مادام حياً ، والمقصودُ ألا يُفارق
العبادة حتى يموت . اهـ قال الحافظ ابن كثير ٤٧٢/٤ : ويُستدلُّ بهذه الآية على تخطئة من
ذهب من الملاحدة ، إلى أن المراد باليقين : المعرفة ، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه
التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء عليهم السلام ، أعلم الناس بالله ،
وأعرفهم بحقوقه وصفاته ، وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد الناس ، وأكثر الناس
عبادة ، ومواظبةً على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين هنا الموت اهـ .

تفسير سورة النحل

مكيه وآياتها ١٢٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النَّحْلِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ^(١)

قال عبد الله بن عباس : إِنْ ثَلَاثَ آيَاتٍ ، نَزَلْنَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ،
حِينَ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَحَدٍ — وَقَدْ قُتِلَ حِمْرَةٌ وَمُثِّلَ بِهِ — فَقَالَ
النَّبِيُّ « لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ مِنْهُمْ ، وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ » فَأَنْزَلَ اللَّهُ
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ إِلَى آخِرِ ثَلَاثِ
آيَاتٍ^(٢) .

١ — قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ .. ﴾ [آيَةُ ١] .

قال بعضهم : ﴿ أَتَى ﴾ بِمَعْنَى يَأْتِي ، لِأَنَّهُ قَدْ عُرِفَ الْمَعْنَى
فَصَارَ مِثْلَ قَوْلِكَ : إِنْ أَكْرَمْتَنِي أَكْرَمْتُكَ .

وقيل : أَخْبَارُ اللَّهِ بِالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ

(١) فِي الْبَحْرِ ٤٧٢/٥ : قَالَ الْحَسَنُ ، وَعَطَاءٌ ، وَعَكْرَمَةُ ، وَجَابِرٌ ، هِيَ كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ ، وَقَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ : هِيَ مَكِّيَّةٌ إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي شَأْنِ قَتْلِ أَحَدٍ ، وَانْظُرِ الْبَدْرَ الْمَشْهُورَ
١٠٩/٤ .

(٢) انْظُرِ تَفْسِيرَ ابْنِ عَطِيَّةٍ ٣٦٣/٨ وَجَامِعَ الْأَحْكَامِ لِلْقُرْطُبِيِّ ٦٥/١٠ .

أنه يكون فهو بمنزلة ما قد كان (١) .

وقول ثالث — وهو أحسنها — وذلك أنهم استبعدوا ما وعدهم الله من العقاب ، فأخبر الله جلَّ وعز أن ذلك قريب فقال ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ (٢) .

أي هو في القرب بمنزلة ما قد أتى ، كما قال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ وكما يُقال : أتاك الخبرُ ، أي قَرَبَ منك .

وقال الضحاك : أي جاء القرآن بالفرائض ، والأحكام ، والحدود (٣) .

٢ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .. ﴾ [آية ٢] .

(١) عبَّرَ بصيغة الماضي عن المستقبل ، لتحقيق وقوع الأمر وتيقنه ، فإنه مقطوع بجميعه قال الفخر الرازي ٢١٨/١٩ : لَمَّا كَانَ واجب الوقوع لا محالة عبَّرَ عنه بالماضي ، كما يُقال للمستغيث : جاءك الغوثُ فلا تجزع . اهـ . وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ٤/٤٧٣ .

(٢) قال ابن عباس : لَمَّا نَزَلَ قوله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ قال الكفار بعضهم لبعض : إن محمداً يزعم أن القيامة قد اقتربت ، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما يأتي من العقاب ، فلما امتدَّت الأيام قالوا يا محمد : ما نرى شيئاً مما كنت تحوِّفنا به ، فأنزل الله ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ فلا تستعجلوه .. ﴿ وانظر أسباب النزول للواحدي ص ١٥٩ وزاد المسير ٤/٤٢٦ .

(٣) هذا القول غريب وبعيد ، حكاه عن الضحاك الطبري ٧٦/١٤ والقرطبي ٦٥/١٠ وابن كثير ٤/٤٧٣ قال الحافظ : وقد ذهب الضحاك في تفسير الآية إلى قول عجيب فقال ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ أي فرائضه وحدوده ، وقد ردَّه ابن جرير فقال : لا نعلم أحداً استعجل الفرائض والشرائع قبل وجودها ، بخلاف العذاب فإنهم استعجلوه استبعاداً وتكديباً اهـ .

روى هُشَيْمٌ ، عن أبي بَشِيرٍ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ،
قال : الرُّوحُ : خَلْقٌ من خلق اللّهِ ، وأمرٌ من أمره ، صُوْرُهُم على
صُوْرِ بني آدم ، لا ينزل في السماء مَلَكٌ إلّا ومعه واحدٌ منهم^(١) .
وروى ابن جريج عن مجاهد قال : لا ينزل مَلَكٌ إلّا ومعه

روح^(٢) .

وقال إسماعيلُ بنُ أبي خالد : سألت أبا صالح عن الرُّوح ،
فقال : لهم صُوْرٌ كصُوْرِ بني آدم ، وليسوا منهم^(٣) .

وقال الحسن : تنزل الملائكة بالروح أي بالنبوة^(٤) .

وروى مَعْمَرٌ عن قتادة : تنزل الملائكة بالروح قال : بالوحي
والرحمة^(٥) .

قال أبو جعفر : وهذا قول حسنٌ ، وقد رواه عليُّ بن أبي

طلحة عن ابن عباس

أي يُنزلهم بما هو بمنزلة الروح والحياة ، كما قال تعالى :

﴿ فَرُّوْهُ وَرِيْحَانٌ ﴾^(٦) .

(١-٥) انظر هذه الآثار عن السلف في جامع البيان للطبري ٧٧/١٤ . وفي زاد المسير لابن الجوزي

٤٢٨/٤ وفي الدر المنثور للسيوطي ١١٠/٤ وأرجح الأقوال ما روي عن ابن عباس وقاتدة أنه

القرآن والوحي ، كما قال سبحانه ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ سُمِّي الوحي روحاً

لأنه تحيا به القلوب ، كما تحيا بالأرواح الأجساد ، قال الزجاج : الروح ما تحيا به القلوب من

هداية الله تعالى لها ، واستحسنه ابن عطية وقال : وكأن اللفظ على التشبيه فهو كالروح

للجسد .

(٦) سورة الواقعة آية ٨٩ وقامها ﴿ فأما إن كان من المقرِّين فرُّوح وريحانٌ وجنَّةٌ نعيم ﴾ .

وقيل معناه : رحمة^(١) .

٣ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [آية ٥] .

رَوَى اسْرَائِيلُ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : النَّسْلُ^(٢) .

وروى ابنُ جُرَيْجٍ عن مجاهد قال : الدِّفْءُ : لباسٌ يُنْسَجُ ، والمنافع : الرُّكُوبُ ، واللِّبْنُ ، واللَّحْمُ^(٣) .

قال أبو جعفر : وهذا قول حسنٌ : أي ما يُدْفِئ من أوبارها وغير ذلك ، وأحسبُ مذهبَ ابنِ عباسٍ أنَّ المنافع النسلُ ، لا الدِّفْءُ ، على أن الأمويَّ^(٤) قد رَوَى أَنَّ الدِّفْءَ عند العرب نتاجُ الإبل ، والانتفاع بها ، فيكون هذا فيه .

(١) هذا قول الحسن ، وقتادة ، كما حكاه ابن الجوزي ٤/٢٨٨ في تفسيره .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ١٤/٧٩ وابن الجوزي ٤/٤٣٠ وهذا القول تفسير للمنافع لا للدِّفْء .

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٤/٧٩ وابن كثير ٤/٤٧٦ وتفسير ابن الجوزي ٤/٤٣٠ .

(٤) حكى ابن فارس اللغوي عن الأموي قال : الدِّفْءُ : عند العرب : نتاجُ الإبل وألبانها زاد المسير ٤/٤٣٠ وفي الصحاح للجوهري ١/٥٠ : الدِّفْءُ : نتاجُ الإبل وألبانها وما يُنتفع به منها ، وفي الحديث « لنا من دِفْئِهِمْ وصِرَامِهِمْ ما سَلَمُوا بالمِثَاقِ » أي إبلهم وغنمهم . اهـ أقول : والمشهور أن الدِّفْءَ مأْستدْفأً به من اللباس من الصوف والوبر ، والمنافع هي منافع النسل والدِّر ، واللَّحْم ، وركوب الظهر .

٤ - وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [آية ٦] .

رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : إِذَا رَاحَتْ أَعْظَمَ مَا تَكُونُ أَسْنَمَةً مِنَ السَّمَنِ ، وَضُرُوعُهَا مُحْفَلَةٌ ^(١) .

قال أبو جعفر : والمعنى عند أهل اللغة : وتريحونها بالعشي ، يقال : أَرَحْتُ الْإِبِلَ إِذَا انْصَرَفَتْ بِهَا مِنَ الْمَرْعَى الَّذِي تَكُونُ فِيهِ بِاللَّيْلِ ، وَيُقَالُ لِلْمَوْضِعِ الْمُرَاحُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « إِذَا سَرَّقَهَا مِنَ الْمُرَاحِ قُطِعَ » ^(٢) .

ومعنى : ﴿ تَسْرَحُونَ ﴾ تَعْدُونَ بِهَا إِلَى الْمَرْعَى ، سَرَحْتُ الْإِبِلَ أَسْرَحُهَا سَرَحًا وَسُرُوحًا ، إِذَا غَدَوْتَ بِهَا إِلَى الْمَرْعَى فَخَلَّيْتُهَا تَرَعَى ، وَسَرَحْتُ هِيَ فِي الْمُتَعَدِي وَاللَّازِمِ وَاحِدٌ ^(٣) .

(١) الأثر في الطبري ٨٠/١٤ ولفظه عن قتادة : إِذَا رَاحَتْ كَأَعْظَمَ مَا تَكُونُ أَسْنَمَةً ، وَأَحْسَنَ مَا تَكُونُ ضُرُوعًا .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه رقم ٢٥٩٦ بلفظ « وما كان في المراح ففيه القطع » قال في النهاية ٢٧٣/٢ : والمُراح بالضم : الموضع الذي تروح إليه الماشية ، أي تأوي إليه ليلاً ، وأما بالفتح فهو الموضع الذي يروح إليه القوم أو يروحون منه اهـ .

(٣) في الصحاح ٣٦٨/١ : أراح إبله : ردها إلى المراح ، ولا يكون ذلك إلا بعد الزوال ، وسرحت الماشية بالغداة ، وراحت بالعشي أي رجعت ، والمُراح بالضم حيث تأوي إليه الإبل والغنم بالليل اهـ وقال القرطبي ٧١/١٠ : ﴿ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ : وذلك في المواشي حين تروح إلى المراعي وتسرح عليه ، والرَّوْحُ رجوعها بالعشي من المرعى ، والسراح بالغداة إِذَا غَدَوْتَ بِهَا إِلَى الْمَرْعَى فَخَلَّيْتُهَا ، وسرحت هي ، المتعدي واللازم واحد .

٥ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ ﴾ [آية ٧] .

رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : إِلَّا بِمَشَقَّةٍ (١) .

وقال غيره : المعنى : لولا الإبل لم تبلغوا البلدان إِلَّا بِمَشَقَّةٍ .

وقد قرئ : ﴿ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ ﴾ (٢) وهي بمعنى الأول ، إِلَّا أنه مصدر .

٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً .. ﴾ [آية ٨] .

تَأَوَّلَ هَذَا جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى أَنَّهُ لَا يَحِلُّ أَكْلُ هَذِهِ ، لِقَوْلِهِ فِي الْإِبِلِ ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ولم يقل هذا في « الخيل ، والبغال ، والحمر » (٣) .

(١) الأثر في الطبري ٨٠/١٤ وتفسير ابن الجوزي ٤/٣٠ وهو قول الأكرخين ، قال الطبري : والمعنى : لم تكونوا بالغيه إِلَّا بجهد من أنفسكم شديد ، ومشقة عظيمة ، وهو قول قتادة وعكرمة .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٧/٢ قال : الشَّقُّ بفتح الشين بمعنى الشَّقُّ بكسرهما ، وكلاهما المشَقَّةُ ، وهما من الشَّقِّ في العصا ونحوها ، ومنه قراءة أبي جعفر وعمرو بن ميمون ﴿ بِشَقِّ الْأَنْفُسِ ﴾ بفتح الشين ، وأما الجزري فعدها من القراءات العشر ٣٠٢/٢ .

(٣) انظر تفصيل الأقوال في جامع الأحكام للقرطبي ١٠/٧٦ فقد ذكر أقوال الفقهاء وأدلتهم ، وعُلِّلَ ودلِّلَ بما فيه مقنع على جواز أكل لحوم الخيل .

٧ — وقوله جل وعز ﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية ٨] .

وظاهره عام ، إلا أن عبدالرحمن بن معاوية القرشي حدثنا قال :
حدثنا موسى بن محمد ، عن ابن السدي عن أبيه في قوله تعالى
﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال : السوس في الثياب^(١) .

٨ — وقوله جل وعز ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [آية ٩] .

قال الضحاك : أي تبيين الهدى والضلالة^(٢) .

وقال مجاهد : أي طريق الحق^(٣) . وهذه تشبه ﴿قَالَ هَذَا
صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٤) .

أي على منهاجي وديني . وكذا ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾
أي القصد فيها ما كان على دين الله .

وقيل : هو تبيين الحق ، والبراهين ، والحجج^(٥) .

(١) أخرجه ابن عساكر عن مجاهد وحكاه في الدر المنثور ١١٢/٤ وهو قول شاذ وغريب ، فالآية

وردت مورد الامتنان بما خلق الله عز وجل من وسائل النقل لراحة الإنسان ، والسوس ليس من
أسباب الراحة ، والأظهر أن المعنى : ويخلق في المستقبل ما لا تعلمونه الآن من وسائل النقل ،
كالسيارات ، والقطارات ، والطائرات النفاثة وغيرها من الوسائل ، وهي من تعليم الله للإنسان ،
حتى لا يقول الناس : إنما استخدم آباؤنا الخيل والبغال والحمير فلا نستخدم سواها .

(٢-٣) الآثار عن الضحاك ومجاهد رواها الطبري ٨٤/١٤ والسيوطي في الدر ١١٢/٤ .

(٤) سورة الحجر آية ٤١ .

(٥) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ٤٣٢/٤ قال المعنى : وعلى الله تبيين الطريق المستقيم ، والدعاء

إليه بالحجج والبراهين .

وقيل : إنه يراد بالسييل ها هنا الإسلام^(١).

٩ — ثم قال جل وعز ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ [آية ٩] .

أي ومن السُّبُل جائرٌ ، أي عادلٌ عن الحق ، وأنشدني أبو بكر ابن أبي الأزهر ، قال أنشدني بُنْدَار :

لَمَّا خَلَطْتُ دِمَاءَنَا بِدِمَائِهَا

سَارَ الثَّقَالُ بِهَا وَجَارَ الْعَاذِلُ

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿ وَمِنْكُمْ جَائِرٌ ﴾^(٣) .

وكذلك قرأ عبدالله بن مسعود ذا ، على التفسير .

١٠ — ثم قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية ٩] .

أي لو شاء لأنزل آية تضطركم إلى الإيمان^(٤) ، ولكنه أراد أن يُثَيِّبَ ويعاقب .

(١) هذا قول الفراء في معانيه ٩٧/٢ .

(٢) لم أعثر على قائل هذا البيت ، وفي المخطوطة « دماءها بدمائنا » وصوابه دماءنا .

(٣) هذه القراءة شاذة وليست من القراءات المتواترة ، وهي محمولة على التفسير كما قال المصنف ، وقد ذكرها ابن عطية ٣٧٨/٨ في المحرر الوجيز ، ويوجد في المخطوطة طمس لجملة في السطر الأول لم نستطع معرفتها ولا قراءتها .

(٤) هذا التفسير على مذهب المعتزلة ، وأما أهل السنة الذين يرون أن الهدى والضلال بيد الله عز وجل فيقولون المعنى : لو أراد الله هدايتكم لهداكم ، فالأمر لمشيئته وإرادته جل وعلا .. وهذا القول الذي حكاه المصنف هو قول الزجاج ، وقد رده ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٨٧/٨ =

١١ — وقوله جل وعز ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ،
وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [آية ١٠] .

قال قتادة والضحاك : ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ فيه ترعون^(١) .

قال أبو جعفر : وكذا هو في اللغة ، يُقال : أَسَمْتُ الْإِبِلَ :
أي رعيْتُها فأنا مُسِيمٌ ، وهي مُسَامَةٌ ، وسَائِمَةٌ .

١٢ — وقوله جل وعز ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهُ .. ﴾ [آية ١٣] .

قال قتادة : من الدوابِّ ، والأشجار ، والثمار^(٢) .

١٣ — وقوله جل وعز ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ .. ﴾ [آية ١٤] .

قال الضحاك : تذهب وتجيء^(٣) .

والمَخْرُ في اللغة : الشَّقُّ ، يقال : مَخَرَتِ السَّفِينَةُ تَمَحَرُ وَتَمَحُرُ
إِذَا شَقَّتِ الْمَاءَ ، وَسمعت لها صوتاً وذلك عند هبوب الرياح ، وَمَخْرُ

= فقال : وهذا قول سوء لأهل البدع ، الذين يرون أن الله لا يخلق أفعال العباد ، وقع فيه الزجاج رحمه الله من غير قصد .. الخ قال أبو حيان في البحر ٤٧٧/٥ : لم يعرف ابن عطية أن الزجاج معتزلي فلذلك تأوّل عليه أنه وقع فيه من غير قصد . اهـ أقول : قول أبي حيان عن الزجاج إنه معتزلي فيه نظر ، وهو يتنافى مع بعض أقواله في معاني القرآن ١٩٧/٣ حيث قال عند قوله تعالى ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عِبدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ : وقد اتفقت الأمة على أن الله لو شاء ألا يُعبد غيره مشيئة اضطرار إلى ذلك ، لم يقدر أحد على غير ذلك ، ولكن الله جل ثناؤه تعبّد العباد فوفق من أحبّ توفيقه ، وأضلّ من أحبّ إضلاله .

(١-٣) انظر الآثار عن السلف في الطبري ٨٦/١٤ و٨٧ وابن كثير ٤٧٩/٤ والدر المنثور ١١٢/٤ .

الأرض ، إنما هو شقُّ الماءِ إياها^(١) .

١٤ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي ﴾ [آية ١٥]

قال الحسن : أي جبالاً^(٢) .

قال أبو جعفر : يقال : رَسَا يَرُسُو ، إذا ثبت وأقام . ثم قال تعالى ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ .

قال ابراهيم : أي تكفأ^(٣) .

قال أبو جعفر : يُقال : مَادَ يَمِيدُ إذا تحرَّك ومال .

وروى معمرٌ عن قتادة قال سمعت الحسن يقول : لما خلق الله الأرض كادت تميد فقالوا : لا تُثْقِرْ هذه عليها أحداً ، فأصبحوا وقد خلق الله الجبال ، ولم تدر الملائكة ممَّ خُلِقَتِ الجبالُ^(٤) .

١٥ — ثم قال جلَّ وَعَزَّ ﴿ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا ﴾ [آية ١٥]

(١) في الصحاح ٨١٢/٢ : مَحَرَّتْ السفينةُ تَمَحَّرُ وتَمَحَّرُ ، مَحَرّاً ومَحُوراً : إذا جرت تشقُّ الماء مع صوتٍ ، وقوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ ﴾ أي جوارى ، ويُقال : مَحَرَّتْ الأرضُ أي أرسلتُ فيها الماء . اهـ .

(٢-٤) الآثار عن السلف أخرجها الطبري في جامع البيان ٩٠/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٥/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٩٠/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١١٣/٤ وابن كثير في تفسيره ٤٨١/٤ قال ابن الجوزي : أي نصب فيها جبالاً لئلا تميد بكم ، وكراهة أن تميد بكم ، يُقال : مَادَ ، يَمِيدُ ، مَمِيداً : إذا أديره ، والمَيْدُ : الحركةُ والمَيْلُ ، وفلانٌ يَمِيدُ في مشيته أي يتكفأ . اهـ .

أي : وجعل فيها أنهاراً وسُبُلًا .

قال قتادة : أي طُرُقاً^(١) .

١٦ — ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [آية ١٦] .

رَوَى سفيان ، عن منصور ، عن ابراهيم قال : من النجوم علامات ، ومنها ما يهتدى به^(٢) .

وقال الفراء : الجدي ، والفرقدان^(٣) .

قال أبو جعفر : والذي عليه أهل التفسير ، وأهل اللغة سواه ، أن النّجم ها هنا بمعنى النجوم^(٤) .

وخلق الله النجوم زينةً للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وليعلم بها عدد السنين والحساب ، وليهتدى بها^(٥) .

١٧ — وقوله جلَّ وعزَّ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [آية ٢٠] .

يعني الأوثان .

(١) — (٢) الطبري ٩١/١٤ والدر المنثور ١١٤/٤ .

(٣) انظر معاني الفراء ٩٨/٢ .

(٤) هذا هو الصحيح ، وهو قول الجمهور ، وأما القول بأن المراد بالنجم الجبال فهو غير مشهور ، وهو ضعيفٌ لمخالفة المعروف الظاهر ، المتبادر إلى الذهن .

(٥) هذا قول قتادة حكاه عنه الطبري في جامع البيان ٩١/١٤ .

وقرأ محمد الجاني ﴿ وَالَّذِينَ يُدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ بضم الياء
وفتح العين (١) .

١٨ — وقوله جل وعز ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ [آية ٢١] .

أي : هم أموات غير أحياء ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ .
يجوز أن يكون المعنى : وما تشعر الأصنام .

ويجوز أن يكون المعنى : وما يشعر المشركون متى يُبعثون (٤) .

١٩ — وقوله جلَّ وعز ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .. ﴾ [آية ٢٥] .

الوزرُ في اللغة : الحِمْلُ الثقيل ، وقيل للإثم وزرٌ على التمثيل (٣) .

٢٠ — ثم قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [آية ٢٥] .

(١) في هذه الآية ثلاث قراءات ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ بالتاء وهي قراءة الجمهور ، وقرأ عاصم
﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ بالياء ، وهما قراءتان سبعيتان كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٧١ وأما قراءة
﴿ يَدْعُونَ ﴾ بالضم فشاذة .

(٢) القولان ذكرهما الطبري في تفسيره جامع البيان ٩٤/١٤ وعلى القول الأول يكون المعنى : وما
تشعر هذه الأصنام متى يُبعث عابدها ، وفيه تهكم بالمشركين في عبادتهم للجمادات لا تُحسُّ
ولا تشعر .

(٣) أي هو كالحمل الثقيل على ظهر الفاجر ، قال في الصحاح ٨٤٥/٢ : الوزرُ : الإثم والثقل ،
وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ أُخْرَى ﴾ أي لا تحمل حمل أخرى ، تقول : وزر يوزر ، ووزر يوزر
فهو موزور .

قال مجاهد : يُحْمَلُونَ إِثْمَ مَنْ أَضَلُّوه ، ولا يُنْقَصُ مِنْ إِثْمِ
الْمُضِلِّ شَيْءٌ^(١) .

٢١ — وقوله جَلَّ وعزَّ ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ
الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [آية ٢٦] .

وقرأ الأعرج ﴿ السَّقْفُ ﴾ .

قال مجاهد : يعني بهذا « نَمْرُودَ بْنِ كَنْعَانَ » الذي حَاجَّ
إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ، وَيُرْوَى أَنَّهُ بَنَى بُنْيَانًا عَظِيمًا فَخَرَّ^(٢) .

وقد قيل : هذا تمثيلٌ ، أي أهلكهم الله فكانوا بمنزلة مَنْ
سقط عليه بنيانه وهلك^(٣) .

وقيل : أحبط الله أعمالهم ، فكانوا بمنزلة من سقط عليه
بنيانه .

والفائدة في قوله تعالى ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ أنه قد يُقال : سقطَ

(١-٢) الآثار عن مجاهد في الطبري ٩٥/١٤ والقرطبي ٩٦/١٠ وابن كثير ٤٨٤/٤ .
(٣) هذا قول ابن قتيبة كما حكاه ابن الجوزي عنه في زاد المسير ٤٤١/٤ وكذلك قال في الكشف
٣٢٦/٢ : وهذا تمثيلٌ لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسول ، يعني أنهم نصبوا منصوبات ليمكروا
بها ، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات ، كحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه بالأساطين ، فأَتَى
الله البنيان من أساسه ، بأن ضُعبضعت الأساطين ، فسقط عليهم السقف وهلكوا ، وهذا نحو قولهم
« من حفر لأخيه جُبًّا وقع فيه منكبًّا » .

عليّ منزلٌ كذا إذا كان يملكه ، وإن لم يكن وقع عليه^(٥) .

٢٢ — وقوله جلّ وعز ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾ [آية ٢٧] .

المعنى : أين الذين كنتم تدعون أنهم شركائي ؟ أي أين شركائي على قولكم ؟! والله جلّ وعز لا شريك له^(٦) .

٢٣ — وقوله جلّ وعز : ﴿ فَالْقُوا السَّلَامَ ﴾ [آية ٢٨] .

أي الإستسلام ، أي أذعنوا واستسلموا .

٢٤ — وقوله جلّ وعز ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [آية ٣٣]

أي لقبض أرواحهم ، ﴿ أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾ أي بالعذاب [والزلزلة والخسف]^(٧) .

٢٥ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ [آية ١٠٢] .

(١) قال ابن الأنباري : « إنما قال ﴿ من فوقهم ﴾ لئنبه على أنهم كانوا تحته ، إذ لو لم يقل ذلك لاحتمل أنهم لم يكونوا تحته ، لأن العرب تقول : سقط علينا البيت ، وخرّ علينا الخانوت ، وتداعت علينا الدار ، وليسوا تحت ذلك » اهـ زاد المسير ٤/٤٤١ .

(٢) قال في البحر ٥/٤٨٥ : أضاف تعالى الشركاء إليه والمعنى : شركائي في زعمكم ، فهي إضافة على سبيل الاستهزاء .

(٣) ما بين الحاصرتين طمس في الأصل ، وأثبتناه من تفسير القرطبي لأنه كثيراً ما ينقل كلام الإمام النحاس ، وكذلك وقع في الصفحة التالية طمس وأثبتناه من القرطبي .

[قال قومٌ : ذمَّ الله هؤلاء الذين جعلوا شركهم عن مشيئته .]
وقال قوم : من قال هذا فقد كفر .

قال أبو جعفر : هذا غلطٌ في التأويل ولا يُقبل في التفسير ،
على أنهم قالوا هذا على جهة الهزء ، كما قال قوم شعيب لنبيهم :
﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾^(١) ؟ أي إنك أنت الحليم الرشيد
على قولك ؟

وقد تبين هذا بقوله ﴿ إِنْ تَخْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ وفي قراءة أبي ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا هَادِيَ لِمَنْ أَضَلَّ
اللَّهُ ﴾^(٢) وهو شاهدٌ لمن قرأ ﴿ لَا يُهْدَى ﴾ وهي القراءة البينة كما قال
﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ .

وروي عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ ﴿ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾
وأحسن ما قيل في هذا : ما رواه أبو عبيد عن الفراء ، أنه يقال :
هَدَى يَهْدِي بمعنى : اهتدى يهتدى ، قال تعالى ﴿ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا
أَنْ يُهْدَى ﴾ بمعنى يَهْتَدِي^(٤) .

(١) سورة هود آية ٨٧ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، حكاهما ابن عطية في المحرر ٤١٤/٨ والفراء في معانيه ٩٩/٢ .

(٣) قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات : واختلفوا في فتح الباء وضمها من قوله تعالى
﴿ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿ لَا يَهْدَى ﴾ برفع الباء وفتح
الدال ، وقرأ عاصم وحمة والكسائي ﴿ لَا يَهْدِي ﴾ بفتح الباء وكسر الدال ، ولم يختلفوا في
﴿ يُضِلُّ ﴾ أنها مرفوعة الباء مكسورة الضاد اهـ .

(٤) يوجد طمس في المخطوطة جهدنا لمعرفة بالاستعانة بكتب التفسير ، والله أعلم بالصواب .

قال أبو عبيد : ولا نعلم أحداً روى هذا غير الفراء ، وليس
بمتهم فيما يحكيه^(١) .

قال أبو جعفر : حكى لي عن محمد بن يزيد ، كأن معنى
﴿ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ مَنْ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَسَبَقَ لَهُ ذَلِكَ عِنْدَهُ ،
قال : ولا يكون « يَهْدِي » بمعنى يَهْتَدِي ، إِلَّا أَنْ تَقُولَ : يَهْدِي ،
أَوْ يَهْدِي^(٢) .

٢٦ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ لَيْسَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ [آية ٣٩] .
يحتمل معنيين :

أحدهما : أن يكون متعلقاً بفعل محذوف ، دَلَّ عليه جملة
الكلام ، وهو أن يكون المعنى : بل يبعثهم لبيّن لهم الذي يختلفون فيه .
والقول الآخر : أن يكون متعلقاً بقوله ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولاً ﴾ فيكون المعنى : ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ، لبيّن لهم
الذي يختلفون فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين^(٣) .

٢٧ — وقوله جَلَّ وعز ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا
ظَلَمُوا ﴾ [آية ٤١] .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ، فقد فصل في القول أحسن تفصيل ، ووجه القراءات .

(٢) انظر جامع الأحكام للقرطبي ١٠/١٠٤ .

(٣) ذكر القولين الزجاج في معانيه ، والقول الأول أرجح ، وهو اختيار الإمام الطبري ، وانظر جامع

البيان ١٤/١٠٥ وزاد المسير لابن الجوزي ٤/٤٤٧ .

يُقال : إنه يُراد به بلال ، وصُهيب ، والذي يوجب جملة الكلام أن يكون عاماً^(١) .

ويُروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا دفع إلى المهاجرين أُعْطِيَتْهُمْ ، قال لهم : هذا ما وعدكم الله في الدنيا ، وما ذخر لكم في الآخرة^(٢) أكثر ، ثم يتلو ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾^(٣)

ورَوَى هُشَيْمٌ عن داود ابن أبي هند ، عن الشعبي في قوله ﴿ لِنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال : المدينة^(٤) .

وكذا قال الحسن .

وقال الضحاك : يعني بالحسنة : النَّصْر ، والفتح ﴿ وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ الجنة^(٥) .

ورَوَى ابن جُرَيْج عن مجاهد ﴿ لِنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال : لسان صدق^(٦) .

(١) قال القرطبي : نزلت في صهيب ، وبلال ، وعمار ، ونجَّاب ، عدَّيهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا ، فلما خلَّوهم هاجروا إلى المدينة ، وبوَّأهم دار الهجرة ، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين ، والآية تعمُّ جميع المهاجرين اهـ جامع أحكام القرآن ١٠٧/١٠ .

(٢) في المخطوطة : وما ذخر لكم في الأرض ، وهو خطأ ، وصوابه ما أثبتناه « وما ذخر لكم في الآخرة أكثر » كما في الطبري والقرطبي :

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٧/١٤ والقرطبي ١٠٧/١٠ وابن كثير ٤/٤٩١ والسيوطي في الدر المنثور ١١٨/٤ .

(٤-٦) انظر الآثار في الطبري ١٠٧/١٤ وابن كثير ٤/٤٩١ والدر المنثور ١١٨/٤ .

٢٨ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ .. ﴾ [آية ٤٣] .

قيل لهم هذا ، لأنهم قالوا ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (١) ؟

٢٩ — ثم قال تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٤٣] .

قيل : يعني به أهل الكتاب ، لأنهم مقرّون أن الرسل من بني آدم .

وقال وكيع : سألت سفيان عن قوله ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ فقال : سمعنا أنّهم من أسلم من أهل التوراة والإنجيل (٢) .
ثم قال تعالى ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ أي بالبراهين ، والكتب (٣) .

(١) سورة الإسراء آية ٩٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٠٨/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ١١٨/٤ قال الحافظ ابن كثير ٤/٩١ : « لما بعث الله محمداً رسولاً ، أنكرت العرب ذلك ، وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً ، فنزلت الآية ردّاً عليهم ، والغرض أن هذه الآية أخبرت أن الرسل الماضين قبل محمد ﷺ كانوا بشراً ، فمن شك في كون الرسل كانوا من البشر ، فليسأل أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء السالفين ، هل كانوا بشراً أو ملائكة ؟

(٣) المراد البيّنات : الحجج والبراهين الدالة على صدقهم ، والمراد بالزُّبر : الكتب المقدسة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وغيرهم ، وانظر تفسير ابن كثير ٤/٩٣ .

٣٠ - وقوله جل وعز ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثِقَلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [آية ٤٦] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : في أسفارهم^(١) .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ الضَّحَّاكِ قَالَ : بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٢) .

٣١ - ثم قال تعالى ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ [آية ٤٧] .

قال الضحاك : آخِذٌ طَائِفَةٌ وَأَذْعُ طَائِفَةٌ ، فتخاف الطائفة الباقية أن ينزل بها ما نزل بصاحبها^(٣) .

وَرَوَى عطاء الخراساني عن ابن عباس ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ قال : على تَنْقُصٍ وَتَنْفُزٍ^(٤) .

وَرَوَى ابن جريج عن ابن كثير عن مجاهد قال : تَنْقُصًا^(٥) .

قال أبو جعفر : وهذا القول هو المعروف عند أهل اللغة ، يُقال : أَخَذَهُمْ عَلَى خَوْفٍ ، وعلى تَخَوُّفٍ : إِذَا تَنْقَصَهُمْ ، كما قال ابن عباس ومجاهد .

ومعنى التَنْقُصِ : أَنْ يَنْقُصَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَفِي زُرُوعِهِمْ ، وَفِي

(١) الأثر في الطبري ١١٢/١٤ والدر ١١٩/٤ ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢-٥) انظر الآثار في الطبري ١١٢/١٤ وابن كثير ٤٩٤/٤ وزاد المسير ٤٥٢/٤ والدر المنثور

١١٩/٤ وقد أورد البخاري في كتاب التفسير ١٠٣/٦ : ﴿ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ عَلَى تَنْقُصٍ ، قال

الطبري : وذلك ينقص من أطرافهم ونواحيهم ، الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم ، يُقال :

تَخَوُّفٌ مَالٌ فَلَانَ الْإِنْفَاقُ إِذَا انْتَقَصَهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

تَخَوُّفُ الرَّحْلِ مِنْهَا تَأْمِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوُّفُ غُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ

خيرهم شيئاً بعد شيء ، حتى يهلكهم .

وقال الليث^(١) : على تخوُّف : سمعتُ أنه على عَجَل^(٢) .

وقول الضحاك ﴿ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ أي يأخذ هذه القرية ،
ويَدْعُ هذه عندها ، أي فتخاف^(٣) .

٣٢ — وقوله جَلَّ وعز ﴿ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّاداً
لِلَّهِ ﴾ [آية ٤٨] .

قال قتادة : الفيءُ : الظلُّ^(٤) .

وقال غيره : التَفَيُّؤُ : رجوعه من موضع إلى موضع ، خاضعاً
منقاداً ، وكذلك معنى السجود .

وقال قتادة : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ ﴾ : بالغداة ، وقوله
﴿ وَالشَّمَائِلِ ﴾ بالعشي^(٥) .

٣٤ — ثم قال الله جَلَّ وعز ﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [آية ٤٨] .

قال قتادة : أي صاغرون^(٦) .

(١) هو الليثُ بنُ سعد بن عبد الرحمن الفَهْمِي « أبو الحارث » ثقة ، ثبت ، فقيه ، إمام مشهور ،
من السابعة مات سنة ١٧٥ هـ انظر تقريب التهذيب ١٣٨/٢ .

(٢) حكاه أبو حيان في البحر المحيظ عن الليث بن سعد ٤٩٥/٥ وهو قول غير مشهور في اللغة .

(٣) الأثر في الطبري ١١٤/١٤ عن الضحاك قال : يأخذ العذاب طائفةً ويترك أخرى ، ويُعَذَّب
القرية ويهلكها ، ويترك أخرى إلى جنبها . اهـ .

(٤-٦) انظر الآثار في الطبري ١١٦/١٤ وابن كثير ٤٩٤/٤ وزاد المسير ٤٥٣/٤ والدر المنثور

١٣٠/٤ قال الأخفش ٦٠٦/٢ : لَمَّا وصفهم بالطاعة أشبهوا الإنس في الفعل .

٣٤ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ، وَالْمَلَائِكَةُ .. ﴾ [آية ٤٩] .

قيل : المعنى : ولله يسجد ما في السموات من الملائكة ، وما في الأرض من دابة ، والملائكة أي والملائكة الذين في الأرض ، والله أعلم بما أراد .
وقال الضحاك : كل شيء فيه روح : دابة يسجد لله عز وجل^(١)

٣٥ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [آية ٥١] .
أي لا تعبدوا من دون الله شيئاً ، وإن كنتم تتقربون لعبادته إلى الله ، وجاء باثنين تأكيداً^(٢) .

وقيل : المعنى : لا تتخذوا اثنين إلهين .

٣٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً ﴾ [آية ٥٢] .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر بنحوه ١٢٠/٤ قال في البحر ٤٩٨/٥ : والظاهر أن السجود هنا عبارة عن الانقياد ، وجرئانها على ما أراد الله من ميلان تلك الظلال ودورانها ، كما يقال لمن حنى رأسه إلى الأرض ، على جهة الخضوع : ساجد .. وقال ابن الجوزي ٤٥٣/٤ : الساجدون على ضربين : أحدهما : من يعقل فسجوده عبادة . والثاني : من لا يعقل ، فسجوده بيان أثر الصنعة فيه ، والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق . اهـ .

(٢) قال الزجاج : ذكر الإثنين تأكيداً ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ اهـ زاد المسير ٤٥٥/٤ .

رَوَى عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : وَاجِباً^(١) .

وقيل : الطاعة على كل الأحوال ، وإن كان فيها الوَصْبُ ، وهو التعب ، وهذا معنى قول الحسن^(٢) .

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ قَالَ دَائِماً ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾^(٣) ؟ أَي : دَائِمٌ . وَكَذَا قَالَ مِيمُونُ بْنُ مِهْرَانَ .

وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ قَالَ : الْإِخْلَاصُ ، وَالْوَاصِبُ : الدَّائِمُ^(٤) .

وهذا هو المعروف في اللغة ، يقال : وَصَبَ يَصُبُّ وَصُوباً : إِذَا

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري ١٢٠/١٤ وابن كثير ٤٩٥/٤ .

(٢) هذا القول عن الحسن ذكره ابن الجوزي ٤٥٦/٤ وهو قول مرجوح ، وخلاف الظاهر ، ولم يحكه الطبري وابن كثير وغيرهما ، وإنما هو وجه عند ابن الأنباري والزجاج ، قال ابن الجوزي : ومعنى هذا القول : وله الدين موصباً أي متعباً ، لأن الحق ثقیلٌ ، وهو كما تقول العرب : هَمٌّ نَاصِبٌ أي مُتَّصِبٌ ، قال الزجاج : ويجوز أن يكون المعنى : وله الدين والطاعة رضي العبد وسهّل عليه أو لم يسهّل ، فله الدين وإن كان فيه الوَصْبُ ، والوَصْبُ : شِدَّةُ التَّعَبِ . اهـ وهو قول فيه تَكْلُفٌ .

(٣) سورة الصافات آية ٩ قال تعالى ﴿وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دَحْورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي دائم مستمر .

(٤) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١١٩/١٤ والسيوطي في الدر ١٢٠/٤ وابن كثير في تفسيره ٤٩٥/٤ وجمع ابن جرير بين أقوال السلف فقال ﴿وله الدين واصلباً﴾ أي له الطاعة والإخلاص ، دائماً ، ثابتاً ، واجباً .

دام^(١) ، والدَّيْنُ : الطَّاعَةُ ، والمعنى : أن كلَّ من يُطَاع تزول طاعته بهلاكٍ أو زوال ، إلاَّ الله جلَّ وعزَّ .

٣٧ — ثم قال تعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [آية ٥٣] .

أي ما يكن بكم من سعة في رزق ، أو صحة في بدن ، فمن الله ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ وهو البلاء والمشقة ﴿فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ﴾ أي تَدْعُونَ وتستغيثون .

يُقَالُ : جَارٌ ، يَجَارُ ، جُورًا : إذا رفع صوته مستغيثاً من جوع أو غيره^(٢) .

٣٨ — وقوله جل وعز ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴿ [آية ٥٤] .

قيل : المعنى : ليجعلوا النعمة سبباً إلى الكفر ، كما قال تعالى ﴿رَبَّنَا يُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾^(٣) .

(١) في الصحاح ٢٣٣/١ : وَصَبَ الشَّيْءُ يَصِيبُ وَصُوبًا : أي دَامَ ، وَوَصَبَ الرَّجُلُ عَلَى الْأَمْرِ إِذَا وَاظَبَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ الْفَرَاءُ : وَاصِبًا أَي دَائِمًا أَهـ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري وفي القاموس : جَارٌ كَمَنَعَ جَارًا ، وَجُورًا : رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْإِعْجَالِ وَتَضَرَّعَ . وفي الزجاج ٢٠٤/٣ : يُقَالُ : جَارَ الرَّجُلُ يَجَارُ جُورًا ، وَالْأَصَوَاتُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى « فُعَالٍ » وَ« فُعِيلٍ » فَأَمَّا فُعال فَنحو الصُّرَاخ ، وَالْجُورُ ، وَالْبُكَاءُ ، وَأَمَّا « فُعِيلٍ » فَنحو العويل ، وَالزَّئِيرُ ، وَالْفُعَالُ أَكْثَرُ . أَهـ .

(٣) سورة يونس آية ٨٨ وهي من دعاء موسى على فرعون وتماها ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ وَالشَّاهِدُ فِي الْآيَةِ أَنَّ اللَّامَ فِيهَا « لَامُ الْعَاقِبَةِ » أَي لَتَكُونَ عَاقِبَتُهُمْ أَنَّ يُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ .

وقيل : ليجحدوا النعمة التي أنعم عليهم ، كما قال الشاعر :
« والكفرُ مَحْبَبَةٌ لِنَفْسِ الْمُتَنَعِمِ »^(١)

٣٩ — ثم قال تعالى ﴿ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٥٥] .

وهذا على التهديد ، كما قال تعالى ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾^(٢) فَإِنَّا قد أرسلنا الرسل ، وبينَّا وأنذرنا ، فمن شاء فليكفر بعد هذا ، فَإِنَّ العقوبةَ حَالَةٌ به .

٤٠ — ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيحاً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ [آية ٥٦] .

يعني : ما كانوا يجعلونه لأصنامهم ، من زرعهم وأنعامهم ، كما قال تعالى ﴿ فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾^(٣) .

٤١ — ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [آية ٥٧] .

(١) هذا عجز بيت من معلقة عنترة ، التي مطلعها : « هل غادر الشعراء من مُتردِّم » و صدر البيت :

نُبِئتُ عَمراً غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي وَالْكَفْرُ مَحْبَبَةٌ لِنَفْسِ الْمُتَنَعِمِ
يريد أن كفران النعمة يُنفّر نفس المتنعّم عن الإِنعام ، وانظر شرح المعلقات العشر للزَّوزني ص ٢٥٣ وجامع الأحكام للقرطبي ١١٥/١٠ .

(٢) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٣٦ وقامها ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هذا لله برزعمهم .. ﴾ الآية .

أي ولهم البنون^(١) .

٤٢ — ثم قال جل وعز ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [آية ٥٨] .

أي ظلّ كثيباً مغموماً ، والعرب تقول هذا لكل مغموم ، قد تغير لونه من الغم : اسودّ وجهه^(٢) .

٤٣ — ثم قال جل وعز ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [آية ٥٨] .

الكَظِيمُ : الحزين الذي يُخفي غيظه ، ولا يشكو ما به .

٤٤ — ثم قال جل وعز ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ [آية ٥٩] .

يُروى أن أحدهم كان إذا وُلد له ، يتوارى في ذلك الوقت ، أو قبله ، فإن وُلد له ذكر سرّ به ، وإن وُلد له أنثى استتر ، وربما وأدّها^(٣) .

(١) عبارة القرطبي ١١٦/١٠ : أي يجعلون لأنفسهم البنين ، ويأنفون من البنات . اهـ وقال ابن كثير ٤٩٦/٤ : أي يختارون لأنفسهم الذكور ، ويأنفون من البنات التي نسبوها إلى الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

(٢) هذا قول الزجاج كما في معاني القرآن ٢٠٦/٢ ولفظه : أي متغيّراً تغير مغتم ، يُقال لكل من لقي مكروهاً : قد اسودّ وجهه غمّاً وحزناً . اهـ .

أقول : لأيراد بالسواد الذي هو ضدّ البياض ، وإنما هو كناية عن غمّه بالبنات .

(٣) روى ابن جرير ١٢٣/١٤ عن قتادة قال : « هذا ضيعُ مشركي العرب ، أخبرهم تعالى بحيث =

٤٥ — ثم بين ذلك بقوله تعالى ﴿أَيْمِسْكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [آية ٥٩] .

وقرأ الجحدري ﴿أَمْ يَدُسُّهَا فِي التُّرَابِ﴾ (١) يردّها على قوله « بالأنثى » ويلزمه أن يقرأ ﴿أَيْمِسْكُهَا﴾ .

وقرأ عيسى بن عمر ﴿أَيْمِسْكُهُ عَلَى هَوَانٍ﴾ (٢) وقال : هَوَانٌ وهُونٌ واحد .

وقرأ الأعمش : ﴿أَيْمِسْكُهُ عَلَى سُوءٍ﴾ (٣) .

وحكى أبو عبيد عن الكسائي قال : في لغة قریش : الهُونُ والهَوَانُ ، بمعنى واحد ، وقال : لغة بني تميم يجعل الهون مصدر الشيء الهين (٤) .

٤٦ — ثم قال جل وعز ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [آية ٥٩] .

= صنيعهم ، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له ، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ، ولعمري ما يدري ما هو خير ، فربّ جارية خير لأهلها من غلام ، وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجنبوه وتنبهوا عنه ، وكان أحدهم يَغْدُو كلبه ، ويذُ ابنته .

(١-٣) هذه القراءات التي أوردها المصنف ، ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٤/٥ وابن الجوزي في زاده ٤٥٩/٤ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٤٧/٨ وجميعها من القراءات الشاذة ، ولا يُقرأ إلا بالمتواتر من القراءات ، وإنما يُستأنس بها في التفسير ، وانظر البحر ٥٠٤/٥ فقد قال عن قراءة الأعمش : وهي عندي تفسير لا قراءة ، لمخالفتها السواد الجمع عليه . اهـ .

(٤) انظر البحر المحيط ٥٠٤/٥ وجامع الأحكام للقرطبي ١١٧/١٠ .

لأنهم جعلوا لله البنات ، وهم يكرهونها هذه الكراهية .

٤٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [آية ٦٠] .

رَوَى مَعْمَرُ عَنْ قَتَادَةَ : قَالَ : ﴿ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (١) .

وَرَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : ﴿ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ : الْإِحْلَاصُ ، وَالتَّوْحِيدُ (٢) .

وَالْمَعْنِيَانِ وَاحِدٌ ، أَيُّ لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ التَّوْحِيدُ وَنَفْيُ كُلِّ مَعْبُودٍ دُونَهُ (٣) .

٤٨ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَلَوْ يُوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ [آية ٦١] .

أَيُّ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ عُرِفَ الْمَعْنَى (٤) .

(١-٢) انظر الآثار في الطبري ١٢٥/١٤ والقرطبي ١١٩/١٠ والدر المنثور ١٢١/٤ .

(٣) قال ابن الجوزي ٤٥٩/٤ : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ أَيُّ الصِّفَةِ الْعُلْيَا مِنْ تَنْزُّهِهِ وَبِرَائَتِهِ عَنِ الْوَلَدِ .
وقال ابن جرير ١٢٥/١٤ : وَهُوَ الْأَفْضَلُ ، وَالْأَطْيَبُ ، وَالْأَحْسَنُ ، وَالْأَجْمَلُ ، وَذَلِكَ التَّوْحِيدُ
وَالْإِدْعَابُ لَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ . اهـ .

(٤) قال في البحر ٥٠٦/٥ : وَالضَّمِيرُ فِي ﴿ عَلَيْهَا ﴾ عَائِدٌ عَلَى فِعْرِ مَذْكُورٍ ، وَدَلٌّ أَنَّهُ الْأَرْضُ قَوْلُهُ
سَبْحَانَهُ ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ لِأَنَّ الدَّيْبَ مِنَ النَّاسِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْأَرْضِ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَاتَّزَنَ
بِهِ نَقْعًا ﴾ أَيُّ بِالْمَكَانِ ، لِأَنَّ الْخَيْلَ لَا تَعْدُو إِلَّا فِي مَكَانٍ ، وَكَذَلِكَ الْإِثَارَةُ وَالنَّقْعُ . اهـ .

٤٩ — وقوله جل وعز ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [آية ٦٢] .

يعني النبات .

ثم قال تعالى : ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ [آية ٦٢] .

قال مجاهد : هو قولهم : لنا البنون^(١) .

وقال غيره : الحسنى : الجنة^(٢) .

٥٠ — ثم قال جل وعز ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ [آية ٦٢] .

وقيل : « لا » ردٌ لكلامهم ، وجرم بمعنى : وجب ، وحق^(٣) .

قال أبو جعفر : وقد استقصينا القول فيه^(٤) .

٥١ — ثم قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ [آية ٦٢] .

(١-٢) انظر الطبري ١٢٧/١٤ وابن كثير ٤٩٨/٤ وابن الجوزي ٤٦٠/٤ والدر المنثور ١٢١/٤ .

(٣) على هذا القول الذي ذهب إليه بعض علماء اللغة ، تكون « لا » ردًا لقولهم ، وتم الكلام ، أي ليس الأمر كما تزعمون ﴿جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ أي حقاً أَنَّ لهم النار ، وقال الخليل وسيبويه :

﴿لَا جَرَمَ﴾ كلمة واحدة بمعنى حقاً ، وهذا القول هو الراجح والمختار عند المفسرين .

(٤) تقدّم القول حول قوله تعالى ﴿لَا جَرَمَ﴾ في إعراب القرآن للنحاس .

كذا قرأ الحسنُ ، ومجاهد ، وسعيدُ بن جبير ، بفتح الراء والتخفيف (١) .

واختلفوا في تفسيره : فقال الحسنُ : ﴿مُفْرَطُونَ﴾ مُعَجَّلُونَ إلى النار (٢) .

وقال هشيم : أخبرنا أبو بشر ، وحُصَيْنٌ ، عن سعيد ابن جبير ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ قال : متروكون منسيون (٣) .

ورَوَى ابن جريح عن مجاهد قال : ﴿مُفْرَطُونَ﴾ : منسيون (٤) .

قال أبو جعفر : وقول الحسنِ أشهرُ في اللغة وأعرف .

وحكى أهل اللغة هو فَارِطٌ وفَرَطٌ ، وفي حديث النبي ﷺ : «أنا فَرَطُكُمْ على الحَوْضِ» (٥) أي متقدمكم إليه حتى تَرِدُوا على ، وأفرطته : إذا قدَّمته ، وأنشد جماعةً من أهل اللغة :

(١) هذه قراءة السبعة غير نافع ، فقد قرأ الجمهور ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بفتح الراء وتخفيفها ، من أفرطوا بمعنى عَجَّلُوا إلى العذاب ، وقرأ نافع ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بكسر الراء خفيفة من أفرطت ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٧٤ .

(٢-٤) انظر الآثار في الطبري ١٢٧/١٤ وابن كثير ٤/٤٩٨ والقرطبي ١٠/١٢١ والدر المنثور ٤/١٢١ ورجح الطبري قول سعيد بن جبير أن المعنى : أنهم متروكون في النار ، منسيون فيها ، وجمع ابن كثير بين القولين فقال : معجلون إلى النار ، وينسون فيها أي يُخَلَّدُونَ .

(٥) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الرقاق ٨/١٤٨ ومسلم رقم ٢٣٠٤ في الفضائل .

فَاسْتَعْجَلُونَا وَكَأُتُوا مِنْ صَحَابَتِنَا
كَمَا تَعَجَّلَ فَرَّاطٌ لِنُورَادٍ^(١)

وقال بقول سعيد بن جبيرة ومجاهد « أبو عبيدة ، والكسائي ،
والفراء »^(٢) .

قال أبو جعفر : فعلى قول الحسن : معجلون مقدمون إلى
النار ، وعلى قول سعيد بن جبيرة ومجاهد متروكون في النار .

وقرأ عبدالله بن مسعود وابن عباس ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾^(٣)
مبالغون في الإساءة ، كما يقال : فرط فلان على فلان إذا أرنى عليه ،
وقال له أكثر مما قال من الشر .

وقرأ أبو جعفر والسدي ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾^(٤) ومعناه

(١) البيت للقطامي وهو في ديوانه ص ٩٠ بلفظ « واستعجلونا » واستشهد به الطبري في جامع
البيان ١٢٨/١٤ والقرطبي في جامع الأحكام ١٢١/١٤ وفي البحر المحيط ٥٠٦/٥ وهو في
اللسان ، والصحيح مادة فرط ، قال الجوهري : فرطت القوم سبقتهم إلى الماء ، فأنا فارط والجمع
فرط أي متقدمون إلى الوادي والماء .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٠٨/٢ وبجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٦١/١ .

(٣) هذه قراءة نافع في رواية ورش ﴿مُفْرَطُونَ﴾ وهي من القراءات السبع ، ومعناه : مسرفون في
الذنوب والمعصية ، وانظر القرطبي ١٢١/١٤ .

(٤) هذه قراءة أبي جعفر ، وابن أبي عبيدة كما في زاد المسير ٤٦١/٤ ، قال الزجاج ومعناها : أنهم فرطوا
في الدنيا فلم يعملوا فيها للأخرة ، وتصديق هذه القراءة ﴿أن تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت
في جنب الله﴾ .

مضيّعون ، أي كانوا مضيّعين في الدنيا .

٥٢ — وقوله **جَلَّ وَعَزَّ** ﴿وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا ..﴾ [آية ٦٦] .

الْفَرْثُ : ما يكون في الكَرِشِ ، يُقال : أفرثت الكَرِشَ ، إذا أخرجت ما فيها ^(١) ، والمعنى : أن الطعام يكون فيه ما في الكَرِشِ ، ويكون منه الدَّمُ ، ثم يخلص اللَّبَنُ من الدَّمِ .

ثم قال تعالى : ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [آية ٦٦] .

أي سهلاً لا يشجى به من شربه ^(٢) .

٥٤ — ثم قال **جَلَّ وَعَزَّ** : ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ..﴾ [آية ٦٧] .

رَوَى عَمْرُو بْنُ سَفْيَانَ ، عن ابن عباس قال : السَّكْرُ : ما حرم من ثمرتها ، والرَّزْقُ الحسنُ : ما كان حلالاً من ثمرتها ^(٣) .

وَرَوَى شُعْبَةُ عن مغيرة عن إبراهيم والشعبي قالوا : السَّكْرُ ما حُرِّمَ ، وقد نُسخ ^(٤) .

(١) الْفَرْثُ : الزبل الذي ينزل إلى الكَرِشِ ، فإذا خرج لا يُسمى فَرْثًا ، وانظر الصحاح ٢٨٩/١ وتفسير القرطبي ١٢٤/١٠ .

(٢) أي لا يغصُّ به شربه ، قال في الصحاح : أشجاه يُشجيه : إذا أغصَّه ، والشَّجَى : ما ينشَب في الخلق من عظم وغيره اهـ الصحاح مادة شجا .

(٣-٧) انظر الآثار في جامع البيان ١٣٤/١٤ وزاد المسير ٤٦٤/٤ وتفسير ابن كثير ٥٠٠/٤ =

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : السَّكَّرُ : نَبِيذٌ لِلْأَعَاجِمِ وَقَدْ
نَسَخْتُ (٥) .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ الضَّحَّاكِ قَالَ : السَّكَّرُ قَدْ
حُرِّمَ (٦) .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : السَّكَّرُ : مَا حُرِّمَ مِنَ الْخَمْرِ ، وَالرَّزْقُ الْحَسَنُ :
مَا أَحْلَى مِنَ الثَّمَرِ وَالْعَنْبِ (٧) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : الْأَوَّلَى أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ مَنْسُوخَةً ، لِأَنَّ تَحْرِيمَ
الْخَمْرِ كَانَ بِالْمَدِينَةِ ، وَالنَّحْلُ مَكِّيَّةً (٨) .

وَالرَّوَايَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، كَأَنَّ مَعْنَاهَا أَنَّ الْآيَةَ عَلَى الْإِنْخِبَارِ ،
بِأَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، لَا أَنَّهُ أَذِنَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ ، وَذَلِكَ مَعْنَاهُ .

وَهِيَ رَوَايَةٌ تَضَعُفُ مِنْ جِهَةِ « عَمْرٍو بْنِ سَفْيَانَ » (٩) .

= والقرطبي ١٢٨/١٠ والدر المنثور للسيوطي ١٢٢/٤ .
(٨) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ ١٢٨/١٠ : الْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ السَّكَّرَ الْخَمْرُ ، وَكَذَا قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : السَّكَّرُ اسْمٌ
لِلْخَمْرِ وَمَا يُسَكَّرُ ، وَأَنْشَدُوا :

بِئْسَ الصُّحَاةُ وَبِئْسَ الشَّرْبُ شَرِبْتُهُمْ إِذَا جَرَى فِيهِمُ الْمُنْدَابُ وَالسَّكَّرُ
فَالسَّكَّرُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَرَتَيْهَا ، وَالرَّزْقُ الْحَسَنُ مَا أَحْلَاهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَرَتَيْهَا ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ . اهـ .

(٩) قَالَ فِي التَّهْذِيبِ ٤٠/٨ : عَمْرٍو بْنُ سَفْيَانَ الثَّقَفِيُّ رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عَمْرٍو ، ذَكَرَهُ
ابْنُ حِبَّانَ فِي الثَّقَاتِ ، قَالَ : وَصَحَّحَ الْحَاكِمُ مِنْ رَوَايَةِ عَمْرٍو بْنِ سَفْيَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدِيثاً
عَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ بِالْجُزْمِ فِي تَفْسِيرِ السَّكَّرِ مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ =

قال أبو جعفر : وفي معنى السكر قول آخر ، قال أبو

عبدة : السكر : الطعم ، وأنشد :

« جَعَلْتَ عَيْبَ الْأَكْرَمِينَ سَكْرًا »^(١)

أي جعلت ذمهم طعماً .

قال أبو جعفر : قال الزجاج : وقول أبي عبدة هذا

لا يُعرف ، وأهل التفسير على خلافه ، ولا حجة له في البيت الذي أنشده ، لأن معناه عند غيره أنه يصف أنها تتخمر بعيوب الناس^(٢) .

٥٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا ۖ ۞ ﴾ [آية ٦٨] .

رُوي عن الضحَّاك أنه قال : ألهمها^(٣) .

= النحاس في معاني القرآن له : هي رواية ضعيفة لأجل روايتها «عمرو بن سفيان»، وقد فُرق بعض

المحدثين بين روايته عن ابن عباس ، وروايته عن أبيه ، وانظر تفصيل القول في تهذيب التهذيب .
(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبدة ٣٦٣/١ فهو من شواهد ، وهو للمثنى بن جندل الطُّهوي ، وهو

في الطبري ١٣٨/١٤ وفي القرطبي ١٢٩/١٠ وفي لسان العرب بلفظ « جعلت أعراض الكرام سكرًا » أي جعلت ذمهم طعماً لك .

(٢) انظر لسان العرب ٣٧٤/٤ فقد نقل عن الزجاج قوله : هذا بالخمير أشبه منه بالطعام ، والمعنى : جعلت تتخمر بأعراض الكرام .. الخ .

(٣) أشار إلى أن المراد بالوحي هنا الإلهام ، والأثر في الطبري ١٣٩/١٤ قال : ألهمها إلهاماً ،

وأخرجه السيوطي في الدر ١٢٢/٤ عن مجاهد قال : ألهمها إلهاماً ولم يرسل إليها رسولاً ، وقال القرطبي ١٣٣/١٠ : ولا خلاف بين المتأولين أن الوحي هنا بمعنى الإلهام .

وأصل الوحي في اللغة : الإعلانُ بالشيء في سترَةٍ ، فيقع ذلك بالإلهام ، وبالإشارة ، وبالكتابَةِ ، وبالكلام الخفي^(١) .

٥٦ — وقوله جَلَّ وعزَّ ﴿ فَاسْئَلْ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا ﴾ [آية ٦٩] .

رَوَى معمرٌ وسعيدٌ عن قتادة قال : مطبعة^(٢) .

قال أبو جعفر : ويحتمل في اللغة أن يكون قوله ﴿ ذُلًّا ﴾ للسُّبُلِ ، لأنه يقال : سبيلٌ ذلولٌ وسُبُلٌ ذُللٌ ، أي سهلة السُّلوك^(٣) .

ويحتمل أن يكون للنَّحْلِ أي هي منقادة مسخرة .

٥٧ — وقوله جَلَّ وعزَّ ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ [آية ٦٩] .

فيه قولان :

أحدهما : أن المعنى في القرآن شفاء للناس .

وهذا قول حسنٌ ، أي فيما قصصنا عليكم من الآيات

(١) انظر لسان العرب ، والصحاح مادة وحي ، فقد قال الجوهري : الوحي : الإشارة ، والرسالة ،

والإلهام ، والكلام الخفي ، قال العجاج : أوحى لها القرار فاستقرت ، وانظر معاني الزجاج ١٠٩/٣ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤٠/١٤ وابن كثير ٥٠٠/٤ والسيوطي في الدر ١٢٢/٤ ورجح ابن كثير

قول مجاهد أن المراد بالآية : اسلكي الطرق مذلةً لك ، فلا يتوعر عليك مكانٌ سلكته ، قال : وهذا القول أظهر .

(٣) هذا القول هو الصحيح ، وهو اختيار الزجاج ، ورجحه الحافظ ابن كثير ٥٠٠/٤ .

والبراهين شفاءً للناس .

وقيل : في العسل شفاءً للناس ، وهذا القول بيِّن أيضاً ، لأن أكثر الأشربة والمعجونات التي يتعالج بها ، أصلها من العسل ^(١) .

٥٨ — وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ ﴾ [آية ٧٠] .
أي يهرم حتى ينقص عقله .

٥٩ — ثم قال جل وعز ﴿ لَكِنِّي لَا يَغْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾ [آية ٧٠] .
أي حتى يعود بعد العلم جاهلاً ، أي لتعلموا أن الذي رده إلى هذه الحال ، قادرٌ على أن يميتته ثم يُحييه .

٦٠ — وقوله جل وعز ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ .. ﴾ [آية ٧١] .

(١) القول الأول أن المراد به القرآن ، حكاه الطبري عن مجاهد ١٤٠/١٤ ورجح ابن جرير ، وابن كثير القول الثاني ، وهو أن الضمير يعود على العسل ، قال الحافظ ابن كثير ٥٠١/٤ : وقول مجاهد صحيح في نفسه ، ولكن ليس هو الظاهر هنا ، والدليل على أن المراد بقوله تعالى ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ هو العسل ، الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن رجلاً استطلق بطنه ، فقال الرسول ﷺ لأخيه : اسقه عسلاً ، فسقاه فزاد استطلاقاً .. الحديث ، وفيه قوله : « صدق الله وكذب بطن أخيك ، اذهب فاسقه عسلاً » فسقاه فبرئ .
قال بعض العلماء : لو قال تعالى « فيه الشفاء للناس » لكان دواء لكل داء ، ولكن قال ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ أي يصلح دواءً لأكثر الناس ، فهو محمول على الأغلب .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : هَذَا مَثَلٌ ضَرِبَهُ اللَّهُ ، أَيِ إِذَا كَانَ لِأَحَدِكُمْ مَمْلُوكٌ لَمْ تَسْعُ نَفْسُهُ أَنْ يُعْطِيَهُ مِمَّا يَمْلِكُ ، وَاللَّهُ جَلٌّ وَعَزٌّ أَوْلَى أَنْ يُنَزَّهُ عَنْ هَذَا ^(١) .

وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ : أَنَّهُمْ عَمِدُوا إِلَى رِزْقِ اللَّهِ فَجَعَلُوا لِلْأَصْنَامِ مِنْهُ نَصِيباً ، وَلَهُ نَصِيباً ، وَالْمَعْنَى : إِنَّكُمْ كُلَّكُمْ بَشَرٌ ، وَيَكُونُ لِأَحَدِكُمُ الْمَمْلُوكُ فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِمَّا يَمْلِكُ شَيْئاً ، وَلَا يَسَاوِيهِ فِيهِ ، فَكَيْفَ تَعْمَدُونَ إِلَى رِزْقِ اللَّهِ ، فَتَجْعَلُونَ مِنْهُ نَصِيباً وَلِلْأَوْثَانِ نَصِيباً ^(٢) ؟ .

٦١ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [آيَةُ ٧١] .

أَيِ أَفَأَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَحَدُوا بِالنِّعْمَةِ وَجَعَلُوا مَا رَزَقَهُمْ لغيره ؟

وَقِيلَ : الْمَعْنَى : أَفَأَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْبَيَانِ وَالْبَرَاهِينِ جَحَدُوا نِعْمَهُ ^(٣) .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤٣/١٤ وابن كثير ٥٠٥/٤ والسيوطي في الدر ١٢٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، ولفظه عن قتادة : قال : هَذَا مَثَلٌ ضَرِبَهُ اللَّهُ ، فَهَلْ مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ يَشَارِكُ مَمْلُوكَهُ فِي زَوْجَتِهِ وَفِي فَرَاشِهِ ؟ أَفَتَعْدِلُونَ بِاللَّهِ خَلْقَهُ وَعِبَادَهُ ، فَإِنْ لَمْ تَرْضَ لِنَفْسِكَ هَذَا ، فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَبَرِّكَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا تَعْدِلْ بِاللَّهِ أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ وَخَلْقِهِ .

(٢) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمْ يَكُونُوا يُشْرِكُونَ عِبِيدَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ ، فَكَيْفَ يُشْرِكُونَ عِبِيدِيَّ مَعِيَ فِي سُلْطَانِي ؟ وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ ٤٠٤/٤ : يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ : إِنَّكُمْ لَا تَرْضَوْنَ أَنْ تُسَاوُوا عِبِيدَكُمْ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَكَيْفَ يَرْضَى تَعَالَى بِمَسَاوَاةِ عِبِيدِهِ لَهُ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَالتَّعْظِيمِ ؟ !

(٣) ذَكَرَ الْمُعَنِّينَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٦٨/٤ .

قال الضحاك : هذا المثل لله جل وعز وعيسى ، أي أنتم
لاتفعلون هذا بعبيدكم ، فكيف ترضون لي باتخاذ بشر ولدًا^(١) ؟ تعالى
الله عما يقولون علواً كبيراً .

٦٢ — وقوله جل وعز ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا .. ﴾ [آية ٧٢] .

روى سعيد عن قتادة في قوله ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ
أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ قال : خلق حواء من ضلع آدم^(٢) ..
وقال غيره : ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أي من
جنسكم^(٣) .

٦٣ — ثم قال جل وعز ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ .. ﴾
[آية ٧٢] .

روى سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زبر ، عن عبد الله بن

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٤٢/١٤ والقرطبي في جامع الأحكام ١٤١/١٠ عن ابن عباس .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤٣/١٤ وابن الجوزي ٤٦٩/٤ والسيوطي في الدر ١٢٤/٤ ونسبه إلى
ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، ولفظه كما في الطبري : قال قتادة : والله خلق آدم ، ثم خلق
زوجته منه ، ثم جعل لكم بين وحفدة .

(٣) هذا قول ابن زيد كما في زاد المسير ٤٦٩/٤ ولفظه ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ قال : أي من جنسكم ،
من بني آدم . وهو أظهر ، وهو ما رجحه ابن كثير .

مسعود ، قال : الحَفْدَةُ : الأَخْتَانُ^(١) .

وروى سفيان بن عُيينة عن [عاصم عن] زُرِّ عن عبد الله
قال : الحَفْدَةُ : الأصهارُ^(٢) .

وروى شعبة عن زُرِّ قال : سألتني ابنُ مسعودٍ عن الحَفْدَةِ ،
فقلت : هم الأعوانُ ، قال : هم الأَخْتَانُ^(٣) .

وقال غلقة وأبو الضحى : الحَفْدَةُ : الأَخْتَانُ^(٤) .

وقال إبراهيم^(٥) : الحَفْدَةُ : الأصهارُ .

قال أبو جعفر : وقد اختلفَ في الأَخْتَانِ والأصهار ، فقال
محمد بن الحسن ، الختنُ : الزوجُ ومن كان من ذوي رَحِمِهِ ،
والصَّهْرُ : من كان من قِبَلِ المرأة ، نحو أبيها وعمَّتها وخالها .

(١-٣) انظر الآثار كلها في الطبري ١٤٤/١٤ وابن كثير ٥٠٦/٤ والدر المنثور ١٢٤/٤ وتفسير ابن
الجزري ٤٦٩/٤ وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

أما « عاصم » فهو كما في تقريب التهذيب ٣٨٣/١ : عاصم بن يَهْدَلَةَ ، وهو ابنُ أبي
النَّجُود ، الأَسَدِيُّ ، الكوفي ، المقرئ « أبو بكر » قال ابن حجر : صدَّق له أوهام في القراءة
مات سنة ١٢٨ هـ .

(٤) الأَخْتَانُ : جمع خَتَنٍ وهم أهلُ الزوجة وأقاربها ، قال الجوهرى في الصحاح ٢١٠٧/٥ : الختنُ
بالتحريك : كلُّ من كان من قِبَلِ المرأة مثل الأب ، والأخ ، هكذا عند العرب ، وأما عند العامة
فَخَتَنُ الرجل : زوجُ ابنته .

(٥) هو إبراهيم التَّخَعِي بن « يزيد بن قيس » أبو عمران ، الكوفي ، الفقيه ، ثقة ، مات سنة ٩٦ هـ
وانظر تقريب التهذيب ٤٦/١ .

وقال ابن الأعرابي ضد هذا في الأختان والأصهار .

وقال الأصمعي : الحَتْنُ : من كان من قِبَلِ المرأة مثل أبيها وأخيها وما أشبههما ، والأصهار منهما جميعاً ، يقال : أَصْهَرَ فلانٌ إلى بني فلانٍ وَصَّاهُ .

وقولُ عبدالله بن مسعود : هُمُ الْأَخْتَانُ ، يحتمل المعنيين جميعاً ، يجوز أن يكون أراد أبا المرأة ، وما أشبهه من أقربائها .

ويجوز أن يكون أراد : وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تُزَوِّجونهم ، فيكون لكم بسبيهنَّ أَخْتَانٌ .

وقد قيل في الآية غير هذا .

قال عكرمة : الحَفْدَةُ : ولدُ الرجل من نَفْعِهِ منهم^(١) .

وقال الحسن وطاووس ومجاهد : الحَفْدَةُ : الخَدْمُ^(٢) .

(١-٢) اختلفت أقوال السلف في تفسير « الحَفْدَةُ » اختلافاً كبيراً ، فقال بعضهم : إنهم الأصهارُ ، أصهارُ الرجل على بناته وهو قول ابن مسعود وابن عباس ، وقال بعضهم : الخدمُ والأعوان ، وهو قول عكرمة ، وقال بعضهم : هم الأبناء من الصلب وأبنائهم وهو مروي عن مجاهد وابن عباس ، وهناك أقوال أخرى ذكرها ابن الجوزي ، والطبري ، وابن كثير تصل إلى خمسة أقوال ، قال القرطبي ١٠/١٤٢ : قال الأزهري : قيل الحَفْدَةُ أولادُ الأولاد ، ورؤي هذا عن ابن عباس ، وما قاله الأزهري من أن الحفدة أولادُ الأولاد هو ظاهر القرآن بل نصُّه ، ألا ترى أنه قال ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ !! فجعل الحَفْدَةُ والبنين منهم ، وقال ابن العربي : الأظهر عندي أن البنين أولاد الرجل لصلبه ، والحَفْدَةُ أولادُ أولاده ، ويكون تقدير الآية : وجعل لكم من أزواجكم بنين ، ومن البنين حفدة . اهـ وهو كلام نفيس ، وهو أظهر الأقوال .

قال أبو جعفر : وأصل الحَفْدَة في اللغة : الخدمة ، والعمل ،
يقال : حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْدًا وَحَفُودًا وَحَفْدَانًا ، إِذَا تَخَدَّمَ وَعَمِلَ ^(١) ، ومنه
« وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ » ^(٢) : ومنه قول الشاعر :
حَفَدَ الْوَلَائِدُ حَوْلَهُنَّ وَأَسْلَمَتْ
بَأَكْفُهُنَّ أَرْزَمَةُ الْأَجْمَالِ ^(٣)

وقول من قال : هم الحَدَمُ حسنٌ على هذا ، إلا أنه يكون
منقطعاً مما قبله عند أبي عبيد ، ويُتَوَى به التقديم والتأخير ، كأنه
قال : وجعل لكم حَفْدَةً ، أي تَخَدَمًا ، وجعل لكم من أزواجكم
بنين ^(٤) .

٦٤ — وقوله جل وعز ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا ﴾ [آية ٧٣] .

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ، ولسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري مادة حَفَدَ .

(٢) هذا طرف من الدعاء المأثور في القنوت الذي كان يدعو به الفاروق عمر رضي الله عنه « اللَّهُمَّ
إِنَّا نَسْتَعِينُكَ ، وَنَسْتَهِدُكَ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ ، وَنَتُوبُ إِلَيْكَ .. ومنه : اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وَلَكَ نَصْلِي
وَنَسْجِدُ ، إِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ .. » الأثر ومعناه : نُسْرِعُ فِي طَاعَتِكَ وَمَرْضَاتِكَ .

(٣) البيت لجميل بئينة العذري ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣٦٤/١ وفي تفسير ابن
عطية ٤٦٧/٨ وفي الطبري ١٤٤/١٤ والقرطبي ١٤٣/١٠ والجمهرة ١٢٣/٢ وفي اللسان ،
والتاج مادة حَفَدَ ، ونسبه ابن دُرَيْدٍ إِلَى الْفَرَزْدَقِ ، والصواب أنه لجميل العذري كما قال أبو
عبيدة ، والبيت يُصَوِّرُ ما تقوم به الولائد من خدمةٍ وسعي ، ومن إمساك بأَرْزَمَةِ الْأَجْمَالِ .

(٤) قال ابن الأنباري : وعلى هذا القول أن المراد بالحفدة : الخدم والمماليك يكون معنى الآية :
وجعل لكم من أزواجكم بنين ، وجعل لكم حفدة من غير الأزواج . اهـ زاد المسير ٤٧٠/٤ .

أي : لا يملكون أن يرزقوهم شيئاً .

٦٥ — ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ . فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [آية ٧٤] .

قال الضحّاك : لا تعبدوا من دونه ما لا ينفعكم ، ولا يضرّكم ، ولا يرزقكم ^(١) .

٦٦ — وقوله جل وعز ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْنا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ [آية ٧٥] .

هذه الآية مشكّلة وفيها أقوال :

قال مجاهد والضحّاك : هذا المثل لله جلّ ذكره ، ومن عُبد من دونه ^(٢) .

وقال قتادة : هذا المثل للمؤمن والكافر ^(٣) .

-
- (١) الأثر في الطبري ١٤٨/١٤ وابن كثير ٥٠٧/٤ والدر المنثور ١٢٥/٤ .
(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤٩/١٤ وابن الجوزي ٤٧٢/٤ وابن كثير ٥٠٧/٤ والسيوطي في الدر المنثور ١٢٥/٤ .
(٣) القول الأول هو الأطهر ، وهو ما رجحه الجمهور ، قال ابن القيم رحمه الله : « وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه ، والآلهة التي تعبد من دونه ، فالله هو المالك لكل شيء ، يُنفق كيف يشاء على عبده ، سرّاً وجهاراً ، وليلاً ونهاراً ، والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء ، فكيف يجعلونها شركاء إلىّ ويعبدونها من دوني ، مع التفاوت العظيم ، والفرق المبين ؟ وانظر البحر المحيط ٥١٩/٥ وتفسير ابن عطية ٤٧٦/٨ ففيهما تبين وتوضيح .

يذهب قتادة إلى أن العبد المملوك هو الكافر ، لأنه لا ينتفع في الآخرة بشيء من عبادته ، وإلى أن معنى ﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾ المؤمن .

وقال بعض أهل اللغة : القول الأول أحسن^(١) ، لأنه وقع بين كلامين ، لانعلم بين أهل التفسير اختلافاً — إلا من شذ منهم — أنهما لله جل وعز ، وهما ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ وبعده ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ﴾ يعني الوثن ، لأنه كل على من عنده وثقل .
والمولى : الولي .

٦٧ — ثم قال جل وعز ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آية ٧٦] .
يعني نفسه جل وعز .

وكذا قال قتادة : الله جل وعز يأمرنا بالعدل ، وهو على صراط مستقيم^(٢) .

(١) يريد المصنف أن الكلام متناسق بين الآيتين ، فهما مثلاًن ضربهما الله عز وجل لنفسه ، وللأصنام التي عُبدت من دونه ولو جعلنا المثل الأول للمؤمن والكافر كما قال قتادة لاحتل التناسق والإنسجام بين المثل الأول وقوله سبحانه ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ الذي ورد بصيغة الجمع .

(٢) الأثر في الطبري ١٥٠/١٤ وابن كثير ٥٠٧/٤ وزاد المسير ٤٧٣/٤ قال ابن جرير : « وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تُعبد من دونه ، ويعني بالأيكم : الصنم الذي لا يسمع ولا =

والمعنى على هذا في قوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا ﴾ أنه يعني به ما عُبِدَ من دونه ، لأنه لا يملك ضراً ولا نفعاً و ﴿ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ وهذا لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، لأنه الجوادُ الرازقُ للإنسان ، من حيث يعلم ، ومن حيث لا يعلم .

وَرُوي عن ابن عباس — وهذا لفظه المروي عنه — قال : « نزلت هذه الآية ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ في « هشام بن عمرو »^(١) وهو الذي ينفق منه سرًّا وجهراً ومولاه أبو الجواب الذي كان ينهيه ، وقيل : نزلت في رجلين ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ الأَبْكُمْ منهما ، الكلُّ على مولاه « أسيد بن أبي العاص » والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو « عثمان بن عفان »^(٢) رحمة الله عليه ، كان عثمان يكفل مولاه ، فعثمان الذي ينفق

= ينطق ، إما لأنه خشب منحوت ، أو نحاس مصنوع ، لا يقدر على نفع ولا دفع ضرر ، هل يستوى هذا الأَبْكُمْ ، الكلُّ على مولاه ، الذي لا يأتي بخير ، ومن هو ناطق متكلم ، يأمر بالحق ، وهو الله الواحد القهار ؟ ! .

- (١) هو « هشام بن عمرو بن الحارث » وانظر تفسير القرطبي ١٤٩/١٠ .
 (٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي ٤٧٣/٤ والقرطبي ١٤٩/١٠ والطبري ١٥١/١٤ وذكره أبو حيان في البحر المحیط ٥١٩/٥ ورده حيث قال : ولا يقتضي ضربُ المثل لشخصين موصوفين بأوصاف متباينة تعيينهما ، بل ما روي في تعيينهما من أنهما « عثمان بن عفان » وعبد له ، أو أنهما « أبو بكر الصديق » و « أبو جهل » لا يصحُّ إسناده .

بالعدل وهو على صراط مستقيم ، والآخِر الأبكم .

وقال الحسن : ﴿ عَبْدًا مَمْلُوكًا ﴾ هو الصنم .

وأولى الأقوال في هذا قول ابن عباس رواه عنه حمَّادُ بن سَلَمَة ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، عن إبراهيم عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فبيِّن ابنُ عباس رحمه الله ، أنَّ هذه الآية نزلت في عبدٍ بعينه ، لم يكن له مالٌ ، ولا يُقال في كل عبد (لا يقدر على شيء) !! فنزلت فيه وفي سيِّد كان له مال ينفق منه ، وأن الآية الأخرى نزلت في رجلٍ بعينه ، لم يكن له مالٌ ، وكان كَلَّاً على مولاه ، أي ابن عمه أو قريبه^(١) .

وضرب الله هذه الأمثال ليعلم أنه إله واحدٌ ، وأنه لا ينبغي أن يُشَبَّه به غيره .

ولا يصحُّ قول من قال : إنه صنم ، لأن الصنم لا يقع عليه اسم عبد^(٢) .

(١) يرجَّح المصنف أن الآية نزلت في « عثمان بن عفان » وعبد له كان يُنفق عليه ، وهو خلاف المشهور .

(٢) هذا غير مسلم ، فإن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن المراد بالمثل « الصنم » وهو قول مجاهد ، وقتادة ، وابن السائب ، ومقاتل ، وإليه ذهب الطبري ، وابن كثير ، وابن القيم رحمهم الله ، قال ابن القيم في أعلام الموقعين : وأما المثل الثاني فالصنم الذي يُعبد من دون الله ، بمنزلة رجل أبكم ، لا يعقل ولا ينطق ، بل هو أبكم القلب واللسان ، ومع هذا لا يقدر على شيء ، أينما أرسلته لا يأتيك بخير ، ولا يقضي لك حاجة ، والله سبحانه حي قادر ، متكلم ، يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم . اهـ .

٦٨ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾ [آية ٧٧] .

[أي علم ما غاب فيهما عن العباد] .

ثم قال ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ .

قال قتادة : هو أن يقول جَلَّ وعَزَّ « كُنْ » فذلك كلمح البصر ، أو هو أقرب ^(١) .

وقال غيره : المعنى : أو هو أقرب عندكم ، ولم يُرد أنها على هذا القرب ، وإنما أراد أن يُعرِّفنا قدرته ^(٢) .

٦٩ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ [آية ٧٩] .

الجو : الهواء البعيد ، وأبعدُ منه السُّكَاكُ ، الواحدة سُكَاكة ^(٣) .

٧٠ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن يُّوْتِكُمْ سَكَنًا﴾ [آية ٨٠] .

(١) الأثر رواه ابن جرير ١٥٢/١٤ والسيوطي في الدر ١٢٦/٤ .

(٢) هذا قول الزجاج قال : لم يُرد أن الساعة تأتي في لمح البصر ، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء . اهـ جامع الأحكام للقرطبي ١٥٠/١٠ وقال ابن الجوزي ٤٧٤/٤ : المراد بالساعة القيامة ، واللمحُ : النظر بسرعة ، والمعنى : إن القيامة في سرعة قيامها وبعث الخلائق كلمح العين ، لأن الله تعالى يقول للشيء كن فيكون .

(٣) قال ياقوت : السُّكَاكُ ، والسُّكَاكةُ : الهواء بين السماء والأرض اهـ معجم البلدان ٢٢٩/٣ .

أي موضعاً تسكنون فيه .

٧١ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ
يَبُوتًا ﴾ [آية ٨٠] .

يعني بيوت الأدم^(١) وما أشبهها ، والأنعام : الإبل ، والبقر ،
والغنم .

٧٢ — ثم قال تعالى ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ
إِقَامَتِكُمْ ﴾ [آية ٨٠] .

أي يخف عليكم حملها ، في سفركم وإقامتكم .

٧٣ — ثم قال تعالى ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا ، وَأَوْبَارِهَا ، وَأَشْعَارِهَا ، أَثَاثًا وَمَتَاعًا
إِلَى حِينٍ ﴾ [آية ٨٠] .

فالأصواف للضأن ، والأوبار للإبل ، والأشعار للمعز .

قال قتادة : الأثاث : المال^(٢) .

وقال الضحاك : الأثاث : المال والزينة^(٣) .

والأثاث عند أهل اللغة : متاع البيت نحو الفرش ، والأكسية ،

(١) في المصباح ١٣/١ : الأديم : الجلد المدبوغ ، والجمع أدم بفتحتين ، وبضميتين أيضاً « أدم »
وهو القياس ، مثل : بريد وبرد . اهـ .

(٢-٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٥٤/١٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٧٧/٤ .

وقد أْتُ يَثُّ أَثًّا : إذ صار ذا أثاث ، قال أبو زيد : واحد الأثاث
أَثَاثَةٌ^(١) .

ثم قال تعالى ﴿ وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .

روى معمرٌ عن قتادة : إلى أجلٍ وبلغةٍ^(٢) .

٧٤ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ﴾ [آية ٨١] .

يعني ظلال الشجر ، والله أعلم .

٧٥ — ثم قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ [آية ٨١] .

أي ما يُكِنُّكُمْ ، الواحد كِنٌّ^(٣) .

٧٦ — ثم قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ ﴾ [آية ٨١] .

روى معمرٌ عن قتادة قال : يعني قُمُص الكُتَّانِ^(٤) .

٧٧ — ثم قال تعالى ﴿ وَسَرَائِلَ تَقِيَكُم بِأَسْكُمُ ﴾ [آية ٨١] .

قال قتادة : يعني الدروع^(٥) .

(١) قال في الصحاح ٢٧٢/١ : الأثاث : متاع البيت ، قال الفراء : لا واحد له ، وقال أبو زيد : الأثاث : المال أجمع ، الإبل ، والغنم ، والعيث ، والمتاع ، الواحدة : أثاثة . اهـ وأبو زيد أحد كبار علماء اللغة البارزين .

(٢) الأثر في الطبري ١٥٥/١٤ والدر المنثور ١٢٦/٤ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٣) في الصحاح ٢١٨٨/٦ : الكِنُّ : السترة ، والجمع أكنان ، والأكنة : الأعطية الواحد كِنَان . اهـ

(٤-٥) انظر الطبري ١٥٥/١٤ والبحر المحیط ٥٢٤/٥ وقال أبو حيان : السَّريال : ما ليس على البدن من قميص ، ودرع ، وجوشن ، ونحو ذلك من صوف ، وكتان ، وقطن ، وغيرها .

وَرَوَى عَثَانُ بْنُ عَطَاءٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : إِنَّمَا خَوِطُبُوا بِمَا يَعْرِفُونَ ،
 قَالَ جَلٌّ وَعَزٌّ ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ ﴿ وَمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ
 السَّهْلِ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ ، وَلَكِنْهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ جِبَالٍ ﴾ ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ
 سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾ ﴿ وَمَا يَبْقَى الْبَرْدُ أَكْثَرَ ، وَلَكِنْهُمْ أَصْحَابُ
 حَرٍّ ١١) .

وَقَالَ الْفَرَّاءُ « يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ » ١٢) : الْمَعْنَى : تَقِيكُمْ الْحَرَّ ،
 وَتَقِيكُمْ الْبَرْدَ ، ثُمَّ حَذَفَ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
 فَمَا أَذْرِي إِذَا يَمُمْتُ وَجْهًا
 أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي ١٣)

(١) وَضَحَ هَذَا الْقَوْلَ الْقُرْطُبِيُّ فِي جَامِعِ الْأَحْكَامِ ١٠/١٦٠ فَقَالَ : إِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ قَالَ تَعَالَى
 ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ وَلَمْ يَذْكُرِ السَّهْلَ ؟ وَقَالَ ﴿ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾ وَلَمْ يَذْكُرِ الْبَرْدَ ؟
 فَالْجَوَابُ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا أَصْحَابَ جِبَالٍ وَلَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ سَهْلٍ ، وَكَانُوا أَهْلَ حَرٍّ وَلَمْ يَكُونُوا أَهْلَ
 بَرْدٍ ، فَذَكَرَ تَعَالَى لَهُمْ نِعْمَةً الَّتِي تَخْتَصُّ بِهِمْ ، وَأَيْضًا فَذَكَرُ أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الْآخَرِ . اهـ .
 (٢) الْفَرَّاءُ هُوَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ « أَبُو زَكْرِيَا » صَاحِبُ كِتَابِ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْمِتَوَفَى سَنَةَ ٢٠٧ هـ وَقَدْ
 تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ .

(٣) الْبَيْتُ لِلْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص ٢١٢ تَحْقِيقُ حَسَنِ الصِّيرْفِيِّ ، وَهُوَ مِنْ قَصِيدَتِهِ
 الْمَشْهُورَةِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

أَفَاطَلُمْ قَبْلَ يَتِّبِنِكَ مَتَّبِعِنِي وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ كَأَنَّ تَبِينَنِي
 وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ الْفَرَّاءِ ٢/١١٢ وَفِي الطَّبْرِيِّ ١٤/١٥٧ وَالْحَرَرِ الْوَجِيزِ لِابْنِ عَطِيَّةٍ ٨/٤٨٤ وَجَامِعِ
 الْأَحْكَامِ لِلْقُرْطُبِيِّ ١٠/ . وَهُوَ فِي الطَّبْرِيِّ وَالْقُرْطُبِيِّ بِلَفْظِ « إِذَا يَمُمْتُ أَرْضًا » وَفِي حَاشِيَةِ
 الطَّبْرِيِّ ، وَالْحَرَرِ الْوَجِيزِ أَنَّ الْبَيْتَ لِسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرِّيَّاحِيِّ ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ لِلْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ كَمَا
 فِي دِيْوَانِهِ .

والمعنى : أي الخير والشر ، لأنه إذا أراد الخير أتقى الشر .

٧٨ — ثم قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [آية ٨١] .

رَوَى عن ابن عباس ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) وقال : أي من الجراحات ، وإسناده ضعيف ، رواه عبّاد بن العوّام عن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس .

وظاهر القرآن يدلّ على الإسلام ، لأنه عدّد النعم ، ثم قال ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ ^(٢) .

٧٩ — ثم قال جلّ وعزّ ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ . يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ [آية ٨٢] .

رَوَى سفيان عن السّدي قال : يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

قال أبو جعفر : وهذا القول حسن ، والمعنى : يعرفون أن أمر

-
- (١) ليست هذه القراءة من السبعة المتواترة ، بل هي شاذة رَدّها ابن جرير ١٥٦/١٤ .
(٢) المراد من قوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ الاستسلام والانقياد ، والمعنى : كي تنقادوا وتستسلموا لدينه وشرعه ، شكراً له على نعمائه .
(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٥٧/١٤ وابن الجوزي ٤٧٩/٤ والدر المنثور ١٢٧/٤ واختاره ابن جرير الطبري حيث قال : وأولى الأقوال بالصواب أنه عني بالنعمة التي ذكرها ، النعمة عليهم بإرسال محمد ﷺ داعياً إلى ما بعثه الله بدعائهم إليه ، لأنه الآيتين كلتاها خير عن رسول الله ﷺ .

النبي صلى الله عليه وسلم حقٌ ثم ينكرونه .

وَرَوَى ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يعني
المساكن ، والأنعام وما يُرزقون منها ، والسرابيل من الحديد والثياب ،
أنعم الله بذلك عليهم ، فلم يشكروا ، وقالوا إنما كان لآبائنا وورثناها
عنهم^(١) .

٨٠ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيداً ... ﴾ [آية ٨٤] .

يُروى أن نبي كل أمة شاهدٌ عليها^(٢) .

٨١ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَالْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴾ [آية ٨٤] .

أي جحدتم آلهتهم كما قال تعالى ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴾^(٣) .

٨٢ — ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴾ [آية ٨٧] .

(١) هذا الرأي هو الأظهر أن الآية على العموم ، أي أنهم يعرفون نعم الله التي أنعم بها عليهم ،
ويعترفون بأنها من عند الله ، ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم ، وهو ما اختاره الحافظ ابن كثير
٥١٠/٤ .

(٢) هذا مروى عن قتادة كما ذكره ابن جرير ١٥٩/١٤ قال ابن الجوزي ٤٧٩/٤ : وشاهد كل أمة
نبيها ، يشهد عليها بتصديقها وتكذيبها .

(٣) سورة مريم آية ٨٢ .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : اسْتَسْلَمُوا وَذَلُّوا ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أَيِ يَشْرَكُونَ^(١) .

٨٣ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ [آية ٨٨] .

رَوَى مَسْرُوقٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ^(٢) قَالَ : زِيدُوا عِقَابَ أَنْبِيَائِهَا كَالنَّخْلِ الطُّوَالِ^(٣) .

٨٤ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [آية ٨٩] .

رَوَى أَبَانُ بْنُ ثَعْلَبٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : تِبْيَانًا لِلْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ^(٤) .

٨٥ — وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [آية ٩١] .

قَالَ مُجَاهِدٌ : يَعْنِي تَغْلِيظَ الْيَمِينِ^(٥) .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٦٠/١٤ والدر المنثور ١٢٧/٤ .

(٢) هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار المفسرين من الصحابة .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٦٠/١٤ وابن كثير ٥١٣/٤ وعزاه إلى الحافظ أبي يعلى ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ١٢٧/٤ ولفظه عن ابن مسعود قال : زيدوا عقارب لها أنيابٌ كالنخل الطوال . ورواه ابن الجوزي في زاد المسير ٤٨٢/٤ وفي رواية أخرى أنها حيات كأمثال الفيلة ، وعقارب كأمثال البغال .

(٤) انظر الأثرين في تفسير الطبري ١٦١/١٤ وابن كثير ٥١٣/٤ قال ابن الجوزي ٤٨٤/٤ : أي بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين ، بخلاف لغو اليمين ، ووكدت الشيء تأكيداً ، لغة أهل الحجاز ، فأمّا أهل نجد فيقولون : أكدته تأكيداً ، قال الزجاج : هما لغتان جيدتان .

٨٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ، تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ، أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾ [آية ٩٢] .

هذه آية مشككة تحتاج إلى تدبر .
قال قتادة : الدَّخَلُ : الخيانة^(١) .

وقال غيره : المعنى : لا تحلفوا أو تؤكدوا عليكم الأيمان ، ثم تحتشوا ، فتكونوا كامرأة غزلت غزلاً ، فأبرمتها وأحكمتها ، ثم نقضته^(٢) .
والأنكاث : ما يُنْقَضُ من الخز والوبر وغيرهما ، ليُغزل ثانية ، ومنه قيل : ناكثٌ .

وزُوي في التفسير أن امرأة يقال لها رِبْطَةُ ابنة سعد ، كانت تغزل بمغزل كبير ، فإذا أبرمته وأتقنته أمرت جارتها فنقضته^(٣) .

(١) الأثر في الطبري ١٦٧/١٤ والدر المنثور ١٢٩/٤ ولفظه عن قتادة قال : لو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقسلم : ما أحق هذه ؟ وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده ، وفي قوله ﴿ تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ قال : خيانة وغدراً .

(٢) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٤٨٥/٤ يقول : لا تؤكدوا على أنفسكم الأيمان والعهود ، ثم تنقضوا ذلك وتحتشوا فيه ، فتكونوا كامرأة غزلت ونسجت ، ثم نقضت ذلك النسج فجعلته أنكاثاً أي أنقاضاً . اهـ قال البخاري ١٠٣/٣ عن ابن عيينة : ﴿ أَنْكَاثًا ﴾ هي خرقاء ، كانت إذا أبرمت غزلها نقضته .

(٣) انظر الطبري ١٦٦/١٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٧١/١٠ .

قال الضحاك في قوله تعالى ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾ أي أكثر ، قال : فأمرُوا بوفاء العهد ، وإن كانوا كثيراً^(١) .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : كانوا يحالفون القوم ويعاهدونهم ، فإذا علموا أن غيرهم أكثر منهم وأقوى ، نقضوا عهدهم ، وحالفوا غيرهم ، فنهاهم الله جلّ ذكره عن ذلك^(٢) .

والمعنى عند أهل اللغة : لأن تكون أمة وبأن تكون أمة هي أربى من أمة ، أي هي أغنى وأكثر . أي لا تعاهدوا قوماً ، فإذا أمنوا نقضتم العهد ، ليكون أصحابكم أغنى وأقوى .

٨٧ — وقوله جلّ وعز ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [آية ٩٧] .

روى عن ابن عباس أنه قال : الحياة الطيبة : الرزق الحلال ، ثم

(٢-١) انظر الأثرين في جامع البيان للطبري ١٦٦/١٤ والدر المنثور للسيوطي ١٢٩/٤ .

يصير إلى الله ، فيجزيه أجره بأحسن ما كان يعمل^(١) .

وروي عن ابن عباس — رواه الحكم عن عكرمة عنه — أنه قال : الحياة الطيبة : القناعة^(٢) .

وروي ابن كثير عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ﴿ فَالْخَيْرُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ قال : في الآخرة يُحييه حياة طيبة^(٣) .

وروي عوف عن الحسن : ليس لأحد حياة طيبة إلا في الجنة^(٤) .

٨٨ — وقوله جل وعز ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آية ٩٨] .

(١-٤) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٧١/١٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٧٤/١٠ والدر المنثور للسيوطي ١٣٠/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٨٩/٤ قال ابن الجوزي : واختلفوا أين تكون هذه الحياة الطيبة على ثلاثة أقوال : أحدها : أنها في الدنيا ، والثاني : أنها في الآخرة ، والثالث : أنها في القبر .. الخ .

أقول : الظاهر أن الحياة الطيبة في الدنيا ، وهو قول الجمهور ، ويدل عليه قوله سبحانه ﴿ ولنجزينهم أجرهم ﴾ يعني في الآخرة ، لأن العطف يقتضي المغايرة ، وهذا ما رجحه الطبري ، وابن كثير ، وابن عطية ، قال الحافظ ابن كثير ٥٢٠/٤ : هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً من ذكر وأنثى ، وقلبه مؤمناً بالله ورسوله ، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن عمله في الدار الآخرة . وقال ابن عطية ٥٠٦/٨ : وظاهر هذا الوعد أنه في الدنيا ، وطيب الحياة للصالحين ، إنما هو بنشاط نفوسهم ، وقوة رجائهم ، والرجاء للنفس أمر لذيذ ، فهذا تطيب حياتهم ، لأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم ، فإذا انضاف إليه مال حلال ، وصحة وقناعة ، فذلك كمال .

المعنى : إذا أردت أن تقرأ ، وهذا كما تقول : إذا أكلت فقل :
 بسم الله ، ومثله في كتاب الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
 قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾^(١) .

٨٩ — وقوله جل وعز ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ
 مُشْرِكُونَ ﴾ [آية ١٠٠] .

روى ابن نجيح عن مجاهد قال ﴿ سُلْطَانُهُ ﴾ حجته ، قال
 ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ : يعدلونه برب العالمين^(٢) .

وقال غير مجاهد : لو كان المعنى على أنهم أشركوا بالشیطان ،
 لكانوا مؤمنين ، ولكن المعنى : والذين هم من أجله مشركون ، كما
 تقول : صار فلان بك عالماً ، أي من أجلك^(٣) .

(١) هذه آية الوضوء وهي في سورة المائدة رقم ٦ والشاهد فيها أن المعنى : إذا أردتم القيام إلى الصلاة
 فاغسلوا وجوهكم ، وليس معناها أن يتوضأ بعد أن يشرع في الصلاة ، فكذا هنا : إذا أردتم
 قراءة القرآن فاستعينوا بالله .

(٢) الأثر في الطبري ١٧٥/١٤ وتفسير ابن الجوزي ٤٩٠/٤ والدر المنثور ١٣٠/٤ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٤٩١/٤ وقال ابن الأنباري : والمعنى : والذين هم بإشراكهم
 إبليس في العبادة ، مشركون بالله تعالى ، وإليه ذهب أبو حيان في البحر المحيط ٥٣٥/٥ .
 أقول : ومعنى الآية الكريمة ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ﴾ أي ليس له تسلط
 وقدرة على المؤمنين بالإغواء والكفر ، لأنهم في حمى الرحمن ﴿ إنما سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾
 أي إنما تسلطه وسيطرته على الذين يطيعونه ويتخذونه ولياً ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ أي
 والذين هم بسبب إغوائه أصبحوا مشركين بالله في عبادتهم وحياتهم .

٩٠ - وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾ [آية ١٠١] .

رَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : رَفَعْنَاهَا ، وَجَعَلْنَاهَا مَوْضِعَهَا غَيْرَهَا ^(١) .

وَقَالَ غَيْرُهُ : أَيُّ نَسَخْنَا آيَةً بِآيَةٍ هِيَ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْهَا ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ أَيُّ كَاذِبٌ ، فَقَالَ جَلُّ وَعَزُ ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أَيُّ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا آيَةً ، لَا يَأْتِي بِهَا إِلَّا نَبِيٌّ ، كَذَّبُوا بِهَا ، فَهَؤُلَاءِ أَكْذَبُ الْكَاذِبِينَ .

٩١ - وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [آية ١٠٣]

رَوَى سَفِيَانُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ : هُوَ غُلَامٌ لِبَنِي غَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، يُقَالُ - أَرَى - لَهُ يَعِيشُ ^(٢) .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ الضَّحَّاكِ قَالَ : هُوَ « سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ » رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٣) .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ هُوَ « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ » وَهُوَ رَوْمِيٌّ ، كَانَ يُحَسِّنُ الْكِتَابَةَ ^(٤) .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَقَالَ غَيْرُ مُجَاهِدٍ : اسْمُهُ « جَبْرٌ » ^(٥) .

(١) أَنْظَرَ الْأَثَرُ فِي الطَّبْرِيِّ ١٧٦/١٤ وَابْنُ كَثِيرٍ ٥٢٢/٤ .

(٢-٥) هَذِهِ الْأَقْوَالُ عَنِ السَّلَفِ مَذْكُورَةٌ كُلُّهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ ، الطَّبْرِيُّ ١٧٨/١٤ وَابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٢٣/٤ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ ٤٩٢/٤ وَالْدُرُّ الْمُنْشُورُ ١٣١/٤ وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي زَادَةِ تِسْعَةِ أَقْوَالٍ فِي اسْمِ الْبَشَرِ ، قَالَ : وَأَمَّا مَا رُويَ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّهُمْ عَنَوْا بِهِ « سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ » فَفِيهِ بُعْدٌ ، مِنْ جِهَةِ أَنَّ « سَلْمَانَ » أَسْلَمَ بِالْمَدِينَةِ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ ، وَكَذَلِكَ ضَعْفُهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ليست بمتناقضة ، لأنه يجوز أن يكونوا أواموا إلى هؤلاء جميعاً ، وزعموا أنهم يُعلمونه ، وأصل الإلحاد في اللغة : المِيلُ ^(١) .

٩٢ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ ﴾ [آية ١٠٦] .

أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في « عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ » رحمه الله ، لأنه قَارَبَ بعضَ مَندبوه إليه ^(٢) .

٩٣ — ثم قال تعالى ﴿ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ [آية ١٠٦] .

(١) قال في الصحاح ٥٣٤/٢ : أَلْحَدَ فِي دِينِ اللَّهِ أَيِ حَادَ عَنْهُ وَعَدَلَ ، وَلَحَدَ لُغَةً فِيهِ ، وَالتَّحَدَ مِثْلُهُ ، وَقُرِئَ ﴿ لِسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ﴾ اهـ قال ابن عطية في المحرر ٥١٠/٨ : قرأ ابن كثير ونافع ﴿ يُلْحِدُونَ ﴾ بضم الياء ، ومن الحَدَّ إِذَا مَالَ ، وَقَرَأَ حِمَزَةَ وَالْكَسَائِيُّ ﴿ يُلْحِدُونَ ﴾ بفتح الياء والحاء ، من لَحَدَ ، وهما بمعنى واحد .

(٢) رُوي عن ابن عباس أن المشركين أخذوا « عَمَّارَ بْنِ يَاسِرٍ » وأباه وأمه « سُمَيَّةَ » وَصُهْبِيَّاً ، وَبِلَالاً ، وَخَبَّاباً فَعَذَّبُوهُمْ ، وَرَبَطَتْ سُمَيَّةُ بَيْنَ بَعِيَيْنِ ، وَطَعَنَ أَبُو جَهْلٍ قُبُلَهَا بِحِجْرَةٍ وَقَالَ لَهَا : إِنَّكَ أَسْلَمْتِ مِنْ أَجْلِ الرِّجَالِ ، فَقَتَلْتُ وَقَتَلَ زَوْجُهَا يَاسِرٌ — وهما أول قتيلين في الإسلام — وَأَمَّا عَمَّارٌ فَأَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ مَكْرَهَا ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ قَالَ : مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ ، فَقَالَ لَهُ الرُّسُولُ : فَإِنْ عَادُوا فَعَدْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ .. ﴾ الْآيَةَ وَانْظُرْ جَامِعَ الْأَحْكَامِ لِلْقُرْطُبِيِّ ١٨٠/١٠ وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٥٢٥/٤ وَتَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ٥١٦/٨ .

أي من فتح صدره لقبوله .

٩٤ — وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ﴾ [آية ١١٠] .

هذا كله في عمار ، والمعنى : وصبروا على الجهاد .

٩٥ — وقوله جل وعز ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا .. ﴾ [آية ١١١] .

يُروى أن كعباً قال لعمر بن الخطاب رحمه الله : تزفر جهنم يوم القيامة زفرةً ، فلا يبقى ملكٌ مقربٌ ، ولا نبيٌ مرسلٌ ، إلا جثا على ركبتيه ، يقول : يارب نفسي ، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ، ليجثو على ركبتيه ، ويقول : لأسألك إلا نفسي ، ثم قال كعب : إن هذا لفي كتاب الله ، وتلا ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ ^(١) .

وقال غيره : يدل على هذا ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾ ^(٢) .

(١) انظر الأثر في جامع الأحكام للقرطبي ١٠/١٩٣ والدر المنثور للسيوطي ٤/١٣٣ وقد عزاه في

الدر إلى أحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن كعب .

(٢) سورة عبس آية ٣٤ ، ٣٥ .

٩٦ — وقوله جل وعز ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ [آية ١١٢] .

رَوَى معمر عن قتادة قال : هي مكة ^(١) .

وقال غيره : كان أهلها في أمن ودعة ، ثم ابتلاهم الله بالقتل والجوع سبع سنين ^(٢) ، قال تعالى ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ وأصل الذوق بالفم ، ثم استعمل للابتلاء والاختبار ^(٣) .

٩٧ — وقوله جل وعز ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ [آية ١١٥] .

قال أبو جعفر : قد ذكرناه في سورة البقرة .

وروي عن ابن عباس أنه قال : من أكل الميتة وهو غير مضطر

(١) الأثر في الطبري ١٨٦/١٤ والدر المنثور ١٣٣/٤ عن ابن عباس ومجاهد قالا : هي مكة ، ألا ترى إلى قوله سبحانه ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب ﴾ ؟ أخذهم الله بالجوع والخوف ، والقتل الشديد .

(٢) قال ابن الجوزي ٥٠١/٤ قال المفسرون : عذبهم الله بالجوع سبع سنين ، حتى أكلوا الجيف والعظام المحترقة ، والمراد بالقرية أهلها ، ولذلك قال ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ يعني بتكذيبهم لرسول الله ﷺ وإخراجهم إياه .

(٣) أشار المصنف إلى أن هذا من باب « الاستعارة المكنية » حيث شبه ما أصابهم الله به من القحط والجذب ، باللباس الذي يحيط بصاحبه ، ويشتمل على لابس ، فإنه لما باشرهم الجوع والخوف صار لهم كاللباس ، كما قال الشاعر :

لقد لبست بغد الزبير مجاشيع ثياب التي حاضت ولم تغسل الذما
كان العار لما باشرهم وألصق بهم ، جعلهم كأنهم لبسوه ، وانظر الكشاف ٣٤٦/٢ وتفسير ابن عطية ٥٢٨/٨ .

إليها ، فهو باغٍ عادٍ^(١) .

ورَوَى عن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالا إذا أخاف السبيل ، وقطع الطريق ، لم تحلل له الميتة^(٢) . هذا معنى قولهما .

٩٨ — وقوله جلَّ وعز ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ [آية ١١٦] .

قال مجاهد : يعني البحائر ، والسبب^(٣) .

٩٩ — وقوله جلَّ وعز ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [آية ١١٨] .

قال قتادة : هو قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾^(٤) .

١٠٠ — وقوله جلَّ وعز ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [آية ١٢٠] .

رَوَى الشعبي عن مسروق قال : تلا عبدالله بن مسعود رحمه

(١-٢) انظر جامع البيان للطبري ١٨٨/١٤ والدر المنثور ١٣٤/٤ وتفسير ابن عطية ٥٣٤/٨ .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٩٦/١٠ ولفظه ﴿هذا حلالٌ﴾ إشارة إلى ميتة بطون الأنعام وكل ما أحلوه ، ﴿وهذا حرامٌ﴾ إشارة إلى البحائر ، والسواشب ، وكل ما حرّمه . اهـ .

(٤) سورة الأنعام آية ١٤٦ والأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٩٠/١٤ قال : هو ما قصه الله تعالى في سورة الأنعام حيث قال ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ..﴾ الآية وذكره السيوطي في الدر ١٣٤/٤ .

الله ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ فقال : إن « معاذ بن جبل » كان أمةً قانتاً لله ، أتدرون ما الأمة ؟ هو الذي يُعلِّم الناس الخير ، أتدرون ما القانت ؟ هو المطيع^(١) .

قال أبو جعفر : لم يُقل في هذه الآية أحسن من هذا ، لأنه إذا كان يُعلِّم الناس الخير فهو يُؤثِّم به ، وهذا مذهب أبي عبيدة^(٢) ، والكسائي .

القنوت : القيام ، ف قيل للمطيع قانت لقيامه بطاعة الله .
وروى أبو يحيى عن مجاهد ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ قال : كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار ، وقال بعض أهل اللغة : يقوِّي هذا حديث النبي ﷺ أنه ذكر زيد بن عمرو بن نفيل ، فقال : كان أمة وحده .

وقوله ﴿ وَآيَاتِنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ قال مجاهد : لسان صدق .

١٠١ - وقوله جل وعز ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [آية ١٢٤] .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٩١/١٤ والقرطبي ١٩٧/١٠ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٦٩/١ قال ﴿ أمة قانتاً ﴾ أي إماماً مطيعاً لله .

روى سعيد بن جبير عن قتادة قال : أحله بعضهم ، وحرّمه بعضهم^(١) .

وقال مجاهد : تركوا الجمعة ، واختاروا السبت^(٢) .

١٠٢ — وقوله جلّ وعز : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ [آية ١٢٥] .
﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ هي منسوخة^(٣) .

١٠٣ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ .. ﴾ [آية ١٢٦] .

قال قتادة : لَمَّا مَثَلُوا بِحِمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قالوا : لَنَمِثِلَنَّ بِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ هَذِهِ الْآيَةَ^(٤) .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ الضَّحَّاكِ قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَبْلَ الْقِتَالِ ، وَقَبْلَ سُورَةِ بَرَاءة .

(١) و(٢) انظر الأثرين في الطبري ١٩٤/١٤ والقرطبي ١٩٨/١٠ وتفسير ابن كثير ٥٢٦/٤ .

(٣) ذهب بعض المفسرين ، إلى أن الآية منسوخة بآية القتال ، والأظهر ما قاله الحافظ ابن كثير : أن من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال ، فليكن بالوجه الحسن ، برفق ولين وحسن خطاب ، وهو ما رجحه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٤٦/٨ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير رقم ٣١٢٨ وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث أبي بن كعب ، وانظر جامع الأصول ٢٠٨/٢ .

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى ، وقد قال زيد بن أسلم نحوه .

قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، أُذِنَ لَهُ في جهاد المشركين ، والغلبة عليهم .

ويدلُّك على أن هذا نزل بمكة ، قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ وأكثرُ مكرهم ، وحزنه ﷺ عليهم كان بمكة ^(١) .

فأما حديثُ أبي هريرة ، وابنِ عباسٍ « لَمَّا قُتِلَ حمزة — رحمه الله عليه — قال النبي ﷺ : لأُمِثِلَنَّ بسبعينَ منهم ، فزلت ﴾ وإن عاقبتُم فعاقبوا بمثل ما عوقبتُم به ﴾ فإسنادهما ضعيف ^(٢)

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٤٦/٨ : أطبق أهل التفسير على أن هذه الآية مدنية ، نزلت في شأن التمثيل بحمزة رضي الله عنه في يوم أحد ، ووقع ذلك في صحيح البخاري ، وفي كتاب السير ، وذهب النحاس إلى أنها مكية . اهـ .

(٢) إنما كان الإسناد ضعيفاً لوجود « صالح بن بشير المري » فإنه ضعيف عند الأئمة ، وقال البخاري : هو منكر الحديث .

والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٣٥/٥ ولفظه : « لما كان يومُ أحد ، قُتل من الأنصار أربعة وستون رجلاً ، ومن المهاجرين ستة ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : لئن كان لنا يومٌ مثلُ هذا مع المشركين ، لنرينَّ عليهم — أي لنزيدنَّ عليهم في القتل والتمثيل — فلما كان يومُ الفتح قال رجلٌ لا يُعرف : لا قريشَ بعد اليوم ، فنادى منادي رسول الله ﷺ : قد أُمِنَ الأسودُ والأبيضُ ، إلَّا فلاناً وفلاناً — ناساً سَمَاهُم — فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ فقال رسول الله =

١٠٤ — وقوله جَلَّ اسْمُهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [آية ١٢٨] .

رُوي عن الحسن أنه قال : اتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وعزَّ فيما حَرَّمَ عليكم ، وأحسنوا في أداءِ فرائضه .

« انتهت سورة النحل »

* * *

= ^{صلى الله عليه وسلم} : نصبرُ ، ولا نعاقبُ .

ورُوي عن عطاء بن يسارٍ قال : نزلت سورة النحل كُلُّها بمكة ، وهي مكيةٌ إلا ثلاث آيات من آخرها ، نزلت بالمدينة بعد أُحُدٍ ، حين قُتل حمزة رضي الله عنه ومُثَّل به ، فقال رسول الله ﷺ : لكن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم ، فلما سمع المسلمون ذلك قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم لتمثلن بهم مُثْلَةٌ لم يمثلها أحدٌ من العرب بأحدٍ قط ، فأنزل الله ﴿ وإن عاقبتهم ... ﴾ الآية . قال الحافظ ابن كثير ٥٢٧/٤ : وهذا إسناد مرسل ، وفيه رجل مبهمة لم يُسمَّ .. ثم روى روايةً أخرى عن الحافظ البزار من طريق صالح المري عن أبي هريرة ، ثم عقب ذلك بقوله : وهذا إسنادٌ فيه ضعف ، لأنَّ صالحاً هو ابن بشير المري ضعيفٌ عند الأئمة . اهـ . ولهذا قال المصنف : إسناده ضعيف ، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تفسير سورة الإسراء
مكية وآياتها ١١١ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ^(١)

١ — من ذلك قوله تعالى جُذِّه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾ [آية ١] .

يُروى أن النبي ﷺ سئل عن معنى ﴿سُبْحَانَ﴾ فقال :
إنزاهُ الله من السُّوء ^(٢) .

وفي بعض الحديث : براءةُ الله من السُّوء ^(٣) .

قال سيبويه : وغيره : معناه : براءةُ الله من السُّوء ، وأنشد :

(١) سورة الإسراء مكية بإجماع ، قيل : إلا آيتين ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ و﴿وإن كادوا﴾ ليستفرونك﴾ كما في البحر ٣/٦ وتسمى أيضاً سورة بني إسرائيل .
(٢-٣) الحديث أخرجه ابن جرير ٢/١٥ عن موسى بن طلحة عن النبي ﷺ ، ورواه السيوطي في الدر ١٣٦/٤ عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾ قال : تنزيهُ الله تعالى الذي أسرى بمحمد ﷺ .. الحديث ، ورواه القرطبي ٢٠٤/١٠ عن طلحة بن عبيد الله الفياض أنه سأل النبي ﷺ عن معنى «سبحان الله» فقال : «تنزيهُ الله من كل سوء» .

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَلَقَمَةَ الْفَاجِرِ^(١)

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ
ﷺ قَالَ : « قَمْتُ فِي الْحِجْرِ لَمَّا كَذَّبَنِي قَوْمِي ، لَيْلَةَ أُسْرِي بِي ،
فَأَثْنَيْتُ عَلَى رَبِّي ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُمَثِّلَ لِي (بَيْتَ الْمُقَدَّسِ) فُرُغَ لِي ،
فَجَعَلْتُ أَنْعْتُ لَهُمْ آيَاتِهِ »^(٢) .

وَرَوَى سَفِيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ
أَبِي ذَرٍّ قَالَ : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ مَسْجِدٍ وَضِعَ أَوَّلُ ؟ فَقَالَ :
الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ، قُلْتُ :
كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : أَرْبَعُونَ سَنَةً ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَا أَدْرَكْتُكَ الصَّلَاةُ فَصَلَّ
فَهُوَ مَسْجِدٌ »^(٣) .

(١) البيت للأعشى يهجو فيه علقمة بن علاثة الجعفري وهو في ديوانه ص ٩٤ دار صادر بلفظ
« الفاجر » وروايته :

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مَنْ عَلَقَمَةَ الْفَاجِرِ
يريد لما جاءني مخالفتي وفجوره ، وقد استشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٢٠٤/١٠ بلفظ
« فخْرُهُ ، والفاجر » بالخاء ، كما في رواية المصنف وهذه هي الرواية الصحيحة ، لأنه يتزَّهه عن
الفخر لا عن الفجور ، فهو يهجو علقمة ، ويفضِّل عليه عامراً .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٠٤/٦ بلفظ « لما كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قَمْتُ فِي الْحِجْرِ ،
فَجَلَّيْتُ لِلَّهِ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، فَطَفَقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ » وأخرجه مسلم برم
١٧٠ في الإيمان ، والترمذي برقم ٣١٣٢ في التفسير وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) انظر تخرجه في حاشية الصفحة التالية رقم ١ .

٢ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [آية ١] .

﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ يعني مكة ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ يعني بيت المقدس ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ قيل : فَجَرَّ حَوْلَهُ الْأَنْهَارَ ، وَأَنْبَتَ الثَّمَارَ^(١) .

٣ — ثم قال جلَّ وعز ﴿ لِثَرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [آية ١] .

﴿ لِثَرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ ما رأى من الأنبياء وآثارهم^(٢) .

٤ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [آية ٢] .

أي دللناهم به على الهدى .

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد رقم ٥٢٠ عن أبي ذر الغفاري بلفظ « أي مسجد

وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ » ؟ وأخرجه أحمد في المسند ١٥٠/٥ و ١٦٦ من رواية أبي ذر أيضاً بلفظ « ثم حينما أدركت الصلاة فصل فكلتها مسجد » وفي رواية له أخرى « فصل فتم مسجد » .

(٢) هذا بعض ما رأى ﷺ من عجائب تلك الليلة ، فحين وصل بيت المقدس رأى الأنبياء في

انتظاره ، فقدّموه فصلّى بهم إماماً ، ثم لما عرج به رأى آدم في السماء الأولى ، ويحيى وعيسى في السماء الثانية ، ويوسف في السماء الثالثة ، ورأى موسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة ، كما ورد في الصحاح ، ورأى سدره المنتهى ، والجنة والنار ، والبيت المعمور ، ونهر الكوثر ، وشاهد من عجائب الملوك والملوكوت ، ما لم يطلع عليه أحد من الرسل غيره ، فكل هذا من الآيات الباهرة التي رآها رسول الله ﷺ .

٥ — ثم قال جل وعز ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ [آية ٢] .

ويُقرأ ﴿ أَنْ لَا يَتَّخِذُوا ﴾ ^(١) على إضمار ، بمعنى : وعهدنا إليهم .

ورَوَى وَرْقَاءُ ^(٢) عن ابن أبي نجيح ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ قال : شريكاً .

قال أبو جعفر : وذلك معروف في اللغة أن يُقال لكل من قام مقام آخر في أي شيء كان : هو شريكه .

وقال الفراء : ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ أي كافياً ^(٣) .

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ .. ﴾ [آية ٣] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال : على النداء ، أي ذُرِّيَّةً من حملنا ^(٤) .

(١) هذه قراءة أبي عمرو وهي من القراءات السبع المتواترة ، وقرأ الباقر ﴿ تتخذوا ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٧٨ .

(٢) هو ورقاء بن عمر البشكري « أبو بشر » الكوفي ، نزيل المدائن ، قال عنه أحمد : ثقة صاحب سنة ، قال حرب : قلت لأحمد : ورقاء أحب إليك في تفسير ابن أبي نجيح أو شيان ؟ قال : كلاهما ثقة ، وورقاء أوثقهما .. وانظر ترجمته في التهذيب ١١٣/١١ .

(٣) انظر معاني الفراء ١١٦/٢ فقد جاء فيه ﴿ وكيلاً ﴾ يُقال : رياً ، ويقال : كافياً .

(٤) الأثر ذكره ابن الجوزي عن مجاهد ٦/٥ قال : هو نداء : يا ذُرِّيَّةً من حملنا .

قال أبو جعفر : « أُنِي » حرفُ نداء مثل « يا »^(١) .

وروى سفيان عن حميد عن مجاهد أنه قرأ ﴿ ذَرِيَّةٌ ﴾ بفتح
الذال ، وتشديد الراء والياء^(٢) .

وروي عن زيد بن ثابت ﴿ ذَرِيَّةٌ ﴾ بكسر الذال ، وتشديد
الراء والياء^(٣) .

فأما عامر بن عبد الواحد ، فحكى أن زيدا قرأ ﴿ ذَرِيَّةٌ ﴾ بفتح
الذال وتشديد الراء والياء^(٤) .

٧ — ثم قال جل وعز ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [آية ٣] .

روى معمر عن قتادة قال : « كان إذا لبس ثوباً قال : « بسم
الله » وإذا نزع قال : « الحمد لله »^(٥) .

وروى معمر عن منصور عن إبراهيم قال : شكره أنه إذا أكل
قال : بسم الله ، فإذا فرغ من الأكل قال : الحمد لله^(٦) .

(١) في الصحاح ٢٢٧٧/٦ : و« أُنِي » مثل « كُنِي » حرف يُنادى به القريب دون البعيد ، تقول :
أُنِي زيدُ أقبل ، وهي أيضاً كلمة تتقدم التفسير ، تقول : أي كذا ، بمعنى : تريد كذا . اهـ .
(٢-٤) انظر هذه القراءات جميعها في البحر المحيط لأبي حيان ٧/٦ وهي وجوه لغوية ، وانظر
المختسب ١٥٦/١ .

(٥-٦) هما في الطبري ٢٠/١٥ والدر المنثور ١٦٢/٤ والبحر المحيط ٧/٦ .

٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ .. ﴾ [آية ٤] .

قال سفيان : أي على بني إسرائيل^(١) .

قال ابن عباس : ﴿ قَضَيْنَا ﴾ : أعلمنا^(٢) .

٩ — وقوله جل وعز : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا .. ﴾ [آية ٥] .
أي أولى المرتين^(٣) .

﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [آية ٥] .

رَوَى ابْنُ أَبِي نَحْيٍ عَنْ مَجَاهِدٍ ، قَالَ : جَاءُوا مِنْ نَاحِيَةِ فَارَسٍ
أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَمَعَهُمْ « بَخْتَنْصَرٌ » فَهَزَمَهُمْ بَنُو إِسْرَآئِيلَ ، ثُمَّ رَجَعُوا فِي

-
- (١) هذا مروي عن ابن عباس ، رواه العوفي عنه ، وبه قال قتادة كما في زاد المسير ٧/٥ .
(٢) الأثر ذكره الطبري عن ابن عباس ٢١/١٥ ورواه البخاري في التفسير ١٠٣/٦ قال : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾ أخبرناهم أنهم سيفسدون ، قال البخاري : والقضاء على وجوه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ أَمَرَ رَبُّكَ ، ومنه الْحُكْمُ ﴿ إِنْ رَبُّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ﴾ ومنه الخَلْقُ ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ . اهـ قال ابن الجوزي في زاده ٧/٥ : في قوله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾ قولان : أحدهما : أخبرناهم رواه الضحاك عن ابن عباس . والثاني : قضينا عليهم رواه العوفي عنه ، فعلى الأول تكون « إلى » على أصلها ، وعلى الثاني : تكون « إلى » بمعنى « على » . اهـ .
(٣) المراد به عقوبة أولى المرتين ، كما قال ابن الجوزي ٩/٥ والطبري ٢٧/١٥ لأنهم أفسدوا مرتين ، فعاقبهم الله مرتين .

الثانية ، فقتلوا بني إسرائيل ، ودمروهم تدميراً^(١) .

وقال قتادة : بعث عليهم في أول مرة « جالوت » وفي الثانية
« بختنصر »^(٢) .

١٠ — ثم قال جل وعز ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً
مَفْعُولاً ﴾ [آية ٥] .

رَوَى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
قال ﴿ جَاسُوا ﴾ : مَشَوْا^(٣) .

قال أبو جعفر : المعروف عند أهل اللغة أنه يُقال : جُسْنَا دُورَ
بني فلان ، وجُسْنَاهَا : إذا قهروهم وغلبوهم^(٤) .

١١ — وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي الدَّوْلَةَ
﴿ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ [آية ٦] .

(١) في المخطوطة « فقتلوا بني إسرائيل ودمروهم تدميراً » وصوابه « ودمروهم تدميراً » لأن الضمير يعود
على الجمع ، والأثر أخرجه الطبري ٣٠/١٥ وابن الجوزي ٩/٥ .

(٢) الأثر في الطبري ٢٨/١٥ وابن الجوزي ٩/٥ والدر المنثور ١٦٥/٤ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٧/١٥ وابن الجوزي ٩/٥ عن ابن عباس قال : مشوا بين منازلهم ،
وقال مجاهد ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ يتجسسون أخبارهم ، واختار الطبري الأول قال :
والمعنى : ترددوا بين الدُّور والمساكن ، وذهبوا وجاءوا .

(٤) قال الزجاج : ﴿ جاسوا ﴾ طافوا ، والجَّوسُ : الطواف بالليل والتردد والطلب مع الاستقصاء .
وقال الجوهري ٩١٥/٣ : الجَّوسُ مصدر قولك : جاسوا خلال الديار أي تخللوا فطلبوا ما فيها
كما يجوس الرجل الأخبار ، أي يطلبها ، والجَّوسان : الطَّوْفَانُ بالليل . اهـ .

يجوز أن يكون ﴿نَفِيرًا﴾ بمعنى نافر ، مثل قدير ، وقادر^(١) .

ويجوز أن يكون جمع نَفَرٍ ، مثل عبيد ، وكليب ، ومعيز ، وأصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأصحابه^(٢) .

١٢ — وقوله جلّ وعز : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [آية ٧] .

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي من المَرَّتَيْنِ ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ .

رَوَى زائدة عن الأعمش قال : الله ليسوء وجوهكم^(٣) .

(١) قال ابن الجوزي ١٠/٥ : ﴿أكثر نفيراً﴾ أي أكثر عدداً وأنصاراً منهم ، قال ابن قتيبة : النفير والتأفر واحدٌ ، كما يقال : قدير وقادر ، وأصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته . وانظر البحر ١٠/٦ .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه كما حكاها في البحر ١٠/٦ قال : يجوز أن يكون جمع نَفَرٍ ككَلْبٍ ، وكَلِيبٍ ، وعَبْدٍ وعَبِيدٍ ، وهم مجتمعون للمصير إلى الأعداء ، وقيل : النفير مصدرٌ أي أكثر خروجاً إلى العزّو . اهـ . وقال البخاري في كتاب التفسير ١٠٤/٦ : ﴿نفيراً﴾ من ينفر معه . وفي تفسير الشوكاني ٢١٠/٣ : النَفِيرُ من ينفر مع الرجل من عشيرته . اهـ .

(٣) هذا القول على قراءة من قرأ بالتوحيد ﴿لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ﴾ وهي قراءة سبعية ، قرأ بها عاصمٌ في رواية ابن عامر وحمزة ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٧٨ قال الطبري ٣١/١٥ : المعنى : ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم فيقبحها ، وهذا أحد وجهين في قراءة من قرأ ﴿لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ﴾ والوجه الآخر منهما ليسوء الله وجوهكم ، وفي الكلام محذوف تقديره : فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم . اهـ .

وقال غيره : ليسوء الوعد وجوهكم .

ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿ ليسوء وجوهكم ﴾ بالنون ، وهي قراءة الكسائي^(١) ، وفي الكلام حذف ، والمعنى : فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم لنسوء وجوهكم .

وروي عن أبي بن كعب أنه قرأ ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة لنسوءن وجوهكم ﴾^(٢) بالنون الخفيفة ، واللام المفتوحة ، والوقف عليه لنسوءاً مثل : لنسفعا ، وهو على غير حذف .

ومن قرأ ﴿ ليسوءوا ﴾ فالمعنى عنده للعباد ، وفيه حذف

١٣ — وقوله عز وجل ﴿ وَلْيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا ﴾ [آية ٧] .

قال ابن جريج : ليدمروا تدميراً ، كذا قال ابن عباس^(٣) .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة يُقال : تَبَّر الشيء : إذا

(١) هذه من القراءات السبع ، قال ابن مجاهد في السبعة ص ٣٧٨ : اختلفوا في قوله تعالى ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ﴿ ليسوءوا ﴾ بالياء جماً — أي على الجمع — وقرأ ابن عامر وحمة ﴿ ليسوء ﴾ بالياء على واحد ، وقرأ الكسائي ﴿ ليسوء ﴾ بالنون . اهـ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المختص لابن جني ١٥/٢ .

(٣) انظر الطبري ٤٣/١٥ والدر المنثور ١٦٥/٥ وكذلك قال البخاري في التفسير ١٠٤/٦ ﴿ وليتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا ﴾ يدمروا ما عَلَّمُوا ، قال ابن جريج والمعنى : وليدمروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً .

كسره ، ومنه التبر^(١) .

١٤ — وقوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا .. ﴾ [آية ٨] .

رَوَى مبارك عن الحسن قال : « إن عدتم إلى المعصية ، عُدنا إلى العقوبة »^(٢) .

١٥ — وقوله جل وعز ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي يُحصرون فيها^(٣) .

وقال الحسن : فراشاً ومعاداً^(٤) .

ورَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ : قال : مَحْبَساً^(٥) .

قال أبو جعفر : ومعروف في اللغة أن يُقال : حَصَرْتُ الرجل أي حبسته ، ويُقال للموضع الذي يُحبس فيه « حَصِيرٌ » ويُقال : أَحْصَرَهُ المرضُ ، والأصل فيه واحدٌ^(٦) .

(١) قال الزجاج : يُقال لكل شيء ينكسر من الزجاج والحديد والذهب : تَبَرٌّ ، كذا في زاد المسير

١١/٥ وفي الصحاح ٦٠٠/٢ : التَّبَارُ : الهلاك ، وتَبَرَهُ تنبيهاً أي كسره وأهلكه ، والتَّبَرُّ : ما

كان من الذهب غير مضروب ، فإذا ضُربَ دنانير فهو عينٌ ، ولا يقال تَبَرٌ إلا للذهب . اهـ .

(٢) هذا القول ذكره ابن جرير ٤٤/١٥ قال : إن عدتم يابني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري ، عدنا

عليكم بالقتل وإحلال الذل والصغار ، فعادوا فعاد الله عليهم بعقابه ، وحكاه في البحر

١١/٦ .

(٣-٥) انظر الآثار في الطبري ٤٥/١٥ وابن كثير ٤٥/٥ والبحر المحيط ١١/٦ وفي الدر المنثور

١٦٦/٤ وفي كتاب التفسير في البخاري ١٠٤/٦ ﴿ حَصِيرًا ﴾ مَحْبَساً ، مَحْصَرًا .

(٦) انظر الصحاح للجوهري مادة حبس ، وتهذيب اللغة للأزهري .

١٦ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ۖ ﴾ [آية ٩] .

[المعنى : يهدي للحال التي هي أقوم ^(١)] والحال التي هي أقوم : توحيد الله ، واتباع رسله ، والعمل بطاعته ^(٢) .

١٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءُهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ [آية ١١] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : يدعو الإنسان على نفسه ، بما لو استجيب له لَهْلَكَ ، ويدعو على ولده وماله ^(٣) .

ثم قال تعالى ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ قيل : يَعَجَل بالِدُعَاءِ على نفسه ، ولا يَعَجَلُ اللَّهُ بالإجابة .

ورَوَى عن سلمان ^(٤) أنه قال : أول ما خلق الله من آدم

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وأثبتناه من هامش المخطوطة .

(٢) قال ابن الأنباري : « التي » وصف للجمع ، والمعنى : يهدي إلى الخصال التي هي أقوم الخصال ، وهي توحيد الله ، والإيمان به وبرسله ، والعمل بطاعته . اهـ وكذلك قال الزمخشري في تفسيره الكشاف ٢٥٣/٢ فقد نبه إلى وجود حذف فقال : والمعنى : للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدّها ، أو للملة أو الطريقة ، وكيفما قدّرت لم تجد مع الإثبات ، ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف ، لما في إيهام الموصوف بحذفه ، من فخامة تُفقد إيضاحه . اهـ .

(٣) الأثر في الطبري ٤٨/١٥ وابن كثير ٤٦/٥ يريد أنه يعجل بالدعاء بالشر على نفسه عند الغضب والضرر ، عجلته بالدعاء بالخير .

(٤) المراد بسلمان « سلمان الفارسي » رضي الله عنه ، والأثر أخرجه ابن جرير ٤٨/١٥ وابن كثير =

رأسه ، فأقبل ينظرُ إلى سائرهِ يُخلَق ، فلمَّا دنا المساءُ قال : [ربَّ
عَجَلْ] قبل الليل ، فقال الله ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ .

١٨ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ .. ﴾ [آية ١٢] .

الآية في اللغة : الدلالة والعلامة ، أي جعلناهما دالَّين على أنَّ
خالقهما ليس كمثله شيءٌ ، ودالَّين على عدِّ السنين والحساب .

١٩ — ثم قال جَلَّ وعزَّ : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ
مُبْصَرَةً .. ﴾ [آية ١٢] .

روى هشيم عن حُصَيْن عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ فَمَحَوْنَا
آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ قال : هو السَّوَادُ الذي ترونه في القمر^(١) .

ويُروى أن ابن الكوّاء^(٢) سأل « عليَّ بن أبي طالب » عن
السَّوَادِ الَّذِي فِي الْقَمَرِ ، فقال : لو سألتَ عَمَّا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ

= ٤٦/٥ وقد ذكرها الحافظ ابن كثير مفصَّلةً فقال : ذكر سلمان الفارسي ، وابن عباس ، قصة
آدم عليه السلام ، حين همَّ بالنهوض قائماً قبل أن تصل الروحُ إلى رجليه ، وذلك أنه جاءته
النفخةُ من قِبَلِ رأسه ، فلما وصلت إلى دماغه عطس ، فقال الحمدُ لله ، فقال الله : یرحمک
ربک یا آدم ، فلما وُصِّلَتْ إلى عينه فتحهما فلماً سرَّتْ إلى أعضائه وجسده ، جعل ينظرُ إليه
ويُعجبه ، فهمَّ بالنهوض قبل أن تصل إلى رجليه فلم يستطع ، فقال يارب عَجَلْ قبل الليل .

(١) انظر الأثر في جامع البيان للطبري ٤٩/١٥ والدر المنثور ١٦٦/٤ والبحر المحیط ١٤/٦ .

(٢) « ابن الكوّاء » هو « عبدالله بن الكوّاء الخارجي » من رعوں وزعماء الخوارج ، أحد الذين
كانوا مع عليٍّ في صفين ، ثم فارقه بعد التحكيم ، قال البخاري : لم يصحَّ حديثه ، وانظر
ترجمته في لسان الميزان ٣٢٩/٣ .

وآخرتك !! ذاك أن الله يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ إلى آخر الآية ، فأية النهار : الشمس ، وآية الليل : القمر ، وصحوه : السَّوَادُ الذي فيه^(١) .

٢٠ — وقوله جَلَّ ثَنَاهُ ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً .. ﴾ [آية ١٢] .

رَوَى الحسنُ عن قتادة قال : منيرة^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا مذهبُ الفراء^(٣) ، فقد قال ﴿ مُبْصِرَةً ﴾ بمعنى : مضيئة .

وقال غيره : هذا على التشبيه أي ذات إبصار ، أي يبصرون بها^(٤) .

٢١ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ .. ﴾ [آية ١٣] .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٤٩/١٥ وابن كثير ٤٧/٥ وفي رواية الطبري أن علياً رضي الله عنه قال : سلوا عما شئتم ، فقام ابن الكواء فقال : ما السَّوَادُ الذي في القمر ؟ فقال : قاتلك الله هلاً سألت عن أمر دينك وآخرتك ؟ ذلك نحو الليل .

(٢) الأثر عن قتادة في الطبري ٥٠/١٥ وابن الجوزي ١٤/٥ وابن كثير ٤٧/٥ .

(٣) لم أر هذا القول في معاني الفراء ، وإنما ذكره ابن الجوزي عن قتادة ١٤/٥ وقال ابن الأنباري : وإنما صلح وصف الآية بالإبصار ﴿ مبصرة ﴾ على جهة المجاز ، كما يُقال : لعب الدهر بيني وفلان . اهـ زاد المسير .

(٤) هذا قول ابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ١٤/٥ وفي البحر ١٤/٦ ﴿ مبصرة ﴾ أي تُبْصَر فيها الأشياء وتُستبان .

رَوَى مَنْصُورٌ ، وابن أبي نجيح ، وابن جريج ، عن مجاهد
قال : عملُهُ ^(١) .

وقال الضحاك : رزقُهُ ، وأجلُهُ ، وشقاؤُهُ ، وسعادَتُهُ ^(٢) .

وروى ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال
﴿ طائرُهُ ﴾ : ما قُدِّرَ عليه ، يكون معه حيثما كان ، وَيَزُولُ معه أينما
زال ^(٣) .

وقيل : ﴿ طَائِرُهُ ﴾ : حظُّهُ ^(٤) .

قال أبو جعفر : والمعاني متقاربة ، إنما هو ما يطير من خيرٍ أو
شرٍّ ، على التمثيل ، كما تقول : هذا في عُنُقِ فلانٍ ، أي يلزمه كما تلزم
القلادة ^(٥) .

(١-٣) انظر الآثار في الطبري ٥١/١٥ وابن كثير ٤٧/٥ والبحر المحييط ١٥/٦ قال الحافظ
ابن كثير : والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه ، قليله وكثيره ، ويكتب عليه ليلاً ونهاراً ،
صباحاً ومساءً . اهـ .

(٤) هذا قول أبي عبيدة كما في مجاز القرآن ٣٧٢/١ وذكره ابن الجوزي ١٥/٥ عنه بمعنى أن لكل
امرئ حظاً من الخير والشر ، قد قضاه الله عليه .

(٥) قال ابن قتيبة : العرب تقول لكل ما لزم الإنسان : قد لزم عنقه ، وهذا لك عليّ ، وفي عنقي
حتى أخرج منه ، وإنما قيل للحظ من الخير والشر « طائر » لقول العرب : جرى له الطائر بكذا
من الخير ، وجرى له الطائر بكذا من الشر ، فخطبهم الله بما يستعملون ، وأنه هو الذي يلزمه
أعناقهم . اهـ زاد المسير ١٥/٥ .

٢٢ - ثم قال جل وعز : ﴿ وَيُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ [آية ١٣] .

رَوَى جرير بن حازم ، عن حُميد عن مجاهد أنه قرأ ﴿ وَيُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا ﴾ قال : يريد يعني : ويُخرج له الطائر كتاباً أي عمله كتاباً^(١) .

ورَوَى عن مجاهد ﴿ وَيُخْرِجُ ﴾ وكذلك قرأ أبو جعفر « يزيد بن القعقاع »^(٢) .

وقرأ الحسن : وَيُخْرِجُ له يوم القيامة كتاباً ، بفتح الياء أيضاً^(٣) .

ورَوَيْت هذه القراءة عن ابن عباس ، فإنه قال : سَيُحوَّلُ عمله كتاباً^(٤) .

وقرأ الحسن ﴿ يَلْقَاهُ ﴾ بضم الياء ، وتشديد القاف^(٥) .

(١-٤) هذه وجوه من القراءات ذكرها ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢ فقال : قرأ أبو جعفر ﴿ وَيُخْرِجُ ﴾ بالياء وضمها وفتح الراء ، وقرأ يعقوب بالياء وفتحها وضم الراء ﴿ وَيُخْرِجُ ﴾ وقرأ الباقر بالنون وضمها وكسر الراء ﴿ وَيُخْرِجُ ﴾ واتفقوا على نصب ﴿ كِتَابًا ﴾ وهو منصوب على الحال أي وَيُخْرِجُ الطائر كتاباً ، فتتفق القراءتان في التوجيه على الصحيح الفصيح .

(٥) هذه قراءة ابن عامر وحده ﴿ يَلْقَاهُ ﴾ وهي من القراءات السبع ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٧٨ .

٢٣ - وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [آية ١٥] .

رَوَى معمرٌ عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال : « إذا كان يومُ القيامة ، جَمَعَ اللَّهُ أَهْلَ الْفِتْرَةِ ، وَالْمُعْتَوَةَ ، وَالْأَصَمَّ ، وَالْأَبْكَمَ ، وَالْأَخْرَسَ ، وَالشُّيُوخَ الَّذِينَ لَمْ يُدْرِكُوا الْإِسْلَامَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ ، فيقولون : كيف ولم يأتنا رسول ؟ قال : ولو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً — فيُرْسَلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَسُولاً ، فيطيعه من كان يريد أن يُطيعه ، ثم قرأ أبو هريرة ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (١) .

وقال غيره : يومُ القيامة ليس بيومٍ تَعْبُد ولا محنة ، فيُرْسَلُ إلى أحدٍ رسولٌ ، ولكن معنى الآية : وما كنا معذِّبين أحداً في الدنيا بالإهلاك ، حتى نبعث رسولاً .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٥٤/١٥ عن أبي هريرة موقوفاً ، ورواه أحمد في المسند ٣٤/٤ مرفوعاً إلى النبي ﷺ بلفظ « أربعة يجتنبون يوم القيامة : رجلٌ أصمٌ لا يسمع شيئاً ، ورجلٌ أحمق ، ورجلٌ هَرِمٌ ، ورجلٌ مات في فترة ، فأما الأصمُّ فيقول : ربِّ قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني — أي يرموني — بالبر ، وأما الهرم فيقول : ربِّ لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة يقول : ربِّ ما أتاني لك رسول ، فيأخذ مواليقهم ليطيعه ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، فوالذي نفس محمد بيده ، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً » وانظر الدر المنثور ١٦٨/٤ وتفسير ابن كثير ٥١/٥ .

٢٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا .. ﴾ [آية ١٦] .

يُقرأ هذا الحرف على وجوه :

رُوي عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ ﴿ أَمَرْنَا ﴾ بالقصر والتخفيف^(١) ، وكذلك يُروى عن ابن عباس .

ورُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾^(٢) وكذلك قرأ أبو عثمان التَّهْدِيُّ ، وأبو العالية .

وقرأ الحسن ، والأعرج ، وابنُ أبي إسحق ﴿ آَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾^(٣) .

ورُوي ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ على « فَعَلْنَا » عن ابن عباس هذه القراءة أيضاً^(٤) .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ ففي قراءته ثلاثة أقوال :

أحدها : وأثبتها ما قاله ابن جريج — وزعم أنه قول ابن

(٤-١) قال ابن مجاهد في السبعة ص ٣٧٩ : لم يختلفوا في قوله تعالى ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ أنها خفيفة الميم ، إلا ما روى خارجة عن نافع ﴿ آمَرْنَا ﴾ ممدودة مثل آمَنَّا ، وقرأ أبو عمرو ﴿ آمَرْنَا ﴾ بالتشديد .
أهـ وأما قراءة « آمَرْنَا » بكسر الميم فهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٦/٢ .

عباس — وهو أن المعنى : أمرناهم بالطاعة ففسقوا^(١) .

قال محمد بن يزيد : قد عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(٢) فقد عَلِمَ أَنَّ المعنى : أمرنا مترفياً بالطاعة ، فَعَصَوْا .

قال مجاهد : (مترفوها) : فُسَّأُوهَا^(٣) .

وقال أبو العالية : مستكبروها^(٤) .

والمعنى : أمرناهم بالطاعة ، والفاستق إذا أَمَرَ بالطَّاعَةِ عَصَى ، فعَصَوْا ، فحقَّ عليهم القول بالعصيان ، أي وجب^(٥) .

(١) هذا قول الجمهور وهو الراجح أن المعنى : أمرناهم بالخير والطاعة ، فعصوا وفسقوا ، قال الزجاج : ومثله في الكلام : أمرتُك فعصيتني ، أي أمرتُك بطاعتي فخالفت أمري وعصيتني ، فعلى قول ابن عباس — وهو الأظهر والأرجح — يكون في الكلام وإضمارٌ وحذف ، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ، وإنما حُذِفَ بعض الكلام لدلالة السياق عليه ، ونظيره قولهم : أمرته فأساء إليّ ، ليس المعنى أمرته بالإساءة فأساء إليّ ، إنما يفهم منه أنه أمره بالإحسان فأساء إليه ، وانظر ما ردَّ به أبو حيان في البحر المحيط ١٧/٦ على الزمخشري صاحب الكشاف ، فقد أجاد فيه وأفاد ، وهو بحث شيق .

(٢) سورة النحل آية ٩٠ وتامها ﴿ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعْظُمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

(٣-٥) انظر الآثار في الطبري ٥٦/١٥ والقرطبي ٢٣٤/١٠ والبحر المحيط ١٩/٦ قال أبو حيان نقلاً عن الرازي : وكما أن قوله : أمرته فعصاني يدلُّ على أن المأمور به شيء غير الفسق ، لأن الفسق عبارة عن الإتيان بضدِّ المأمور به ، فكونه فسقاً يُنافي كونه مأموراً به ، كما أن كونه معصيةً يُنافي كونها مأموراً بها ، فوجب أن يدلُّ هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق ، ثبت أن الحقَّ ما ذكره المفسرون ، وهو أن المعنى : أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطَّاعَةُ ، والقومُ خالفوا ذلك عناداً وأقدموا على الفسق . اهـ .

والقول الثاني : في معنى ﴿ أَمَرْنَا ﴾ :

قال مَعْمَرٌ عن قتادة قال ﴿ أَمَرْنَا ﴾ : أَكْثَرْنَا .

قال الكسائي : يجوز أن يكون « أَمَرْنَا » بمعنى « أَمَرْنَا » من الإِمارَةِ ، وأنكر أن يكون « أَمَرْنَا » بمعنى أَكْثَرْنَا ، وقال : لا يُقال في هذا إلَّا آمَرْنَا .

قال أبو جعفر : وهذا القول الثالث — أعني قول الكسائي — ينكره أهل اللغة .

وقد حكى أبو زيد وأبو عبيدة أنه يُقال : « أَمَرْنَا » بمعنى أَكْثَرْنَا^(١) .

ويُفَوِّي ذلك الحديث المرفوع (خيرُ المالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ ، ومُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ)^(٢) .

والسُّكَّةُ المأْبُورَةُ : النَّخْلُ المُلَقَّحُ ، والمُهْرَةُ المَأْمُورَةُ : الكثيرةُ النَّسْلِ .

-
- (١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٧٢/١ فقد قال فيه ﴿ أَمَرْنَا مترفها ﴾ أي أَكْثَرْنَا مترفها من قوتهم : أَمَرَ بنو فلان أي كثروا ، فخرج على تقدير قوتهم : عَلِمَ فلانٌ وأَعْلَمْتُهُ أنا ذلك . اهـ .
- (٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٦٨/٣ عن سويد بن هبيرة مرفوعاً بلفظ « خيرُ مالِ المرءِ له ، مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ ، أو سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ » قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الغريب : المأْمُورَةُ : كثرةُ النسل ، والسُّكَّةُ : الطريقة المصطفة من النخل ، والمأْبُورَةُ من التأبير أي التلقيح .

فَأَمَّا مَعْنَى ﴿أَمَرْنَا﴾ ففِيهِ قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا : رَوَاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : ﴿أَمَرْنَا﴾ : سَلَّطْنَا^(١) . وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو عَثْمَانَ
النَّهْدِيُّ .

وَرَوَى وَكِيعٌ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ ، عَنْ الرَّيِّعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ
أَبِي الْعَالِيَةِ أَنَّهُ قَرَأَ ﴿أَمَرْنَا﴾ مُثَقَّلَةً ، أَيَّ سَلَّطْنَا مُسْتَكْبِرِيهَا^(٢) .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي : رَوَاهُ الْكَسَائِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ ، عَنْ
الرَّيِّعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ﴿أَمَرْنَا﴾ أَيَّ أَكْثَرْنَا^(٣) .

وَلَيْسَ بِمُبْعَدٍ مَا رَوَاهُ الْكَسَائِيُّ ، وَيَكُونُ مِثْلُ : سَمِنَ الدَّابَّةُ ،
وَسَمَّنَتْهُ ، وَأَسَمَّنَتْهُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذَا أَوْلَى ، قَالَ جَلٌّ وَعَزٌّ ﴿فَفَسَقُوا﴾
فِيهَا ﴿فَوْصَفَ أَنَّهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَالْقَرْيَةُ الْوَاحِدَةُ لَا تُوصَفُ إِنَّ فِيهَا جَمَاعَةً
أَمْراءَ^(٤) .

(١) الْأَثَرُ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ ٥٨/٥ قَالَ وَالْمَعْنَى : سَلَّطْنَا أَشْرَارَهَا فَعَصَوْا فِيهَا ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ
أَهْلَكْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ . اهـ .

(٢-٣) انْظُرِ الطَّبْرِيَّ ٥٦/١٥ وَالْبَحْرَ الْمَحِيْطَ ١٩/٦ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : أَكْثَرْنَا مُتَرَفِيهَا أَيَّ جَبَابِرَتِهَا
فَفَسَقُوا فِيهَا وَعَمَلُوا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ . وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ الصَّحِيحِينَ
قَالَتْ — أَيَّ زَيْنَبَ — يَا رَسُولَ اللَّهِ « أَنْهَلُكُمْ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا كَثَرَ الْحَبْثُ » .

(٤) قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ : الْجَيْدُ فِي « أَمَرْنَا » أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى كَثَرْنَا ، وَاسْتَدَلَّ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى صِحَّةِ =

إن قيل : يكون واحداً ، فقد قيل : وهذا خصوص ، والهلاك
بالكثرة ، فتكثر المعاصي .

فأما معنى : « ءَامَرْنَا » فأكثرنا كذلك .

قال الحسن : ويحتمل معنى « آمرنا » أكثرنا عَدَهُمْ ، وأكثرنا
يَسَارَهُمْ ، وحقيقة أَمَرَ : كثرت أَمْلَاكُهُ من مال ، أو غير ذلك من
حاله ، ومنه ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا ﴾^(١) .

قال الكسائي : عظيماً^(٢) .

وقال هارون في قراءة أبي ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً نَبْعَثْ
فِيهَا أَكَابِرَ مَجْرِمِيهَا ، فَمَكُرُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ﴾^(٣) .

= هذه اللغة بما جاء في الحديث « ومُهْرَةٌ مأمورة » أي كثيرة النسل ، يُقال : أَمَرَ اللهُ المهرة أي
كثُر ولدها ، ومن أنكر أَمَرَ اللهُ القومَ بمعنى كَثَرَهُمْ ، لم يُلفت إليه ، لثبوت ذلك لغةً ، ثم قال :
وقد يكون « آمرنا » بالتشديد بمعنى : وليناهم وصيرناهم أمراء ، واللازم من ذلك أَمَرَ فلان : إذا
صار أميراً أي وَلِيَ الأمر . اهـ باختصار من البحر المحيط ٢٠/٦ .

(١) سورة الكهف آية ٧١ .

(٢) كذلك هو في الطبري ﴿ إِمْرًا ﴾ أي عظيماً ، قال ابن جرير ٥٦/١٥ : العرب تقول للشيء
الكثير : أَمَرَ ، لكثرتة ، فأما إذا وُصِفَ القومُ بأنهم كثروا فإنه يُقال : أَمَرَ بنو فلان ، وأَمَرَ القوم
يَأْمُرُونَ إِمْرًا ، وذلك إذا كثروا وعَظُمَ أمرهم ، والأمرُ المصدرُ ، والإسمُ الإِمْرُ ، وحكي في مثل شرِّ
إِمْرٍ أي كثير .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ، وهي محمولة على التفسير ، لا على أنها قراءة سبعية فتنية .

فأما معنى « آمَرْنَا » فلا يكاد يُعرف ، لأنه إنما يُقال : أَمَرَ القومُ : إذا كَثُرُوا ، وَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَي أَكْثَرَهُمْ ، ولا يُعرف « أَمَرَهُمُ اللَّهُ » ^(١) .

٢٥ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ﴾ [آية ١٨] .

﴿ الْعَاجِلَةَ ﴾ أي الدنيا ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ﴾ وتقرأ « مَا يَشَاءُ » ^(٢) .

قال أبو جعفر : والمعنيان واحدٌ ، أي ما شاء الله .

ويجوز أن يكون لِـ « مَنْ » .

٢٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ [آية ١٨] .

أي مُبَاعِداً . يُقال : دَحَرَهُ ، يَدْحَرُهُ ، دَحْرًا ، ودُحُورًا : إذا أَبْعَدَهُ ^(٣) .

(١) أنظر البحر المحيط ٢٠/٦ فقد خالف رأي المصنف فيما ذهب إليه .

(٢) لم أرها في القراءات السبع المتواترة ، وهي من حيث اللغة محتملة .

(٣) قال ابن جرير ٥٩/١٥ ﴿ مَدْحُورًا ﴾ أي مُبْعَدًا مُقْصَى في النار . وفي البحر ٢١/٦ : ﴿ مَذْمُومًا ﴾ إشارة إلى الإهانة ﴿ مَدْحُورًا ﴾ إشارة إلى البُعد ، والطرْد من رحمة الله .

ثم أخبر تعالى أنه يرزق المؤمن والكافر ، فقال : ﴿ كَلَّا لَئِمْدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ .

٢٧ — وقوله جل ذكره ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ .. ﴾ [آية ٢٣] .

روى مبارك عن الحسن قال : ﴿ قَضَى ﴾ : أمر ألا تعبدوا إلا إياه^(١) .

وروى سفيان عن الأعمش قال : قرأ عبد الله بن مسعود « ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه »^(٢) .

٢٨ — ثم قال تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا .. ﴾ [آية ٢٣] .
أي وأمر أن تحسنوا بالوالدين إحساناً .

٢٩ — وقوله جل وعز ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفْ .. ﴾ [آية ٢٣] .

(١) الأثر في الطبري ٦٢/١٥ وزاد المسير ٢١/٥ عن ابن عباس ، ورواه ابن جريير عن الحسن بلفظ : « جاء رجل إلى الحسن ، فقال : إنه طلق امرأته ثلاثاً ، فقال : إنك عصيت ربك ، وبانت منك امرأتك ، فقال الرجل : قضى الله ذلك عليّ ، قال الحسن — وكان فصيحاً — : ما قضى الله أي ما أمر الله وتلا الآية .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، لأنها مخالفة لسواد المصحف ، وينبغي أن تُحمل على التفسير كما قال في البحر ٢٥/٦ .

رُوي عن مجاهد أنه قال : لا تَسْتَقِلْهُمَا كما كانا
لا يستقدرانك^(١) .

والمعنى عن أهل اللغة : لا تَسْتَقِلْهُمَا ، ولا تُغْلِظْ عليهما في
القول ، والناس يقولون لما يستَقِلُونَهُ « أَفُّ لَهُ » .

وأصل هذا أن الإنسان إذا وقع عليه الغبار ، أو شيء يتأذى
به نَفَحَهُ فقال : أَفُّ .

وقيل : إنَّ « أَفُّ » : وَسَخُ الْأَظْفَارِ ، وإنَّ « التُّفُّ » الشيءُ
الحقير ، نحو وَسَخِ الْأُذُنِ^(٢) ، والقول الأولُ أَعْرَفُ .

٣٠ - ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَلَا تُنْهَرُفْهُمَا ﴾ أي لا تُكَلِّمَهُمَا بصياح ،
ولا بضَجَر .

يُقال : نَهَرَهُ ، وَانْتَهَرَهُ ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ^(٣) .

وَيَبِّينُ هذا بقوله ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [آية ٢٣] .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٦٤/١٥ والسيوطي في الدر ٤١/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ،
ولفظه ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفُّ ﴾ فيما تُمِيطُ عَنْهُمَا مِنَ الْأَذَى ، من الخلاء والبول ، كما كانا
لا يقولانه فيما كانا يميطان عنك من الخلاء والبول .

(٢) قال الطبري ٦٤/١٥ : اختلف أهل المعرفة في معنى « أَفُّ » فقال بعضهم : معناه كُلُّ ما
غَلِظَ مِنَ الْكَلَامِ وَقَبِحَ ، وقال آخرون : الْأَفُّ : وَسَخُ الْأَظْفَارِ ، وَالتُّفُّ : كُلُّ شيءٍ حقيرٍ رفعتَه
بيدك من الأرض .

(٣) في المصباح المنير : نَهَرْتُهُ نَهْرًا مِنْ بَابِ نَفَعَ وَانْتَهَرْتُهُ : زَجَرْتُهُ .

٣١ - وقوله جل وعز : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [آية ٢٤] .

قرأ سعيد بن جبير ، ويحيى بن وثاب ، وعاصم الجحدري
﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ بكسر الذال^(١) .
ومعنى الضم : كنّ لهما بمنزلة الذليل المقهور ، إكراماً ،
وإعظاماً ، وتبجيلاً .

وروى هشام بن عروة عن أبيه - وبعضهم يقول عن
عائشة - ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ هو أن
يطيعهما ، ولا يمتنع من شيء أراداه^(٢) .

وقال عطاء : لا ترفع يدك عليهما^(٣) .

وقال سعيد بن المسيب : هو قول العبد المذنب ، للسيّد الفظّ
الغليظ^(٤) .

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المختضب لابن جني ١٨/٢ وقال : الذُّلُّ في الدابة ضدّ الصعوبة ، والذُّلُّ للإنسان ، وهو ضدّ العِزِّ ، اهـ وكذلك قال الطبري : إنها بالكسر من الذُّلُول من قولهم : دابة ذلول .

(٢) في المخطوطة أراداه ، وصوابه « أراداه » لأنه مثني ، والأثر في الطبري ٦٦/١٥ قال : لا تمتنع من شيء أحبّاه .

(٣-٤) انظر الآثار في الطبري ٦٥/١٥ والدر المنثور ١٧١/٤ .

ويُقال : ذَلٌّ ، يَذُلُّ ، ذُلًّا ، وَذَلَّةٌ ، وَمَذَلَّةٌ ، فهو ذالٌّ ..
وذليلٌ ^(١) .

ومعنى الذلُّ بالكسر : السَّمْحُ عنهما يُقال : رجلٌ ذليلٌ بَيْنُ
الذَّلِّ : إذا كان سَمَحاً لِيَنَّا مَوَاتِياً .

وكذلك يُقال : دَابَّةٌ ذُلُولٌ : بَيْنُ الذَّلِّ ، إذا كان مَوَاتِياً ، ومنه
﴿ وَذَلَّلْتُ قُطُوفَهَا تَذْلِيلًا ﴾ ^(٢) .

٣٢ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ
لَلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [آية ٢٥] .

رَوَى شُعْبَةُ عَنْ أَبِي يَشْرِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ :
الْأَوَّابُونَ : الرَّاجِعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ^(٣) .

كما في قول الله ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ^(٤) .

قال أبو جعفر : قُرِئَ عَلَى الْفَرَبَائِيِّ عَنْ قَتِيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ

(١) في الصحاح ١٧٠١/٤ : الذَّلُّ : ضِدُّ الْعِزِّ ، وَرَجُلٌ ذَلِيلٌ : بَيْنُ الذَّلِّ وَالْمَذَلَّةِ ، وَالذَّلُّ بِالْكَسْرِ :
اللَّيْنُ ، وَهُوَ ضِدُّ الصَّعْبَةِ ، يُقَالُ : دَابَّةٌ ذُلُولٌ : بَيْنَةُ الذَّلِّ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : « بَعْضُ الذَّلِّ أَبْقَى
لِلْأَهْلِ وَالْمَالِ » اهـ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٤ .

(٣) الأثر في الطبري ٧٠/١٥ والدر المنثور ١٧٢/٤ وعزاه السيوطي إلى البيهقي في شعب الإيمان .

(٤) سورة ص آية رقم ١٧ وتامها ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .

لَهَيْعَةَ^(١) ، عن أبي هُبَيْرَةَ ، عن حَنْشِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عن ابن عباس أنه قال : **الْأَوَابُ** : الحفيظ ، الذي إذا ذَكَرَ خطاياهُ استغفر منها^(٢) .

وَرَوَى سَفِيَّانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، عن عُبيد بن عمير في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴾ قال : هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلا ، ثم يستغفرون الله^(٣) .

وَرَوَى يَحْيَى بن سَعِيدٍ ، عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ﴿ **الْأَوَابُ** ﴾ : الذي يُذنب ثم يتوب ، ثم يُذنب ثم يتوب ، ثم يُذنب ثم يتوب^(٤) .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة ، والأصل في هذا أنه يُقال : آبٌ ، يعُوبُ : إذا رَجَعَ ، فهو آيِبٌ ، و« **أَوَابٌ** » على التكاثر^(٥) .

(١) هو « عبدالله بن لهيعة » قال في التقریب ٤٤٤/١ : لهيعة : بفتح اللام وكسر الهاء ، ابن عتبة الحضرمي ، أبو عبد الرحمن المصري ، صدوق ، من السابعة ، خلط بعد احتراق كتبه ، مات سنة ١٧٤ هـ وانظر تفصيل الأقوال فيه في تهذيب التهذيب ٣٧٣/٥ ..
(٢-٤) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ٧٠/١٥ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٦/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٧٢/٤ .

(٥) قال الزجاج : **الْأَوَابُ** : هو التَّوَابُ المقلع عن جميع ما نهاه الله عنه ، يُقال : آبٌ ، يعُوبُ ، أَوْبًا : إذا رجع . وقال الطبري ٥١/١٥ : **الْأَوَابُ** هو التائب من الذنب ، الراجع من معصية الله إلى طاعته ، لأن **الْأَوَابَ** « فَعَالٌ » من قول القائل : آب فلانٌ من كذا إذا رجع ، قال الشاعر : « وغائبُ الموت لا يُتُوب » أي لا يرجع .

٣٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ [آية ٢٦] .

قال عكرمة : أي صِلته التي تريد أن تصله بها (١) .

٣٤ — ثم قال تعالى ﴿ وَالْمَسْكِينِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَلَا تُبْذَرِ
تَبْذِيرًا ﴾ [آية ٢٦] .

رَوَى حُصَيْنٌ عَنْ عَكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : التَّبْذِيرُ : النَّفَقَةُ
فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ (٢) .

وكذلك رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ .

﴿ إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ .

معنى « إخوان الشياطين » أي في المعصية .

لَمَّا عَصَوْا وَعَصَا أَوْلَئِكَ ، جَمَعْتَهُمُ الْمَعْصِيَةَ ، فَسُمُّوا إِخْوَانًا ،
وَكُلَّمَا جَمَعَتْ شَيْئًا إِلَى شَيْءٍ ، فَقَدْ آخَيْتَ بَيْنَهُمَا ، وَمِنْهُ إِخَاءُ النَّبِيِّ لِلَّهِ
بَيْنَ أَصْحَابِهِ (٣) .

٣٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّمَا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ
تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴾ [آية ٢٨] .

(١-٢) انظر الطبري ٧١/١٥ والقرطبي ٢٤٧/١٠ والبحر المحيط ٣٠/٦ والدر المنثور ١٧٦/٤ .

(٣) هذا عند الهجرة لما آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وهذا أمر مشهور .

قال قتادة : أي عِدهم^(١) .

وقال عكرمة : إن أعرضت عنهم لرزقٍ تنتظره ، فعِدهم ،
وقل لهم : سيكون ، فإذا جاءنا شيء أعطيناكم^(٢) .

وقال الحسن : ﴿ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ أي لِينًا^(٣) .

والمعنى عند أهل اللغة : يسرّ فقرهم عليهم ، بدعائك
لهم^(٤) .

٣٦ — ثم قال جلّ وعز : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ،
وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [آية ٢٩] .

قال قتادة : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ أي
لا تمتنع من النفقة في الطاعة [﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾]^(٥) أي
لا تنفق في معصية .

(١-٣) في الدر : ﴿ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ أي لِينًا سهلاً ، سيكون إن شاء الله . اهـ وقال البخاري في
التفسير ١٠-٤/٦ ﴿ ميسوراً ﴾ لِينًا .

١٠٤/٦ ﴿ ميسوراً ﴾ لِينًا .

(٤) قال في البحر ٣٠/٦ : نزلت في قوم كانوا يسألون رسول الله ﷺ فيأبى أن يعطيهم ، لأنه كان

يعلم منهم نفقة المال في فساد ، فكان يُعرض عنهم لئلا يعينهم على فسادهم ، فأمره تعالى أن
يقول لهم قولاً ميسوراً يتضمن الدعاء لهم بالإصلاح ، قال ابن زيد : والرحمة يراد بها الأجر
والتواب . اهـ وقد ذكر هذه الرواية الطبري ، ورجح أن المراد الرفق بالسائل إن لم يكن عنده شيء .

(٥) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه ليستقيم الكلام ، وفي المخطوطة ﴿ وَلَا تَبْذُرْ
تَبْذِيرًا ﴾ أي لا تنفق في معصية ، فتقعد ملوماً محسوراً ، وآية التبذير قد تقدّمت وليس هنا
مكانها ، ولذلك وقع الخلط بين الآيتين .

﴿ فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ قال عكرمة وقتادة : أي نادماً .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ فَتَقْعَدَ مَلُومًا ﴾ قال : مذنباً
أو آثماً ﴿ مَحْسُورًا ﴾ قد انقطع بك ^(١) .

قال أبو جعفر : وكذلك المحسور في اللغة ، يُقال : حَسَرَهُ
السَّفَرُ ، إذا انقطع به ، وكذلك البعيرُ حَسِيرٌ ، ومحسورٌ : إذا انقطع
ووقف ، وهو أشدُّ من الكلال ^(٢) .

٣٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
إِإِمْلَاقٍ .. ﴾ [آية ٣١] .

الإملاق : الفقر ، وكانوا يثدون بناتهم .

(١) الآية وردت مورد التمثيل كما قال أهل البيان ، فقد مثل للبخيل بالذي حبست يده عن الإعطاء ،
وشدَّت بجبل إلى العنق ، بحيث لا يقدر على مدِّها ، وشبَّه المسرفُ بمن يَسْطُ كَفَّهُ وأنفق ما فيها
بحيث لم يحفظ شيئاً ، والمعنى كما قال المفسرون : لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً ،
ولامسرفاً مبدراً لا تترك في يدك شيئاً . فتصبح مذموماً من الله والناس ، منقطعاً من المال ،
كالمسافر الذي انقطع في سفره ، يفقد ماله وانقطاع مطبته .

(٢) قال الزجاج : المحسور : الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء . وقال ابن قتيبة :
﴿ مَحْسُورًا ﴾ منقطعاً ، تحسرك العطية وتقطعك ، كما يحسِرُ السَّفَرُ البعيرَ فيبقى منقطعاً به .
أهـ قال القاضي أبو يعلى : وهذا الخطاب أريد به غير الرسول ﷺ ، لأنه لم يكن يدخر شيئاً
لنفسه ، وكان يجوع حتى يشدَّ الحجر على بطنه ، وقد كان كثير من فضلاء الصحابة ينفقون جميع
ما يملكون ، فلم ينهم الله ، لصحة يقينهم ، وإنما نهي من خيف عليه التحسر على ما خرج
من يده ، فأما من وثق بوعده الله تعالى فهو غير مراد بالآية . أهـ زاد المسير ٣٠/٥ .

٣٨ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا ﴾ [آية ٣١] .

بكسر الخاء ، والمد .

وروي عن الحسن : « كَانَ خَطَاءً » بفتح الخاء ، والمد .

قال أبو جعفر : وأعرف هذه القراءات عند أهل اللغة ﴿ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا ﴾ (١) .

قال ابن جريج — وزعم أنه قول ابن عباس — وهو قول مجاهد : الخِطَأُ : الخطيئة .

قال أبو جعفر : وهذا المعروف في اللغة ، يُقال : خَطِئَ ، يَخْطِئُ ، خِطَأً : إذا أِثْمَ وتعمد الذنب ، وقد حُكي في المصدر خَطَأً . وأخطأ ، يُخْطِئُ ، إخطاءً ، والإِسْمُ الخَطَأُ : إذا لم يتعمد الذنب (٢) .

(١) قرأ ابن كثير ﴿ كَانَ خِطَاءً ﴾ وقرأ ابن عامر ﴿ كَانَ خَطَأً ﴾ بغير مد ، وقرأ الجمهور ﴿ كَانَ خِطَأً ﴾ بكسر الخاء مع القصر ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٨٠ .

(٢) هذا هو المشهور عند علماء اللغة ، أن خَطِئَ يَخْطِئُ بمعنى أذنب ، ومنه قوله تعالى ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ وأما أخطأ يخطئ فهو ما يفعله الإنسان خطأ بدون قصد ، فهذا هو الفارق بين الخاطيء والخطيء ، وانظر معاني الأخفش ٦٦١/٢ وفي البخاري في كتاب التفسير ١٠٤/٦ ﴿ خِطَأً ﴾ : إثماً ، وهو اسمٌ من خَطِئْتُ ، والخطأ مفتوحٌ مصدره من الإثم ، خَطِئْتُ بمعنى أخطأت اهـ .

فأما قراءة من قرأ « كان خطاء »^(١) بالكسر والمذ ، والفتح والمذ ، فلا يُعرف في اللغة ، ولا في كلام العرب .

٣٩ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .. ﴾ [آية ٣٣] .

يُن هذا الحديث (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث
خلال : شرك بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير
نفس)^(٢) .

٤٠ — ثم قال جلّ وعز : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ
سُلْطَانًا .. ﴾ [آية ٣٣] .

اختلف المتقدمون من العلماء في « السلطان » الذي جعل
للولي ؟

(١) هذه قراءة ابن كثير ، وما ورد من القراءات عن رسول الله ﷺ بطرق متواترة كالقراءات السبع ، حاكم على اللغة ، فتنبه له فإنه دقيق .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الديات ٦/٩ ومسلم في القسامة رقم ١٦٧٦ وأبو داود في الحدود رقم ٤٣٥٢ والترمذي في الديات رقم ١٤٠٢ والنسائي ٩٠/٧ في تحريم الدم ، ولفظ الصحيحين (لا يحل دم امرئ مسلم — يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله — إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) .

فَرَوَى خُصِيفٌ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : حُجَّتُهُ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُ ، أَنْ
يَقْتُلَ قَاتِلَهُ^(١) .

وذهب جماعة من العلماء ، إلى أنَّ هذا هو السلطان الذي
جُعِلَ لَهُ ، وأنه ليس له أَنْ يأخذ الدِّيةَ ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الْقَاتِلُ .

وقال الضحَّاكُ فِي السُّلْطَانِ الَّذِي جُعِلَ لَهُ : إِنْ شَاءَ قَتَلَ ،
وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيةَ ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا^(٢) .

والقولُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ^(٣) ، قَوْلُ مُجَاهِدٍ : إِنَّ
السُّلْطَانَ ههنا الْقَوْدُ خَاصَّةً ، لَا مَا سِوَاهُ .

وذهب الشافعي رحمه الله إلى قول الضحَّاك ، غير أنه قال : كَانَ
يَسْتَحِقُّ إِذَا عَفَا أَخَذَ الدِّيةَ ، اشْتَرَطَ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يَشْتَرِطْهُ ، وَالْحُجَّةُ لَهُ
﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾^(٤) .

(١-٢) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ٨١/١٥ والقرطبي ٢٥٥/١٠ وزاد المسير ٣٢/٥
ورجح ابن جرير قول الضحَّاك ، وهو أيضاً قول ابن عباس ، فقال : « وأولى التأويلين بالصواب
ما قاله ابن عباس أن لولي القَتيل ، القتل إن شاء ، وإن شاء أخذ الدية ، وإن شاء العفو ،
لصحة الخبر بذلك عن رسول الله » .

(٣) المراد بأهل الكوفة أصحاب الإمام أبي حنيفة ، والمراد بأهل المدينة أصحاب مالك ، ورحمهما الله
تعالى .

(٤) سورة البقرة آية (١٧٨) والشاهد فيها قوله تعالى ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ
بِالمعروف وأداءً إليه بإحسان﴾ أي له حق المطالبة بالدية ، وعلى القاتل أن يدفعها بإحسان ، بلا
مطلب ولا بخس ، فقد أوجبت الآية له الدية .

والحديث « وليُّ المقتول بأحدِ النظَّيرين » (١) .

٤١ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ [آية ٣٣] .

وَرَوَى خُصَيْفٌ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : لَا يَقْتُلُ غَيْرَ قَاتِلِهِ (٢) .

وَرَوَى مَنْصُورٌ عَنْ طَلْحِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ : لَا تَقْتُلْ غَيْرَ قَاتِلِكَ ، وَلَا تُمَثِّلْ بِهِ (٣) .

وَرَوَى خُصَيْفٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : لَا يَقْتُلُ اثْنَيْنِ بَوَاحِدٍ (٤) .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ الضَّحَّاكِ قَالَ : لَا يَقْتُلُ أَبَا الْقَاتِلِ وَلَا ابْنَهُ (٥) .

وَقَرَأَ خُذِيفَةَ ﴿ فَلَا تُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ (٦) بِالتَّاءِ .

(١) الحديث أخرجه البخاري في الديات ٦/٩ باب من قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين ، والنسائي في القسامة ٣٧/٨ ولفظ النسائي (من قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين : إما أن يُقَادَ ، وإما أن يُفْدَى) وانظر الروايات مفصلة في جامع الأصول ٢٤٥/١٠ .

(٢-٥) انظر الآثار في الطبري ٨٢/١٥ والقرطبي ٢٥٥/١٠ وزاد المسير ٣٣/٥ والدر المنثور ١٨١/٤ وتفسير ابن كثير ٧١/٥ .

(٦) هذه قراءة حمزة والكسائي وابن عامر ﴿ فَلَا تُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ بِالتَّاءِ ، وقرأ الباقر بالياء مجزوماً ﴿ فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ والقراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٨٠ والنشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢ وأما قراءة ﴿ فَلَا يُسْرِفُ ﴾ بالرفع ، فعدها ابن جني في المحتسب ٢٠/٢ من القراءات الشاذة .

وَرَوَى الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : هُوَ لِلْقَاتِلِ
الْأَوَّلِ .

والمعنى عنده على هذا : فلا تُسْرِفْ أَيُّهَا الْقَاتِلُ .

٤٢ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [آية ٣٣] .

رَوَى ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : « إِنَّ الْمَقْتُولَ كَانَ مَنْصُورًا ،
ومعنى قوله : أَنَّ اللَّهَ نَصَرَهُ بَوْلِيَّهِ » (١) .

وَرَوَى أَنَّهُ فِي قِرَاءَةِ أَبِي ﴿ فَلَا تُسْرِفُوا فِي الْقَتْلِ ﴾ (٢) إِنَّ وَلِيَّ
الْمَقْتُولِ كَانَ مَنْصُورًا .

قال أبو جعفر : الأبينُ بالياء ، وتكونُ للوليِّ ، لأنه إنما يُقال
« لَا يُسْرِفُ » لمن كان له أن يَقْتُلَ ، فهذا للوليِّ .

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٨٣/١٥ عن عبد الله بن كثير عن مجاهد ، ورواه في الدر المنثور
١٨١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ورجح ابن جرير القول الأول أن الضمير راجع
للولي فقال : « وأشبه ذلك بالصواب عندي قول من قال : غَنَى بِهَا الْوَلِيُّ ، وعليه عادت ، وهي
إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول ، وهو المنصور أيضاً ، لأن الله جلَّ ثناؤه قضى في كتابه المنزل ،
أن سلطه على قاتل وليه ، وحكمه فيه ، بأن جعل إليه قتله إن شاء ، واستبقاه على الدية إن
أحبَّ ، والعفو عنه إن رأى ، وكفى بذلك نُصرةً له من الله جلَّ ثناؤه » .
(٢) هذه ليست من القراءات السبع ، وهي قراءة شاذة ، محمولة على التفسير .

وقد يجوز بالتاء ، ويكون للولي أيضاً ، إلا أنه يحتاج فيه إلى تحويل المخاطبة^(١) .

٤٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ [آية ٣٤] .

قال محمد : سألت عبيدة عن قوله تعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٢) .

فقال : يستقرض ، فإذا استغنى رد ، ثم تلا ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ .

وقال أبو العالية نحوه من هذا .

وقال عمر بن الخطاب — رحمه الله عليه — ما يقوِّي هذا .

حدثنا أبو جعفر « أحمد بن محمد النحوي » قال : حدثنا الحسن بن غليب قال : نا يوسف بن عدي ، قال : نا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن يرقا — مولى عمر — قال : قال عمر بن

(١) أي على هذه القراءة ﴿ فَلَا تُسْرِفْ ﴾ بالتاء ، يكون في الآية التفات ، من الغيبة إلى الخطاب ، اهتماماً بالأمر .

(٢) سورة النساء آية رقم (٦) وتامها ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٥٥/٤ عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني .

الخطاب رضوان الله عليه : يا يرفا إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم ، إذا احتججت أخذت منه ، فإذا أيسرت رددته ، وإنسي إن استعنيت استعففت عنه ، فإني قد وليت من أمر المسلمين أمراً عظيماً^(٤) .

وقال سعيد بن المسيب : لا يشرب الماء من مال اليتيم ، قال فقلت له : إن الله يقول ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيْرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ؟ قال فقال : إنما ذلك لخدمته ، وغسل ثوبه^(٢) .

وروى أبو يحيى ، وليث ، عن مجاهد قال : لا تقرب مال اليتيم إلا للتجارة ، ولا تستقرض .. قال : فأما قوله تعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيْرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فإنما معناه : فليأكل من ماله بالمعروف ، يعني من مال نفسه^(٣) .

وقال بهذا جماعة من الفقهاء ، وأهل النظر ، حتى قال أبو

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٥٥/٤ وابن كثير ١٩٠/٢ قال الحافظ ابن كثير : « قال الفقهاء : له أن يأكل من مال اليتيم أقل الأمرين : أجره مثله ، أو قدر حاجته ، واختلفوا هل يرد إذا أيسر على قولين : أحدهما : لا ، لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيراً ، وهذا هو الصحيح عند الشافعي ، لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل . والثاني : نعم ، لأن مال اليتيم على الحظر ، وإنما أيسر للحاجة فيرد بدله » اهـ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٥٧/٤ والدر المنثور للسيوطي ١٢١/٢ .

(٣) انظر جامع البيان لابن جرير ٢٥٩/٤ وابن كثير ١٩٠/٢ والسيوطي في الدر ١٢١/٢ .

يوسف : لعلَّ قوله ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ منسوخ^(١) بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾^(٢) .

٤٤ — ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ .. ﴾ [آية ٣٤] .

وبيانُ هذا في قوله ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾^(٣) .

قال مجاهد : أي الحُلُم^(٤) .

٤٥ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ .. ﴾ [آية ٣٥] .

رَوَى ابنُ جُرَيْجٍ عن مجاهد قال : الْقِسْطَاسُ : الْعَدْلُ^(٥) .

وقال الضَّحَّاكُ : هو المِيزَانُ^(٦) .

٤٦ — ثم قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [آية ٣٥] .

(١) في المخطوطة « منسوخاً » وهو خطأ ، وصوابه « منسوخ » وقد كتبت الكلمة على هامش المخطوطة .

(٢) سورة النساء آية رقم ٢٩ .

(٣) سورة النساء آية ٦ وأولها ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ .

(٤) انظر الأثر في الطبري ٢٥٢/٤ وابن كثير ١٨٧/٢ والدر المنثور ١٢١/٢ .

(٥-٦) انظر الآثار في الطبري ٨٥/١٥ وزاد المسير ٣٤/٥ وتفسير ابن كثير ٧١/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٨٢/٤ وفي رواية عن مجاهد أنه القَبَانُ ، وقال ابن الجوزي : القسطناسُ : المِيزَانُ رومِيٌّ معرَّبٌ . اهـ أقول : الصحيح أن كل ما في القرآن عربي ، وهذا مما توافقت فيه اللغات ، كما نبه عليه أهل التحقيق لقوله سبحانه ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ .

قال قتادة : أي أحسنُ عاقبةً^(١) .

أي ما يتول إليه الأمر ، في الدنيا والآخرة .

وقيل : أحسنُ من التَّقْصَانِ .

٤٧ — وَقُولُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ .. ﴾ [آية ٣٦] .

رُوي عن ابن عباس قال : لَا تَقُلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴿ إِنَّ
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ قال : يُسأل
أَكَانَ ذاك أم لا^(٢) ؟ .

وقال ابنُ الحَنْفِيَّةِ — رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ — : هذا في شَهَادَةِ
الزُّورِ^(٣) .

وَرَوَى حَجَّاجٌ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ قَالَ :
﴿ لَا تَقُفْ ﴾ لَا تَرْتَمِ^(٤) .

(١) الأثر في الطبري ٨٥/١٥ وابن كثير ٧١/٥ والدر المنثور ١٨٢/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن
أبي حاتم ، ولفظه « خير ثواباً وعاقبة » وقال ابن كثير : أي خير مآلاً ومنقلباً في آخرتكم .
(٢—٤) انظر الآثار في الطبري ٨٦/١٥ وابن كثير ٧٢/٥ والبحر المحيط ٣٦/٦ قال أبو حيان :
لَمَّا أَمَرَ تَعَالَى بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : الْإِيْفَاءَ بِالْعَهْدِ ، وَالْإِيْفَاءَ بِالْكَيْلِ ، وَالْوِزْنَ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ، أَتْبَعَ
ذَلِكَ بِثَلَاثَةِ مَنَاهٍ « وَلَا تَقُفْ » « وَلَا تَمْشِ » « وَلَا تَجْعَلْ » ومعنى : وَلَا تَقُفْ : لَا تَتَّبِعْ مَا لَا عِلْمَ
لَكَ بِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، فَهِيَ تَعَالَى أَنْ نَقُولَ مَا لَا نَعْلَمُ ، وَأَنْ نَعْمَلَ بِمَا لَا نَعْلَمُ .. اهـ

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد ، وهو
من قَفَوْتُ الشَّيْءَ : أي اتَّبَعْتُ أثره^(١) ، والمعنى : لا تُتَبِعَنَّ لسانك ما
لم تَعْلَمْهُ ، فتتكلَّم بالحدس والظن .

وحكى الكِسائي : ﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾ من القيافة ، وهو بمعنى
الأول ، على القلب^(٢) .

٤٨ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا .. ﴾ [آية ٣٧] .
أي متكبراً ، مُتَبَدِّخاً^(٣) .

٤٩ — ثم قال جَلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ
طُولًا ﴾ [آية ٣٧] .

فيه لأهل اللغة قولان :

(١) في الصحاح ٢٤٦٦/٦ : قَفَوْتُ أثره قَفْوًا : أي اتَّبَعْتُهُ ، وَقَفَيْتُ على أثره بفلانٍ أي اتَّبَعْتُهُ
إِيَّاه . اهـ .

(٢) ردُّ هذا القول ابن جرير في جامع البيان ٨٧/١٥ فقال : « وزعم بعض أهل العربية من أهل
الكوفة أن أصله القيافة ، وهي اتِّبَاعُ الأثر ، وعلى هذا القول يجب أن تكون القراءة
﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾ مثل : لَا تَقْلُ ، والعرب تقول : قَفَوْتُ أثره ، وَقَفْتُ أثره ، مثل عاث وعشى ،
وقاعَ الحملُ الناقةَ إذا ركبها وقعاها .. ثم قال : وأولى الأقوال أن المعنى : لَا تَقْلُ للناس وفيهم ما
لأعلم لك به ، فترمهم بالباطل ، وتشهد عليهم بغير الحق ، فذلك هو الْقَفْوُ » . اهـ .

(٣) في الصحاح ٤١٨/١ : الْبَدِّخُ : الْكِبَرُ ، وَتَبَدَّدَخَ : أي تَكَبَّرَ وَعَلَا ، وَشَرَّفَ بِادِّخَ أي عَال .

أحدهما : أن المعنى : إنك لن تنقب الأرض^(١) .

والآخر : لن تقطعها كلها .

قال أبو جعفر : وهذا أبين ، كأنه مأخوذ من الحرق ، وهو الصحراء الواسعة^(٢) .

ويقال : فلان أحرق من فلان ، أي أكثر سفراً ، وغزواً منه .

٥٠ _ وقوله جل ثناؤه : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [آية ٣٨] .

ويقرأ ﴿ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾^(٣) .

(١) هذا القول رجَّحه القرطبي في تفسيره جامع الأحكام ٢٦٢/١٠ حيث قال : والمراد بحرق الأرض هنا نقبها لا قطعها بالمسافة . اهـ ورجَّح الطبري القول الثاني ٨٨/١٥ فقال : والمعنى : لا تمشي في الأرض مختالاً مستكبراً ، فإنك لن تقطع الأرض باختيالك ، وهو ما ذهب إليه المصنف ، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٨٠/١ أقول : والأظهر ما ذهب إليه القرطبي ، لأن الغرض من الآية ذم المتكبر ، والسخرية والتهكم به ، ومعنى الآية : لا تمش مختالاً مشية المُعْجَبِ المتكبر ، فأنت أيها الإنسان ضعيفٌ هزيلٌ ، لا يليق بك التكبر ، كيف تتكبر على الأرض ، ولن تجعل فيها خرقاً أو شقاً بمشيك عليها ؟ وكيف تتناول وتتعظم على الجبال ، وأنت قزَمٌ بالنسبة لها ؟ ومهما طالت قامتك فلن تبلغها طولاً ، فكيف تتكبر وتتعالى وتختال ، وأنت أضعف من الأرض والوهاد والجبال ؟ ففيه تهكم وتقريع للمتكبرين .

(٢) انظر الصحاح مادة خرق ، فقد قال الجوهري : خرقت الأرض أي جبتها ، والخرق : الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح .

(٣) هذه من القراءات السبع المتواترة ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع كما في السبعة لابن مجاهد ٣٨٠ وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ سَيِّئُهُ ﴾ بالإضافة .

وقيل : الأول أُيِّنُ ، لأنه قد تقدّم قوله ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ وأشياء حسنة وسيئة ، فقال ﴿ كُلِّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ .

وأيضاً فإنه لم يقل : مكروهة^(١) .

٥١ — ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [آية ٣٩] .

أي مُقَصَّي مَبَاعِدًا ، ومنه « اللهم ادحر عنا الشيطان » .

٥٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ أَفَأَصْنَأَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَأَتَّخِذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا .. ؟ ﴾ [آية ٤٠] .

لأنهم قالوا : الملائكة بنات الله^(٢) .. تعالى الله .

(١) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ٨٩/١٥ وعلل لذلك بوجوه ذكرها في تفسيره ، وكل من

القراءتين سبعة كما أوضحنا ، وقراءة الجمهور أولى من حيث المعنى .

(٢) روي عن قتادة أن هذا من قول اليهود قالوا : الملائكة بنات الله حكاه الطبري ، والأظهر أنه قول

مشركي العرب ، لأنهم كانوا يكرهون البنات ويزعمون أن الملائكة بنات الله ، وكانوا يقولون :

أَلْحَقُوا الْبَنَاتِ بِالْبَنَاتِ ، وهذا قول جمهور المفسرين ، قال الحافظ ابن كثير ٧٤/٥ : « يقول

تعالى راداً على المشركين الكاذبين ، الزاعمين أن الملائكة بنات الله ، فقد جعلوا الملائكة الذين

هم عباد الرحمن إناثاً ، ثم ادَّعَوْا أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ ، ثم عبدوهم من دون الله ، فقال تعالى منكراً

عليهم : أَخْصَصْكُمْ رَبُّكُمْ بِالذَّكَورِ واختار لنفسه البنات ؟ » .

٥٣ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بَتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [آية ٤٢] .

قال قتادة : المعنى : إذا لتقربوا إلى الله^(١) .

وقال سعيد بن جبير : إذا لطلبوا إليه طريقاً للوصول ، ليُزيلا ملكه جلَّ وعزَّ^(٢) .

٥٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ .. ﴾ [آية ٤٤] .

قيل : تسبيحه : دلالته على قدرة الله ، وأنه خالقه .

وأكثر أهل التفسير منهم عكرمة على أن المعنى : وإن من شيء فيه الروح إلا يُسَبِّح بحمده^(٤) .

(١-٢) انظر الطبري ٩١/١٥ وابن كثير ٧٥/٥ والقرطبي ٢٦٥/١٠ واختار ابن جرير ، وابن كثير قول قتادة وقول سعيد بن جبير أظهر — كما يقول العلامة أبو السعود — وهو المناسب للآية ، لأن قوله تعالى بعدها ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ صريح في الإنكار عليهم ، وأن قولهم فيه محذور عظيم ، وقد رجح هذا القول الشوكاني في فتح القدير ٢٣٠/٣ وذكر في القرطبي أنه قول ابن عباس أيضاً ، والمعنى : لو كان الأمر كما زعم هؤلاء المشركون ، إذا لطلبوا طريقاً إلى مغالبة ذي العرش والجلال ، ليسلبوا ملكه ، كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض ، وراموا طريقاً للمغالبة والممانعة .

(٣) هذا رأي جمهور علماء السلف : الضحاك ، وقاتدة ، والحسن البصري ، حتى قال عكرمة : الشجرة تسبح ، والأسطوانة تسبح ، والمعنى كما قال الطبري ٩٢/١٥ : ما من شيء من خلقه إلا يُسَبِّح بحمده . اهـ قال بعض المفسرين : كل ما في الوجود شاهد بوحداية الله جلَّ وعلا ، =

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى لأنه قال ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ ﴾ .

٥٥ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [آية ٤٥] .

فيه قولان :

أحدهما : أن الحجاب الطبع على قلوبهم ^(١) ، ودلّ على هذا ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ .

والقول الآخر : أن الحجاب منع الله إياهم منهم .

٥٦ — ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [آية ٤٦] .

قال أبو الجوزاء ^(٢) : الذِّكْرُ قول « لا إله إلا الله » .

= ناطقٌ بعظمته وجلاله ، السموات تسبح الله في زرقتها ، والحقول في خضرتها ، والبساتين في نُضْرَتِها ، والأشجار في حفيفها ، والمياه في خريرها ، والطيور في تغريدها ، والشمس في شروقها وغروبها « وإن من شيء إلا يُسَبِّحُ بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

(١) هذا هو القول الراجح الصحيح ، وهذا الذي اختاره الطبري ٩٣/١٥ حيث قال : « أي جعلنا

بينك وبينهم حجاباً ، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرأه عليهم ، والحجاب : الساتر » .

(٢) أبو الجوزاء هو « أوس بن عبد الله الرّبعي » البصري قال ابن حبان في الثقات : كان عابداً

فاضلاً ، وقال العجلي : بصريّ ، تابعي ، ثقة ، قُتل سنة ٨٣ في الجماجم ، وانظر ترجمته في

تهذيب التهذيب ٣٨٣/١ .

٥٧ — ثم قال تعالى ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ، إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى .. ﴾ [آية ٤٧] .

أي ذَوُو نَجْوَةٍ أَي سِرَارٍ ^(١) .

ثم بين ما يتناجون به فقال جل ثناؤه :

﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ .

في معناه قولان :

قال مجاهد : أي مخدوعاً .

وقال أبو عبيدة : أي له سَحَرٌ ، والسَّحَرُ والسَّحَرُ .

الرَّثَّةُ ^(٢) .

والمعنى عنده : « إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا بَشَرًا » أي ليس بملكٍ .

قال أبو جعفر : والقول الأول أنسب بالمعنى ، وأعرف في كلام

العرب ، لأنه يُقال : ما فلانٌ إِلَّا مَسْحُورٌ أي مَخْدُوعٌ كما قال تعالى

﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ ^(٣) .

(١) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٨١/١ ﴿ وإذ هم نجوى ﴾ هي مصدر من ناجيت ، أو اسم منها وُصف بها القوم ، والعرب تفعل ذلك كقولهم : إنما هم

عذابٌ ، وأنتم غمٌ ، فجاءت في موضع « متناجين » . اهـ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٨١/١ وفي الصحاح : السَّحَرُ : الرثَّة وكذلك السَّحَرُ ، يُقال

للجبان : قد انتفخ سَحَرُهُ .

(٣) سورة الإسراء آية ١٠١ .

أي مخدوعاً : قال الشاعر :

أَرَأَيْنا مُوضِعِينَ لِحَثْمِ غَيْبٍ
وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ^(١)

أي تُعَلِّلُ بهما فكائنا نُخَدِّعُ ، وَبُيِّنَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ اَنْظُرْ كَيْفَ
ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ !!

وقال في موضع آخر ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ
بَشَرٌ ﴾^(٢) .

٥٨ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَقَالُوا أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا .. ﴾ [آية ٤٩] .

قال مجاهد : أي ثراباً^(٣) . وهو قول الفراء^(٤) .

وقال أبو عُبيدة والكسائي : يُقال منه : رُفَتَ رُفْئاً أي
حُطِمَ^(٥) .

-
- (١) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ٩٧ وفي مجاز القرآن ٣٨٢/١ وفي جامع الأحكام ٢٧٣/١٠ وفي البيان والتبيين ١٨٩/١ وفي الطبري ٩٦/١٥ وأمثالي المرتضى ٥٧٧/١ وفي البحر المحیط ٤٤/٦ .
- (٢) سورة النحل آية ١٠٣ .
- (٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ٩٧/١٥ وزاد المسير ٤٤/٥ وابن كثير ٨١/٥ .
- (٤) انظر معاني الفراء ١٢٥/٢ فقد قال فيه : الرُّفَاتُ : الترابُ لا واحد له ، بمنزلة الدُّقَاقِ والحُطَامِ .
- (٥) مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٨٢/١ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٤/٥ .

٥٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ أَتِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ ؟ [آية ٤٩] .
أي مجدداً .

٦٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا ﴾ [آية ٥٠] .
قال مجاهد : أي ما شئتم ، فستعادون^(١) .

قال أبو جعفر : وهذا قول حسن ، لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارة ، وإنما المعنى أنهم قد أقرؤا بخالقهم ، وأنكروا البعث ، ف قيل لهم : استشعروا أن تكونوا ما شئتم ، فلو كنتم حجارة أو حديدًا ، لبعثتم كما خلقتهم أول مرة^(٢) .

٦١ — ثم قال عز وجل : ﴿ أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ .. ﴾ [آية ٥٠] .
أي يعظم .

قال ابن عمر ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك في قوله

(١) الأثر في الطبري ٩٩/١٥ وابن كثير ٨٢/٥ وعبارة الطبري : ما شئتم فكونوا فسيعيدكم الله كما كنتم .

(٢) الأمر هنا للتعجيز ، والمراد بيان قدرة الله عز وجل في إعادتهم بعد الموت ، فكأنه يقول لهم : لو كنتم حجارة أو حديدًا لقدّر الله على بعثكم وإحيائكم ، فضلاً عن أن تكونوا عظاماً ورفاتاً ، وقد ضرب لهم المثل بالحجارة والحديد لأنها أبعد شيء عن الحياة ، وهي أصلب الأشياء ، فلو كانت أجسامكم منها لأعادها الله عز وجل ، فكيف لا يقدر على إعادتكم وأنتم تراب ورفات ؟ وهذا مثل قولك للرجل : اصعد إلى السماء فياني لاحقك .

تعالى ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ : هو الموت^(١) .

وفي الحديث «أنه يُؤْتَى بالموت يوم القيامة ، في صورة كبش أَمْلَح ، فيُذْبَح بين الجنة والنار»^(٢) .

٦٢ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ [آية ٥١] .

أي يُحرِّكونها من فوق إلى أسفل ، ومن أسفل إلى فوق ، كما يفعل المتعجب ، المُسْتَبْطِئُ للشيء .

يُقَال : أَنْغَضَ رَأْسَهُ فَتَغَضَّ ، يَنْغِضُ ، وَيَنْغِضُ ، وَيَنْغِضُ : أي تحرك^(٣) .

(١) الأثر في جامع البيان ٩٨/١٥ وتفسير ابن كثير ٨٢/٥ وزاد المسير ٤٤/٥ قال الحافظ ابن كثير : والمعنى على هذا القول : لو فرض أنكم صرتم موتاً الذي هو ضد الحياة ، لأحياكم الله إذا شاء ، فإنه لا يمتنع عليه إذا أَرَادَهُ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١١٧/٦ ولفظه «يُؤْتَى بالموت كهيئة كبش أَمْلَح ، فينادي مناد : يا أهل الجنة ، فيشربون — أي يمدُّون أعناقهم — وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، ثم يُنادي يا أهل النار ، فيشربون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت وكلهم قد رآه ، فيذبح ثم يقول : يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت ، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت » ، ثم قرأ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة ، إذ قُضِيَ الأمرُ وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ ورواه الترمذي ٦٩٢/٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) في الصحاح ١١٠٨/٣ : تَغَضَّ رَأْسَهُ يَنْغِضُ ، وَيَنْغِضُ ، تُغَضُّ أَي تُحْرَكُ ، وكلُّ حركةٍ في ارتجافٍ تغضُّ . اهـ وقال أهل التفسير ﴿فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي يُحرِّكون رُءُوسَهُمْ متعجبين ومستهزئين .

٦٣ — وقوله جل وعز : ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ

بِحَمْدِهِ ..﴾ [آية ٥٢] .

قال سفيان : أي بأمره .

والمعنى عند أهل التفسير : مُقَرَّبِينَ أَنَّهُ خَالِقُكُمْ .

٦٤ — وقوله جل وعز : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ

يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ..﴾ [آية ٥٣] .

أي يُفْسِدُ وَيُهَيِّجُ^(١) .

٦٥ — وقوله جل وعز : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ

الْوَسِيلَةَ ..﴾ [آية ٥٧] .

وقرأ عبدالله بن مسعود ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ

رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾^(٢) .

قال : « هؤلاء من العرب ، عبدوا أناساً من الجن ، فأسلم

الجنُّون ولم يعلم الذين عبدوهم »^(٣) .

(١) المراد أن الشيطان يُفْسِدُ ويهيج بين الناس الشرَّ ، ويُشعل نار الفتنة بالكلمة الغليظة الخشنة .

(٢) هذه القراءة ذكرها أبو حيان في البحر ٥١/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٠/٥ وهي ليست من

القراءات السبع ، وقراءة الجمهور ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالياء ، وفيها التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة ، قال ابن الأنباري : والعرب تفعل ذلك : إذا أَمَّنَ اللَّبْسُ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٥/١٥ وابن كثير ٨٦/٥ والسيوطي في الدر ١٨٩/٤ وأخرجه

البخاري في كتاب التفسير ١٠٧/٦ عن عبدالله بن مسعود بلفظ « كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناساً من الجن ، فأسلم الجنُّ وتمسَّك هؤلاء بدينهم » .

وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ السُّدِّيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ قَالَ :
عِيسَى ، وَعُزَيْرٌ^(١) .

وقيل : الملائكة الذين عبدوهم : قومٌ من العرب .

٦٦ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [آية ٥٨] .
قال مجاهد : مُبِيدُوهَا أَوْ مُعَذِّبُوهَا^(٢) .

٦٧ — ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ
مَسْطُورًا﴾ [آية ٥٨] .

أي مكتوباً ، يُقَالُ : سَطَرَ إِذَا كَتَبَ .

رُوي عن عبد الله بن عباس أنه قال : «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ
الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَكَتَبَ مَا هُوَ كَاتِبٌ»^(٣) .

٦٨ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
الْأَوَّلُونَ ..﴾ [آية ٥٩] .

هذه آيةٌ مشكّلةٌ ، وفي الكلام حذفٌ .

(١-٣) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٠٥/١٥ وجامع الأحكام للقرطبي ١٧٩/١٠
وزاد المسير لابن الجوزي ٥٠/٥ وتفسير ابن كثير ٨٦/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٩٠/٤ .

والمعنى : ما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحتموها ، إلا أن
تُكذِّبُوا بها فتهلكوا ، كما فُعل بمن كان قبلكم ^(١) .

وقد أخطر الله أمر هذه الأمة إلى يوم القيامة ، فقال سبحانه
﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ ^(٢) .

٦٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً .. ﴾ [آية ٥٩] .
قال مجاهد : أي آية ^(٣) .

والمعنى : ذات إبصار ، يُبَصِّرُ بها ، وتبيِّنُ بها صدق صالح
عليه السلام ^(٤) .

(١) في الآية حذف كما نُبِّه المصنف ، فإن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ بعض الآيات ، واقترحوا
عليه بعض الاقتراحات ، منها أن يقلب لهم جبل الصفا ذهباً ، وأن يُزج عنهم الجبال ، وأن
يُجري لهم الأنهار ، فأخبره تعالى أنه إن أجابهم إلى ما طلبوا ، ثم كذبوا ولم يؤمنوا استحَقوا
عذاب الاستئصال — أي أن يهلكهم جميعاً — كما جرت سنته تعالى في الأمم السابقين ، فإنهم
لَمَّا طلبوا الآيات ثم كذبوا بها ، أهلكهم الله ودمَّرهم ، فالله لم يجيبهم إلى ما طلبوا رحمة بهم ،
ومعنى الآية : وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحوها ، إلا خشية أن يكذبوا بها فيهلكوا ، كما
فُعل بمن كان قبلهم ، وهو خلاصة قول قتادة ، وابن جريج ، وابن عباس ، فحذف من الآية
« إلا خشية أن يكذبوا بها » ودلَّ على المحذوف قوله جل وعلا ﴿ إلا أن كذب بها
الأولون ﴾ اهـ .

(٢) سورة القمر آية ٤٦ وتامها ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ .

(٣) الأثر في الطبري ١٠٩/١٥ أي آية مبصرة .

(٤) قال في البحر ٥٣/٦ : أضاف الإبصار إليها على سبيل المجاز والتقدير : آية مبصرة أي يبصرها
الناس ويشاهدونها ، وقال ابن قتبية : أي بيِّنة يُبصر بها .

٧٠ - ثم قال جل وعز : ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [آية ٥٩] .

أي فظلموا بتكذيبهم بها .

٧١ - وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ .. ﴾ [آية ٦٠] .

رَوَى شُعْبَةُ ، عن أَبِي رَجَاء ، عن الْحَسَنِ قَالَ : عَصَمَكَ مِنْهُمْ ^(١) .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : هُمْ فِي قَبْضَتِهِ ^(٢) .

٧٢ - ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ .. ﴾ [آية ٦٠] .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَمُجَاهِدٌ ، وَعِكْرَمَةُ ، وَالضَّحَّاكُ : هِيَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ ^(٣) .

وَزَادَ عِكْرَمَةُ : هِيَ رُؤْيَا يَقْظَةُ ^(٤) .

(١-٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١١٠/١٥ والبحر المحيط ٥٤/٦ وتفسير ابن كثير ٨٩/٥

وزاد المسير ٥٣/٥ والدر المنثور ١٩١/٤ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٠٧/٦ عن عكرمة عن ابن عباس قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أُسْرَى ، والشجرة الملعونة : شجرة الرقوم . اهـ .

قال سعيد بن المسيّب : ﴿ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ : أي إلاّ بلاءً للنّاس^(١) .

٧٣ — ثم قال جلّ وعزّز : ﴿ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ .. ﴾ [آية ٦٠] .

قال سعيد بن جبیر ومجاهد وعكرمة والضحاك : هي شجرة الرّقوم^(٢) .

وقال غيرهم : إنّما فُتِنَ النّاسُ بالرؤيا وشجرة الرّقوم ، أن جماعة ارتدّوا وقالوا : كيف يُسرّى به إلى بيت المقدس في ليلة واحدة ؟ وقالوا لمّا أنزل الله ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الرِّقُومِ . طَعَامُ الْإِثْمِ ﴾^(٣) كيف تكون في النار شجرة ولا تأكلها ؟

فكان ذلك فتنّة لقوم^(٤) ، واستبصاراً لقوم ، منهم أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه .

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٨٣/١٠ : في الآية تقديم وتأخير ، أي ما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن ، إلاّ فتنّة للناس ، وفتنتها أنهم لما خُوفوا بها قال أبو جهل استهزاء : إن محمداً يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ، ثم يزعم أنها تُنبت الشجر ، والنار تأكل الشجر ، وما نعرف الرّقوم إلاّ التمر والزبد ، ثم أمر أبو جهل جاريته فأحضرت تمرًا وزبدًا ، وقال لأصحابه : تزقّموا ، فهذا الذي يتوعدكم به محمد .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١١٣/١٥ والدر المنثور ١٩٢/٤ .

(٣) سورة الدخان آية ٤٣—٤٤ وقامها ﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ . كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ .

(٤) أخرج ابن جرير عن الحسن ١١٠/١٥ قال : أُسرِيَ برسول الله ﷺ عشاءً إلى بيت المقدس ،

ويُقال : إِنَّمَا سُمِّيَ الصَّدِّيقُ ذَلِكَ الْوَقْتُ (١) .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لَمْ يُذَكَّرْ فِي الْقُرْآنِ لَعْنُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ؟

قال أبو جعفر : ففي ذلك جوابان :

أحدهما : أنه لقد لُعِنَ آكلوها .

والجواب الآخر : أنَّ العرب تقول لكل طعامٍ ضارٍّ ، مكروهٍ

[ملعونٌ] (٢) .

٧٤ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ

عَلَيَّ .. ﴾ [آية ٦٢] .

= فصلَّى فيه ، وأراه الله ما أراه من الآيات والعبر ، ثم أصبح بمكة ، فأخبرهم أنه أسري به إلى بيت المقدس فقالوا يا محمد : ما شأنك ؟ أمسيت في بيت المقدس ، ثم أصبحت فينا نخبر أنك أتيت بيت المقدس ؟ فتعجبوا من ذلك حتى ارتدَّ بعضهم عن الإسلام .

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٨٥/١٠ قال : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر ، فقال أكثر الناس : هذا والله الأمر البين — يريدون أن الكذب فيه واضح ظاهر — والله إن العير لتطرد مدبرة شهرًا ، ومقبلة شهرًا ، من مكة إلى الشام ، يذهب محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة !! فارتدَّ كثير ممن كان أسلم ، وذهب ناس إلى أبي بكر فقالوا : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ! يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع إلى مكة ، فقال أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، ها هو في المسجد يُحدِّث به الناس ، فقال أبو بكر : إن كان قد قاله فقد صدق ، والله إني لأصدقه بخبر السماء ، فمن يومئذ سُمِّيَ الصَّدِّيق .

(٢) سقط من المخطوطة وأثبتناه من جامع الأحكام للقرطبي ٢٨٦/١٠ وهو ضروري لأن فيه الشاهد ، وكذلك ذكره ابن الجوزي .

أي فضَّلْتُ : وفي الكلام حذفٌ ، والمعنى : أَرَأَيْتَكَ هذا الذي فضَّلْتُ عليَّ لَمْ فضَّلْتَهُ ، وقد خلقتني من نار ، وخلقته من طين !؟ ثم حُذِفَ هذا لعلم السَّامِعِ^(١) .

٧٥ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لَنْ أُخْرِجَنَّكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [آية ٦٢] .

قال أبو جعفر : أكثر أهل اللغة على أنَّ المعنى : لأستولين^(٢) [عليهم] ولأستأصلنهم ، من قولهم : احتنك الجرادُ الزَّرْعَ : إذا ذهبَ به كُلُّهُ .

وقيل : هو من قولهم : حنك الدابة يحنكها : إذا ربطَ حبلًا في حنكها الأسفل ، وساقها^(٣) . حكى ذلك ابن السكيت^(٤) .

(١) هذا قول الزجاج كما هو في زاد المسير ٥٧/٥ قال : أَرَأَيْتَكَ في معنى : أخبرني ، والجواب محذوف لأن في الكلام دليلاً عليه ، والمعنى : أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ ، لم كرمته عليّ ، وقد خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ؟ فحذف هذا ، لأن في الكلام دليلاً عليه .
(٢) هذا قول ابن عباس كما في زاد المسير ٥٧/٥ وهو قول الفراء أيضاً في معانيه ، وقد سقط من المخطوطة « عليهم » وأثبتناها من معاني الفراء ١٢٧/٢ وتفسير القرطبي ٢٨٧/١٠ .

(٣) في الصحاح ١٥٨١/٤ : حنك الفرس أحنكه وأحنكه حنكاً : إذا جعلت فيه الرِّسْنَ ، وكذلك احتنكته ، واحتنك الجراد الأرض أي أكل ما عليها ، وأنى على نبتها ، وقوله تعالى ﴿ لأحتنكن ذُرِّيَّتُهُ ﴾ يريد لأستولين عليهم اهـ .

(٤) ابن السكيت هو « يعقوبُ بنُ إسحقَ بنِ السكيت » أديبٌ نحويٌّ لغويٌّ ، عالمٌ بالقرآن والشعر ، وصاحب الكسائي ، واتصل بالمتوكل العباسي ، فعهد إليه بتأديب أولاده ، وله من التصانيف نحو من عشرين كتاباً توفي سنة ٢٤٤ هـ وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ١٦/١٢ ووفيات الأعيان ٤٠٨/٢ ومعجم الأدباء ٥٠/٢٠ .

وحُكي أيضاً : احْتَنَكَ دَابَّتَهُ مِثْلَ حَنْكَ ، فيكون المعنى :
لأَسَوَقْتَهُمْ كَيْفَ شِئْتُ .

٧٦ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ
جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ [آية ٦٣] .

مَوْفُورٌ وَمَوْفَرٌ وَاحِدٌ ، يُقَالُ : وَفَّرْتُهُ وَوَفَّرْتُهُ كَمَا قَالَ [الشاعر] :
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مَنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفَرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّيْءَ يُشْتَمُ^(١)

٧٧ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَ ﴿ وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ
بِصَوْتِكَ .. ﴾ [آية ٦٤] .
أَيِ اسْتَخَفَّ^(٢) .

قَالَ مجاهد ﴿ بِصَوْتِكَ ﴾ : بِالْغَنَاءِ وَالْمَزَامِيرِ^(٣) .

٧٨ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ [آية ٦٤] .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو في ديوانه ص ٣٠ والشاهد فيه « يَفَرُّهُ » أي يجعله وافراً ، وبعده :

وَمَنْ لَا يَبْذُذْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْذَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

(٢) هذا قول ابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٨٥/٥ والمراد استخف من شئت من الضالين ،
وحركته نحو الفساد ، بطرق الغي والإضلال .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١١٨/١٥ وهو في البحر المحيط ٥٨/٦ وتفسير ابن كثير ٩١/٥ عن
مجاهد .

رَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كُلُّ خَيْلٍ سَارَتْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَكُلُّ رَجُلٍ مَشَتْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَكُلُّ مَالٍ أُصِيبَ مِنْ حَرَامٍ ، وَكُلُّ وَلَدٍ غَيَّةٌ ^(١) فَهُوَ لِلشَّيْطَانِ ^(٢) .

وَقَالَ غَيْرُهُ : مَشَارِكُهُ فِي الْأَمْوَالِ هِيَ : السَّائِبَةُ وَالْبَحِيرَةُ ، وَفِي الْأَوْلَادِ قَوْلُهُمْ : عَبْدُ الْعُزَّى ، وَعَبْدُ الْحَارِثِ .

وَقَرَأَ قَتَادَةُ ﴿ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِحَيْلِكَ وَرَجَالِكَ ﴾ ^(٣) .

٧٩ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [آية ٦٤] .

هَذَا أَمْرٌ فِيهِ مَعْنَى التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ فَمَنْ شَاءَ

(١) « وَلَدٌ غَيَّةٌ » أَيُّ وَلَدٌ زَنَى ، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ ١١١/٢ : وَهُوَ لَغِيَّةٌ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ : كَلِمَةٌ تَقَالُ لِلشَّمِّ ، كَمَا يُقَالُ : هُوَ لَزْنِيَّةٌ . اهـ . وَفِي الصَّحَاحِ مَادَّةُ غَيَا : يُقَالُ : فَلَانٌ لَغِيَّةٌ وَهُوَ نَقِيضُ قَوْلِكَ : لَرَشْدَةٌ .

(٢) الْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ١١٩/١٥ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بَنَحَوْهُ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي زَادِهِ ٥٨/٥ وَالسَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٩٢/٤ وَعَزَاهُ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَلَقِظَهُ ﴿ وَاسْتَفْزَزَ مِنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ قَالَ : « اسْتَئْزَلَ مِنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِالْغَنَاءِ وَالْمَزَامِيرِ ، وَاللَّهُوِ وَالْبَاطِلِ ﴾ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِحَيْلِكَ وَرَجَالِكَ ﴾ قَالَ : كُلُّ رَاكِبٍ وَمَاشٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ﴿ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ قَالَ : الْأَمْوَالُ مَا كَانُوا يَحْرُمُونَ مِنْ أَنْعَامِهِمْ ، وَالْأَوْلَادُ أَوْلَادُ الزَّنى « اهـ .

(٣) هَذِهِ مِنَ الْقُرْآنِ الشَّاذَّةُ كَمَا فِي الْمُحْتَسَبِ لِابْنِ جَنِّي ٢٢/٢ وَأَمَّا قِرَاءَةُ ﴿ وَرَجُلِكَ ﴾ بِسُكُونِ الْجِيمِ فَهِيَ سَبْعِيَّةٌ .

فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴿١﴾ .

٨٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ..﴾ [آية ٦٥] .

قيل : أي مُخْلِصَائِي ، كما قال تعالى ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢) .

٨١ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَ : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [آية ٦٥] .
أي منجياً لخلصائه من الشيطان .

وَالْفَرَاءُ يَذْهَبُ إِلَى أَنْ مَعْنَى ﴿وَكِيلًا﴾ كَافٍ ، وَكَذَا قَالَ فِي
قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَ ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ (٣) .

٨٢ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَ : ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ
الْفُلُوكَ ..﴾ [آية ٦٦] .
أي يَسُوقُ .

٨٣ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٢) سورة الفجر آية ٢٩ وتامها ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ .

(٣) انظر معاني الفراء ١١٦/٢ وقد جاء فيه ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ يُقَالُ : رَبًّا ، وَيُقَالُ :
كَافِيًا .

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا .. ﴿ [آية ٦٨] .

الحاصِبُ : الرِّيحُ التي ترمي بالحَصْبَاءِ وهي : الحصى الصَّغَارُ^(١) .

٨٤ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ .. ﴾ [آية ٦٩] .

قال ابن عباس : هي التي تُغْرِقُ^(٢) .

قال أبو جعفر : يُقال : قَصَفَهُ إِذَا كَسَرَهُ ، كأنها من شِدَّتِهَا تكسِرُ الشَّجَرَ^(٣) .

٨٥ — وقوله جل وعز : ﴿ فَيَغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ [آية ٦٩] .

قال مجاهد : ثائراً^(٤) .

قال أبو جعفر : وهو من الثَّار ، وكذلك يُقال لكل من طَلَبَ

(١) في الصحاح ١١٢/١ : الحصباءُ : الحصى ، وحصبْتُ الرجل أحصبته بالكسر : أي رميته بالحصباء ، والحاصِبُ : الرِّيحُ الشديدة التي تثير الحصباء . اهـ .

(٢) الأثر عن ابن عباس في الطبري ١٢٥/١٥ والدر المنثور ١٩٣/٤ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٦٢/٥ قال : القاصِفُ : الرِّيحُ التي تقصف الشجر أي تكسره .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٥/١٥ وابن كثير ٩٤/٥ والدر المنثور ١٩٣/٤ والمعنى على هذا القول : لن تجدوا من يأخذ لكم بالثَّار منا ، أو يطالبنا بَتَبِيعَةٍ إغراقكم !!

بشأراً أو غيره : تَبِعَ ، وَتَابَعَ ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ^(١) أي مطابقة .

٨٦ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [آية ٧٠] .

قال عبدالله بن عباس : فَضَّلُوا بأنهم يأكلون بأيديهم ، والبهائم تأكل بأفواهها ^(٢) .

وقال غيره : فَضَّلُوا بالفهم والتمييز ، وبما سُحِّرَ لهم ^(٣) .

٨٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ .. ﴾ [آية ٧١] .

(١) سورة البقرة آية ١٧٨ والآية ﴿ فَمَنْ غُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٢٥/١٥ قال الطبري : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ذَلِكَ تَمَكَّنَهُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِأَيْدِيهِمْ ، وَأَخَذَ الْأَطْعِمَةَ وَالْأَشْرَبَةَ بِهَا ، وَرَفَعَهَا بِهَا إِلَى أَفْوَاهِهِمْ ، وَذَلِكَ غَيْرَ مَتَسِّرٍ لغيرهم مِنَ الْخَلْقِ ، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرَجَاتِ ١٩٣/٤ وَعَزَاهُ إِلَى ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ، وَابْنِ مَرْدَوَيْهِ ، وَابْنِ بَيْهَقٍ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ .

(٣) هذا القول مروى عن الضحاك كما في زاد المسير ٦٣/٥ وهو أظهر من القول الأول ، لأن التفضيل بالعقل ، والفهم ، والعلم ، وقد جمع ابن كثير بين القولين ٩٤/٥ فقال : تفضيلهم بخلقهم على أحسن الهيئات وأكملها ، فالإنسان يمشي قائماً منتصباً على رجله ، وبأكل يديه ، والحيوانات تمشي على أربع ، وتأكل بفمها ، وجعل الله للإنسان سمعاً وبصراً وفؤاداً ، يفقه بذلك كله وينتفع ، ويفرق بين المنافع والمضار . اهـ .

رُوي عن ابن عباس : أي بنبيهم^(١) .

وقال الحسن والضحاك : بكتابهم^(٢) .

قال أبو جعفر: ويدل على هذا قوله بعد ﴿ فَمَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ
بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ .

الفتيل : الذي يكون في شِقِّ النِّوَاةِ ، والتَّقِيرُ : التُّقْرَةُ التي
فيها ، والقِطْمِيرُ : الفُوقَةُ التي تكون على النِّوَاةِ .

أي لا يُظْلَمُونَ مقدار هذا الحقيق .

٨٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [آية ٧٢] .

قال عكرمة : « قال رجل لعبد الله بن عباس : كيف يكون
في الآخرة أعمى ؟

فقال له : أخطأت التأويل ، ألا ترى أنه جل وعزَّ عدَّد النِّعم ،
ثم قال : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى ﴾ أي من عمي عن هذه النِّعم

(٢-١) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٢٦/١٥ وزاد المسير ٦٥/٥ وتفسير ابن كثير ٩٦/٥ وما
قاله الحسن والضحاك أظهر ، وقد روجه ابن كثير ، والمعنى : اذكر اليوم العصيب يوم القيامة
حين ننادي كل إنسان بكتاب عمله ليشهد ما سطر فيه ، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى في
سورة يس ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ .

التي يراها ، وتدله على قدرة الله ، فهو فيما لم يره من أمر الآخرة أعمى ^(١) . وكذلك قال قتادة .

وقال غيره : ومن كان في الدنيا أعمى وقد فسح الله له في العُمر ، ووعدته قبُول التوبة ، ودعاه إلى الطاعة فلم يُجب ، وعَمِيَ عن ذلك ، فهو في الآخرة — إذا كان لا تُقبل منه توبة ولا إنابة — أعمى وأضل سبيلاً ^(٢) .

٨٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْسُقُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ .. ﴾ [آية ٧٣] .

المعنى : كادوا يفتنونك ، لأنَّ « إن » و « اللام » تدل على التوكيد ^(٣) .

(١) الأثر في الطبري ١٢٨/١٥ والدر المنثور ١٩٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم والفرجاني .

(٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير عن الحسن البصري ٦٦/٥ والقول الأول أظهر ، وهو اختيار الطبري وابن كثير ، والمعنى على قول ابن عباس وقتادة : من كان في هذه الدنيا أعمى القلب ، عن حجج الله وآياته ، التي قد عاينها ببصره ، وعن عجائب قدرة الله ووحدانيته في آياته الكونية ، فهو فيما غاب عنه من أمر الآخرة ، أشدَّ عمية وضلالة ، وأساء حالاً ومصيراً ، قال ابن عطية : أي من كان في دنياه هذه وقت إدراكه وفهمه ، أعمى عن النظر في آيات الله ، فهو يوم القيامة أشدَّ حيرة وعمى .

(٣) قوله ﴿ وَإِنْ كَادُوا ﴾ « إن » هذه هي المخففة من « إن » الثقيلة واسمها ضمير الشأن ، أي وإنه الحال والشأن كادوا يفتنونك ، وكاد من أفعال المقاربة ، واللام هي الفارقة ، ومن هنا جاء التأکید ، وانظر البحر المحيط ٦٥/٦ .

وَيُرَوَّى أَنَّهُمْ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ : اطرِدْ عَنَّا هَؤُلَاءِ السُّقَاطَ
والموالي ، حتى نجلس معك ، ونستمع منك ، فهم النبي بذلك ، ميلاً
منه إلى أن يؤمنوا ، فَعَصِمَ ﷺ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ وَإِنْ
كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الذِّدِّي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .. ﴾ إلى قوله ﴿ إِذَا
لَأَذُقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ (١) .

قال مالك بن دينار : سألت جابر بن زيد عن قوله ﴿ إِذَا
لَأَذُقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ فقال : إِذَا لَأَذُقْنَاكَ
ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات (٢) .

قال أبو جعفر : وكذلك معناه عند أهل اللغة ، وخوطب بهذا
النبي ﷺ لأن الثواب به جَزُلُ كما قال تعالى ﴿ يَانِيسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ
مِنْكَ بَفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ (٣) ولمشاهدة

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦٨/٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٩٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) هذا قول الطبري في تفسيره ١٣١/١٥ وهو مروى عن ابن عباس ، وعلى هذا القول يكون الكلام على حذف مضاف أي ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات ، كقول الشاعر :

وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلْبُ الْجَلَسُ

أي استبأ أهل المجلس ، قال المفسرون : الرسول ﷺ معصوم ، ولكنه تخويف لأمته لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين ، في شيء من أحكام الله وشرائعه .

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٠ .

الأنبياء الملائكة ، والآيات العظام ، كان في ذلك الخطاب من الفائدة ، أنه عُلِمَ به أَنَّ هذا حكمُ الله ، فيمن عصاه من الأنبياء ، فكيف غيرهم (١) ؟

٩٠ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا .. ﴾ [آية ٧٦] .

قيل : المعنى يستفزُّونك بالقتل (٢) .

قال عوف عن الحسن : همُّوا بإخراج النبي ﷺ من مكة ، وأراد الله بقاء أهل مكة ، فأمره أن يخرج منها مهاجراً إلى المدينة ، فخرج بأمر الله ، ولو أخرجوه لهلكوا كما قال سبحانه ﴿ وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣) .

قال أهل التفسير : ﴿ خِلافَكَ ﴾ أي بعدك .

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ٣٠١/١٥ : والآية غاية الوعيد ، لأنه كلما كانت الدرجة أعلى كان العذاب عند المخالفة أعظم .

(٢) روي هذا عن الحسن كما في تفسير ابن الجوزي ٧٠/٥ وإليه ذهب الزجاج ، والأصح أن معنى الاستفزاز : الإزعاج بسبب من الأسباب ، لحمله على الخروج من الوطن ، فقد همُّوا بإخراجه ﷺ بشئ أنواع الوسائل والمضايقات .

(٣) هذا قول الحسن ، ومجاهد ، وقتادة كما في زاد المسير ٧٠/٥ وهو في البحر ٦٦/٦ عن مجاهد ، قال : أرادت قريش هذا ، ولكنه لم يقع منها ، لأنه تعالى أراد استبقاء قريش وألاً يستأصلها ، فأذن لرسوله في الهجرة ، فخرج بإذنه لا بقهر قريش ، ولو أخرجوه لعدُّبوا . اهـ وقال الإمام الفخر : ما خرج النبي ﷺ بسبب إخراجهم ، وإنما خرج بأمر الله عز وجل ، فلا تعارض .

وَحُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ : جَاءَ فُلَانٌ خَلَفَ فُلَانٍ وَخِلَافَهُ أَي

بعده^(١) .
وقد يجيء « خِلاف » بمعنى مخالفة .

٩١ — وَقَوْلُهُ جَل وَعَزْ : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ
الَّيْلِ .. ﴾ [آية ٧٨] .

رَوَى سَفِيَانُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ :
« ذُلُوكُهَا » : غُرُوبُهَا^(٢) .

وَرَوَى سَفِيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ [عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
﴿ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ لَغُرُوبِهَا ،

وَرَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣) « ذُلُوكُهَا » : زَوَالُهَا^(٤) .

وَرَوَى الزُّهْرِيُّ ، عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو ﴿ ذُلُوكُ
الشَّمْسِ ﴾ : بَعْدَ نِصْفِ النَّهَارِ ، وَهُوَ وَقْتُ الظَّهْرِ^(٥) .

وَرَوَى مَالِكٌ وَاللِّيثُ ، عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ : ﴿ ذُلُوكُ
الشَّمْسِ ﴾ : زَوَالُهَا^(٦) .

(١) فِي الْمَصْبَاحِ الْمُنِيرِ ١٩٣/١ : وَقَعِدْتُ خِلَافَهُ أَي بَعْدَهُ ، وَفِي زَادِ الْمَسِيرِ ٧٠/٥ قَالَ الْأَخْفَشُ :
« خِلَافَتُكَ » فِي مَعْنَى خِلْفَتِكَ ، وَالْمَعْنَى : لَا يَلْبِثُونَ بَعْدَ خُرُوجِكَ إِلَّا قَلِيلًا ، أَي لَوْ أَخْرَجُوكَ
لَا تَصَافَلْنَا بِمَعْدٍ بَعْدَ خُرُوجِكَ بِقَلِيلٍ .

(٢) الْأَثَرُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الطَّبَرِيِّ ١٣٤/١٥ وَالِدَرِ الْمَشْهُورِ ١٩٥/٤ .

(٣) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَيْنِ غَيْرِ مُوجُودٍ فِي الْمَخْطُوطَةِ ، وَأَثْبَتَاهُ مِنَ الْهَامِشِ .

(٤-٦) انْظُرِ الْآثَارَ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ لِلطَّبَرِيِّ ١٣٥/١٥ وَالِدَرِ الْمَشْهُورِ لِلْسَيُوطِيِّ ١٩٥/٤ وَزَادَ الْمَسِيرُ

لِابْنِ الْجُوزِيِّ ٧٢/٥ وَالْبَحْرَ الْحَيْطُ لِأَبِي حَيَّانَ ٦٨/٦ وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٩٨/٥ .

وكذلك رُوِيَ عن جعفر بن محمد ، رحمه الله عليه .

قال أبو جعفر : الدُّلُوكُ في اللغة : الميلُ ، فهي تميلُ عند الزَّوَالِ ، وعند الغروب ، إلَّا أنَّ الزَّوَالِ في هذا أكثرُ على ألسِنِ النَّاسِ (١) .

ويدلُّ عليه أنَّ بعده ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ فيدخل فيه الظهر ، والعصرُ ، والمغربُ ، والعشاءُ وبعده ﴿وَقَرَّانَ الْفَجْرِ﴾ فلا يمتنع أن يكون غَسَقُ اللَّيْلِ أَوَّلُهُ ، وذلك عند غروبِ الشمسِ ، قال ذلك أبو هريرة . وهو يُقَوِّي قولَ من قال : الدُّلُوكُ : ميلُها للزَّوَالِ .

قال ابن عباس : ﴿غَسَقُ اللَّيْلِ﴾ : اجتماعُ الليل وظلمته (٢) .
وقال قتادة : أَوَّلُهُ (٣) .

-
- (١) قال الفراء : رأيتُ العرب تذهب في الدُّلُوكِ إلى غيبوبة الشمس ، وأنشدني بعضهم :
« ذَبَبَ حَتَّى ذَلَكْتَ بَرَّاح »
يعني السَّاقِي طرد الناس . قال ابن الجوزي ٧٢/٥ : وهذا اختيار ابن قتيبة ، لأنَّ العرب تقول : ذَلَكَ النُّجْمُ : إذا غاب ، قال ذو الرِّمَّة :
مَصَائِيحُ لَيْسَتْ بِاللُّوَاتِي تَقُودُهَا نُجُومٌ وَلَا بِالْأَفْلَاتِ السُّدُورِ
وتقول في الشمس : ذَلَكْتَ بَرَّاح : يريدون : غربت والناظر قد وضع كَفَّهُ على حاجبه ينظر إليها . وقال الأزهري : أصلُ الدُّلُوكِ الميلُ ، يُقال : مالت الشمسُ للزَّوَالِ ، ومالت للغروب ، والقول عندي أن دُلُوكَ الشمس : زوالُها نصف النهار ، لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس ، وإذا جعلت الدُّلُوكُ : الغروب ، كان الأمر في هذا قاصراً على ثلاث صلوات .
(٢-٣) انظر الآثار في الطبري ١٣٨/١٥ والبحر المحيط ٧٠/٦ قال الجوهري : الغَسَقُ : أولُ ظلمة الليل ، غَسَقَ الليلُ يَغْسِقُ : أظلم أهد الصحاح .

٩٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ .. ﴾ [آية ٧٨] .

فسمي الصلاة « قرآناً » لأنها لا تكون إلا بالقرآن^(١) .

٩٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ [آية ٧٨] .

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « صَلَاةُ الْفَجْرِ تَحْضُرُهَا
مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ ، وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ ، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴾ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ،
إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾^(٢) .

٩٤ — وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً
لَكَ .. ﴾ [آية ٧٩] .

قال غَلْقَمَةُ وَالْأَسْوَدُ : التَّهَجُّدُ بَعْدَ النَّوْمِ^(٣) .

(١) هذا من باب اطلاق الجزء وإرادة الكل ، فالقراءة جزء مهم من الصلاة ، ولهذا عبّر عن الصلاة بها . وفي البخاري ١٠٨/٦ قال مجاهد : صلاة الفجر وفي البحر ٧٠/٦ سميت صلاة الصبح ببعض ما يقع فيها . وفي الكشف ٣٧٢/٢ : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ يعني صلاة الفجر ، سُمِّيَتْ قرآناً — وهو القراءة — لأنها ركنٌ ، كما سُمِّيَتْ رُكُوعاً ، وسُجُوداً ، وقنوتاً ، ويجوز أن يكون حشاً على طول القراءة في صلاة الفجر ، ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ، ولهذا كانت الفجر أطول الصلوات قراءة . اهـ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٧٤ / ٢ وأخرجه البخاري في التفسير ١٠٨/٦ ولفظه عن النبي ﷺ أنه قال : « فَضَّلُ صَلَاةَ الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ الْوَاحِدِ خَمْسَ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً ، وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ، يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴾ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٣) الأثر في جامع البيان للطبري ١٤٢/١٥ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٩٦/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ومحمد بن نصر .

قال أبو جعفر : التهجد عند أهل اللغة : التيقظ والسهر ،
والهجوؤ : النوم ، يُقال : تهجد : إذا سهر ، وهجد : إذا نام^(١) .

يُروى عن مجاهد أن هذا للنبي ﷺ خصيصاً ، وأن معنى
﴿ نافلة لك ﴾ للنبي خاص ، لأنه قد غفر له ذنوبه ، فهي نافلة من
أجل أنه لا يعملها في كفارة الذنوب ، والناس يعملون ما سوى
المكتوبات لكفارات الذنوب^(٢) .

وقال غيره : ﴿ نافلة لك ﴾ أي ليست بفرض ، لأن النفل
كل ما لا يجب فعله ، والتافلة في اللغة ، الزيادة^(٣) .

٩٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ عسى أن ينعثك ربك مقاماً
محموداً ﴾ [آية ٧٩] .

روى داود الأودي^(٤) عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ
في قوله تعالى ﴿ عسى أن ينعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ قال : « هو

(١) في جامع البيان ١٤١/١٥ : التهجد : التيقظ والسهر بعد نومٍ من الليل ، وأما الهجوؤ نفسه :
فالنوم ، قال الشاعر :

أَلَا طَرَفَتْنَا وَالرَّفَاقُ هُجُودُ قَبَاتٌ يَعْلَاتِ النَّوَالِ تَجُودُ

(٢) الأثر في الطبري ١٤٣/١٥ وزاد المسير ٧٥/٥ والدر المنثور ٩٦/٤ .

(٣) انظر الصحاح للجوهري مادة نفل ، ولسان العرب لابن منظور .

(٤) هو داود بن يزيد الأودي ، قال أحمد : ضعيف الحديث ، وكذلك قال ابن معين ، وانظر ترجمته
في التهذيب ٢٠٥/٣ .

المقام الذي أشفع فيه لأمتي»^(١) .

وروى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : « كل عسى واجبة »^(٢) .

قال أبو عبيدة : يعني في القرآن^(٣) .

٩٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [آية ٨٠] .

قال الحسن وقتادة : هو دخول المدينة ، وخروجه من مكة^(٤) .

وقال الضحاك : هو خروجه من مكة ، ودخوله مكة يوم الفتح آمناً^(٥) .

-
- (١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٠٨/٦ بلفظ « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً — أي جماعات جماعات — كل أمة تتبع نبيها ، يقولون يا فلان : اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعث الله المقام المحمود » ورواه السيوطي في الدر المنثور بمثل رواية المصنف ، وعزاه إلى أحمد والترمذي وحسنه . وقد جمع الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٠٢/٥ طرقاً عديدة للأحاديث الصحيحة في « المقام المحمود » لنبينا ﷺ فارجع إليها ففيها الشفاء .
- (٢) الأثر رواه الطبري ١٤٣/١٥ وابن الجوزي في زاده ٧٦/٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٧٢/٦ .
- (٣) قال المفسرون : « عسى » في كلام الله تفيد التحقيق ، لأنه وعد كريم ووعد الله لا يخلف ، وهذا معنى قول ابن عباس : « عسى من الله واجبة » أو كل « عسى » واجبة ، وانظر جامع البيان للطبري ١٤٣/١٥ .

(٤—٩) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٤٩/١٥ وزاد المسير ٧٧/٥ وتفسير ابن كثير =

وقال مجاهد : هو دخوله في الرسالة وأمر الله جلّ وعزّ (٦) .

٩٧ — ثم قال جلّ وعز : ﴿ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [آية ٨٠] .

قال الشعبي وعكرمة : أي حُجّة ثابتة (٧) .

وقال مجاهد : أي حُجّة (٨) .

وذهب الحسنُ إلى أنه العِزُّ والنصر ، وإظهارُ دينه على الدين كله (٩) .

٩٨ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [آية ٨١] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : ﴿ الْحَقُّ ﴾ القرآن ﴿ وَالْبَاطِلُ ﴾ : الشيطان ، قال ﴿ وَزَهَقَ ﴾ : هَلَكَ (١) .

= ١٠٨/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٦٨/٤ والبحر المحييط لابي حيان ١٩٩/٦ ورجح الطبري قول الحسن وقتادة ١٥٠/١٥ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٥٢/١٥ وابن الجوزي ٧٨/٥ والسيوطي في الدر ١٩٩/٤ وعزاه إلى عبدالرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة ، وأخرج البخاري في التفسير ١٠٨/٦ : يزهُقُ : يهلك ، وروى عن ابن مسعود قال : « دخل النبي ﷺ مكة ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصْب — أي صنم — فجعل يطعنها في عود بيده ويقول ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنْ الْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ .

٩٩ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ [آية ٨٢] .

ليست « مِنْ » ها هنا للتبويض ، وإنما هي لبيان الجنس .
والمعنى : وَنُزِّلَ ما هو شفاءٌ وَرَحْمَةٌ للمؤمنين ، ثُمَّ يَبَيِّنُ فقال
﴿ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ كما قال سبحانه ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ
الْأَوْثَانِ ﴾ (١) .

١٠٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى
بِجَانِبِهِ .. ﴾ [آية ٨٣] .

قال مجاهد : أي تباعدَ مِنَّا (٢) .

وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿ وَنَاءَ بِجَانِبِهِ ﴾ (٣) الهمزة مؤخّرة .
واللغة الأولى أعرف ، وهذا على قلب الهمزة (٤) .

١٠١ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوَسَّأُ ﴾ [آية ٨٣] .

(١) سورة الحج آية رقم ٣٠ .

(٢) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٥٣/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٩٩/٤ .

(٣) هذه من القراءات السبع المتواترة ، كما في النشر ٣٠٨/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٨٤ قرأ بها ابن عامر من رواية ابن ذكوان .

(٤) يريد أن أصل الكلمة « نأى » وكلمة « ناء » مقلوبة الهمزة قلبت الهمزة إلى ياء مقصورة ،
ف « نَاءَ » مقلوب « نأى » والله أعلم :

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : « يَسَّ » : قَيْطٌ ^(١) .

١٠٢ — وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ .. ﴾ [آية ٨٤] .

قال الحسن : على نَيْتِهِ ^(٢) .

وقال مجاهد : أي على حَدِّهِ ، وعلى طبيعته ^(٣) .

وقال الضحاك : على ناحيته ^(٤) .

وهذا يرجع إلى قول الحسن ومجاهد .

وحقيقة المعنى — والله أعلم — : كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي
جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُ وَطَبْعُهُ ^(٥) !!

والمعنى : وليس ينبغي أن يكون كذلك ، إنما ينبغي أن يُتَّبَعَ
الحَقُّ حَيْثُ كَانَ ، وقد ظهرت البراهين ، وتبينَ الحقُّ .

قال أبو جعفر : وهذا يرجع إلى قول الحسن .

(١—٤) انظر الآثار في الطبري ١٥/١٥٤ وفي البحر المحيط ٦/٧٥ وفي الدر المنثور ٤/١٩٩ والقرطبي ١٠/٣٢٢ وزاد المسير ٥/٨٠ .

(٥) هذا قريب مما قاله الزجاج أن المعنى : كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِهِ ، وعلى مذهبه .. الخ .
أقول : إن معنى الآية : كُلٌّ وَاحِدٌ يَعْمَلُ عَلَى نَهْجِهِ وَطَرِيقَتِهِ ، وفي الهُدَى والضَّلال ، فإن كانت
نفسُ الإنسان مشرقة صافية ، صدرت عنه أفعالٌ حسنةٌ كريمة ، وإن كانت نفسه فاجرةً
كافرة ، صدرت عنه أفعالٌ شَريرةٌ منكرة « وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضح » .

١٠٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي .. ﴾ [آية ٨٥] .

رُوي عن عبدالله بن مسعود قال : « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلْتَهُ الْيَهُودَ عَنِ الرُّوحِ ، فَسَكَتَ ، فَحَسِبْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ ، فَتَنَحَّيْتُ ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

يعني : اليهود ، فقالوا : نجد مثله في التَّوراة (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) (١) !!

قال أبو جعفر : وقد تكلم العلماء في الرُّوح :

فَرَوَى عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « الرُّوحُ » مَلَكٌ لَهُ أَحَدُ عَشَرَ أَلْفَ جَنَاحٍ ، وَأَلْفُ وَجْهِ ، يَسْبُحُ اللَّهَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (٢) .

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٥٥/١ ورواه البخاري في كتاب التفسير ١٠٩/٦ عن عبدالله بن مسعود ، ولفظه : « بينا أنا مع النبي ﷺ فِي حَرْتٍ ، وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَى عَمِيْبٍ — أَيِ عَصَا مِنَ النَّخِيلِ — إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ ، فَقَالُوا : سَلُوهُ ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يُرِدْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ ، فَقُمْتُ مَقَامِي ، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ » ورواه مسلم ٢١٥٢/٤ والترمذي رقم ٣١٤١ وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥٦/١٥ بلفظ « هُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ وَجْهِ ، لِكُلِّ وَجْهِ =

وقال أبو صالح : « الرُّوحُ خَلَقَ كَخَلْقِ بَنِي آدَمَ ، وليسوا
ببني آدَمَ ، لهم أيدٌ وأرجلٌ » (١) .

وقيل : الرُّوحُ : جبريل عليه السلام (٢) ، واحتجَّ صاحبُ
هذا القول بقوله سبحانه : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (٣) .

قال محمد بن إسحاق : وزعموا أنه ناداهم — يعني النبيَّ
ﷺ — الرُّوحُ جبريل ، وكذا روي عن ابن عباسٍ والحسن (٤) .

قال ابن عباس : وجبريل قائمٌ بين يَدَيِ اللَّهِ جل ثناؤه يوم
القيامة .

وقيل : هو عيسى صَلَّى الله عليه وسلَّم ، أي هو من أمر
اللَّهِ ، وليس كما يقول النَّصَّاري .

وقيل : الرُّوحُ : القرآنُ لقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

= منها سبعون ألف لسان ، لكل لسانٍ منها سبعون ألف لغة ، يُسبح الله عز وجل بتلك اللغات
كلها » وذكره الحافظ ابن كثير ١١٣/٥ وقال : هذا أثر غريب عجيب .

(١) الأثر ذكره الطبري ١٥٦/١٥ في جامع البيان ، والسيوطي في الدر ٢٠٠/٤ وهذا الأثر والذي
قبله ، ليس لهما أسانيد قوية ، والله أعلم .

(٢) هذا قول قتادة كما ذكره عنه الحافظ ابن كثير ١١٣/٥ .

(٣) سورة الشعراء آية رقم ١٩٣ .

(٤) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٨٢/٥ فقد ذكر أنه قول الحسن وقتادة .

رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴿١﴾ !! وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ ، غير أنه قد أخبرنا أنه من أمر الله جلَّ وعزَّ (٢) .

فإن قال قائل : كيف قيل لليهود ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وقد أُوتوا التَّوراة ؟ .

فالجواب : أن قليلاً وكثيراً ، إنما يُعرفان بالإضافة إلى غيرهما ، فإذا أُضيفت التَّوراةُ إلى علم الله جلَّ وعزَّ ، كانت قليلاً من كثير ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ، وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (٣) ؟!

١٠٤ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .. ﴾ [آية ٨٦] .

(١) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٢) خلاصة آراء المفسرين حول هذه الآية ، ما ذكره الحافظ ابن كثير ١١٢/٥ حيث قال رحمه

الله : وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ها هنا على أقوال :

أحدها : أن المراد بالروح أرواح بني آدم ، رواه العوفي عن ابن عباس .

وقيل : المراد بالروح هاهنا : جبريل عليه السلام ، قاله قتادة .

وقيل : المراد به ملكٌ عظيم بقدر المخلوقات كلها ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

وقيل : المراد طائفة من الملائكة على صور بني آدم . اهـ بإيجاز أقول : وأظهرها وأشهرها

القول الأول وهو الذي عليه الجمهور ، أن المراد بالروح ، الروح التي تسري في الجسد ، وهي

من الأسرار الخفية التي لا يعلمها إلا ربُّ البرية .

(٣) سورة الكهف آية رقم ١٠٩ ..

أي لو شئنا لأذهبناه من الصدور ، والكتب^(١)

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ أي من يتوكل في رده .

قال الحسن : أي يمنعك منا إذا أردناك^(٢) .

١٠٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ

كَبِيرًا ﴾ [آية ٨٧] .

وهذا استثناء ليس من الأول^(٣) ، أي لكن الله ثبتته ، رحمة منه

وتفضلاً .

١٠٦ — وقوله جل وعز ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا

بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

ظَهِيرًا ﴾ [آية ٨٨] .

قال الحسن : أي مُعِينًا^(٤) .

(١) هذا قول الزجاج قال : لو شئنا لحوناه من القلوب ، والكتب ، حتى لا يوجد له أثره ، وانظر زاد المسير ٨٣/٥ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير بنحوه ، وانظر جامع البيان ١٥٧/١٥ .

(٣) يريد أنه استثناء منقطع بمعنى « لكن » أي لكن الله ثبتك ورحمك ، فلم يذهب من قلبك ، قال في البحر ٧٦/٦ : « وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً في صدرك ، بعد المنة في تنزيله .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٥٩/١٥ . قال في البحر ٧٧/٦ : « لما ذكر تعالى إنعامه على نبيه ﷺ بالنبوة ، الذي عجز العالم على الإتيان بمثله ، وأنه من أكبر النعم عليه ، وإذا كان فصحاء =

١٠٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۚ ۞ ﴾ [آية ٨٩] .

أي وجَّهنا القول بكل مَثَل ، وهو من قوله : صَرَفْتُ إِلَيْكَ كَذَا : أي عدلتُ به إليك .

١٠٨ — ثم أخبر الله أنَّهم لما عجزوا أن يأتوا بمثله ، وانقطعت حجَّتُهُمْ ، اقترحوا الآيات ، فقال جل وعزَّ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۚ ۞ ﴾ [آية ٩٠] .

وقد أراهم الله من الآيات ما هو أكثر من هذا ، من انشقاق القمر ، وغير ذلك .

وقال مجاهد : يَنْبُوعٌ : عُيُونٌ^(١) .

قال أبو جعفر : وهو عند أهل اللغة : من نَبَعَ ، يَنْبَعُ ، وَيَنْبَعُ .

= اللسان وبلغاؤهم ، عجزوا عن الإتيان بسورة واحدة مثله ، فلأن يكونوا أعجز عن أن يأتوا بمثل جميعه — ولو تعاون الثقلان عليه — من باب أولى .

(١) معجزاته ﷺ لا حصر لها ، فقد نبع الماء من بين أصابعه ، وسبَّح في يده الحصى ، وسلَّم عليه الحجر ، وانشقَّ له القمر ، واستجيب دعوته بنزول المطر ، إلى آخر ماله من معجزات جمة صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٦٠/١٥ والقرطبي ٣٣٠/١٠ عن مجاهد ، قال ابن الجوزي ٨٧/٥ : « الينبوعُ : عينٌ ينبع منها الماء ، قال أبو غنيدة : هو يَقْعُولُ من تَبَعَ الماء أي ظَهَرَ وفار .

ومنه سُمِّيَ مَالُ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَنْبُع^(١) .

١٠٩ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا
كِسْفًا .. ﴾ [آية ٩٢] .

رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : ﴿ كِسْفًا ﴾ : قِطْعًا^(٢) .

وَحَكَى الْفَرَّاءُ أَنَّهُ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : أَعْطَنِي كِسْفَةً مِنْ هَذَا
الثَّوبِ ، أَيِ قِطْعَةٍ^(٣) .

وَيُقْرَأُ : ﴿ كِسْفًا ﴾^(٤) وَالْمَعْنَى عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ لِلسَّمَاءِ
كُلُّهَا ، أَيِ طَبَقًا .

وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ كَسَفْتُ الشَّيْءَ : أَيِ غَطَيْتُهُ .

١١٠ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ [آية ٩٢] .

رَوَى مَعْمَرٌ وَسَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : ﴿ قَبِيلًا ﴾ أَيِ
عِيَانًا^(٥) .

(١) قَالَ الْحَمَوِيُّ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ٤٤٩/٥ : « يَنْبُعُ » بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ هِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى سَبْعِ
مَرَاحِلَ ، وَهِيَ لِأَبْنَاءِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فِيهَا عَيُونٌ غَزِيرَةٌ عَذَابٌ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ غَنَاءٌ ، سَمِيَتْ يَنْبُعَ
لِكَثْرَةِ يَنْبَاعِهَا . اهـ .

(٢) الْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ١٦١/١٥ وَالسِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢٠٣/٤ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(٣) انْظُرْ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ ١٣١/٢ .

(٤) هَذِهِ مِنَ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ، وَانْظُرِ النُّشْرَ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ ٣٠٩/٢ لِابْنِ الْجَزَرِيِّ ، وَالسَّبْعَةَ لِابْنِ
مُجَاهِدٍ ص ٣٨٥ .

(٥) الْأَثَرُ فِي الطَّبْرِيِّ ١٦٢/١٥ وَالْقُرْطُبِيُّ ٣٣١/١٠ وَالْبَحْرُ الْمَحْظُوتُ ٨٠/٦ .

قال أبو جعفر : ذهب إلى أنه من المقابلة .

وقال غيره : ﴿ قَبِيلًا ﴾ : أي كفيلاً ، يُقال : قَبِلْتُ به أي كَفَلْتُ به ، وتَقَبَّلَ فلانٌ بكذا : أي تكفَّلَ به ^(١) .

١١١ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ .. ﴾ [آية ٩٣] .

روى مجاهد قال : كنَّا لا ندري ما الزُّخْرِفُ ؟ فرأيناه في قراءة ابن مسعود « أو يكون لك يَتٌ من ذَهَبٍ » ^(٢) .

وقال أبو جعفر : الزُّخْرِفُ في اللغة : الزَّيْنَةُ ، والذَّهَبُ من الزَّيْنَةِ ^(٣) .

١١٢ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنَزِّلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقْرُوهُ ﴾ [آية ٩٣] .

أي كتاباً بنبوتك .

(١) قال في البحر ٨٠/٦ ﴿ قَبِيلًا ﴾ أي معابنة كقوله سبحانه ﴿ لَوْلا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رُسُنَا ﴾ وقال غيره : قَبِيلًا : كفيلاً ، من تَقَبَّلَ بكذا : إذا كَفَّلَهُ ، والقَبِيلُ ، والزَّعِيمُ ، والكفيل بمعنى واحد وفي المصباح : القَبِيلُ : الكفيل وزناً ومعنى . والجمع قبلاء .

(٢) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٦٣/١٥ وفي الدر ٢٠٣/٤ وهذه القراءة شاذة وهي محمولة على التفسير .

(٣) انظر لسان العرب ، والصحاح مادة زخرف ، فقد قال الجوهري : الزخرف : الذهب ثم يُشَبَّه به كل ممَّوٍ ممزور .

فَاعْلَمْ اللَّهُ أَنَّهُ لَوْ فُعِلَ بِهِمْ ذَلِكَ مَا آمَنُوا ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ
نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ، فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ، لَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (١) .

١١٣ — وقوله جل وعز ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ،
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [آية ٩٤] .

فَاعْلَمْ اللَّهُ أَنَّ الْأَعْدَلَ الْأَبْلَغَ ، أَنْ يُبْعَثَ إِلَى كُلِّ خَلْقٍ مِنْ
كَانَ مِنْ جِنْسِهِ (٢) فَقَالَ ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ
مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ فقالوا من يشهد
لك بهذا ؟ فقال جل وعز ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ ﴾ (٣) !!

١١٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَنَخْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا ،
وَبُكْمًا ، وَصُمًّا .. ﴾ [آية ٩٧] .

(١) سورة الأنعام آية رقم ٧ .

(٢) المراد من الآية أن السبب في امتناع المشركين من الإيمان ، بعد وضوح الحجج والبراهين ، هو
استبعادهم أن يبعث الله رسولاً من البشر إلى الخلق ، فلماذا يكون بشراً ولا يكون ملكاً ؟ وقد
ردَّ تعالى عليهم هذه الشبهة الواهية بقوله ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ أي لو كان أهل الأرض ملائكة ، لبعثنا لهم نبياً من الملائكة ،
وهذا تسفيهٌ وتجهيل لمنطق المشركين .

(٣) سورة الرعد آية ٤٣ وقامها ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ .

وفي الحديث عن النبي ﷺ « إن الذي أمشاهم على أرجلهم ، قادر على أن يمشيهم على وجوههم — » (١) .

قال ابن عباس : ﴿ غُمِيًّا ﴾ لا يرون شيئاً يَسُرُّهم ﴿ وَبُكْمًا ﴾ لا ينطقون بحجة ﴿ وَصُمًّا ﴾ لا يسمعون ما يُسْرُونَ به (٢)

١١٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [آية ٩٧] .

قال مجاهد : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ : أي كلما طُفِئَتْ أَوْقَدَتْ (٣) .

وقال الضحاك : كلما سكنت (٤) .

قال أبو جعفر : يُقَالُ : خَبَتِ النَّارُ : إِذَا سَكَنَ لَهْبُهَا ، فَإِنْ سَكَنَ لَهْبُهَا وَعَادَ الْجَمْرُ رَمَادًا قِيلَ : كَبَتْ ، فَإِنْ طُفِئَ بَعْضُ الْجَمْرِ ، وَسَكَنَ اللَّهَبُ قِيلَ : خَمَدَتْ ، فَإِنْ طُفِئَتْ كُلُّهَا قِيلَ :

(١) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الفرقان ١٣٧/٦ ومسلم في صفة القيامة ١٣٥/٨ وأحمد في المسند ١٦٧/٣ عن أنس بن مالك ، ولفظه : « قيل يا رسول الله : كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أرجلهم ، قادر على أن يمشيهم على أرجلهم » وزاد في البخاري قال قتادة : بلى وعزة ربنا .

(٢) الأثر أخرجه ابن حجر ١٦٧/١٥ والقرطبي ٣٣٣/١٠ والدر المنثور ٢٠٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن جرير .

(٣) و(٤) انظر الآثار في الطبري ١٦٨/١٥ والدر المنثور ٢٠٤/٤ والقرطبي ٣٣٤/١٠ .

هَمَدَتْ ، تَهْمُدُ ، هُمُودًا^(١) .

ومعنى ﴿ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ : زدناهم ناراً تَسْعُرُ أي تلتهب .

١١٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ .. ﴾ [آية ١٠٠] .

رَوَى حَجَّاجٌ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : ﴿ الْإِنْفَاقِ ﴾ الْفَقْرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢) .

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : الْإِنْفَاقُ : الْفَقْرُ^(٣) .

وحكى أهل اللغة : أَنْفَقَ ، وَأَصْرَمَ ، وَأَعْدَمَ ، وَأَفْتَرَ : إِذَا قَلَّ مَالُهُ .

١١٧ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ [آية ١٠٠] .

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري مادة خبت قال الطبري ١٦٨/١٥ : ويعني بقوله تعالى ﴿ كَلِمَا خَبَتْ ﴾ لَأَنْتَ وَسَكَنْتَ ، ومنه قول القطامي : « فيخبو ساعة ويبُّ ساعا » .

(٢-٣) انظر الآثار في الطبري ١٧٠/١٥ وابن كثير ١٢٢/٥ والدر المنثور ٢٠٤/٤ قال أبو حيان في البحر ٨٤/٦ : « نَبَّهَ تعالى بهذه الآية على سماحته عليه السلام ، ويدلله ما آتاه الله ، وعلى امتناع هؤلاء أن يصل منهم شيء من الخير إليه ، فقال : لو ملكوا التصرف في خزائن رحمة الله التي وسعت كل شيء ، كانوا أبخل من كل أحد ، بما أوتوه من ذلك ، بحيث لا يصل منهم لأحد شيء من النفع ، إذ طبيعتهم الإقتار ، وهو الإمساك عن التوسع في النفقة » .

رَوَى حَجَّاجٌ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ ﴿ قَتُورًا ﴾ : بِخِيَلًا عَنْ
ابن عباس (١) .

١١٨ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ .. ﴾ [آية ١٠١] .

رَوَى شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ
صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ أَنَّ يَهُودِيًّا قَالَ لِمُصَاحِبِهِ : تَعَالَ حَتَّى نَسْأَلَ هَذَا
النَّبِيَّ ﷺ !! فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ : لَا تَقُلْ لَهُ النَّبِيُّ ، فَإِنَّهُ إِنْ سَمِعَهَا
صَارَتْ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَعْيُنَ ، قَالَ : فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَلَقَدْ
آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ فَقَالَ : « لَا تَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ،
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا
تَأْكُلُوا الرِّبَا ، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ ، وَلَا تَسْجُرُوا ،
وَلَا تَفْرُوا مِنَ الزَّجْفِ ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةُ الْيَهُودِ أَلَّا تُعْدُوا فِي السَّبْتِ ،
قَالَ : فَقَبِّلُوا يَدَهُ ، وَقَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : فَمَا
يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي ؟ قَالُوا : إِنَّ دَاوُدَ ﷺ دَعَا أَلَّا يَزَالَ فِي ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ ،
وإِنَّا نَخْشَى إِذَا اتَّبَعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودَ » (٢) .

(١) - الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٧٠/١٥ وابن كثير ١٢٢/٥ والسيوطي في الدر المنثور
٢٠٤/٤ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٣٩/٤ والترمذي في التفسير رقم ٣١٤٧ وقال : حسن
صحيح ، والنسائي في باب السحر ١١١/٧ وابن ماجه في كتاب الأدب رقم ٣٧٠٥ ورواه ابن
جرير في جامع البيان ١٧٣/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٤/٤ قال الحافظ ابن كثير =

وقال الحسنُ والشَّعْبِيُّ ، ومجاهدٌ ، والضحاكُ في قوله تعالى
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ هي : « الطُّوفَانُ ،
والجُرَادُ ، والقُمَّلُ ، والضَّفَادِعُ ، والدَّمَ ، والسِّنُّونَ ، ونَقْصُ من
الثَّمَرَاتِ ، واليَدُ ، والعَصَا » (١) .

هذا معنى قولهم .

١١٩ — ثم قال جَلَّ وعَزَّز : ﴿ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ
جَاءَهُمْ .. ﴾ [آية ١٠١] .

رُوي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٢)

= ١٢٣/٥ : الآيات التسع التي ذكرها الأئمة وهي : اليد ، والعصا ، والسُنُونُ ، والطوفان ،
والجراد .. الخ هي المرادة هاهنا وهي المعنى بهذه الآية ، وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن
عبدالله بن سلمة عن صفوان بن عسال ، فهو حديث مشكل ، و « عبدالله بن سلمة » في
حفظه شيء وقد تكلموا فيه ، ولعله اشتبه عليه التسع آيات بالعشر الكلمات ، فإنها وصايا في
التوراة لاتعلّق لها بقيام الحجة على فرعون ، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه ،
وأئي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون ، وما جاء هذا الوهم إلا من قبل ابن سلمة
والله أعلم .

- (١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٧١/١٥ وابن كثير ١٢٢/٥ قال الحافظ ابن كثير : وهذا
القول ظاهرٌ جليٌّ ، حسنٌ قويٌّ ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والشَّعْبِيُّ ، وقتادة .
(٢) هذه القراءة ليست من القراءات السبع ، وهي من القراءات الشاذة ، وقد ذكرها الطبري ،
والقرطبي ، وأبو حيان في البحر ، قال الطبري ١٧٣/١٥ : والقراءة التي لأستجيز القراءة
بغيرها ، هي القراءة التي عليها قُرَأَ الأمصار ﴿ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ لإجماع الحجة من القراء
على تصويبها . اهـ .

والمعنى على هذه القراءة : فسأل بني إسرائيل ، والمعنى : فلم يُردَّ
 فرعون ما جاء به موسى ﷺ من الآيات والبراهين ، بأكثر من أنه
 أخبر أنه ظان أن موسى عليه السلام ساحرٌ فقال : ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ
 يَامُوسَى مَسْحُورًا ﴾ .

١٢٠ — وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ .. ﴾ [آية ١٠٢] .

وزوي عن علي بن أبي طالب — رحمه الله عليه — أنه قرأ
 ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾ ^(١) بضم التاء ، وقال : والله ما علم فرعون ، وإنما
 هو موسى الذي علم .

قال أبو جعفر : والقراء كلهم على فتح التاء ، إلا الكسائي
 فإنه ضمها ، ولو صحَّ الحديث عن علي رحمه الله ، لم يُحتج في
 ذلك إلى نظر ، وكانت القراءة به أولى ، ولكن إنما رواه أبو إسحق ،
 عن رجل من مُراد ، عن علي رحمه الله عليه .

وعلم فرعون بذلك أوكد في الحجة عليه ، وقد احتج في
 ذلك عبدالله بن عباس بحجة قاطعة فقال : إنما هو ﴿ لَقَدْ

(١) قال ابن مجاهد في السبعة ص ٣٨٥ : قرأ الكسائي وحده ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾ بضم التاء ، وقرأ
 الباقر ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾ بفتح التاء . اهـ فالقراءتان سبعيتان وانظر النشر في القراءات العشر
 لابن الجزري ٣٠٩/٢ .

عَلِمْتُ ﴿ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ (١) .

حدثنا إبراهيم بن شريك قال : نا أحمد بن عبد الله بن يونس ، قال : نا زهير قال : حدثنا أبو إسحق قال سمعتُ أبا عُبَيْدَةَ يسأل سعد بن عياض عن قوله تعالى ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ ﴾ قال سعد : هو كقول الرجل لصاحبه وهو يحاوره : لقد علمت .

قال زهير قال أبو إسحاق ، وحدثني رجل من مراد أنه سمع علياً يقول : واللّه ما علمَ عدوّ الله ، ولكنّ موسى الذي علِمَ ، قال ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُ ﴾ أنا ، ثم قال ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ (٢) .

-
- (١) سورة النمل آية رقم ١٤ وتتمتها ﴿ ظَلَمُوا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .
- (٢) حكاها القرطبي فقال ٣٣٧/١٠ : « وقراءة العامة ﴿ لقد علمت ﴾ بفتح التاء خطاباً لفرعون ، وقرأ الكسائي بضم التاء ، وهي قراءة عليّ رضي الله عنه ، وقال : واللّه ما علمَ عدوّ الله ، ولكنّ موسى هو الذي علِمَ ، فبلغت ابن عباس فقال : إنها ﴿ لقد علمت ﴾ واحتجّ بقوله تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً ﴾ ونسب فرعون إلى العناد .
- وقال أبو عُبَيْد : والمأخوذ به عندنا فتح التاء ﴿ لقد علمت ﴾ وهو الأصح للمعنى الذي احتج به ابن عباس ، ولأن موسى لا يحتاج بقوله : لقد علمت أنا وهو الرسول الداعي ، ولو كان مع هذا كلّ تصحّح به القراءة عن علي لكانت حجة ، ولكن لا تثبت عنه .. » اهـ .

رَوَى المنهال عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس قال :
ملعوناً^(١) .

وَرَوَى ابن جُرَيْج عن مجاهد قال : هالكاً^(٢) .

وَرَوَى معمر عن قتادة قال : مُهْلِكاً^(٣) .

وروى علي بن الحكم عن الضحاك قال : ملعوناً^(٤) .

وَرَوَى عنه جوير قال : هالكاً .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد ، لأنه
حكى أهل اللغة : ما تَبَرَّك عن هذا؟ أي ما منعك منه ، وصَرَّفَكَ
عنه ، فالمعنى : ممنوعٌ من الخير^(٥) .

١٢١ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ
الْأَرْضِ .. ﴾ [آية ١٠٣] .

أي يُزِيلُهُمْ عنها ، إمَّا بقتل ، أو بِنَحْيَةٍ^(٦) .

(١-٤) انظر الآثار في تفسر الطبري ١٥/١٧٥ والقرطبي ١٠/٣٣٧ والبحر المحيط ٦/٨٦ والدر
المنثور ٤٠/٢٠٥ .

(٥) قال في الصحاح ٢/٦٠٤ : تَبَرَّه عن كذا يَتَبَرَّه بالضَّمِّ تَبَرَّاً : أي حَبَسَهُ ، يُقال : ما تَبَرَّك عن
حاجتك ؟ والتَّبَوُّرُ : الهلاك والخُسْرَانُ . اهـ وانظر معاني الفراء أيضاً ٢/١٣٢ .

(٦) قال القرطبي ١٠/٣٣٨ ومعنى الآية : « أَرَادَ فرعون أن يُخرج موسى وبني إسرائيل ، من أرض
مصر ، إمَّا بالقتل ، أو بالإبعاد ، فأهلكه الله عز وجل وأغرقه » .

١٢٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقُلْنَا مَنْ بَعْدِهِ لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ،

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [آية ١٠٤] .

قال مجاهد وقتادة : أي جميعاً^(١) .

وروى سفيان عن منصور عن أبي رزِين قال : من كلِّ

قوم^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا أولى عند أهل اللغة ، لأنه يُقال :

لَفَفْتُ الشيءَ : إذا خلطته^(٣) .

وقال الأصمعي : اللفيف جمعٌ ليس له واحد ، وهو مثلُ

الجميع^(٤) .

١٢٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا

وَنَذِيرًا ﴾ [آية ١٠٥] .

أي تبشِّرُ المطيعين بالجنة ، وتُنذِرُ العاصين بالنار .

(١) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٧٧/١٥ والقرطبي ٣٣٨/١٠ والدر المنثور ٢٠٥/٤ .

(٢) قال الجوهري ١٤٢٧/٤ : اللفيفُ : ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ، يُقال : جاعوا بلفهم

ولفيفهم أي وأخلطهم ، وقوله تعالى ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ أي مجتمعين ، وطعام لفيف إذا كان مخلوطاً من جنسين فصاعداً . اهـ .

(٣) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٣٣٨/١٠ وجامع البيان للطبري ١٧٧/١٥ .

(٤) كذلك قال الطبري في جامع البيان ١٧٨/١٥ : مبشراً بالجنة من أطاعنا ، ومنذراً لمن عصانا

وخالف أمرنا ونهينا .

١٢٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ .. ﴾ [آية ١٠٦] .

قال أبو عمرو^(١) رحمه الله : ﴿ فَرَقْنَاهُ ﴾ : بَيْنَاه .

١٢٥ — ثم قال تعالى : ﴿ لَتَقَرَّأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ .. ﴾ [آية ١٠٦] .

قال مجاهد : أي على تُؤَدَّة^(٢) .

١٢٦ — وقوله جل وعز : ﴿ إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا .. ﴾ [آية ١٠٧] .

قال الحسن : أي للجباه^(٣) .

وقال قتادة : أي للوجوه^(٤) .

والذَّقْنُ عند أهل اللغة : مجتمع اللَّحْيَيْنِ^(٥) ، وهو أقرب

(١) « أبو عمرو » هو أبو عمرو بن العلاء المازني ، النحوي المتوفى سنة ١٥٤ هـ ، من كبار علماء

اللغة والقراءات ، وهو أحد الأئمة القراء السبعة ، قرأ القرآن العظيم على حميد بن قيس

الأعرج ، ومجاهد ، وابن جبير ، قال ابن معين : ثقة ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٧٨/١٢ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٧٩/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٥/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن

أبي حاتم . قال الطبري : وفي الْمُكْثِ للعرب لغاتٌ : مُكْثٌ ، ومُكْثٌ والقراءة بضم الميم .

(٣-٤) انظر الآثار في الطبري ١٨٠/١٥ والقرطبي ٣٤١/١٠ والبحر المحيط ٨٨/٦ .

(٥) في الصحاح ٢١١٩/٥ : ذَقْنُ الْإِنْسَانِ : مجْمَعُ لَحْيَيْهِ ، وفي المثل « مثْقَلٌ استعانَ بِذَقْنِهِ »

يضرب لرجل ذليل يستعين بآخر مثله ، وأصله البعير يُحْمَلُ عليه الحمل الثقيل ، فلا يقدر على

النهوض ، فيعتمد بذقنه على الأرض . اهـ .

الأشياء إلى الأرض من الوجوه ، إذا ابتدئ السجود .

١٢٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ .. ﴾ [آية ١١٠] .

فيروى أنهم قالوا : ندعو اثنين ؟ فأعلم الله جلّ جلاله أنّه لا يُدعى غيره بأسمائه فقال ﴿ أَيُّ مَا تَدْعُو فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (١) .

١٢٨ — ثم قال جلّ وعز ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَاتَّبِعْ يَنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [آية ١١٠] .

فيها وجهان :

أحدهما : رواه الأعمش عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ يُعلنُ إذا قرأ ، فيسبُّ المشركون القرآنَ ومن أنزله ، ومن جاء به ، فصار يُخفي

(١) قال ابن جرير ١٨٢/١٥ : « سمع المشركون النبي ﷺ يدعو ربه : ياربنا الله ، وياربنا الرحمن ، فظنوا أنه يدعو إلهين ، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية ، احتجاجاً لنبيه عليهم » وقال أبو حيان في البحر ٨٩/٦ : « قال ابن عباس : تهجد الرسول ﷺ ذات ليلة بمكة ، فجعل يقول في سجوده : يارحمّن ، يارحيم ، فقال المشركون : كان محمد يدعو إلهاً واحداً ، وهو الآن يدعو إلهين إثنين : الله ، والرحمن ، وما الرحمن إلا رحمن الجامعة يعنون مسيئمة الكذاب ، فنزلت الآية .

القراءة فأنزل الله جل وعز ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا ﴾ ^(١) .

والقول الآخر : رواه هشام بن عروة عن أبيه قال قالت لي عائشة : يا ابن أخي أتدري فيم أنزل ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا ﴾ ؟ قال قلت : لا ، قالت : أنزل في الدعاء ^(٢) .

قال أبو جعفر : والإسنادان حسنان ، والدعاء يسمى صلاة ، ولا يكاد يقع ذلك للقراءة ، قال الأعشى :
تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرِئْتُ مُرْتَجِلاً
يَا رَبِّ جَنَّبْ أَبِي الْأَوْصَابَا وَالْوَجَعَا
عَلَيْكَ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتُ فَأَغْتَمِضِي
نَوْمًا فَإِنْ لَجِبَ الْمَرْءُ مُضْطَجِعًا ^(٣)

-
- (١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٠٩/٦ ومسلم في الصلاة ٣٤/٢ ولفظه قال : « كان النبي إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون ، سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ وَلَا تُخَافُ بِهَا ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴾ وابتغ بين ذلك سبيلاً » ورواه أحمد في المسند ٢٣/١ والسيوطي في الدر ٢٠٦/٤ .
- (٢) الأثر أخرجه الطبري ١٨٣/١٥ وابن كثير ١٢٨/٥ والقرطبي ٣٤٤/١٠ وقال : أخرجه مسلم عن عائشة .
- (٣) البيتان في ديوان الأعشى ص ١٠٥ وقد تقدم ذكرهما في الكتاب ٨٤/١ .

ويقال : إنه إنما قيل صلاة ، لأنها لا تكون إلا بدعاء ، والدعاء صلاة فسميت باسمه .

١٢٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ .. ﴾ [آية ١١١] .

أي لم يحتج إلى من ينتصر له .

١٣٠ — ثم قال عز وجل : ﴿ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ [آية ١١١] .
أي عظمه تعظيماً .

* * *

« إنتهت سورة الإسراء ولله الحمد والمنة »

تفسير سورة الكهف
مكية وآياتها ١١٠ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْكَافِي وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ^(١)

١ — من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا .. ﴾ [آية ١] .

في هذا قولان :

أحدهما : أنها على التقديم والتأخير .

والمعنى : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قَيِّمًا ، ولم يجعل له عِوَجًا ^(٢) .

يُروى هذا المعنى عن ابن عباس ، ومجاهد .

(١) هذا قول الجمهور أنها مكية جميعها ، روي ذلك عن ابن عباس ، كما حكاه الشوكاني في فتح القدير ٢٦٨/٣ وقال القرطبي ٣٤٦/١٠ : وهي مكية في قول جميع المفسرين ، وروي عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله تعالى ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ قال : والأول أصح . أهـ .

(٢) هذا ما ذهب إليه الفراء في كتابه معاني القرآن ١٣٣/٢ أن الآية فيها تقديم وتأخير ، وذكره الطبري ورجحه ١٩٠/١٥ فقال : أنزل الكتاب عدلاً قَيِّمًا ، ولم يجعل له عوجاً ، فالقَيِّم مؤخر ومعناه التقديم وروي ذلك عن ابن عباس . اهـ ولم يرتض هذا القول الفخر الرازي في التفسير الكبير ٧٦/١١ حيث قال : ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ يدل على كونه كاملاً في ذاته ، وقوله ﴿ قَيِّمًا ﴾ يدل على كونه مكتملاً لغيره ، وكونه كاملاً في ذاته متقدماً بالطبع على كونه مكتملاً لغيره ، فثبت بالبهران أن الترتيب الصحيح ما ذكره القرآن ، وفساد ما قالوه من التقديم والتأخير .

قال أبو جعفر : حدثنا بكر بن سهل قال : نا عبدالله بن صالح ، قال : نا معاوية بن صالح ، قال : حدثني علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قِيَمًا ﴾ . يقول : أنزل الكتاب عَذْلًا قِيَمًا ، ولم يجعل له عوجاً ملتبساً^(١) .

والقول الآخر : رواه سعيد عن قتادة قال : في بعض القراءات « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجًا ، ولكن جعله قِيَمًا »^(٢) .

٢ — وفي قوله تعالى ﴿ رَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ قولان :

أحدهما : أنه لم يجعله مختلفاً كما قال سبحانه ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٣) .

والقول الآخر : أنه لم يجعله مخلوقاً ، كما روي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾^(٤) قال : غير مخلوق^(٥) .

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٩٠/١٥ والبحر المحيط لأبي حيان ٩٦/٦ .

(٢) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٣٥١/١٠ ولفظه : وقال قتادة : الكلام على سياقه من غير تقديم ولا تأخير ، ومعناه : ولم يجعل له عِوَجًا ولكن جعله قِيَمًا . اهـ أقول : هذا تفسير وليس بقراءة ، قال في البحر ٩٦/٦ : ويُحمل ذلك على أنه تفسير للمعنى لا أنها قراءة .

(٣) سورة النساء آية رقم ٨٢ .

(٤) سورة الزمر آية رقم ٢٨ .

(٥) هذا القول ذكره القرطبي ٣٥٢/١٠ في جامع الأحكام قال : وقيل : أي لم يجعله مخلوقاً ، كما =

٣ — وفي قوله جل وعز : ﴿ قِيَمًا ﴾ : قولان :

أحدهما : رواه جوير عن الضحاك قال : مستقيماً^(١) .

والقول الآخر : أنه قِيَمًا على الكتب أي يُصَدِّقُهَا^(٢) .

٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ .. ﴾ [آية ٢] .

المعنى : لينذركم بأساً شديداً ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ ﴾^(٣) .

٥ — ثم قال جل وعز ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [آية ٥] .

المعنى : كبرت تلك الكلمة كلمة عند الله^(٤) ، وهي قولهم ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ أي : كبرت من كلمة .

= روي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ قرآنًا عربياً غير ذي عوج ﴾ قال : غير مخلوق . اهـ والقول الأول هو الأظهر والأشهر .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ١٩٠/١٥ والسيوطي في الدر ٢١١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٢) حكى هذا القول الفراء في معانيه ١٣٣/٢ ورجح الطبري القول الأول ، المروي عن الضحاك وابن عباس فقال ﴿ قِيَمًا ﴾ أي مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت ، بل بعضه يُصَدِّقُ بعضاً . اهـ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٧٥ والشاهد في الآية ﴿ يَخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ ﴾ أي يخوفكم أوليائه وهم الكفار لترهبوهم .

(٤) في المخطوطة طمس ، وقد أثبتناه من تفسير القرطبي ، وجامع البيان للطبري ١٩٣/١٥ .

وقيل : فيه معنى التعجب ، كما يُقال لقاضي قضى بالحق :
ما أقضاه !!

فيكون المعنى : ما أكبرها من كلمة (١) !!

وقرأ الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ
مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ (٢) بالرفع .

ومعناه : عَظُمَتْ ، يُقال : كَبُرَ الشَّيْءُ : إذا عَظُمَ ، وَكَبِرَ :
إذا أَسَنَّ .

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى
آثَارِهِمْ .. ﴾ [آية ٦] .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : قَاتَلَ نَفْسَكَ (٣) ، ثم قال :
﴿ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ أي بعدهم (٤) .

(١) هذا قول أبي عُبَيْدَةَ ، كما حكاه عنه في البحر ٩٧/٦ قال : هو نصبٌ على التعجب أي أكبر بها كلمة أي من كلمة . وقال ابن جرير ١٩٣/١٥ : وكان بعض نحوِّي أهل البصرة يقول : نصبت « كلمة » لأنها في معنى أكبر بها كلمة . اهـ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المختصب لابن جني ٢٤/٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩٤/١٥ وابن كثير ١٣٤/٥ ولفظه : قَاتَلَ نَفْسَكَ غضباً وحرناً عليهم .

(٤) قال في البحر ٩٧/٦ وقوله تعالى ﴿ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ استعارة فصيحة من حيث لهم إدباراً وتباعد عن الإيمان ، وإعراض عن الشرع ، فكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا وهو يحزن عليهم .

٧ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ هَذَا الْحَدِيثِ
أَسَفًا ﴾ [آية ٦] .

قال قتادة : أي غضباً^(١) .

قال مجاهد : أي جزعاً^(٢) .

وهذا أشبه ، أي حُزنًا عليهم^(٣) .

٨ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً
لَهَا .. ﴾ [آية ٧] .

قال قطرب^(٤) : أي ما على الأرض ممَّا تُزِينُ به .

٩ — ثم قال جل وعزَّ ﴿ لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [آية ٧] .
أي لنختبرهم^(٥) .

(١-٢) انظر هذه الآثار في الطبري ١٩٥/١٥ والبحر المحيط ٩٨/٦ وابن كثير ١٣٤/٥ .

(٣) معنى الآية : فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها غمًّا وحزنًا على تكذيبهم ، وتوليهم وإعراضهم عن الإيمان !!

(٤) وجد على هامش المخطوطة العبارة الآتية « الشيخ قُطرب يُقال له ابن المستنير » أقول : هو محمد ابن المستنير بن أحمد البصري أبو علي المتوفي سنة ٢٠٦ هـ وهو أحد أئمة النحو واللغة ، أخذ عن سيويه وجماعة من علماء البصريين ، وسماه سيويه قطرباً لأنه كان يُكْنَى في المجيء إليه فقال له : ما أنت إلا قطرب ليل .. وانظر ترجمته في شذرات الذهب ١٥/٢ وتاريخ بغداد ٢٩٨/٣ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦٢٥/١ .

(٥) قال الطبري ١٩٥/١٥ : أي لنختبر عبادنا ، أَيُّهُمْ أَتَبَعَ لأمرنا ونهيها ، وأعمل فيها بطاعتنا .

١٠ - وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً
جُرُزاً ﴾ [آية ٨] .

روى سعيد عن قتادة قال : أي لاشجر فيها ، ولا نبات ،
ولا بناء^(١)

وقال مجاهد : أي بَلَقَعاً^(٢) .

قال أبو جعفر : والصعيدُ في اللُّغَةِ : وجهُ الأرض ، ومنه قيل
للتراب : صعيدٌ .

والجُرُزُ في اللُّغَةِ : الأرضُ التي لا نبات فيها .

قال الكسائي : يُقال : جُرَزَتِ الأرضُ تَجُرُزُ ، وجَرَزَهَا القومُ
يَجْرِزُونَهَا ، إذا أكلوا كُلَّ ما فيها من النَّبَاتِ وَالزَّرْعِ ، فهي مَجْرُوزَةٌ ،
وجُرُزٌ^(٣) .

١١ - وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا
مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً ﴾ [آية ٩] .

(١-٢) انظر الآثار في جامع البيان ١٩٦/١٥ وابن كثير ١٣٤/٥ والبحر المحيط ٩٩/٦ والمراد أن الله
سيجعل ما على الأرض من الزينة والنعم حطاماً ورُكاماً ، حتى تصبح كالأرض الجرداء التي
لا نبات فيها ولا حياة ، بعد أن كانت خضراء بهيجة .

(٣) في الصحاح ٦٦/٣ : أرضٌ جُرُزٌ : لا نبات بها ، كأنه انقطع عنها المطر ، تقول : أجزز القوم
كما تقول : أيسسوا ، وأرضٌ مَجْرُوزَةٌ : أكل نباتها ، والجُرُزُ : السَّنَةُ المجدبة . اهـ .

قال الضحاك : ﴿ الكهف ﴾ الغار في الوادي ،
و﴿ الرقيم ﴾ الوادي .

وقال يزيد بن درهم^(١) : سئل أنس بن مالك عن الكهف ،
والرقيم فقال : ﴿ الكهف ﴾ الجبل ﴿ والرقيم ﴾ الكلب^(٢) .

وروى سفيان بن سعيد ، عن سمالك ، عن عكرمة ، عن ابن
عباس ، أنه سأل كعباً ما الرقيم ؟ فقال : هو اسم القرية التي خرجوا
منها^(٣) .

وقال عكرمة : ﴿ الرقيم ﴾ الدَّوْءُ^(٤) .

وقال مجاهد : ﴿ الرقيم ﴾ الكتاب^(٥) .

وقال السدّي : الصخرة^(٦) .

وقال الفراء : الرقيم لوح من رصاص ، كتبت فيه أسماءهم ،
وأنسابهم ، ودينهم ، ومن هربوا^(٧) .

(١) « يزيد بن درهم » أبو العلاء العجمي بصري ، روى عن أنس بن مالك والحسن ، وثقه بعضهم
وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وانظر ترجمته في الجرح والتعديل ٢٦٠/٩ والمغني في
الضعفاء ٧٤٨/٢ .

(٢-٦) هذه الآثار كلها ذكرها المفسرون : الطبري في جامع البيان ١٩٨/١٥ وابن كثير ١٣٥/٥
وأبو حيان في البحر ١٠١/٦ والقرطبي ٣٥٧/١٠ والسيوطي في الدر ٢١٢/٤ .

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٤/٢ .

وقال أبو عُبيدة : الرَّقِيمُ : [الوادي] ^(١) الذي فيه الكهف .

ورَوَى إِسْرَائِيلُ ، عن سِمَاك ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس قال : « كُلُّ الْقُرْآنِ أَعْلَمُ إِلَّا أَرْبَعًا : غَسْلِينَا ، وَحَنَانَا ، وَالْأَوَاةُ ، وَالرَّقِيمُ » ^(٢) .

ورَوَى سَفِيَّانُ بْنُ حُسَيْنٍ ، عن يَعْلَى بْنِ مُسْلِمٍ ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن ابن عباس أنه ذكر أصحاب الكهف فقال : « إِنَّ الْفَتِيَّةَ فَقِدُوا ، فَطَلَبَهُمْ أَهْلُهُمْ فَلَمْ يَجِدُوهُمْ ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ : لِيَكُونَنَّ لَهُمْ نَبَأٌ ، وَأَحْضَرَ لَوْحًا مِنْ رَصَاصٍ ، فَكَتَبَ فِيهِ أَسْمَاءَهُمْ ، وَجَعَلَهُ فِي خَزَائِنِهِ ، فَذَلِكَ اللَّوْحُ هُوَ الرَّقِيمُ » ^(٣) .

ورَوَى وَكِيعٌ عن أَبِي مَكِينٍ ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قال : الرَّقِيمُ : « لَوْحٌ [فِيهِ أَسْمَاءُ فَتْيَةٍ رُقِمَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي الصَّخْرَةِ فَذَلِكَ الْكِتَابُ] » ^(٤) .

وفي بعض الروايات : أنه كُتِبَ أَسْمَاؤُهُمْ وَخَبَرَهُمْ فِي لَوْحٍ ، وَجُعِلَ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ .

(١) سقط من المخطوطة لفظة « الوادي » وأثبتناها من مجاز أبي عُبيدة ٣٩٤/١ وهي ضرورية .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩٩/١٥ عن ابن عباس ، ولفظه « كُلُّ الْقُرْآنِ أَعْلَمُهُ ، إِلَّا حَنَانًا ، وَالْأَوَاةُ ، وَالرَّقِيمُ » ورُوي عنه أيضاً قوله : « مَا أَدْرِي مَا الرَّقِيمُ ، أَكُتِبَ أَمْ يُنَبِّأَن ؟ » ورواه القرطبي في جامع الأحكام ٣٥٧/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢١٢/٤ .

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٢١٢/٤ ، والقرطبي في جامع الأحكام ٣٥٧/١٠ .

(٤) وجد سقط في المخطوطة ، وهو ما بين الحاصرتين ، وأثبتناه من الدر المنثور ٢١٢/٤ .

قال أبو جعفر : والروايات التي رُوِيَتْ عن ابن عباس ليست
بمتناقضة .

لأن القول الأول إنما سمعه من كعب .

والقول الثاني يجوز أن يكون عَرَفَ الرقيم بعده .

وأحسن ما قيل فيه أنه الكتاب^(١) ، وذلك معروف في اللغة ،
يُقال : رَقِمْتُ الشيء أي كتبتُه ،

قال الله عز وجل ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾^(٢) .

و ﴿ رَقِيمٌ ﴾ بمعنى مرقوم ، كما يُقال : قَتِيلٌ بمعنى مقتول^(٣) .

وزَوَى ابنُ جُرَيْجٍ عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا
عَجَبًا ﴾ قال : هم عجبٌ .

قال أبو جعفر : يذهب مجاهدٌ إلى أنه ليس بإنكارٍ على النبيِّ
ﷺ أن يكون عنده أنهم عجبٌ .

(١) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٩٩/١٥ وذكره الإمام البخاري في صحيحه ١٠٩/٦
حيث قال : الكهفُ : الفتحُ في الجبل ، والرَّقِيمُ : الكتابُ ، مَرْقُومٌ مكتوبٌ من الرِّقْمِ .
(٢) سورة المطففين آية ٩ وقد ورد في المخطوطة ﴿ في كتاب مرقوم ﴾ وصوابه ما أثبتناه كما هو في
النص الكريم .

(٣) قال ابن جرير ١٩٩/١٥ : وأولى الأقوال بالصواب أن يكون معنياً بالرَّقِيمِ : لوحٌ ، أو حَجَرٌ ، أو
شيءٌ كُتِبَتْ فيه كتابةٌ ، والرَّقِيمُ : فَعِيلٌ ، أصله مَرْقُومٌ ، ثم صُرِفَ إلى فَعِيلٍ ، كما قيل
للمجروح جريحٌ ، وللمقتول قَتِيلٌ .

وقد رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : يقول : ليس هم
بأعجب آياتنا^(١) !!

١٢ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ
لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [آية ١٠] .

أي أرشدنا إلى أحبِّ الأشياء إليك .

١٣ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ^(٢) فِي الْكَهْفِ سِنِينَ
عَدَدًا ﴾ [آية ١١] .

أي منعناهم من أن يسمعوا ،

والمعنى : أئمنناهم ، لأنهم إذا سمعوا انتبهوا ، ثم قال ﴿ سِنِينَ
عَدَدًا ﴾ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٩٧/١٥ وابن كثير ١٣٤/٥ ولفظه : قد كان من آياتنا ما هو أعجب
من ذلك .

أقول : الآية واردة على تعظيم الخبر والقصة والمعنى : لاتظنَّ أن قصة أهل الكهف — على
غرابتها — هي أعجب آيات الله ، ففي هذا الكون من العجائب والغرائب ، ما يفوق قصة
أصحاب الكهف !!

(٢) قال القرطبي ٣٦٣/١٠ : هذه عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم ، وهذه من فصيحات
القرآن التي أقرت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله قال الزجاج : أي منعناهم أن يسمعوا ، لأن
النائم إذا سمع انتبه . اهـ

أقول : اللفظة استعارة بديعة للنوم الثقيل ، فقد شبهت الإنامة الطويلة التي ناموها بضرب
الحجب على الآذان كما تُضربُ الخيمة على السكان ، وعبر بالضرب ليدل على قوة المباشرة .

وفي الفائدة في قوله ﴿عَدَدًا﴾ قولان :

أحدهما : أنه [توكيد وإفراد من الواحدة .

والآخر : أنه توكيد معنى الكثرة ^(١) [لأن القليل لا يحتاج إلى عدد ، لأنه قد عُرف ^(٢) .

١٤ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ ..﴾ [آية ١٢] .

أي من نومهم ^(٣) ، يُقال لمن أُحْيِيَ ، أو أُقِيم من نومه : مبعوث ، لأنه كان ممنوعاً من الانبعاث والتصرف .

١٥ — ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿لَتَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [آية ١٢] .

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

(٢) قال القرطبي ٣٦٣/١٠ : ﴿عَدَدًا﴾ نعتٌ للسنين أي معدودة ، والقصدُ به العبارة عن التكثير ، لأن القليل لا يحتاج إلى عدد ، لأنه قد عُرف .

(٣) لا يُراد بالبعث الإحياء بعد الموت ، كما يُبعث الخلق يوم النشور ، وإنما يُراد به البعث من النوم أي أيقظناهم بعد ذلك النوم الطويل ، لنرى أيَّ الفريقين ، أدقُّ إحصاءً للمدة التي ناموها في الكهف .

قال مجاهد : أي عدداً^(١) .

قال أبو جعفر : والأمد في اللغة : الغاية .

١٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ .. ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : أي بالإيمان^(٢) .

والمعنى عند أهل اللغة : صبرناهم ، وثبتناهم .

١٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،

لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ﴾ [آية ١٤] .

فأنكروا أن يُعبدَ مع الله غيره .

١٨ — ثم قال تعالى ﴿ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : أي كذباً^(٣) .

قال أبو جعفر : والشَّطَطُ في اللُّغة : التجاوزُ في الجَوْرِ^(٤) .

١٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ، لَوْلَا

(١—٣) انظر الآثار في الطبري ٢٠٧/١٥ والبحر المحيط ١٠٦/٦ وابن كثير ١٣٦/٥ والدر المنثور

٢١٥/٤ والقرطبي ٣٦٤/١٠ قال أبو حيان في البحر ١٠٥/٦ : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي

ثَبَّتْنَاهَا وَقَوَّيْنَاهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى هِجْرَةِ الْوَطَنِ ، وَالنَّعِيمِ ، وَالْفِرَارِ بِالذِّينِ ، إِلَى غَارٍ فِي مَكَانٍ قَفَرٍ ، لَا أَنْيْسَ بِهِ وَلَا مَاءَ ، وَلَا طَعَامَ .

(٤) الشَّطَطُ : الجَوْرُ وَالْغُلُوُّ وَتَعَدِّي الْحَدِّ ، قَالَ الْفَرَاءُ : اشْتَطَّ فِي الْأَمْرِ : جَاوَزَ الْحَدَّ ، وَشَطَّ الْمَنْزِلُ :

بَعُدَ ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : الشَّطَطُ : مَجَاوِزَةُ الْقَدْرِ فِي كُلِّ شَيْءٍ . وانظر الصحاح ١١٣٨/٣ .

يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴿ [آية ١٥] .

رَوَى ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : « كُلُّ سُلْطَانٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حُجَّةٌ » ^(١) .

٢٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ .. ﴾ [آية ١٦] .

والمعنى : اعتزلتم ما يعبدون ، إِلَّا اللَّهَ فَإِنَّكُمْ لَمْ تتركوا عبادته ^(٢) .

وروى سعيّد عن قتادة قال : في قراءة ابن مسعود ﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) .

(١) الأثر أخرجه البخاري في التفسير عن ابن عباس ١٠٤/٦ بهذا اللفظ « كل سلطان في القرآن فهو حجة » وأخرجه ابن جرير بنحوه عن مجاهد قال والمعنى : اتونا بحجة على ما تقولون . قال الحافظ ابن كثير ١٣٨/٥ ومعنى الآية : هَلَّا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه ، دليلاً واضحاً صحيحاً ؟!

(٢) على هذا القول تكون « إِلَّا » بمعنى غير ، وهذا مروى عن قتادة والمعنى : وإذ اعتزلتم أيها الفتية قومكم ، وما يعبدون من الأوثان غير الله تعالى ، وإلى هذا ذهب الأكثرون ، قال ابن كثير رحمه الله ١٣٨/٥ والمعنى : « وَإِذْ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم ، في عبادتهم غير الله ، ففارقوهم أيضاً بأديانكم » اهـ .

(٣) هذه قراءة شاذة ، ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٣٦٧/١٠ وأبو حيان في البحر المحيطة ١٠٦/٦ وذكرها ابن جرير ٢٠٩/١٥ على أنها تفسير ، قال في البحر ١٠٦/٦ : وما في مصحف ابن مسعود إنما أريد به تفسير المعنى ، وليس ذلك قرآناً لخالفها لسواد المصحف ، ولأن المستفيض عن عبد الله بل هو متواتر ، ما ثبت في السواد وهو ﴿ وما يعبدون إِلَّا اللَّهَ ﴾ .

٢١ — ثم قال جل وعز ﴿ فَأُوْٓؤَا۟ا۟ اِلَى الْكَهْفِ .. ﴾ [آية ١٦] .

أي صيروه مأواكم^(١) .

ثم قال جل وعز ﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا ﴾ [آية ١٦] .

[قرىء بفتح الميم وكسرهما ، وهو ما يُرتفق به ، وكذلك مِرْفَقُ الإنسانِ ومِرْفَقُهُ ، ومنهم من يجعل المِرْفَق بفتح الميم وكسر الفاء من الأمر ، والمِرْفَق من الإنسان ،

وقد قيل : المِرْفَق بفتح الميم : الموضع كالمسجد ، وهما لغتان]^(٢) .

٢٢ — وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكْ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ .. ﴾ [آية ٢٣] .

[روي أن النبي ﷺ سئل عن [فتية مَضَوْا في الزَّمنِ الأولِ ،

(١) قال في البحر ١٠٦/٦ : أي اجعلوه مأوى لكم تقيمون فيه وتأوون إليه .
(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وما أثبتناه من تفسير القرطبي ٣٦٧/١٠ لأنه كثيراً ما ينقل عن الإمام النحاس ، كما يوجد سقط لبعض الآيات ، لانعلم هل ترك المصنف رحمه الله تفسيرها ، أو سقطت من المخطوطة ، وهي في حدود سبع آيات .

وعن رجل طَوَّاف ، وعن الروح ، فقال رسول الله ﷺ : غداً أخبركم عن ذلك ، ولم يَسْتَشِنْ ، فمكث عنه جبريل بضعة عشرة ليلة ، ثم جاءه بسورة الكهف ، ونزل في قوله : أَخْبِرْكُمْ بِهِ غداً ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غداً إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (١) .

٢٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَقُلْ عسى أَن يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشداً ﴾ [آية ٢٤] .

أي عسى أن يعطيني من الآيات والدلائل ، ما هو أرشد وأبين من خير أصحاب الكهف .

٢٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعاً ﴾ [آية ٢٥] .

في معناه ثلاثة أقوال :

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٢٨/١٥ وأخرجه ابن كثير من رواية ابن إسحاق عن ابن عباس ١٣٣/٥ قال : بعثت قريش إلى أحبار اليهود ، يسألونهم عن محمد هل هو نبي ؟ فقالوا لهم : سلوه عن ثلاثة نأمركم بهن ، فإن أخبركم عن اثنتين ، وأمسك عن الثالثة فهو نبي ، فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فهو رجل متقول — أي مفتري على الله — سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ، فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ؟ وسلوه عن رجل طَوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح ما هو ؟ فسألوه عما أمروهم به فقال ﷺ : أخبركم غداً بما سألتكم عنه ولم يستش — أي لم يقل إن شاء الله — فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل عليه السلام ، حتى أرحف أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بسورة أصحاب الكهف وفيها معاتبته ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غداً إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ وانظر زاد المسير أيضاً .

أ — قال مجاهد : هذا عددُ ما لبثوا^(١).

ب — وقال قتادة : في قراءة ابن مسعود « وَقَالُوا لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ »^(٢).

ج — والقول الثالث : أن الله خبر بما لبثوا ، إلى أن بُعثوا من الكهف ، ولا نعلم كم مُدُّ بُعثوا إلى هذا الوقت ، فقال سبحانه ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ أي من أي وقت مبعثهم إلى هذا الوقت .

قال أبو جعفر : وأحسنُ هذه الأقوال الأول ، وإنما يقع الإشكال فيه لقوله جلَّ وعزَّ ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ ففرَّ قومٌ إلى أن قالوا : هو معطوفٌ على قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ .. ﴾^(٣).

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الأول ، لأنه أبلغ ، وأن

(١-٢) قال الحافظ ابن كثير ١٤٧/٥ : رواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ، ثم هي شاذة فلا

يُحتج بها ، والأثر عن مجاهد أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٩١/٥ .

(٣) خلاصة القول في هذه الآية : أن المفسرين اختلفوا فيها على قولين :

الأول : أن هذا حكاية عما قال الناس في حقهم ، وليس بمقدار لبثهم ، روي هذا عن ابن عباس ، واستدل عليه فقال : لو كانوا لبثوا ذلك ، لما قال الله تعالى ﴿ الله أعلم بما لبثوا ﴾ وكذلك قال قتادة : هذا قول أهل الكتاب .

الثاني : أنه مقدار ما لبثوا ، والمعنى : لبثوا هذا القدر ، من يوم أن دخلوا الكهف ، إلى أن بعثهم الله وأطلع الخلق عليهم ، فهو خبرٌ من الله تعالى عن مدة لبثهم ، وهذا هو الصحيح ، وهو قول جميع من المحققين ، وانظر المحرر الوجيز ٢٨٣/٩ وتفسير القرطبي ٣٨٧/١٠ .

ابن فضيل رَوَى عن الأجلح^(١) عن الضحاك قال : لَمَّا أُنْزِلَتْ ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ قالوا : أَسْنِينَ ؟ أم شهوراً ؟ أم أياماً ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿سِنِينَ﴾^(٢) .

قال أبو جعفر : فَأَمَّا مَا أَشْكَلَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ فَنَحْنُ نَبَيِّنُهُ .

يجوز أَنْ يَكُونَ لَمَّا اخْتَلَفُوا فِي مَقْدَارِ مَا لَبِثُوا ، ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِهِ فَقَالَ : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أَيُّهُ هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْ اخْتِلَافِهِ فِيهِ .

وَقَوْلُ آخِرِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا : أَنْ يَكُونَ «أَعْلَمُ» بِمَعْنَى عَالِمٌ ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ مَوْجُودٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(٣) أَجُودُ الْأَقْوَالِ فِيهِ أَنْ مَعْنَاهُ : هُوَ هَيِّنٌ عَلَيْهِ ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي الْعَبَّاسِ^(٤) ، وَمِنْهُ «اللَّهُ أَكْبَرُ» بِمَعْنَى كَبِيرٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

(١) الأجلح : هو أجلح بن عبدالله بن حُجَّيَّة ، يُقَالُ : اسْمُهُ يَحْيَى ، وَالْأَجْلَحُ لَقَبٌ ، قَالَ فِي التَّقْرِيبِ ٤٩/١ : صَدُوقٌ ، شِيعِيُّ ، مِنَ السَّابِغَةِ ، مَاتَ سَنَةَ ١٤٥ هـ وَانْظُرْ تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ ١٨٩/١ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم ٢٣١/١٥ وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٨٤/٩ .

(٣) سورة الروم آية رقم ٢٧ .

(٤) يريد به الإمام المبرّد .

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
يَتَّى دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ^(١)

وقول الآخر :

أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي
— قَسَمًا إِلَيْكَ — مع الصُّدُودِ لِأَمِيلُ^(٢)

وقول الآخر :

لَعَنُوكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأُوجَلُ
عَلَى أَيُّنَا تَعْدُو الْمَيِّتَةَ أَوَّلُ^(٣)
٢٥ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ .. ﴾ [آية ٢٦] .

المعنى : ما أبصره وأسمعه^(٤) ، أي هو عالم بقصة أصحاب
الكهف وغيرهم .

(١) البيت في ديوان الفرزدق ١٥٥/٢ والشاهد فيه أن « أطول » بمعنى طويل ، وليس أفعل تفضيل .

(٢) البيت للأحوص الأنصاري من قصيدة يمدح بها عمر بن عبدالعزيز ، وقد استشهد به سيبويه
١٩٠/١ وهو في المقتضب للمبرد ٢٣٣/٣ وفي خزانة الأدب ٤٨/٢ بلفظ « إني لأمنحك
الصُّدُود .. » الخ وأول القصيدة :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ التِّي أَنْعَزَلُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ
إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي

(٣) البيت لمعني بن أوسي المُرَني وهو في ديوانه ص ٣٦ وهو في خزانة الأدب ٥٠٥/٣ والنصف لابن
جني ٣٥/٣ .

(٤) قال الأخفش ٦١٨/٢ أي ما أبصره وأسمعه كما تقول : أكرم به أي ما أكرمه . قال قتادة : أي لا
أحد أبصر من الله ولا أسمع . والصيغة صيغة تعجب وانظر البحر ١١٧/٦ .

٢٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [آية ٢٦] .

نظيره قوله تعالى ﴿ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾^(١) .

ومن قرأ ﴿ وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾^(٢) فمعناه عنده :
لاتنسب أحداً إلى أنه يعلم الغيب .

٢٧ — وقوله جل وعز : ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [آية ٢٧] .

قال مجاهد : أي ملجأ أي يمنعك منه جل وعز^(٣) .

قال أبو جعفر : وهو حسن في اللغة ، وأصله في اللغة من اللحد وهو من الميل والملحد : المائل عن الحق ، العادل عنه ، فإذا لحدت إلى الشيء فقد ملت إليه^(٤) .

(١) سورة الجن آية رقم ٢٦ — ٢٧ .

(٢) هذه قراءة ابن عامر ، وهي من القراءات السبع ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٩٠ والنشر

٣١٠/٢ وقرأ الباقون ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ بالرفع .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٢٣٣/١٥ والدر المنثور ٢١٨/٤ .

(٤) في الصحاح ٥٣٤/٢ : اللحد : الشق في جانب القبر ، والملتحد : الملجأ ، لأن اللاجيء يميل

إليه . اهـ . وورد في المخطوطة « فإذا لجأت إلى الشيء » وهو تصحيف وصوابه « فإذا لحدت إلى

الشيء » كما أثبتناه ، لأنه شرح لمعنى الملحد .

٢٨ — وقوله جل وعز : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ..﴾ [آية ٢٨] .

رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : الصَّلَاةُ
المكتوبة (١) .

قال مجاهد وإبراهيم : الصلوات الخمس (٢) .

٢٩ — ثم قال جل وعز : ﴿وَلَا تُعَدِّ عَيْنُكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ..﴾ [آية ٢٨] .

أي لا تتجاوزهم إلى الترفين (٣) .

وَرَوَى عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَرَأَ ﴿وَلَا تُعَدِّ عَيْنُكَ عَنْهُمْ﴾

(١) و(٢) يريد المصنف أن معنى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ أي يصلُّون الصلوات الخمس ، في
الصباح والمساء كما روى عن مجاهد وابن عمر وهذه الآية مثل قوله تعالى في سورة الأنعام
﴿وَلَا تُطْرَدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ وانظر الآثار في الطبري ٢٠٣/٧ والدر المنثور
٢٣٠/٤ والمحرم الوجيز ٢٩٢/٩ ورجح الطبري أن المراد بالآية أهل الذكر والدعاء والتسبيح
والتمجيد ، ويدخل في الذكر الصلوات الخمس ، والله أعلم .

(٣) قال الزجاج ٢٨١/٣ : أي لا تصرف بصرَكَ إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة .
أقول : سبب نزول هذه الآية ما رواه مسلم في صحيحه ١٢٧/٧ عن سعد بن أبي وقاص
قال : « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ
عَلَيْنَا ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ وَلَا تُطْرَدُ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ .. الآية ، وانظر تفسير الحافظ ابن كثير ١٤٨/٥ .

بتشديد الدال والنصب^(١) .

٣٠ — ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ﴾ [آية ٢٨] .

قال مجاهد : أي ضياعاً^(٢) .

قال أبو جعفر : وقيل : إسرافاً ، وقيل : ندماً^(٣) .

وهذه الأقوال متقاربة ، وهو من الإفراط في الشيء ، والتجاوز
فيه .

ويبين هذا أن سفيان بن سعيد قال : هو « عَيْنَةٌ بِنُ
حِصْنٍ » .

وقال غيره : قال : أنا أشرف مُضَرَّ وأجلُّها .

فهذا هو التجاوز بعينه .

(١) هذه القراءة ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٩٣/٩ قال : ﴿ وَلَا تُعَدِّ ﴾ بضم التاء وفتح
العين وشد الدال المكسورة أي لا تتجاوزها أنت عنهم ، وذكر أيضاً قراءة ﴿ وَلَا تُعَدِّ ﴾ بضم
التاء وسكون العين إلخ وهما من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٧/٢ .

(٢) انظر الأثر في الطبري ٢٣٦/١٥ والدر المنثور ٢٢٠/٤ قال ابن كثير ١٤٩/٥ : أي أعماله
وأفعاله سفةً وتفريطاً وضياعاً .

(٣) ذكر هذه الأقوال الطبري ٢٣٧/١٥ وابن عطية ٢٩٣/٩ قال : والفُرْطُ يحتمل أن يكون بمعنى
التفريط والتضييع ، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف ، أي أمره وهواه الذي هو
بسبيله ضياعٌ ، وقد فسره المتأولون بالعبارتين أعني : التضييع ، والإسراف ، وعبر عنه خباب
بالهلاك ، وداود بالندامة ، وهذا كله تفسير بالمعنى ، وفي البخاري ٤٠٨/٨ ﴿ قُرْطًا ﴾ ندماً .

وقال الفراء : ﴿ فُرْطًا ﴾ : متروكاً ، قد تُركت فيه الطَّاعَةُ^(١) .

٣١ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَقِيلَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

المعنى : وقل الذي جئتكم به ، الحق من ربكم .

٣٢ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ .. ﴾

[آية ٢٩] .

هذا على التهديد^(٢) .

٣٣ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنَّا أَغْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا .. ﴾ [آية ٢٩] .

أي جعلناها لهم عِتَادًا ، والعِتَادُ : الثابتُ اللازمُ ، وهو مثلُ العُدَّة^(٣) .

٣٤ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا .. ﴾ [آية ٢٩] .

السُّرَادِقُ فِي اللُّغَةِ : كُلُّ شَيْءٍ مُحِيطٌ بِشَيْءٍ^(٤) .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٤٠/٢ فقد جاء فيه ﴿ فُرْطًا ﴾ متروكاً قد ترك فيه الطَّاعَةُ ، وغُفِلَ عنها ، ويُقال : إنه أفرط في القول فقال : نحن رعوُسُ مَضْرُ وأُشْرَافُهَا . وليس كذلك وهو « غَيِينَةُ بن حصن » اهـ .

(٢) ظاهره أمرٌ وحقيقته وعيدٌ وتهديد ، كما قاله الزجاج في معانيه ٢٨١/٣ فهو كقوله تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ٥٠٥/٢ فقد قال فيه : العِتِيدُ : الشيءُ الحاضرُ المهيأُ ، والعِتَادُ : العُدَّةُ ، يُقال : أخذ للأمر عُدَّتَهُ وَعِتَادَهُ ، أي أهْبَتَهُ وآلَتَهُ . اهـ .

(٤) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٢٨٢/٣ وقال ابن عطية في المحرر ٢٩٥/٩ : السُّرَادِقُ : هو الجدارُ المحيطُ ، كاللحجارة التي تدور وتُحِيطُ بالفسطاط ، ومنه قول رؤبة « سُرَادِقُ المجد عليك مَمْدُودٌ » وانظر القاموس المحيط .

قيل : إنه يُراد به الدُّخان^(١) ، الذي يَحِيطُ بالكُفَّارِ يومَ
القيامةِ ، وهو الذي ذكرهُ اللهُ في قوله سبحانه ﴿ ائْتَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي
ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾^(٢) .

٣٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي
الْوُجُوهَ .. ﴾ [آية ٢٨] .

رَوَى هُشَيْمٌ عَنْ عَوْفٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : جَاءَ قَوْمٌ إِلَى
عبدالله بن مسعود ، يسألونه عن المُهْل ، فأخذ فضةً فأذابَهَا ، حتَّى
انماعت^(٣) ، ثم أَذِنَ لَهُمُ بالدخول ، فقال لهم : هذا أشبهُ بالمُهْلِ^(٤) .

وَرَوَى إِسْرَائِيلُ عَنْ سِمَاكِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

-
- (١) هذا القول ذكره ابن الجوزي عن ابن قتيبة ، وهو قولٌ مرجوحٌ ، والأظهر ما قاله ابن عباس أنه
حائطٌ من نار ، وفي الحديث الشريف « لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُذُرٍ ، كَتَفُ كُلِّ جِدَارٍ مَسِيرَةٌ
أَرْبَعِينَ سَنَةً » أخرجه الترمذي رقم ٢٥٨٤ والحاكم ٦٠١/٤ وأحمد ٢٩/٣ .
- (٢) سورة المرسلات آية رقم ٣٠ .
- (٣) أي أصبحت سائلةً كالماء المائع .
- (٤) الأثر عن ابن مسعود أخرجه ابن جرير ٢٤٠/١٥ والسيوطي في الدر ٢٢١/٤ وعزاه إلى ابن
المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، ولفظه : « فدعا يذهب وفضية ، فأذابَه ، فلمَّا ذاب قال :
هذا أشبه شيء بالمُهْل ، الذي هو شراب أهل النار ، ولوئنه لونُ السماء ، غير أن شراب أهل
النار ، أشدُّ حرًّا من هذا » .

المُهْل : دُرْدِيّ الزيت^(١) .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَيْحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : المُهْل : القِيحُ ،
والدَّمُ^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة ، وإنما هو ما تمهل
وسكن ، وأكثر ما يُستعمل للدُرْدِيّ الزيت ، كما قال ابن عباس .

٣٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِسَمِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ
مُرْتَفَقًا ﴾ [آية ٢٩] .

المعنى : وساءت النار مرتفقاً .

قال مجاهد : أي مجتمعاً^(٣) .

وقال غيره : أي مجلساً^(٤) .

(١) و(٢) انظر الآثار في الطبري ٢٤٠/١٥ والقرطبي ٣٩٤/١٠ وزاد المسير ٩٥/٥ ومعنى دُرْدِيّ
الزيت أي عكره وهو ما يبقى في آخر الزجاج من الطحل ، وقول ابن عباس أظهر الأقوال
وأشهرها ، ويؤيده ما جاء في حديث الترمذي عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ كَالْمُهْلِ يَشْوِي
الْوُجُوهُ ﴾ قال : كَعَكَرَ الزيت ، فإذا قُرِبَ إلى وجهه سقطت قُرُوءُ وجهه فيه « الترمذي
٧٠٤/٤ .

(٣) و(٤) انظر الطبري ٢٤٢/١٥ وابن كثير ١٥١/٥ والبحر المحيط ١٢١/٦ والدر المنثور ٢٢١/٤
قال في البحر ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ أي متكأ وهو قول الزجاج ، من المِرْفَق ، وهذا لمشكلة قوله
﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء . اهـ وقال الحافظ ابن كثير
١٥١/٥ : أي ساءت النار منزلاً ومقبلاً ومجتمعاً وموضعاً للارتفاق كما قال سبحانه ﴿ إنها
ساعات مستقرًا ومقامًا ﴾ . اهـ .

قال أبو جعفر : والمعروف في اللغة أن المرتفق : المتكأ ، وأنشد
أهل اللغة :

إِنِّي أَرَقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفَقاً
كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّبَابُ مَذْبُوحٌ^(١)

قال أبو جعفر : ولا يمتنع أن يكون المعنى : موضع مرتفق .

٣٧ — وقوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [آية ٣٠] .

قال أبو جعفر : حدثنا أبو عبدالله « أحمد بن علي بن
سهيل » قال : حدثنا محمد بن حميد ، قال : نا يحيى بن الضريس ،
عن زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال :
قدم أعرابي إلى رسول الله ﷺ في حجة الوداع — والنبي واقف
بعرفات على ناقته الصهباء — فقال : إني رجل متعلم ، فأخبرني عن
قول الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ قال النبي عليه السلام : يا أعرابي ما أنت منهم
ببعيد ، وما هم منك ببعيد ، هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف معي

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وهو في ديوان الهذليين ١٠٤/١ والكشاف ٣٨٩/٢ والطبري
٢٤١/١٥ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٠/١ وشواهد المغني ٧٢ والصواب شجرة مرة لها لبن
يؤذي العين إذا أصابها .

« أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي » فَأَعْلِمَ قَوْمَكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ ^(١) .

٣٨ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ .. ﴾ [آية ٣١] .

الْعَدْنُ : الْإِقَامَةُ ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ أَي مَاءُ الْأَنْهَارِ ^(٣) .

٣٩ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ .. ﴾ [آية ٣١] .

أَسَاوِرُ : جَمْعُ أَسْوَرَةٍ ، وَأَسْوَرَةٌ جَمْعُ سَوَارٍ ، وَيُقَالُ : سَوَّارٌ .

(١) هذا الحديث ذكره الماوردي ، كما حكاه القرطبي في جامع الأحكام ٣٩٨/١٠ قال : وأسنده السُّهيلي في كتاب الأعلام ، قال : وأسنده النحاس في كتاب معاني القرآن ، وقد روينا جميع ذلك بالإجازة . اهـ .

أقول : لم أره في كتب السنن ، ولا في الصحاح ، وهؤلاء الخلفاء الراشدون الأربعة ، لأشك أنهم من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولكن في النفس شيء من هذه الرواية ، فأسلوبها بعيدٌ عن روعة البيان النبوي ، والله أعلم .

(٢) في الصحاح ٢١٦٢/٦ : عدنٌ بالبلد : توطنته ، وعدنت الإبل : لزمت أماكنها فلم تريحها ، ومنه جنات عدن أي جنات إقامة .

(٣) الأنهار لا تجري وإنما تجري مياهها ، فالآية على حذف مضاف والمعنى : تجري من تحتهم مياه أنهار الجنة ، كما ذكر المصنف ، وهذا مجاز معروف في اللغة كقوله تعالى ﴿ وكم أهلكنا من قرية ﴾ أي أهلكنا أهلها .

وَحَكَى قُطْرُب^(١) : أن « أساور » جمع إسوار .

ولا يُعرف ذلك^(٢) .

٤٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ .. ﴾ [آية ٣١] .

السُّنْدُسُ : رقيق الدِّيَاج ، والاستبرق : ثخينه^(٣) .

٤١ — ثم قال جل وعز : ﴿ مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ .. ﴾ [آية ٣١] :
وهي السُّرُرُ في الْحِجَالِ^(٤) .

٤٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ نَعَمِ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [آية ٣١] .
أي حَسُنَتْ الْجَنَّةُ مُرْتَفَقًا .

٤٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا
جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ .. ﴾ [آية ٣٢] .

(١) ذكر هذا القول القرطبي ٣٩٦/١٠ فقال : وحكى قطرب في واحد الأساور إسوار . وقطرب صاحب شذوذ ، قد تركه يعقوب وغيره فلم يذكره . اهـ . وقطرب هو محمد بن المستنير تقدمت ترجمته .

(٢) انظر معاني الزجاج ٢٨٣/٣ وقال في الصحاح ٦٩٠/٢ : السَّوَارُ : سوار المرأة ، وجمعه أسورة ، وجمع الجمع أساور ، وأساور ، وقال أبو عمرو بن العلاء : واحدها إسوار .. اهـ .

(٣) في المخطوطة : والاستبرق : « محكمة » وهو — والله أعلم — مصحَّف عن لفظ « ثخينه » قال الطبري ٢٤٣/١٥ : والسندس مارق من الدياج ، والاستبرق ما غلظ منه وثخن . اهـ وكذلك قال الجوهري في الصحاح ١٤٥٠/٤ : والاستبرق : الدياج الغليظ .

(٤) الْحِجَالُ : جمع حَجَلَة ، وهي كالقبة ، وموضع يُزَيَّن بالستور والثياب والأسرة للعروس .

يُروى أن اليهود قالوا : سَلُوهُ عن أصحاب الكهف ، وعن
الروح ، وعن رجلين ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا ، وجعله مثلاً لجميع
الناس .

٤٤ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَخَفَّفْنَاهُمَا بِتَحْلٍ ۖ ۞ ﴾ [آية ٣٢] .

أي حَوَّطْنَاهُمَا بِهِ ، وقد حَفَّ القومُ بفلانٍ : إذا حَدَقُوا^(١) .

٤٥ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۖ ۞ ﴾ [آية ٣٢] .

فأخبر أنه ليس بينهما إلاَّ عمران^(٢) .

٤٦ — ثم أخبر أنهما في تَأْدِيَةِ الْحَمْلِ وَالثَّمَرِ عَلَى النِّهَايَةِ ، فقال : ﴿ كِلْتَا

الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ، وَلَمْ تُظْلَمْ مِنْهُ شَيْئًا ۖ ۞ ﴾ [آية ٣٣] .

أي ولم تنقص .

٤٧ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۖ ۞ ﴾^(٣) [آية ٣٣] .

(١) في الصحاح ٤/١٤٥٦ : حَدَقُوا بِالرَّجُلِ ، وَأَحَدَقُوا بِهِ أَي أَحَاطُوا بِهِ . اهـ .

(٢) في المخطوطة « إِلَّا عِمْرَانٌ » بزيادة « إِلَّا » ولعلَّ الصواب حذفها والمعنى : جعلنا النخيل مطيِّفًا
بهما ، قد أحاطت أشجار النخيل بالجنتين والبساتين ، لا يفصل بين الحديقتين إلاَّ الزرع ، والله
أعلم .

(٣) أي جعلنا النهر يسير وسط الحديقتين ، قال الزمخشري ٢/٣٨٩ : وصفَ العمارة بأنها متواصلة
متشابكة ، لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها ، مع الشكل الحسن ، والترتيب الأنيق ، ونعتها
بوفاء النار ، وتام الأكل من غير نقص ، ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب ، فجعله
أفضل ما يُسقى به ، وهو السيح بالنهر الجاري فيها ، وكانت له إلى جانب الجنتين الموصفتين ،
الأموال الوافرة من الذهب والفضة اهـ .

فأخبر أن شربهما كان من نَهْرٍ ، وهو أغزرُ الشُّرب .

٤٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ .. ﴾ [آية ٣٣] .

ويُقرأ ﴿ ثَمَرٌ ﴾^(١) فالثمرُ معروفٌ .

وفي الثمر قولان :

أ — قال مجاهد : كلُّ ما كان في القرآن من ثمرٍ فهو المالُ ، وما كان من ثمرٍ فهو من الثمار^(٢) .

ب — وقال أبو عمران الجوني : الثمرُ : أنواعُ المال ، والثمرُ : الثمراتُ^(٣) .

ج — وقال أبو يزيد المدني : الثمرُ : الأصلُ ، والثمرُ : الثمرةُ .

قال أبو جعفر : وكأنه يريد بالأصل الشجرَ ، وما أشبهها .
وهذه الثلاثة الأقوال ترجع إلى معنى واحد ، وهو أن الثمرَ :
المالُ^(٤) .

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ وكان له ثمرٌ ﴾ مضمومة الشاء والميم ، وقرأ عاصم وأبو جعفر ﴿ وكان له ثمرٌ ﴾ بفتح الشاء والميم ، وكلا القراءتين من القراءات السبع المتواترة ، وانظر النشر ٣١٠/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٣٩٠ .

(٢) و(٣) انظر الآثار في الطبري ٢٤٥/١٥ وابن الجوزي ٩٩/٥ والدر المنثور ٢٢٢/٤ .

(٤) قال الجوهري : الثمرة واحدة الثمر والثمرات ، وجمع الثمر ثمارٌ مثل جبل وجبال . والثمر أيضاً المالُ المثمرُ . اهـ الصحاح مادة ثمر .

والقول الآخر : حدثنا أحمد بن شعيب ، قال : أخبرني
 عمران بن بكار ، قال : حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي قال : حدثنا
 شعيب بن إسحق ، قال : حدثنا هارون ، قال : حدثني أبان بن
 تغلب عن الأعمش أن الحجّاج قال : « لو سمعتُ أحداً يقول
 ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ لقطعْتُ لسانه ، فقلتُ للأعمش : أتأخذ
 بذلك ؟ قال : لا ، ولا نعمة عين^(١) . فكان يقرأ ﴿ ثَمَرٌ ﴾ ويأخذه من
 جمع الثمر .

قال أبو جعفر : فالتقدير على هذا القول ، أنه جمع ثمرة على
 ثمار ، ثم جمع ثماراً على ثمر ، وهو حسنٌ في العربية ، إلا أن القول
 الأول أشبه — والله أعلم — لأن قوله تعالى ﴿ كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ
 أُكْلَهَا ﴾ يدلُّ على أن له ثمرًا^(٢) .

٤٩ — ثم قال جلّ وعز : ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ أي يخاطبه
 ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [آية ٣٤] .

(١) ذكره القرطبي في جامع أحكام القرآن عن الحجّاج ٤٠٣/١٠ ولا عبرة بقول الحجّاج ، فإنه
 معروف في اللغة ، ولهذا ردّه الأعمش .

(٢) قال الزجاج في معانيه ٢٨٥/٣ : وقرئ ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ وقيل : الثمر ما أخرجته الشجر ،
 والثمر المال ، يقال : قد ثمر فلان مالاً ، والثمر ها هنا أحسن ، لأن قوله تعالى ﴿ كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ
 آتَتْ أُكْلَهَا ﴾ قد دلّ على الثمر ، ويجوز أن يكون ثمر جمع ثمرة ، وثمار جمع ثمر . اهـ وقال أبو
 علي الفارسي : من قال هو الذهب والورق ، فإنما قيل له ثمر على التفاضل ، لأن الثمر نماء في
 ذي الثمر ، وكونه ها هنا بالجنى أشبه بالذهب والفضة . اهـ زاد المسير ٩٩/٥ .

[النَّفَرُ : الرَّهْطُ ، وهو ما دون العَشْرَةِ ، وأراد هاهنا الأتباع ،
والخَدَمَ ، والولد] ^(١) .

٥٠ — قال الله جل وعز : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ .. ﴾ [آية ٣٥] .

وكلُّ من كفر فقد ظلم نفسه ، لأنه يُولجها النار .

٥١ — ثم قال تعالى : ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ
قَائِمَةً .. ﴾ [آية ٣٥] .

فكفر بالبعث ، وبأن الدنيا تَفْنَى .

٥٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَئِنْ رُدِّدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا
مُنْقَلِبًا ﴾ [آية ٣٦] .

وهذا ممَّا يُسأل عنه فيقال : كيف ينكرُ البعث ويقول :

﴿ وَلَئِنْ رُدِّدْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ ويحكمُ أنه يُعطى خيراً منهما ؟

فالجوابُ : أن المعنى : ولئن رددتُ إلى ربي — على قولك —

وقد أعطاني في الدنيا ، فكما أعطاني في الدنيا فهو يعطيني في
الآخرة ^(٢) .

(١) سقط من المخطوطة وأثبتناه من جامع الأحكام للقرطبي ٤٠٣/١٠ .

(٢) هذا القول منه على سبيل الفرض والتقدير ، والمعنى : إن كان هناك بعثٌ وجنة ونار كما تزعم ،

فسيكون حالي خيراً من حالك ، وسيعطيني الله خيراً من هذا وأفضل ، كما أعطاني في الدنيا ،

قال ابن عباس : يقول : إن كان البعث حقاً فهو على الفرض والتقدير .

ونظيرُ هذا قوله جلَّ وعز ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾^(١) ؟ أي على قولكم .

ومن قرأ ﴿مِنْهَا﴾^(٢) أراد الجنة .

٥٣ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ، أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ..﴾ [آية ٣٧] .
فألزمه الكفر بقوله^(٣) .

٥٤ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [آية ٣٧] .
أي كَمَلَكَ .

٥٦ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿لَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [آية ٣٨] .

فدلَّ هذا على أنه كان مشركاً .

(١) سورة القصص آية رقم ٦٢ وقامها ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ ؟ ومعلوم أن الله ليس له شركاء .

(٢) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿خيراً منهما﴾ وقرأ أبو عمرو ، وعاصم ، والكسائي ﴿خيراً منها﴾ وكلناهما من القراءات السبع كما في السبعة ص ٣٩٠ .

(٣) إنما ألزمه الكفر لشكه في الآخرة بقوله ﴿ولئن رُددتُ إلى ربي﴾ فكل شاكٍّ في أمر البعث ، فهو كافر ، ولهذا قال ﴿أكفرت بالذي خلقك﴾ والاستفهام في الآية ﴿أكفرت﴾ استفهام إنكار وتوبيخ كما في البحر ١٢٧/٦ .

والمعنى : لَكِنْ أَنَا^(١) .

٥٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .. ﴾ [آية ٣٩] .

المعنى : [هذه الجنة هي]^(٢) ما شاء الله .

ويجوز أن يكون المعنى : ما شاء الله كان .

والمعنى : لا يكون لأحدٍ إلا ما شاء الله ، وليس لأحدٍ في بدنه ولا ماله قوةٌ إلا بالله .

وَرَوَى عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنْزِ الْجَنَّةِ ، مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ ؟

(١) قال ابن عطية ٣١٢/٩ : من قرأ ﴿ لكننا ﴾ فأصله عنده : لكنْ أنا ، حُذفت الهمزة على غير قياس ، وأُدغمت النون في النون ، وقال بعض النحويين : نُقلت حركة الهمزة إلى النون فصارت « لَكِنْنَا » ثم أُدغمت بعد ذلك فصارت « لَكِنْنَا » وقرأ ابن مسعود ، والحسن على الأصل ﴿ لكنْ أنا ﴾ اهـ وعدّها في المحتسب ٢٠٩/٢ من الشواذ .

(٢) ما بين الحاصرتين غير موجود في الأصل ، وأثبتناه من تفسير القرطبي ٤٠٦/١٠ ليتمّ المعنى ، قال الزجاج في معانيه ٢٨٨/٣ : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ الجنة : البستانُ ﴿ وَلَوْلَا ﴾ بمعنى هلاً ، وتأويل الكلام التوبيخ ﴿ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي الأمر ما شاء الله ، ويجوز أن تكون « ما » في موضع نصب ، ويكون التأويل : أي شيء شاء الله كان . اهـ . وقال في البحر ١٢٩/٦ : لما وُيِّعَ المؤمنُ الكافر ، أورد له ما ينصحه به ، فحَضَّه على أن يقول : إذا دخل جنته ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ أي الأشياء مقدورة بمشيئة الله ، إن شاء أفقر ، وإن شاء أغنى ، وإن شاء نصر ، وإن شاء خذل ، والذي شاءه الله كائن . اهـ .

قال : قلتُ : بلى ، بأبي أنت وأمي يارسولَ الله !! قال : « لا قوَّةَ إلَّا باللهِ » إذا قالها العبدُ ، قال اللهُ : أسلمَ عبدي ، واستسلمَ (١) .

٥٧ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنَّ تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ، فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ .. ﴾ [آية ٤٠] .

يجوز أن يكون أراد في الدنيا ، وأن يكون أراد في الآخرة (٢) .

٥٨ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال قتادة والضحاك : أي عذاباً (٣) .

(١) الحديث أخرجه البخاري ١٠٢/٨ في كتاب الدعوات ، ومسلم في كتاب الذكر « باب استحباب خفض الصوت بالذكر » ٧٣/٨ . ولفظ البخاري : « ألا أدلك على كنزٍ من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله » وأما الرواية التي ذكرها المصنف فهي من رواية أحمد في المسند ٢٣٥/٢ وتتمة الحديث كما في المسند : قال عمروٌ قلتُ لأبي هريرة « لا حول ولا قوة إلا بالله » فقال : لا ، إنها في سورة الكهف ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ .

(٢) رجَّح ابن كثير المعنى الثاني فقال ١٥٥/٥ ﴿ خيراً من جنتك ﴾ أي في الدار الآخرة ، وأما أبو حيان في البحر ١٢٩/٦ فقال : أردف النصيحة بترجيّة من الله ، وتوقعه أن يقلب ما به وما بصاحبه من الفقر والغنى ، والمعنى : إني أتوقع من صنع الله وإحسانه ، أن يمنحني جنة خيراً من جنتك لإيماني به ، وينزل عنك نعمته لكفرك به ، ويجزّب بستانك . اهـ . وذكر ابن عطية القولين ٣١٥/٩ ودلّل لكل منهما .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٤٩/١٥ وابن كثير ١٥٥/٥ والسيوطي في الدر ٢٢٤/٥ قال ابن كثير : وهو قول ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، ومالك عن الزهري . اهـ .

وقال أبو عُبيدة : هي المرامي ^(١) [جمع مرماة وشيء فيه الحصب] ^(٢) .

والمعروف في اللغة : أن الحُسْبَانَ والحساب واحدٌ ، قال الله جلَّ وعز ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ ^(٣) .

وقول قتادة والضحاك صحيحُ المعنى ، كأنه قال : أو يرسل عليها عذابَ حسابٍ ما كسبت يدها ، وهو مثلُ قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(٤) .

٥٩ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَتَصْبِحُ صَعِيداً زَلَقاً ﴾ [آية ٤٠] .

الصَّعِيدُ في اللغة : وجهُ الأرض الذي لانبات عليه .
وَالزَّلَقُ : ما تَزَلَّ فيهِ الأقدام ^(٥) .

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٤٠٣/١ قال : مجازها : مرامي ، وواحدتها حُسبانة أي ناراً تحرقها . اهـ .

(٢) ما بين الحاصرتين من هامش المخطوطة .

(٣) سورة الرحمن آية رقم ٥ .

(٤) سورة يوسف آية رقم ٨٢ وتماها ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ، والغير التي أقبلنا فيها ، وإننا لصادقون ﴾ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٣/١ وقال في البحر ١٢٣/٦ : الزَّلَقُ : ما لا يثبت فيه القدم من الأرض ، والمعنى : أي تصبح أرضاً جرداء لا نبات فيها من كَرَم ، ولا زرع ، قد احترق جميع ذلك فبقيت يباباً قفراً ، تنزلق عليها الأقدام .

٦٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا .. ﴾ [آية ٤١] .

أي غائراً ، والتقدير : ذا غور^(١) .

٦١ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا ﴾ [آية ٤١] .

أي لم يبق له أثر ، فيطلب من أجله .

٦٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ .. ﴾ [آية ٤٢] .

أي أحاط الله العذاب بشمره^(٢) .

٦٣ — ثم قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أُنْفِقُ

فِيهَا .. ﴾ [آية ٤٢] .

وهذا يوصف به الندام^(٣) .

٦٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .. ﴾ [آية ٤٢] .

(١) قال الحافظ ابن كثير ١٥٥/٥ : والعُورُ : مصدرٌ بمعنى غائر ، وهو أبلغ منه كما قال الشاعر « تظللُ جِيادُه نُوْحًا عليه » بمعنى نائمات ، قال : والغائرُ في الأرض : ضدُّ النابح الذي يطلب وجه الأرض ، والغائر الذي يطلب أسفلها كما قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ اهـ .

(٢) قال في البحر ١٣٠/٦ : واللفظ عبارة عن الإهلاك ، وأصله من أحاط به العدو ، وهو استدراكه به من جوانبه ، ومتى أحاط به ملكه واستولى عليه ، ثم استعملت في كل إهلاك ، ومنه قوله تعالى ﴿ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ .

(٣) قال ابن الجوزي ١٠٢/٥ : أي يضرب بيد على يد ، وهذا فعل المتلهف ، المتأسف على فائت أو خسارة ، ونحوهما .

الخواية في اللغة : الخالية ، والعروش : السقوف .

والمعنى : أن حيطانها قيامٌ ، وقد سقطت سقوفها ، فكأن
الحيطان على السقوف^(١) .

٦٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةً يَتُصَّرُوهُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ .. ﴾ [آية ٤٣] .

قال مجاهد : أي عشيرة^(٢) .

٦٦ — وقوله جل وعز ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ .. ﴾ [آية ٤٤] .

أي يؤمنون بالله وحده ، ويتبرعون ممّا كانوا يعبدون^(٣) .

ويُقرأ : الْوَلَايَةُ بكسر الواو^(٤) .

والمعنى على الفتح ، لأن الولاية المعروف أنّها الإمارة .

٦٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [آية ٤٤] .

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨٩/٣ فقد قال : تهدمت سقوفها فصارت في قرارها ، وصارت
الحيطان كأنها على السقوف .

(٢) الأثر في الطبري ٢٥١/١٥ وابن كثير ١٥٦/٥ والدر المنثور ٢٢٤/٤ وعزاه السيوطي إلى ابن
المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) الْوَلَايَةُ : بالفتح : النصرة والتولي أي في ذلك المقام وتلك الحال ، تكون النصرة لله وحده لا يقدر
عليها أحد سواه .

(٤) قرأ حمزة (الْوَلَايَةُ) بكسر الواو ، وقرأ الباقون ﴿ الْوَلَايَةُ ﴾ بالفتح ، وهما قراءتان سبعيتان ، وانظر
السبعة لابن مجاهد ص ٣٩٢ .

العُقْبُ — عند أهل اللغة — والعُقْبَى ، والعاقبةُ واحدٌ ، وهو ما يصير إليه الأمر^(١) .

٦٨ — ثم قال جل وعز ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ ، فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، فَأَصْبَحَ هَشِيمًا .. ﴾ [آية ٤٥] .

الهشيمُ : ما جفَّ من الثياب أو تفتَّت ، ويُقال : هشمتُه أي كسرته^(٢) .

٦٩ — ثم قال جل وعز ﴿ تَذَرُوهُ الرِّيحُ .. ﴾ [آية ٤٥] . أي تنسفه^(٣) .

ضربَ الله هذا المثلَ للحياةِ الدُّنْيَا ، لأنَّ ما مضى منها ، بمنزلة ما لم يكن .

٧٠ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا .. ﴾ [آية ٤٦] .

(١) هذا قول أبي عُبَيْدة في مجاز القرآن ٤٠٥/١ قال : العاقبةُ ، والعُقْبَى ، والعُقْبَةُ كلهنَّ واحد .

(٢) قال الزجاج ٢٩١/٣ : الهشيمُ : النبات الجاف الذي تسفيهه الريح . وقال الجوهري في الصحاح ٢٠٥٨/٥ الهشيمُ : كسر الشيء اليابس ، والهشيم من النبات : اليابس المتكسر ، والشجرة البالية يأخذها الحاطب . اهـ .

(٣) قال أبو عُبَيْدة : ﴿ تَذَرُوهُ الرِّيحُ ﴾ أي تُطَيِّرُهُ وتُفَرِّقُهُ ، يُقال : ذرَّته الريحُ تذروه ، وأذرته تُذريه اهـ مجاز القرآن ٤٠٥/١ .

قال أبو جعفر : حدثنا أبو بكر « جعفر بن محمد » قال :
حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا خالد هو « ابن عبد الله »^(١) عن
عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : ﴿ الْبَاقِيَاتِ
الصَّالِحَاتِ ﴾ : (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله
أكبر)^(٢).

وحدثنا أبو بكر قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن
أنس ، عن عمارة بن صياد ، عن سعيد بن المسيب ، أنه كان يقول
في ﴿ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ﴾ إنها قول العبد : (سبحان الله ، والله
أكبر ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله)^(٣).

(١) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٠٠/٣ قال عنه أحمد : كان خالد بن عبد الله الطحان ثقة صالحاً في دينه .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ٢٥٤/١٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١٠٤/٥ وابن كثير ١٥٧/٥ وهو قول مجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، والضحاك ، وزاد في بعض الروايات (ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

(٣) الأثر في الطبري ١٥٦/١٥ وابن كثير ١٥٨/٥ وابن الجوزي ١٠٤/٥ والقرطبي ٤١٤/١٠ وأخرجه مالك في الموطأ ٢١٠/١ عن عمارة بن صياد ، عن سعيد بن المسيب ، ورواه أحمد في المسند ٢٦٧/٤ من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء .. وفيه قوله ﷺ « أَلَا وَإِنْ سَبَّحَانَ اللَّهَ ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هنَّ الباقيات الصالحات » .

وفي حديث المعراج قال إبراهيم لبنينا عليه الصلاة والسلام : أقرئ أمتك مني السلام ، وأبلغهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » رواه الترمذي .

قال أبو جعفر : ورؤي عن ابن عباس أيضاً أنه قال :
﴿ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ : « الصلاة ، والصوم ، والحج ، والغزوة ،
والتهليل ، والتسبيح » (١) .

ولا يمتنع شيء من هذا عند أهل اللغة ، لأنه كل ما بقي ثوابه ،
جاز أن يُقال له هذا .

٧١ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [آية ٤٦] .

أي خير ما يؤمل .

٧٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ
بَارِزَةً .. ﴾ [آية ٤٧] .

في قوله ﴿ بارزة ﴾ قولان :

أحدهما : قد اجْتُثَّت ثمارها ، وقُلِعَت جبالها ، وهُدم بنيانها ،
فهي بارزة أي ظاهرة .

وعلى هذا القول أهل التفسير ، وهو البين .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٥٦/١٥ بأوسع من هذا ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن
عباس ٢٢٥/٤ وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه قال : ﴿ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ هي : ذكر
الله ، والصلاة على محمد رسول الله ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والصدقة ، والعتق ،
والجهاد ، والصلة ، وجميع أعمال الحسنات ، وهنَّ الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في
الجنة » وهو ما رجحه الطبري .

والقول الآخر : إن معنى ﴿ بَارِزَةً ﴾ قد أُبْرِزَ مِنْ فِيهَا مِنَ الموق ، فيكون هذا على النسب ، كما قال : « كِلِينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٌ »^(١) .

٧٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَحَشَرْنَا لَهُمْ فَلَمَّ نَعَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [آية ٤٧] .
أي لم يُبق^(٢) .

٧٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَغَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا .. ﴾ [آية ٤٨] .
أي لا يستترهم شيء ، ولا يحجبهم^(٣) .

(١) هذا مطلع قصيدة للناطقة الذبياني بمدح فيها عمرو بن الحارث ، وهو في ديوانه ص ٤٠ :
كليني لهم يا أميمَةَ نَاصِبٌ وليلى أقاسيه بطيء : الكواكب
والشاهد فيه أن قوله « ناصب » أي ذو نصب ، فهو منصِبٌ ، وناصبٌ على معنى النسب
أي همُّ ذي نَصَب .

(٢) قال القرطبي ٤١٧/١٠ ﴿ فلم تغادر منهم أحداً ﴾ أي لم تترك ، يُقال : غادرتُ كذا أي تركته ، قال عنترة :

غادرْتُه مُتَعَفِّراً أَوْصَالَه والقومُ بين مُجَرَّجٍ وَمُجَلَّدِلٍ
والمغادرة : الترك ، ومنه الغدرُ لأنه تركُ الوفاء ، ومعنى الآية : حشرنا برهم وفاجرهم ، وجنهم
وإنسهم ، فلم تترك منهم أحداً . اهـ .

(٣) المراد أنهم غرضوا جميعاً مصفوفين ، لا يحجب أحدٌ أحداً كما قال مقاتل : يُعرضون صفّاً بعد صفٍّ ، كل أمةٍ وزمرة صفّاً ، وإلى هذا ذهب الزجاج في معانيه ٢٩٢/٣ حيث قال : معناه أنهم كلهم ظاهرون لله ، تُرى جماعتهم كما يُرى كل واحدٍ منهم ، لا يحجب واحدٌ واحداً . اهـ .

٧٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ .. ﴾ [آية ٤٨] .

قيل : معناه : بعثناكم كما خلقناكم أَوَّلَ مَرَّةٍ ^(١) .

وقيل : هو كما روي أنهم يُحشرون حُفَاةً [عُرَاةً] غُرْلًا ^(٢) .

٧٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ لَنَا نَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا ۚ ﴾ [آية ٤٨] .

أي كنتم تنكرون البعث .

٧٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ۚ .. ﴾ [آية ٤٩] .

في الكلام حذف : والمعنى : وَوُضِعَ الْكِتَابُ في يد كل امرئٍ ، إِمَّا في يمينه ، وإِمَّا في شماله .

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٢/٣ فقد جاء فيه : أي بعثناكم كما خلقناكم ، قال : وجاء في التفسير أنهم يحشرون حفاة عراة غرلاً .

(٢) معنى « غُرْلًا » جمع أُغْرَلٌ ، وهو الأقف الذي لم يُختتن ، وقد سقط من المخطوطة « عُرَاة » وأثبتناها من تفسير القرطبي ، والمصنف يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال : يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاةً ، عُرَاةً ، غُرْلًا ﴿ كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ ألا وإن أول الخلاق يكسى يوم القيامة ، إبراهيم عليه السلام ، ألا وإنه سيجاء برجالٍ من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال — أي إلى جهنم — فأقول : ياربُّ أصحابي ، فيقول : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك .. إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول : سُحْقاً ، سُحْقاً » وانظر الروايات في جامع الأصول ٤٢٤/١٠

٧٨ — ثم بين هذا بقوله ﴿ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ ، لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .. ﴾ [آية ٤٩] .

[أي تراهم خائفين وجلين مما فيه من أعمالهم السيئة ، ويقولون : ما شأن هذا الكتاب لا يقي صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا حفظها وضبطها]^(١) .

٧٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رُبُّكَ أَحَدًا ﴾ [آية ٤٩] .

أي إنما تقع العقوبة على المجازاة .

وأصل الظلم في اللغة : وضع الشيء في غير موضعه .

٨٠ — وقوله جل وعز ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ .. ﴾ [آية ٥٠] .

في هذا قولان :

أحدهما : أنه نُسِبَ إلى الجن لأنه عمل عملهم .

والقول الآخر : أنه منهم^(٢) .

(١) ما بين التابعتين سقط من المخطوطة ، وهو تفسير للآية الكريمة التي أوردها المصنف ، وقد أثبتناها من تفسير الطبري .

(٢) أي من الجن ، وهذا القول هو الأصح والأظهر ، وإليه ذهب الحسن البصري ، وقاعدة ، قال =

٨١ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ .. ﴾ [آية ٥٠] .

أي فخرج .

وحكى الفراء : فسقت الرُّطبة : إذا خرجت من قشرها (١) .

وقال زُؤبة :

يَهْوِينَ فِي تَجْدٍ وَغَوْرًا غَائِرًا

فَوَاسِقًا عَنِ قَصْدِهَا جَوَائِرًا (٢)

وفي هذه الآية سؤال :

= الحسن : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين . ومما يؤيد هذا القول ويقويه الأدلة الآتية :

١ — إن الملائكة خلقت من نور ، كما وردت به الأحاديث الصحيحة ، وإبليس خُلِقَ من نار ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فطبيعتهما مختلفة .

٢ — إن الملائكة منزّهون عن المعصية ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ وإبليس كفر بربه وعصى أمره .

٣ — الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، ولا يتناكحون ولا يتناسلون وليس لهم ذرية ولا نسل ، وإبليس له ذرية وبنون ﴿ أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ ؟

٤ — النص الصريح الواضح في هذه السورة الكريمة على أنه من الجن ﴿ كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ وكفى بالآية حجة وبرهاناً .

(١) قال الفراء في معانيه ١٤٧/٢ ﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾ أي خرج عن طاعة ربه ، والعرب تقول : فسقت الرُّطبة من جلدها وقشرها لخروجها منه ، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها على الناس . اهـ .

(٢) البيت لرؤبة بن العجاج وهو في ملحق ديوانه ص ١٩٠ وقد استشهد به الأزهري في تهذيب اللغة ٤١٤/٨ وجاء في لسان العرب لابن منظور ٣٠٨/١٠ بلفظ « فواسقاً عن أمره جوائراً » وهو في الطبري ٢٦١/١٥ وبجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٦/١ وشواهد الكشاف ص ١١٠ .

يُقال : ما معنى ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ؟

ففي هذا قولان :

أحدهما : — وهو مذهبُ الخليل وسيبويه — أن المعنى : أتاه
الفسقُ لما أَمَرَ فعصى ، فكانَ سببَ الفسقِ أمرُ رَبِّهِ ، كما تقول :
أطعمته عن جُوع^(١) .

والقولُ الآخرُ : — وهو مذهبُ محمد بن قُطْرِب — أن
المعنى : فسق عن ردِّ أمرِ رَبِّهِ^(٢) .

٨٢ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَتَخَذُونَهُ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ

(١) ذكره الزجاج في معانيه ٢٩٤/٣ واختاره ورجحه على الأقوال الأخرى ، وعبارته ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أ — يجوز أن يكون معناه : خرج عن أمرِ رَبِّهِ ، يُقال : فعمقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها .
ب — وقال قطرب : يجوز أن يكون معناه : فسق عن ردِّ أمرِ رَبِّهِ .

ج — ومذهب سيبويه والخليل — وهو الحقُّ عندنا — أن معنى ﴿ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ : أتاه
الفسقُ لما أَمَرَ فعصى ، فكانَ سببَ فسقه أمرُ رَبِّهِ ، كما تقول : أطعمته عن جوع ، وكساه عن
عُرْيٍ ، المعنى : كان سببَ فسقه الأمرُ بالسجود ، كما كان سببَ الإطعام الجوعُ ، وسببُ
الكسوة العُرْيُ . اهـ .

أقول : أما شيخ المفسرين الإمام الطبري ، فقد ذهب إلى القول الأول واختاره في جامع البيان
٢٦١/١٥ وهو قول الفراء ، قال ابن جرير ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ عدل عنه ومال . أقول :
وهذا القول أوضح وأظهر .

(٢) هذا القول حكاه ابن جرير عن بعض أهل البصرة ٢٦١/١٥ وابن الجوزي ١٠٨/٥ وهو على
حذف مضاف مثل ﴿ واسأل القرية) .

عَدُوٌّ .. ﴿ ؟ [آية ٥٠] .

أي أعداء .^(١)

٨٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [آية ٥٠] .

أي بئس ما استبدلوا من طاعة الله ، طاعة إبليس .

٨٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ .. ﴾ [آية ٥١] .

أي لم يكونوا موجودين إذ ذاك .

٨٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ
عَضُدًا ﴾ [آية ٥١] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : أعواناً^(٢) .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة ، يُقال : عَضَدَنِي
فلانٌ ، وعَاضَدَنِي : أي أعانني وأعزَّنِي^(٣) .

(١) ﴿ عَدُوٌّ ﴾ اسم جنس بمعنى أعداء ، كما حكاها المصنف ، كقوله سبحانه ﴿ والعصر . إن

الإنسان لفي خسر ﴾ المراد من الإنسان الناس بدليل الاستثناء .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٦٣/١٥ وابن كثير ١٦٦/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٤ .

(٣) قال في الصحاح ٥٠٩/٢ : عضدته أعضدته بالضم : أعنته ، والمعاضدة : المعاونة ، واعتضدتُ

بفلانٍ أي استعنتُ به . اهـ . قال القرطبي ٢/١١ : الأصل فيه عَضُدُ اليد ، ثم يوضع موضع

العون ، لأن اليد قوامها العضد ، يُقال : عضدته وعاضدكه على كذا : إذا أعانه وأعزه ، ومنه قوله

تعالى ﴿ سنشدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ أي سنعينك بأخيك .

٨٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ،
فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ [آية ٥٢] .

وفي معناه أقوال :

رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَهْلِكًا^(١) .

وكذلك قال الضحاک^(٢) .

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : هَلَاكًا^(٣) .

وَرَوَى يَزِيدُ بْنُ دُرَّهَمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ .

قال : وادياً من قيح ودم في جهنم^(٤) .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : وادٍ في جهنم^(٥) .

وكذلك قال تَوْفٍ ، إلا أنه قال : يحجز بينهم وبين
المؤمنين^(٦) .

وقال أبو غبيدة : ﴿ مَوْبِقًا ﴾ : موعداً^(٧) .

(١-٦) انظر الآثار في الطبري ٢٦٥/١٥ والقرطبي ٣/١١ والبحر المحيط ١٣٧/٦ والدر المنثور ٢٢٨/٤ والحرر الوجيز لابن عطية ٣٣٥/٩ ورجح ابن جرير في جامع البيان قول ابن عباس فقال : « وأولى الأقوال ما ذكرناه عن ابن عباس أنه المهلك ، وذلك أن العرب تقول في كلامها : قد أوبقت فلاناً : إذا أهلكته ، ومنه قوله سبحانه ﴿ أو يوبقهن بما كسبن ﴾ بمعنى يهلكهن . اهـ (٧) انظر مجاز القرآن لأبي غبيدة ٤٠٦/١ وقد ضَعُفَ هذا القول ابن عطية في الحرر الوجيز ٣٣٥/٩ واختار أنه المهلك .

وقال عوف^(١) : ﴿ مَوْبِقًا ﴾ : أي جعلنا بينهم عداوة^(٢) .

قال أبو جعفر : وأصحُّ هذه الأقوال الأول ، لأنه معروف في اللغة أن يُقال : وَبِقَ ، يَوْبِقُ ، وَيَابِقُ ، وَيَبِقُ .

وَوَبَقَ يَبِقُ : إذا هَلَكَ ، وأوبقه الله أي أهلكه^(٣) .

ومنه : ﴿ أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ﴾^(٤) .

ومنه : أُوْبِقْتُ فلاناً ذنبه .

فالمعنى : جعلنا تواصلهم في الدنيا ، مَهْلِكاً لهم في الآخرة^(٥) .

إلا أنه يجوز أن يُسمَّى الوادي « مَوْبِقًا » لأنه يُهْلِكُ .

٨٧ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا .. ﴾ [آية ٥٣] .

رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : أَيْقَنُوا^(٦) .

(١) في التهذيب ١٦٦/٨ « عوف بن أبي جَمِيلَةَ » العبدي الهجري ، قال أحمد : ثقةٌ صالحُ الحديث ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال ابن سعد : كان ثقةً كثير الحديث ، وكان يتشيع ، توفي سنة ١٤٧ هـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن عوف عن الحسن ٢٦٤/١٥ .

(٣) انظر الصحاح ، والقاموس المحيط مادة وبِقَ .

(٤) سورة الشورى آية رقم ٣٤ .

(٥) هذا قول الفراء في معانيه ١٤٧/٢ .

(٦) الأثر في الطبري ٢٦٥/١٥ والدر المنثور ٢٢٨/٤ ولفظه عن قتادة : علموا أنهم مواقعوها . فظنَّ =

٨٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [آية ٥٣] .

قال أبو عبيدة : أي معدلاً^(١) .

٨٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [آية ٥٤] .

قيل : يُراد بالإنسان هاهنا : الكفار ، وهو في معنى جماعة ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾^(٢) .

وقيل : هو عام .

وفي الحديث ما يدلُّ على أنه عامُّ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا لَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وفاطمة معه في ترك الصلاة بالليل ، قال عليٌّ : أَنفُسَنَا بِيَدِ اللَّهِ إِذَا شَاءَ أَطْلَقَهَا .. فخرج النبي ﷺ وهو يقول ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾^(٣) » .

= هنا بمعنى علم وأيقن وليست للشك ، ومنه قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يظنون أنهم ملأوا ربهم ﴾ أي يوقنون بملأائه .

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٧/١ .

(٢) سورة العصر آية ٢ و ٣ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ٦٢/٢ ومسلم في صلاة المسافرين رقم ٧٧٥ وأخرجه أحمد في المسند ١١٢/١ ولفظه كما في الصحيحين (عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن =

٩٠ — وقوله جل وعز: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ، وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ، إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ..﴾ [آية ٥٥] .

في الكلام حذف ، والمعنى : إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين (١) !!

وسنة الأولين : معاناة العذاب ، لأنهم قالوا ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ اثْبِتْ بَعْدَآبِ أَلِيمٍ﴾ (٢) فطلبوا العذاب .

٩١ — ثم قال جل وعز : ﴿أَوْيَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ [قَبْلًا] (٣)﴾ [آية ٥٥] .
رَوَى ابْنُ أَبِي نَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : فَجَاءَ (٤) .

= رسول الله ﷺ طَرَفَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةً — أي أتاهما من الليل يوقظهما — فقال : أَلَا تُصَلِّيَانِ ؟ فقلتُ يارسول الله : أنفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ ، فإذا شاء أن يبعثنا بَعَثْنَا ، فانصرف حين قلت ذلك ، ولم يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً — أي لم يجادلني فيما قلت — ثم سمعته وهو مولٌ يضرب فخذه ، وهو يقول : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ () اهـ . هذا لفظ البخاري ٦٢/٢ .

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٢٩٦/٣ وهو الأظهر ، وإليه ذهب الحافظ ابن كثير ١٦٨/٥ حيث قال : والمعنى : « ما منعهم من الإيمان ، إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وُعدوا به عَيَاناً » اهـ . فالمنع هو تكذيبهم وطلبهم أن ينزل بهم عذاب الله .

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٣٢ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وهو النص القرآني .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٦٧/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر ، وابن أبي شيبه .

قال الكسائي : أي عَيَاناً^(١) .

والمعنيان متقاربان .

ويقرأ : ﴿ قَبَلًا ﴾^(٢) فأكثر أهل اللغة على أنه جمع قَبِيل ، أي أنواعاً وضروباً^(٣) .

وقال بعضهم : معناه : يُقَابِلُهُمْ ، كما يُقال : جاءه من قُبُل .
ومعنى قَبَلًا : أي استثنافاً^(٤) .

كما يُقال : لا أَكَلِّمُكَ إلى عَشْرِ من ذي قَبَل .

٩٢ — وقوله جل وعز : ﴿ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ
مَوْثَلًا ﴾ [آية ٥٨] .

(١) ذكره الفراء في معانيه ١٤٧/٢ وحكاه القرطبي ٦/١١ عن ابن عباس ، وابن الجوزي عن مقاتل ١١١/٥ ولفظه ﴿ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ عذاب الأمم السالفة ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قَبَلًا ﴾ أي عَيَاناً قتلاً بالسيف يوم بدر .

(٢) هذه قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿ قَبَلًا ﴾ بضم القاف والباء ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع ﴿ قَبَلًا ﴾ بكسر القاف وفتح الباء ، والقراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٩٣ والنشر ٣١١/٢ .

(٣) قال الزجاج في معانيه : ٢٩٦/٣ تأويل ﴿ قَبَلًا ﴾ مُعَابِنَةً ، وتأويل ﴿ قَبَلًا ﴾ جمع قبيل ، والمعنى : أو يأتِيَهُمُ العذاب أنواعاً .

(٤) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٤٠٧/١ ﴿ قَبَلًا ﴾ أي أولاً ، يُقال : من ذي قَبَل ، فإن فتحوا أولها فالمعنى : استثنافاً .

رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَلَجَأً^(١) .

وحكى أهل اللغة وَّأَل ، يَجُلُ : إِذَا نَجَا^(٢) .

٩٣ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ..﴾ [آية ٥٩] .

والمعنى : أَهْلُ الْقُرَى^(٣) .

٩٤ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [آية ٥٩] .

يجوز أن يكون المعنى : لِإِهْلَاكِهِمْ ، فيكون مصدراً .

ويجوز أن يكون المعنى : لَوَقْتِ إِهْلَاكِهِمْ .

ومن قرأ ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾^(٤) ذهب إلى أن المعنى : هلاكهم ، كما يُقال : جَلَسَ مَجْلِسًا ، واسمُ الموضع : المَجْلِسُ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ٣٦٩/١٥ وابن الجوزي ١١٢/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٤ .

(٢) في الصحاح ١٨٣٨/٥ : المَوْتَلُ : المَلَجَأُ ، وَقَدْ وَّأَلْ إِلَيْهِ يَجُلُ ، وَأَلَّا ، وَوَعُولًا : أَي لَجَأً ، وَوَأَعَلَ : أَي طَلَبَ النِّجَاةَ .

(٣) أشار المصنف إلى أن الآية على حذف مضاف أي أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يعني أَهْلَهَا .

(٤) قال ابن مجاهد في السبعة ص ٣٩٣ : قرأ عاصم ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾ بفتح الميم واللام الثانية ، وروى حفص عن عاصم ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾ بكسر اللام ، والقراءتان سبعيتان ، وانظر أيضاً النشر لابن الجزري ٣١١/٢ .

وَهَلْكَ مَهْلَكًا ، واسم الموضع : المَهْلِكُ .

قال مجاهد : ﴿ مَوْعِدًا ﴾ : أي أجلاً^(١) .

٩٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلَاهُ
لَا أَبْرَحُ .. ﴾ [آية ٦٠] .

قيل : إنما قيل له « قَتْلَاهُ » لأنه كان يخدمه وهو
« يَوْشَعُ »^(٢) .

ومعنى ﴿ لَا أَبْرَحُ ﴾ أي لا أزال^(٣) ، وليس معناه : لا
أزول .

٩٦ — ثم قال جل وعز ﴿ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ .. ﴾ [آية ٦٠] .
روى مَعْمَرٌ عن قتادة قال : « بحر الروم » و « بحر
فارس »^(٤) .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ٢٧٠/١٥ والسيوطي في الدر ٢٢٨/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، وابن أبي شيبة . وقال ابن كثير ١٦٩/٥ : أي جعلنا هلاكهم لمدة معلومة ، ووقت معين .

(٢) ذكر ابن جرير الطبري ٢٧١/١٥ أن الفتى هو « يوشع » وذكر ابن كثير في تفسيره ١٧٠/٥ أن اسمه « يوشع بن نون » وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير ١١١/٦ ذكر اسمه صراحة فقال : « فأخذ حوثاً فجعله في مكمل ، ثم انطلق ، وانطلق معه فتاه « يوشع بن نون » الحديث

(٣) قال ابن جرير ٢٧١/١٥ ﴿ لَا أَبْرَحُ ﴾ أي لأزال أسير ، وكذلك قال ابن كثير ﴿ لَا أَبْرَحُ ﴾ المعنى : لأزال سائراً حتى أبلغ ذلك المكان .

(٤) الأثر في الطبري ٢٧١/١٥ قال : هو اجتماع بحر فارس والروم ، وهو قول قتادة ومجاهد ، وذكره =

وقال غيره : هو الموضع الذي وعدّه الله أن يلقى فيه
الحَضِرَ .

٩٧ — ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ أَمْضِي حُقُباً ﴾ [آية ٦٠] .

رَوَى عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : الْحُقُبُ :
ثمانون سنة^(١) .

وَرَوَى ابْنُ نَجِيحٍ قَالَ : الْحُقُبُ : سَبْعُونَ خَرِيفاً^(٢) .

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : الْحُقُبُ : زَمَانٌ^(٣) .

قال أبو جعفر : الذي يعرفه أهل اللغة أنَّ الحُقْبَ ،

= ابن كثير في تفسيره ١٧٠/٥ وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٤٩/٩ والسيوطي في الدر ٢٣٥/٤
وهكذا هو في معظم التفاسير ، قال سيد قطب في تفسيره الظلال ٢٢٧٨/٥ والأرجح —
والله أعلم — أن مجمع البحرين « بحر الروم » و « بحر القلزم » أي البحر الأبيض ، والبحر
الأحمر ، ومجمعهما مكان التقائهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح ، أو أنه مجمع
خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر ، قال : فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بني إسرائيل
بعد خروجهم من مصر .. الخ واستبعد قول قتادة ومحمد بن كعب القرظي الذي قال : إن مجمع
البحرين عند طنجة في أقصى بلاد المغرب ، وقول قتادة أنه بحر فارس وبحر الروم ، قال : ونحن
نستبعد القولين اهـ .

(١)(٢)(٣) تنظر هذه الآثار كلها في تفسير ابن جرير ٢٧٢/١٥ وتفسير ابن كثير ١٧٠/٥ وتفسير
ابن الجوزي ١١٥/٥ وتفسير القرطبي ١١/١١ والبحر المحيط ١٤٤/٦ وقد ذكر ابن الجوزي في
تفسير الحُقْب ثمانية أقوال كما في زاد المسير ١١٥/٥ واختار ابن عطية أن المراد من الآية ﴿ أَوْ
أَمْضِي حُقُباً ﴾ أي أمضي على وجهي زماناً طويلاً وهو قول أبي عبيدة والزرجاج .

وَالْحُقْبَةُ : زمانٌ من الدهرِ مبهمٌ ، غيرٌ محذودٍ ، كما أن « قَوْمًا »
و « رَهْطًا » مبهمٌ غير محذودٍ .

وَالْحُقْبُ : بضمّتين : جمعه أَحْقَابٌ .

ويجوز أن يكون « أَحْقَابٌ » جمعُ حَقَبٍ ، وَحَقَبٌ جمعُ
حُقْبَةٍ^(١) .

٩٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا .. ﴾ [آية ٦١] .

قال مجاهد : أي بين البحرين^(٢) .

وقال أبي بن كعب رحمه الله : افريقية^(٣) .

٩٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ نَسِيًا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ
سَرَبًا ﴾ [آية ٦١] .

قيل : كان النسيانُ من موسى ﷺ أن يتقدّم إلى « يوشع »
بشيءٍ من أمر الحوت .

(١) قال الجوهري : الحُقْبُ بالضم : ثمانون سنة ، ويُقال : أكثر من ذلك ، والجمعُ حِقَابٌ ،
والحُقْبَةُ بالكسر واحدةُ الحَقَبِ وهي السنون ، والحُقْبُ : الدهرُ ، والأحْقَابُ : الدُّهُورُ ، ومنه
قوله تعالى ﴿ أَوْ أَمْضِي حُقْبًا ﴾ اهـ الصحاح ١١٤/١ وانظر أيضاً تهذيب اللغة ، ولسان
العرب مادة حقب .

(٢) (٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٧٢/١٥ والدر المنثور للسيوطي ٢٣٥/٤ وتفسير ابن عطية
٣٥١/٩ .

وكان النسيانُ من « يوشع » عليه السلام أن يُخبره بِسَرِّهِ^(١) .
وقيل : أن يُقدِّمَهُ .

ثم قال ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ .
السَّرْبُ في اللغة : المَذْهَبُ والمَسْلَكُ^(٢) .

١٠٠ - وقوله جَلَّ وعز : ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ... ﴾ [آية ٦٤] .

أي الذي كنا نبغي ، لأنه وعُد أن يلقي الحُضِر في الموضع الذي
ينسرب فيه^(٣) .

١٠١ - [ثم قال جَلَّ وعز ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾] [آية ٦٤] .

أي رجعا في الطريق الذي سلكاه ، يقصِّان الأثر قصصاً ،
والقَصَصُ : اتِّبَاعُ الأثر .

(١) قال ابن عطية في المحرر ٣٥١/٩ قوله تعالى ﴿ نَسِيا حَوْتَهُمَا ﴾ وإنما كان النسيان من الفتى وحده نسي أن يُعلم موسى بما رأى من حال الحوت ، فنُسب فعل الواحد فيه إليهما ، وهذا كما يُقال : فعل بنو فلان الأمر ، وإنما فعله منهم بعضٌ . اهـ .

(٢) قال في البحر ١٤١/٦ السَّرْبُ : المسلكُ في جوف الأرض . اهـ وفي البخاري ١١٢/٦ ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ : مذهباً ، يسربُ : يسلك ، ومنه ﴿ وساربٌ بالنهار ﴾ اهـ صحيح البخاري .

(٣) قال الطبري ٢٧٥/١٥ ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ يعني : نسيانك الحوت هو الذي كنا نلتبس ونطلب ، لأن موسى عليه السلام قيل له : صاحبك الذي تريده حيث تنسى الحوت .

١٠٢ - وقوله جل وعز : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [آية ٦٥] .

يعني به الحَظِير ، وقيل : إنما سُمِّي « الحَظِير » لأنه كان إذا صَلَّى في مكان اخضرَّ ما حوله .

وفيما فعله موسى — وهو من جِلَّةِ الأنبياء وقد أُوتي التَّوراة — من طلبه العلم ، والرحلة في ذلك ، ما يدلُّ على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم ، وإن كان قد بلغ نهايته ، وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه ، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه .

١٠٣ - وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ؟ [آية ٦٦] .

هذا سؤال الملائف ، والمخاطب المبالغ في حسن الأدب ، والمعنى : هل يتفق لك ويخفُّ عليك ، أن تأذن لي في مرافقتك ، لأقتبس من علمك ما يرشدني ؟ وهذا كما في الحديث « هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ » ؟

والرُّشْدُ والرُّشْدُ بمعنى واحد ، وهو كثير في اللغة العربية نحو

(١) سقط من المخطوطة بضع آيات مع تفسيرها ، وهي ما بين الحاصرتين من قوله تعالى ﴿ فارتدا على آثارهما قصصاً ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿ فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض ﴾ وقد أثبتناها مع تفسيرها من معاني القرآن للزجاج ٣٠١/٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/١١ لأن المصنف رحمه الله يعتمد على الزجاج كثيراً ، والقرطبي ينقل عن الإمام النحاس .

البُخْل والبَحْل ، والعُزْب والعَرَب^(١) .

١٠٤ — وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾
[آية ٦٧] .

هذا قول الخَضِر لموسى ، ثم أعلمه العِلَّة في ترك الصبر فقال :
﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ ؟

أي وكيف تصبر على ما ظاهره خطأ ، ولم تُخَبَّر بوجه الحكمة
فيه ؟ والأنبياء لا يُقرُّون على منكر ، ولا يسعهم التقرير !! أي
لا يَسْعُكَ السكوت جرياً على عادتك وحكمك^(٢) .

١٠٥ — وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا .. ﴾
[آية ٦٩] .

هذا قول موسى للخضر ، أي سأصبر بمشيئة الله
﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ أي قد ألزمت نفسي طاعتك ، ولن
أعصي أمرك إن شاء الله .

١٠٦ — وقوله جل وعز ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ
أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [آية ٧٠] .

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ، ولسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري مادة «رشد» .

(٢) قال الزجاج في معانيه ٣٠١/٣ : أي وكيف تصبر على ما ظاهره منكر ، والأنبياء والصالحون ، لا يصبرون على ما يرونه منكراً ؟ .

أي إن إنكرته فلا تعجل بالمسألة إلى أن أيّس لك الوجه فيه
وحتى أكون أنا الذي أفسّره لك .

شَرَطَ عليه قبل بدء الرحلة ، ألاّ يسأله ولا يستفسر عن شيء
من تصرفاته ، حتى يكشف له عن سيرّها ، فقبل موسى شرطه ، رعايةً
لأدب المتعلّم مع العالم^(١) .

١٠٧ - وقوله جل وعز : ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ
خَرَقَهَا .. ﴾ [آية ٧١] .

انطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر ، حتى مرّت
بهما سفينة ، فعرفوا الخضر ، فحملوهما بدون أجر ، فلما ركبا في
السفينة ، عمد الخضر إلى فأس ، فقلع لوحاً من ألواح السفينة ، بعد
أن أصبحت في لُجّة البحر ، فذلك قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي
السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ أي خرقها الخضر .

١٠٨ - وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ أَخْرِقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ، لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً
إِمْرَأً ﴾ [آية ٧١] .

أي قال له موسى منكرّاً عليه : أخرقت السفينة لتغرق ركبها ؟
لقد فعلت شيئاً عظيماً هائلاً .

(١) قصة موسى مع الخضر عليهما السلام تشير إلى أدب « المتعلّم مع العالم » وتنبّه إلى ضرورة الرحلة
في طلب العلم ، مهما نال الإنسان من المشقة والأهوال ، ففيها بيان فضيلة العلم ، ورعاية
الأدب في طلب العلم من الأستاذ المرشد .

ومعنى ﴿إِمْرًا﴾ أي شيئاً عظيماً من المنكر .

وَيُرَوَّى أَنَّ مُوسَى لَمَّا رَأَى ذَلِكَ ، أَخَذَ ثَوْبَهُ فَجَعَلَهُ مَكَانَ
الْخَرْقِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْخَضِرَ : قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ أَجْرٍ ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ
فَخَرَقْتَهَا لِتَغْرُقَ أَهْلَهَا ، لَقَدْ فَعَلْتَ أَمْرًا هَائِلًا عَظِيمًا !!

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ! أي قال له
الخضر : ألم أخبرك من أول الأمر ، إنك لا تستطيع أن تصبر على ما
ترى من صنيعي ؟!

ذَكَرَهُ بِلَطِيفٍ فِي مَخَالَفَتِهِ لِلشَّرْطِ .

١٠٩ — ثُمَّ قَالَ جَل وَعَزْ : ﴿ قَالَ لَا تَأْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ
أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [آية ٧٣] .

معنى ﴿ تُرْهِقْنِي ﴾ تُغَشِّئْنِي ، أي عاملني باليسر لا
بالعسر .

رُوي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « كَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى
نَسِيَانًا ، وَجَاءَ عَصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ، فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ
نَقْرَةً ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ : مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى ، إِلَّا
مِثْلُ مَا نَقَّصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ .. » (١) .

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه الشيخان ، وسنذكره بتأمله إن شاء الله ، لما فيه من
توضيح لمعاني الآيات الكريمة في هذه القصة الغريبة ، وفيه عبرٌ وعظات ، وأنباءٌ عجيبة .

١١٠ - وقوله جل وعز : ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ .. ﴾

[آية ٧٤] .

أي فقبِلَ عذره ، وانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمسيان ،
فمرّاً بغلمانٍ يلعبون ، وفيهم غلامٌ وضيء الوجه ، جميل الصورة ،
فأمسكه الخضر واقتلع رأسه بيده ، ثم رماه في الأرض ﴿ قَالَ أَقْتَلْتُ
نَفْسًا رَزِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا تُكْرَأُ ﴾ أي قال له موسى :
أقتلت نفساً طاهرة بريئة ، لم تذنّب قطُّ ، ولم تقتل نفساً حتى تُقتل
به ؟! لقد فعلت شيئاً منكراً عظيماً ، لا يمكن السكوتُ عنه ﴿ قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنَ تُسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ أي قال له الخضر : ألم
أخبرك أنك لن تستطيع الصبر على ما ترى مني ؟ وقره في الأول ، ثم
واجهه بكاف الخطاب بقوله ﴿ لَكَ ﴾ لعدم العذر هنا .

ومعنى ﴿ رَزِيَّةً ﴾ أي بريئة لم يُرَ ما يوجب قتلها .

وقال هنا ﴿ تُكْرَأُ ﴾ أي منكراً فظيماً أنكر من الأمر الأول ،
وهو أبلغ من قوله ﴿ إِمْرًا ﴾ في الآية السابقة^(١) . وهو منصوب على
ضربين :

أحدهما : معناه : أُتِيَتْ شيئاً تُكْرَأُ .

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٢/١١ والحرر الوجيز لابن عطية ٣٦٦/٩ ومعاني القرآن للزجاج

والثاني : معناه : جئت بشيء نُكِّر ، فلما حذف الباء أفضى إلى الفعل فنصبه .

١١١ — ثم قال جل وعز : ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ [آية ٧٦] .

أي إن أنكرت عليك بعد هذه المرة ، واعترضت على ما يصدر منك ، فلا تصحبني معك ، فقد أعذرت إليّ ونهتني على مخالفتي الشرط ، فأنت معذورٌ عندي .

١١٢ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا .. ﴾ [آية ٧٧] .

أي مشيا حتى وصلا إلى قرية ، فطلبا طعاما فلم يعطوهما ، واستضافاهم فلم يُضيفوهما .

قال ابن عباس : هي انطاكية^(١) .

وقال ابن سيرين : هي الأيلة^(٢) .

١١٣ — ثم قال تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ ﴾ [آية ٧٧] .

(١)(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٨٨/١٥ والدر المنثور للسيوطي ٢٣٧/٤ وتفسير القرطبي

والمعنى : وجدا في القرية حائطاً مائلاً ، يوشك أن يسقط
ويقع ، فمسحه الخضر بيده فاستقام .

وقيل : إنه هدمه ثم بناه .

ورُوي أن موسى قال للخضر : قوم استطعنهم فلم
يطعمونا ، وضفناهم فلم يضيّفونا ، ثم قعدت تبني لهم الجدار ﴿ لَوْ
شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا !! ﴾

وقوله تعالى ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴾ أي يوشك أن يسقط ،
وهذا مجازٌ وتوسّع ، وهو في كلام العرب وأشعارها كثيرٌ ، فمن ذلك
قول عنترة ^(١) :

وَأَزُورُ مَنْ وَقَّحَ الْقَنَا بَلْبَانِهِ
وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمُحُمُ ^(٢)

وقول الآخر :

يُرِيدُ الرُّمَحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ
وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ ^(٣)

(١) إلى هنا السقط ، وقد أثبتناه كما ذكرنا من تفسير القرطبي ، ومعاني القرآن للزجاج .

(٢) البيت لعنترة من معلقته المشهورة ، وهو من شواهد الطبري ٢٨٩/١٥ والفراء ١٥٦/٢ ومعنى
« أزور » : مال ، والقنا : الرماح ، واللبان : الصدر ، والشاهد فيه أن البعير لا يشكو ، وإنما هو
من باب التمثيل .

(٣) البيت في اللسان (رود) غير منسوب ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن منسوباً =

١١٤ - وقوله جل وعزَّ : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ .. ﴾ [آية ٧٨] .

سيبويه يذهب إلى أن إعادة « بين » في مثل هذا على التوكيد ، أي فراق بيننا ، كما يُقال : أخزى الله الكاذب مني ومنك ، أي منا .

١١٥ - وقوله جل وعزَّ : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ .. ﴾ [آية ٧٩] .

أهل اللغة جميعاً لا نعلم بينهم اختلافاً ، يقولون : المسكين : الذي لا شيء له ، والفقير : الذي له الشيء اليسير^(١) .

وأكثرُ الفقهاء على ضدِّ هذا فيهما ، ويحتجون بهذه الآية^(٢) .

قال أبو جعفر : قيل : وليس قوله ﴿ كَانَتْ لِمَسَاكِينَ ﴾

= للهارثي ٤١٠/١ والطبري ٢٨٩/١٥ وجامع الأحكام ٢٦/١١ وإرادة لا تكون من الرمح ، لأنه لا حياة له ، وإنما مثل الشاعر له بالإنسان العاقل ، الذي يرغب في قتل عدوه دون صديقه ، كما أن الجدار ليس له إرادة ، لأن تهيؤهُ للسقوط قد ظهر كما تظهر رغبة الإنسان .
(١) قال الجوهري ٢١٣٧/٥ : المسكينُ : الفقيرُ ، وقد يكون بمعنى الذلَّة والضعف ، وكان يونس يقول : المسكين أشدُّ حالاً من الفقير ، وقلتُ لأعرابي : أفقيرُ أنت ؟ فقال : لا والله ، بل مسكين ، وفي الحديث (ليس المسكينُ الذي ترُدُّه اللَّقْمَةُ واللِّقْمَتان ، وإنما المسكينُ الذي لايسأل ، ولا يُفطَنُ له فيعطى) . اهـ الصحاح .

(٢) ليس في الآية حجة لمن قال إن المسكين أحسن حالاً من الفقير ، فإن الآية إنما أريد بها الشفقة والترحم أي كانت لأناس ضعفاء لايقدرُونَ على مجابهة الملك الظالم .

يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴿١﴾ يدلُّ على أنهم كانوا يملكونها .. ألا ترى أن النبي ﷺ قال : « من باع عبداً له مَالٌ ، فماله للبائع » (١) .

فليس قوله « له مَالٌ » ممَّا يوجب أنه يملكه ، وهذا كثير جداً ، منه قول الله جلَّ وعز ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيُتُوتِ لَبَيْتٌ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ (٢) .

ومنه قولهم : بابُ الدَّارِ ، وجُلُّ الدَّابَّةِ ، والأشياء تُضاف إلى الأشياء ، ولا يوجبُ ذلك ملكاً ، فأضيفت إليهم لأنهم كانوا يعملون فيها ، كما أُضيف المَالُ إلى العيدِ لأنَّه معه .

والاشتقاقُ يوجبُ ما قال أهلُ اللغةِ ، لأن « مسكيناً » مأخوذٌ من السُّكُونِ ، وهو عدمُ الحركة ، فكأنه بمنزلة المَيْتِ (٣) .
والفَقِيرُ كأنه الذي كُسِرَ فَقَارُهُ ، فقد بقيتْ له بقيةٌ .

(١) الحديث أخرجه أبو داود في الإجازة رقم ٣٤٣٥ عن جابر بن عبد الله مرفوعاً ، وفي إسناده مجهول ، وهو الراوي عن جابر ، وبقية رجاله ثقات ، وتمة الحديث (فماله للبائع إلا أن يشترط المبتاع) ورواه أحمد في المسند ٨٢/٢ باللفظ الذي رواه أبو داود ، ورواه مسلم رقم ١٥٤٣ بلفظ « ومن ابتاع عبداً فماله للذي باعه ، إلا أن يشترط المبتاع » .

(٢) سورة العنكبوت آية ٤١ وهذا مثلُ ضربه الله لعباد الصنم ، وأضيف البيت إلى العنكبوت لأنها تسكنه .

(٣) هذا من أدلة أبي حنيفة على أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير ، لأنه لشدة فقره سكن عن الحركة واستدل بقوله تعالى ﴿ أو مسكيناً ذا مَقْرَبَةٍ ﴾ أي كأنه لم يجد ما يستره ، فلصق بالتراب من فقره وضُرَّه ، وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس .

ويدل على هذا أيضاً حديثُ النبي ﷺ .. حدثنا أحمد بن منصور الحاسب ، قال : حدثنا عليُّ بنُ الجَعْد ، قال : أنبأنا حمادُ ابنُ سلمة ، عن محمد بن زياد ، قال : سمعتُ أبا هريرة يقول ، سمعتُ أبا القاسم عليه السلام يقول : « إنَّ المسكينَ ليس بالطَّوَّافِ الذي تُرَدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ ، والأُكْلَةُ والأُكْلَتَانِ ، ولكنَّ المسكينَ الذي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ ، ولا يسألُ النَّاسَ إِنْخافاً » (١) .

١١٦ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

[آية ٧٩] .

رَوَى ابنُ عُيَيْنَةَ ، عن عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ ﴿ وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ ﴾ (٢) .

قال أبو جعفر : في « وراء » هاهنا قولان :

أحدهما : أنه بمعنى أَمَامَ .

والآخر : أنه بمعنى خَلْفَ ، على بابِهِ ، كأنه قال : على

(١) الحديث أخرجه البخاري في الزكاة ، وفي تفسير سورة البقرة ٤٠/٦ بلفظ « ليس المسكينُ الذي تُرَدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ ، ولا اللَّقْمَةُ ولا اللَّقْمَتَانِ ، إنما المسكينُ الذي يتَعَفَّفُ ، واقربوا إن شئتم ﴿ لايسألون الناس إِنْخافاً ﴾ » ورواه مسلم رقم ١٠٣٩ في الزكاة ، ومالك في الموطأ ٩٢٣/٢ وأبو داود رقم ١٦٣١ والنسائي ٨٥/٥ في الزكاة .

(٢) ذكر هذه القراءة ابن جرير الطبري ١/١٦ عن ابن عباس ، وذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٣/ ١١ وأبو حيان في البحر المحيط ١٥٤/ ٦ والسيوطي في الدر ٢٣٧/٤ وعزاها إلى ابن حاتم والحاكم ، وليست من القراءات السبع .

طريقهم إذا رجعوا^(١) .

والقول الأول أحسن ، لقراءة ابن عباس رحمه الله به ، وأن
اللغة تُجيزه ، لأنَّ ما توارى عنك فهو وراء ، فهذا يقع لما كان
أماماً^(٢) .

ثم قال ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [آية ٧٩] .

وقرأ عثمان رحمه الله ﴿كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ
غَصْبًا﴾^(٣) .

١١٧ — ثم قال جل وعز ﴿وَأَمَّا الْفُلَّامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ...﴾
[آية ٨٠] .

رَوَى ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ قَرَأَ ﴿وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ وَكَانَ كَافِرًا﴾^(٤) .

(١) هذا ما رجحه الزجاج في معانيه ٣٠٥/٣ أن معنى ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ : خلفهم ، قال : هذا أجود
الوجهين ، وكذلك رجح ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٧٨/٩ قال الزجاج : وقيل ﴿وَكَانَ
وَرَاءَهُمْ﴾ معناه : كان قدامهم ، وهذا جائز في العربية ، لأن ما بين يديك إذا توارى عنك ، فقد
صار وراءك ، قال الشاعر :

أليس ورأي إن تراخت مني
لُزوم العصا تُخنسى عليها الأصابع ؟
(٢) ذكرها ابن جرير ٢/١٦ عن قتادة قال : هي في حرف ابن مسعود « كل سفينة صالحة غصباً »
وذكرها السيوطي في الدر ٢٣٧/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٤/١١ وهي محمولة على
التفسير ، وليست من القراءات السبع المتواترة .

(٣) وهذه أيضاً محمولة على التفسير ، حكاه الطبري ٣/١٦ وابن الجوزي عن ابن عباس ١٢٥/٥
وهي من القراءات الشاذة .

وروى أَبِي بَنْ كَعْبٍ عن النبي ﷺ قال : « طَبَعَ على الكفر ، فَأَلْقَى على أَبِيهِ مَحَبَّتَهُ » (١) .

١١٨ - ثم قال جل وعز ﴿ فَحَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [آية ٨٠] .

﴿ فَحَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا ﴾ .

﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا ﴾ .

قال أبو حاتم (٢) ، هذا من كلام صاحب موسى يعني الخضر (٣) .

وقال غيره : هو من قول الله جل وعز .

فإن قال قائل : كيف يجوز أن يكون ﴿ فَحَشِينَا ﴾ إخباراً عن الله ؟

فالجواب عنه : أن الفراء قال ﴿ فَحَشِينَا ﴾ بمعنى : فعلمنا (٤) ، كما يُقال : ظننَّا بمعنى : علمنا .

(١) الحديث أخرجه مسلم ١٨٥٢/٤ وأبو داود رقم ٤٧٠٥ بلفظ « الغلام الذي قتله الخضر ، طبع كافراً ، ولو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكُفْراً » وانظر جامع الأصول ٢٢٩/٢ .

(٢) أبو حاتم هو : سهل بن محمد السجستاني ، أخذ عنه المبرّد وابن دُرَيْد ، وقد تقدمت ترجمته

(٣) هذا هو الأصح والأظهر ، أنه من كلام الخضر ، بدليل قوله بعده ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ الآية ورجحه ابن عطية والزرّاج .

(٤) انظر معاني الفراء ١٥٧/٢ ولفظه ﴿ فحشينا ﴾ : فعلمنا ، قال : والخوف والظن يُذهَبُ بهما مذهب العلم ، وأما تفسير النحاس « فحشينا » بمعنى أردنا ، فبعيد .

وقال البصريون : يُقال : خَشِيتُ الشيءَ بمعنى : كرهته ^(١) ،
وبمعنى : فزعتُ منه ، كما يقال للرجل : أخشى أن يكون كذا وكذا :
أي أكرهه .

وقال الأخفش : وفي قراءة أبي ﴿ فَخَافَ رَبُّكَ أَنْ يُرْهِقَهُمَا
طُعْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ ^(٢) .

وقال غيره : وكذلك هو في مصحف عبدالله .

والكلامُ في « خَفْتُ » و « خَشِيتُ » واحدٌ .

حكى الأخفشُ « خَفْتُ أَنْ تقولوا » بمعنى : كرهتُ أن
تقولوا .

ومعنى ﴿ أَنْ يُرْهِقَهُمَا ﴾ : أَنْ يُلْحَقَهُمَا ، أي أَنْ يَحْمِلَهُمَا
على الرَّهْقِ وهو الجهل ^(٣) .

(١) قال الزجاج ٣/٣٠٥ : الخَشْيَةُ من الله عز وجل معناه : الكراهَةُ ، ومعناها من الآدميين : الخوف

(٢) انظر معاني الأخفش ٢/٦٢٠ ولفظه : ﴿ خَشِينَا ﴾ معناه كرهنا ، لأن الله لا يخشى ، وهو في
بعض القراءات ﴿ فَخَافَ رَبُّكَ ﴾ . اهـ .

أقول : وهذه القراءة من القراءات الشاذة ، ذكرها ابن جرير في جامع البيان ١٦/٣ وابن
عطية في المحرر الوجيز ٩/٣٨٢ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٢٣٧ وهي محمولة على معنى العلم
كما قال ابن جرير : أي فعلمنا أن يرهبهما ، أو بمعنى الكراهة كما قال الأخفش ﴿ فخشينا ﴾
أي فكرهنا . اهـ .

(٣) انظر لسان العرب ، والصحاح ، والمصباح المنير ، مادة رهق .

وقال أبو زيد^(١) : أَرْهَقْتُهُ : كَلَّفْتُهُ .

١١٩ — وقوله جل وعز : ﴿ فَأَرْذُنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [آية ٨١] .

قال ابن جريج : ﴿ زَكَاةً ﴾ أي : إسلاماً^(٢) .

وقال الفراء : إصلاحاً .

قال ابن جريج : وحدثني عبدالله بن عثمان بن خُشَمٍ عن سعيد بن جبير قال : أُبْدِلَا مِنْهُ جَارِيَةً^(٣) .

قال ابنُ جريج : وهما بها أرحم .

قال ابنُ عباس : أُبْدِلَا مِنْهُ جَارِيَةً فولدت نبياً^(٤) .

وحكى الفراء : رَحِمْتُهُ رَحْمَةً ، وَرُحْمَةً^(٥) .

وحكى الأصمعيُّ عن أبي عمرو بن العلاء^(٦) : رَحِمَهُ اللَّهُ رُحْمًا .

(١) أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أحد أئمة الأدب واللغة ، توفي سنة ٢١٥ هـ وانظر الأعلام .

(٢) و(٣) و(٤) انظر هذه الآثار في تفسير الطبري ٤/١٦ والبحر المحيط ٦/١٥٥ وابن كثير ٥/١٨١ والدر المنثور ٤/٢٣٨ والمحرر الوجيز ٩/٣٨٣ .

(٥) انظر معاني الفراء ٢/١٥٧ .

(٦) أبو عمرو بن العلاء المازني النحوي ، من كبار علماء اللغة والقراءات ، توفي سنة ١٥٤ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٢/١٧٨ .

ويجوز على مذهب الخليل : رَحْمًا بِالْفَتْح ^(١) .

١٢٠ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا .. ﴾ [آية ٨٢] .

قال سعيد بن جبير ومجاهد : عَلِمَ ^(٢) .

وقال قتادة وعكرمة : مَالٌ ^(٣) .

وهذا القول أولى من جهة اللغة ، لأنه إذا قيل : عند فلان كنز ، فإنما يُراد به المال المدفون ، والمدخر .

فإن أراد غير ذلك بَيَّنَّ ، فقال : عنده كنز علم ، وكنز فهم .

ويحتمل أن يكون كما زوي أنه لوح من ذهب ، مكتوب فيه « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ^(٤) فهذا يجمع المال والعلم .

(١) قال في البحر ١٥٥/٦ : الرَّحْمُ وَالرَّحْمَةُ : العطف ، كالكثير ، والكثرة ، والظاهر أن قوله

﴿ وَأَقْرَبُ رَحْمًا ﴾ أي رحمة والديه ، وقال ابن جريج يرحمناه ، وقال رؤية ابن العجاج :

يَأْمُنُ زُلَّ الرَّحْمِ عَلَى إِذْرِيْسَا وَمُنْزَلُ اللَّعْنِ عَلَى إِيْلِيْسَا

(٢)(٣) الأثران في الطبري ٦/١٦ والبحر ١٥٥/٦ وابن كثير ١٨٢/٥ ورجح الطبري وابن كثير قول قتادة وعكرمة أن الكنز مال مدفون .

قال ابن كثير : وهذا ظاهر السياق من الآية ، وهو اختيار ابن جرير يرحمه الله .

(٤) هذه الرواية رويت عن أبي ذر ، وهي في مسند البزار كما حكاه الحافظ ابن كثير ١٨٢/٥ قال :

« إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه ، لوح من ذهب مُصْمِتٌ — أي غير مجوف — مكتوب فيه ، عجب لمن أيقن بالقدر لم نصيب ؟ وعجب لمن ذكر النار لم ضحك ؟ وعجب لمن ذكر الموت لم غفل ؟ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .

١٢١ - وقوله جلّ وعز : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ

تَسْطِغْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [آية ٨٢] .

يدلّ على أنّ ذلك كان بوحى^(١) .

(١) قصة موسى والخضر كما في الصحيحين : عن أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عز وجل عليه إذ لم يرّد العلم إليه ، فأوحى الله إليه أنّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى يارب فكيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتاً فتجعله في مكّكل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ ، فانطلق موسى : ومعه فتياه « يوشع بن نون » حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكّكل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً ، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبر بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً — قال ولم يجد موسى النّصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به — فقال فتاه ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ قال فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً فقال موسى ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا هو مسجى بشوب فسلم عليه موسى قال الخضر : وأئى بأرضك السلام ! من أنت ؟ قال : أنا موسى ، قال موسى بني إسرائيل ؟ قال نعم أتيتك لتعلمني مما علّمت رُشدًا ﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ .. ياموسى إني على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه ، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه ، فقال موسى ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ﴾ فقال له الخضر ﴿ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نؤل — أي بدون أجر — فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم ، فقال له موسى : قوم قد حملونا بغير نؤل عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ﴿ قال رسول الله ﷺ : وكانت الأولى من موسى =

١٢٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [آية ٨٣] .

رَوَى أَبُو الطَّفِيلِ أَنَّ ابْنَ الْكُوَا سَأَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ « ذِي الْقَرْنَيْنِ » أَكَانَ نَبِيًّا أَوْ مَلِكًا ؟ فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَلَا مَلِكًا ، وَلَكِنْ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا ، أَحَبَّ اللَّهُ فَاحَبَّهُ ، وَنَصَحَ اللَّهَ فَنَصَحَهُ اللَّهَ ، ضُرِبَ عَلَى قَرْنِهِ الْأَيْمَنِ فَمَاتَ ، فَبَعَثَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ ضُرِبَ عَلَى قَرْنِهِ الْأَيْسَرِ فَمَاتَ ، فَفِيكُمْ مِثْلُهُ » (١) .

قال أبو جعفر : وهذا أجلُّ إسنادٍ رُوي في تَسْمِيَةِ بذي القرنين .

= نسياناً ، وجاء عصفورٌ فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر : ما علمي وعلمك من علم الله تعالى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله ، فقال له موسى ﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴿ قال سُفْيَانُ : وهذه أشدُّ من الأولى ﴾ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً ﴿ فانطلقا ﴾ حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض ﴿ فقال الخضر بيده هكذا — أي أشار بيده — فأقامه فقال موسى : قوم أتيناكم فلم يطعمونا ، ولم يضيّفونا ﴾ لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴿ قال الخضر : ﴿ هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ قال رسول الله ﷺ : يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص الله علينا من أخبارهما !! أخرجها الشيخان .

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٩/١٦ وابن كثير ١٨٦/٥ والسيوطي في الدر ٢٤١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

وقد قيل : كانت له ضفirtان^(١) .

وقيل : لأنه بلغ قُطْرِي الأرض : المشرق ، والمغرب^(٢) .

قال محمد بن إسحاق : حَدَّثَنِي من يسوق الأحاديث عن الأعاجم ، فيما توارثوا من علمه : إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كان رجلاً من أهل مصر . اسمه « مرزيان بن مَرْدَبَة » اليوناني ، من ولد « يونان بن يافث بن نوح » .

قال ابن هشام : واسمه « الاسكندر » وهو الذي بنى الاسكندرية فَسُمِّيَتْ إليه^(٣) .

قال محمد بن إسحق : وقد حَدَّثَنِي ثورُ بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدَانَ الْكَلَّاعِي — وكان رجلاً قد أدرك [الناس]^(٤) — أن رسول الله ﷺ سئل عن ذي القرنين ، فقال : « مَلِكٌ مَسَحَ الْأَرْضَ من تحتها بالأسباب » .

وقال خالد : سمع عمرَ بن الخطَّاب — رحمةُ الله عليه —

(١)(٢) انظر جامع البيان ٩/١٦ والبحر المحيط ١٥٨/٦ وتفسير ابن كثير ١٨٦/٥ والدر المنثور ٢٤١/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ١٢٨/٥ .

(٣) ذكره الإمام القرطبي في جامع أحكام القرآن ٤٥/١١ كما ذكر ابن اسحق في السِّير والمغازي ص ٢٠٢ طرفاً من قصة ذي القرنين ، وكذلك ابن هشام ١٥٧/٢ تحت عنوان سؤالهم له ﷺ عن ذي القرنين .

(٤) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من جامع أحكام القرآن للقرطبي ٤٦/١١ .

رجلاً يقول : ياذا القرنين ، فقال عمر : « اللهم غَفراً ، أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ تُسَمُّوا بِالنَّبِيِّينَ ، حَتَّى تُسَمِّيَ بِالْمَلَائِكَةِ » (١) ؟

١٢٣ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [آية ٨٤] .

رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : عَلِمَا^(٢) .

والمعنى على هذا التفسير : علماً يصل به إلى المسير في أقطار الأرض .

١٢٤ — ثم قال تعالى ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [آية ٨٥] .

رَوَى ابْنُ أَبِي نَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : مَنْزَلاً وَطَرِيقاً بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ^(٣) .

١٢٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَرْبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ .. ﴾ [آية ٨٦] .

(١) في القرطبي ٤٦/١١ : « أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ تُسَمُّوا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تُسَمِّيَ بِأَسْمَاءِ الْمَلَائِكَةِ » ونقل عن علي رضي الله عنه مثل قول عمر ، وهذا أظهر وأوضح من لفظ المصنف « أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ تُسَمُّوا بِالنَّبِيِّينَ حَتَّى تُسَمِّيَ بِالْمَلَائِكَةِ » .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٩/١٦ وابن كثير ١٨٦/٥ وابن الجوزي ١٢٩/٥ ولفظه : علماً يتسبب به إلى ما يريد .

(٣) انظر الأثر في جامع البيان ١٠/١٦ وابن كثير ١٨٦/٥ وقد سقطت الواو من المخطوطة فكتبت « مَنْزَلاً طَرِيقاً » وأثبتناها من تفسير الطبري ، وابن كثير ، كما ورد فيهما عن مجاهد .

قرأ عبد الله بن مسعود وابن الزبير : ﴿ حَامِيَةٌ ﴾^(١) .

وقرأ ابن عباس : ﴿ حَمِيَّة ﴾^(٢) .

قال أبو جعفر : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة ، قال :
حدثنا محمد بن عبد الملك ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال :
حدثنا عمرو بن ميمون ، قال : سمعتُ أبا حاضر^(٣) يقول : سمعتُ
ابن عباس يقول : كنتُ عند معاوية ، فقرأ ﴿ تَغْرُبُ فِي عَيْنِ
حَامِيَةٍ ﴾ فقلت : ما نقرأها إلا « حَمِيَّة » فقال لعبدالله بن عمرو :
كيف تقرأها يا عبدالله بن عمرو؟ قال : كما قرأتها يا أمير المؤمنين ،
فقلت : في بيتي يا أمير المؤمنين أنزل القرآن !!

فأرسل معاوية إلى كعب ، فقال : أين تجد الشمس تغرب في
التوراة ؟ فقال : أمّا في العربية فأنتم أعلم بها ، وأمّا أنا فأجد الشمس
في التوراة ، تغرب في ماء وطين ، وأشار بيده إلى المغرب ، فقلت لابن
عباس : لو كنتُ عندك فرفدتك بكلمة تزداد بها بصيرة في
« حَمِيَّة » !! قال ابن عباس : ما هي ؟ قلت : فيما نأثر من قول تبع
فيما ذكر به ذا القرنين من قوله :

(١) و(٢) كلتا القراءتين من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٩٨ فلقد قرأ ابن كثير ،
ونافع ، وأبو عمرو ﴿ في عين حَمِيَّة ﴾ وكذلك عاصم في رواية حفص ، وقرأ ابن عامر ،
وحمة ، والكسائي ﴿ حَامِيَةٌ ﴾ وانظر أيضاً النشر ٣١٤/٢ .

(٣) أبو حاضر : هو « عثمان بن حاضر » سمع ابن عباس رضي الله عنه ، وانظر المقتنى في سرد
الكنى رقم الترجمة ٢٩٧ وقد ذكر السيوطي في الدر ٢٤٨/٤ أنه عثمان بن أبي حاضر وصوابه
« عثمان بن حاضر » كما في التهذيب ١٠٩/٧ .

بَلَعَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَتَغَي
أَسْبَابَ أَمْرِ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدٍ
فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا
فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ ، وَثَاطَ حَرَمِدٍ ^(١)

فقال ابن عباس ما الخُلْبُ ؟ فقال : الطينُ بكلامهم . قال :
وما الثَّاطُ ؟ قلتُ : الحمأة ، قال : وما الحرمدُ ؟ قلتُ : الأسود ^(٢) .
قال أبو جعفر : فهذا تفسير الحمأة ، يُقال : حمئت البئر ،
إذا صارت فيها الحمأة ^(٣) ، وأحمأتهَا : ألقىْتُ فيها الحمأة .
وحمأتهَا : أخرجتُ منها الحمأة .

فأما قراءة من قرأ ﴿ حَامِيَةٌ ﴾ فيحتملُ معنيين :

أحدهما : أن يكون المعنى « حَمِيَّةٍ » فكأنه قال « حَامِيَةٌ »
أي ذاتُ حمأة ، ثم خُفِّفَتِ الهمزة .
والمعنى الآخر : أن يكون بمعنى حارة .

(١) الأبيات للشاعر بُعَيْعُ اليماني كما حكى ذلك القرطبي في جامع الأحكام ٤٩/١١ وذكر الأبيات
أيضاً أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ١٥٨/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٤٨/٤ وقبلها
قوله :

قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ قَبْلِي مُسْلِمًا مَلِكًا تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَتَسْجُدُ
(٢) انظر الأثر في تفسير ابن جرير ١١/١٦ وتفسير ابن كثير ١٨٨/٥ وجامع الأحكام للقرطبي
٤٩/١١ .

(٣) الحمأة : الطين الأسود المتن ، وانظر الصحاح للجوهري ٤٥/١ .

ويجوز أن تكون حارةً ، وهي ذات حمى ، والله أعلم بحقيقته^(١) .

قال القتيبي^(٢) : يجوز أن تكون هذه العين من البحر ، ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها ، أو معها ، أو عندها ، فيقام حرف الصفة مقام صاحبه ، والله أعلم بذلك .

١٢٦ — وقوله جل وعز ﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ، قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ، وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [آية ٨٦] .

قال إبراهيم بن السري^(٣) : خيره بين هذين ، كما خير محمدًا ﷺ فقال : ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾^(٤) .

وقال علي بن سليمان^(٥) : المعنى : قلنا يا محمد : قالوا يا ذا القرنين .

(١) هذا ما ذهب إليه الزجاج في معانيه ٣٠٨/٥ فقال : من قرأ ﴿ حَامِيَةً ﴾ بغير همز أراد حارة ، وقد تكون حارة ذات حمأة . اهـ يريد حارة ذات طين أسود متن .

(٢) القتيبي : هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ من أئمة اللغة والنحو ، له كتاب غريب القرآن ومعانيه ، وغريب الحديث ، وأدب الكاتب ، وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣١٤/١ وشذرات الذهب ١٦٩/٢ .

(٣) هو الإمام أبو إسحاق الزجاج « إبراهيم بن السري بن سهل » المتوفى سنة ٣١١ هـ صاحب المصنفات ، وله كتاب معاني القرآن الكريم وانظر ترجمته في الأعلام ٤٠/١ .

(٤) سورة المائدة آية رقم ٤٢ .

(٥) هو علي بن سليمان بن الفضل البغدادي ، المشهور بالأحفش الصغير المتوفى سنة ٣١٥ هـ له كتاب معاني القرآن ، وانظر ترجمته في الأعلام ٢٩١/٤ ومعجم المؤلفين ١٠٤/٧ .

قال : لَأَنَّ بعده ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا ﴾ [آية ٨٧] .

فكيف يقول لربه : ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ﴾^(١) ؟ وكيف يقول : ﴿ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ﴾ ؟ والعبد لا يخاطب بهذا ، ولم يصحَّ أن « ذا القرنين » نبي^(٢) فيقول الله : ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ ﴾ ؟

قال أبو جعفر : وهذا موضع مشكل^(٣) ، وليس بممتنع حذف القول ، والله أعلم بما أراد .

وروى معمر عن قتادة في قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ﴾ قال : بالقتل^(٤) .

١٢٧ — وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا ﴾ [آية ٨٧] .

(١) يريد المصنف أن الأخفش ردَّ على الزجاج قوله إذ كيف يخاطب ربه بقوله ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ﴾ ويقول عن نفسه ﴿ فسوف نعذبه ﴾ بنون العظمة ؟ .

(٢) هذا هو الصحيح أن ذا القرنين ملكٌ عادل ، وليس بنبي ، وهذا قول الجمهور كما دلت عليه بعض الآثار .

(٣) ليس هناك إشكال ، فإن الله ألهمه ذلك إلهاماً ، ولم يرسل إليه ملكاً لأنه ليس برسول ، فالقول صادرٌ من الله له بطريق الإلهام ، والله تعالى يُسَدِّد خطي أوليائه ، ويرشدهم إلى الطريق القويم ، قال الحافظ ابن كثير ١٨٩/٥ : معنى الآية أن الله تعالى مكَّنه منهم ، وحكَّمه فيهم ، وأظفَره بهم ، وخيَّره إن شاء قتل وسبى ، وإن شاء منَّ أو فدَّى ، فعُرف إيمانه وعُدُّه ، فيما أبداه فعله وبيانه . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/١٦ وابن كثير ١٨٩/٥ والسيوطي في الدر ٢٤٩/٤ .

لأن عذاب الآخرة أنكر^(١) من القتل .

١٢٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [آية ٨٨] .

قيل : الحسنى ها هنا : الجنة .

ويقرأ ﴿ فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(٢) أي الإحسان .

١٢٩ — ثم قال جل وعز ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [آية ٨٨] .
أي قولاً جميلاً .

١٣٠ — وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴾ [آية ٨٩] .

ويقرأ ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ ﴾ بقطع الألف^(٣) ، أي سبباً من الأسباب التي تؤدّيه إلى أقطار الأرض .

قال الأصمعي : يُقال : اتبعت القوم ، بقطع الألف أي

لحقّهم .

(١) أي أشدّ وأفظع .

(٢) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وقرأ الباقون بالتثنية ﴿ فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٩٨ .

(٣) قرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وابن عامر ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴾ بالقطع ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو بالتشديد ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴾ وكلا القراءتين سبعية ، وانظر النشر ٣٢٤/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٣٩٧ .

وَاتَّبَعْتَهُمْ « بوصل الألف » إذا مررت في آثارهم وإن لم تَلْحَقْهُمْ^(١) .

١٣١ — ثم قال جل وعز : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ، وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ [آية ٩٠] .
أي ليس لهم ببيان ولا قُمْص^(٢) .

قال الحسن : إذا طلعت نزلوا الماء حتى تغرب^(٣) .
فأما معنى ﴿ كَذَلِكَ ﴾ ؟ فقليل فيه : حكمهم كحكم
الذين تغرب عليهم الشمس ، أي هم كأولئك .

١٣٢ — وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سِبْيَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾
[آية ٩٣] .

ويُقرأ ﴿ السَّدَّيْنِ ﴾^(٤) .

(١) في الصحاح ١١٨٩/٣ : تَبِعْتُ الْقَوْمَ تَبْعًا وَتَبَاعَةً : إِذَا مَشَيْتَ خَلْفَهُمْ أَوْ مَرُّوا بِكَ فَمَضَيْتَ مَعَهُمْ ، وَكَذَلِكَ اتَّبَعْتُهُمْ ، وَاتَّبَعْتُ الْقَوْمَ : إِذَا كَانُوا قَدْ سَبَقُوكَ فَلَحَقْتَهُمْ ، وَقَالَ الْأَخْفَشُ : تَبِعْتُهُ وَاتَّبَعْتُهُ بِمَعْنَى . اهـ .

(٢) قال القرطبي ٥٤/١١ : ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ أي حجاباً يَسْتَتِرُونَ مِنْهَا عِنْدَ طُلُوعِهَا ، وَقَالَ الْفَرَاءُ : أَي لَا جَبَل ، وَلَا سِتْر ، وَلَا شَجَر ، وَهِيَ غُرَّةٌ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤/١٦ والقرطبي ٥٥/١١ وابن كثير ١٩٠/٥ ولفظه : قال الحسن : إِنْ أَرْضُهُمْ لَا تَحْمِلُ الْبَنَاءَ ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ تَغَوَّرُوا فِي الْمِيَاهِ ، فَإِذَا غَرَبَتْ خَرَجُوا يَتَرَاعَوْنَ كَمَا تَرَعَى الْبِهَائِمُ .

(٤) قرأ حمزة والكسائي ﴿ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ بِالضَّمِّ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ بِفَتْحِ السِّينِ ، وَانْظُرِ السَّبْعَةَ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ٣٩٩ .

وقد فرّق بينهما أبو عمرو^(١) وجماعةٌ من أهل اللّغة .

فقال بعضهم : السَّدُّ : ما كان من صنْع الله ، والسَّدُّ
« بالفتح » : ما كان من صنع الآدميين .

وقيل : السَّدُّ ما رأيتُهُ ، والسَّدُّ : ما سَتَر عينيك .

والصحيحُ في هذا ما قاله الكسائي أنهما لغتان بمعنى^(٢) .

وإن زيد في هذا ، قيل : السَّدُّ المصدرُ ، والسَّدُّ : الاسمُ .

١٣٣ — وقوله جلّ وعز ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ : إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ﴾ [آية ٩٤] .

ويُقرأ ﴿ خَرْجاً ﴾^(٣) .

قال الفراء : الخَرْج : المصدرُ ، والخَرْجُ : الاسم^(٤) .

(١) أبو عمرو هو ابن العلاء المازني النحوي ، من كبار علماء اللغة والقراءات ، المتوفى سنة ١٥٤ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٧٨/١٢ .

(٢) في الصحاح ٤٨٦/٢ : السَّدُّ ، والسَّدُّ : الجبل والحاجز ، والسَّدُّ أيضاً واحد السُدود . اهـ وانظر لسان العرب مادة سدد .

(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي ، وهي من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٠ .

(٤) عبارة الفراء في معانيه ١٥٩/٢ : الخَرْجُ : الاسم الأول ، والخَرْجُ كالمصدر كأنه الجُعْلُ . اهـ .

وروى معمر عن قتادة ﴿خَرْجاً﴾ قال : عطية^(١) .

وكذلك هو في اللغة ، يُقال : لك عندي خَرْجُ أي عطيةٌ
وجُعِلَ ، والخَرْجُ : هو المتعارف ، وإن كان أصله مِنْ ذَا^(٢) .

١٣٤ — وقوله جل وعز ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ...﴾ [آية ٩٥] .
أي خيرٌ ممَّا بذلتم لي .

١٣٥ — ثم قال جل وعز : ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾
[آية ٩٥] .

والرَّدْمُ في اللغة : أكثرُ من السَّدِّ ، لأنه شيءٌ متكاثفٌ ،
بعضه على بعض^(٣) .

وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس : ﴿يَيْنَ
السُّدَيْنِ﴾ الجبلين : أرمينية ، وأذربيجان^(٤) .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٣/١٦ عن معمر عن قتادة قال : أجزاً ، وروي ابن كثير ١٩٢/٥ عن ابن عباس ﴿خَرْجاً﴾ : أجزاً عظيماً .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن منظور ، وتهذيب اللغة للأزهري مادة خرج .

(٣) في الصحاح ١٩٣٠/٥ : الرَّدْمُ : السَّدُّ ، وردمتُ الحفرة أرْدَمْتُها بالكسر رَدْمًا : أي سدّتها ، وقال الزجاج في معانيه ٣١١/٣ : الرَّدْمُ أكبرُ من السَّدِّ ، لأن الرَّدْمَ ما جُعِلَ بعضه على بعض ، يُقال : ثوبٌ مُرَدَّمٌ ، إذا كان قد رُقِعَ رُقْعَةً فوق رُقْعَةٍ . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير عن الضحاك ٢٥/١٦ قال : هما من قِبَلِ أرمينية وأذربيجان ، وينحوه عن ابن عباس .

١٣٦ — ثم قال جل وعز ﴿ أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ .. ﴾ [آية ٩٦] .

الزُّبُرُ : الْقِطْعُ الْكَبِيرُ مِنَ الْحَدِيدِ^(١) .

١٣٧ — ثم قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ .. ﴾ [آية ٩٦] .

روى على ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : الجبلين^(٢) .

١٣٨ — وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا ﴾ [آية ٩٦] .

قيل : جعل قِطْعَ الحديد ، وجعل بينهما الحَطَبَ والفحم ، وأوقد عليها ، والحديد إذا أُوقِدَ عليه صار كالنَّارِ ، فذلك قوله ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا ﴾ .

ثُمَّ أَذَابَ الصُّفْرَ^(٣) ، فأفرغه عليه ، فذلك قوله تعالى ﴿ قَالَ أَتُونِي أَفْرَغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ .

أي أعطوني قِطْرًا أفرغ عليه^(٤) .

(١) في الصحاح ٦٦٧/٢ : الزُّبْرَةُ : القطعة من الحديد ، والجمعُ زُبُرٌ قال تعالى ﴿ أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ ويُقال : زُبُرٌ أيضاً ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾ أي قِطْعًا . اهـ .

(٢) الأكثر في الطبري ٢٥/١٦ والدر المنثور ٢٥١/٤ وعزه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) في المصباح ٣٦٧/١ : الصُّفْرُ : مثل قُفْلٍ — وكسرُ الصاد لغةٌ — النَّحَّاسُ ، وكذلك القِطْرُ وزان جَمَلٌ : النحاس ، ويُقال : الحديدُ المذاب .

(٤) قال الفخر الرازي ١٧٢/٢١ : لما أتوه بقطع الحديد ، وضع بعضها على بعض ، حتى صارت بحيث تسدُّ ما بين الجبلين ، ثم وضع المنافخ عليها ، حتى إذا صارت كالنار صبَّ النحاس المذاب على الحديد المحمي ، فالتصق ببعضه بعض ، وصار جبلاً صلباً .

ومن قرأ ﴿آتُونِي﴾^(١) فالمعنى عنده : تعالوا أفرغ عليه نحاساً .

١٣٩ — قال جلَّ اسمه : ﴿فَمَا اسْبِغُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [آية ٩٧] .

أي أن يعلوا عليه ، لطوله وأملأه .

يقال : ظهرت على السطح أي علوت عليه .

قال كعب : فهم يعالجون فيه كل يوم ، فإذا أمسوا قالوا غداً ننقضه ، ولا يوفق لهم أن يقولوا « إن شاء الله » فإذا أذن الله في إخراجهم ، قالوا « إن شاء الله » فينقضونه ، فيخرجون ، فيشرب أولهم دجلة والفرات ، حتى يمر آخرهم فيقول : قد كان هنا هنا مرة ماء ، ويتأذى بهم أهل الأرض ، ويدعو عليهم عيسى صلى الله عليه وسلم فيهلكون^(٢) .

(١) هذه من القراءات السبع وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر وحمة ، وقرأ الباقون ﴿آتوني زبر الحديد﴾ بالمد ، وانظر السبعة ص ٤٠١ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥١٠/٢ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، ولفظه : « إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم — يعني رئيسهم — ارجعوا فستحفرونه غداً ، فيعودون إليه كأشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدنتهم ، وأراد الله أن يبعثهم على الناس ، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله ويستثنى — يعني يقول : إن شاء الله — فيعود إليه وهو كهينته حين تركوه ، فيحفرونه ، ويخرجون على الناس ، فينشقون المياه — وفي رواية الترمذي فيستقون المياه — ويتحصن الناس منهم في حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع =

١٤٠ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ [آية ٩٨] .

[أي هذا التمكين رحمة من ربي] ^(١) .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ .. ﴾

[آية ٩٨] .

أي لاصقاً بالأرض .

يقال : ناقةٌ دَكَّاءٌ : أي لا سَنَامَ لها .

١٤١ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ ..

[آية ٩٩] .

ويجوز أن يكون يُعْنَى بـ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم يخرجون من السدِّ .

وأن يُعْنَى به يوم القيامة ، لقوله تعالى ﴿ وَتَفْخُ فِي الصُّورِ

فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ [آية ٩٩] .

= وعليها كهيئة الدم ، فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء ، فيبعث الله عليهم

نَعَقًا — أي دوداً — في ألقائهم فيقتلهم بها ، قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده إن

دوابَّ الأرض لتسمن ، وتُشْكُرُ شُكْرًا — أي تنتفخ وتمتلئ بطونها — من لحومهم ودمائهم »

وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الكهف رقم ٣١٥٣ وقال : حديث حسن غريب — وابن

ماجة في الفتن رقم ٤٠٨٠ الجزء الثاني ص ١٣٦٤ .

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

١٤٢ — وقوله جل وعز ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [آية ١٠١] .

أي لعداوتهم النبي ﷺ ، لا يستطيعون أن يسمعوا منه شيئاً^(١) .

أي يتقل ذلك عليهم ، كما تقول : أنا لا أستطيع أن أكلّمك .

١٤٣ — وقوله جل وعز ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ..﴾ [آية ١٠٢] .

قال أبو إسحاق : المعنى : أفحسب الذين كفروا أن ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء^(٢) ؟ .

وروى عبّاد بن الربيع أن عليّ بن أبي طالب رحمه الله عليه قرأ : ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾^(٣) .

قال أبو عبيدة : أي أرضوا بذلك ؟ أكفاهم ذلك^(٤) ؟ .

١٤٤ — ثم قال جل وعز : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ لِلْكَافِرِينَ نَزْلًا﴾ [آية ١٠٢] .

(١) عبارة القرطبي ٦٥/١١ : أي لا يطيقون أن يسمعوا كلام الله تعالى ، فهم بمنزلة من صم .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٤/٣ ففيه توضيح وبيان .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ، وانظر المختسب لابن جني ٣٤/٢ .

(٤) هذا على القراءة الشاذة ، وانظر البحر ١٦٦/٦ .

التَّزَلُّ عند أهل اللغة : ما هَيَّءَ للضيف وما أشبهه ، والتَّزَلُّ بفتحين : الرَّيْعُ ^(١) .

١٤٥ — ثم قال جل وعز ﴿ قُلْ هَلْ تُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [آية ١٠٤] .

رَوَى أَبُو الطَّفِيلِ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : هُم أَهْلُ حُرُورَاءَ ^(٢) .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : هُم الرُّهْبَانُ ^(٣) .

قال الأسود : رُؤِي مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَرَحٌ وَمَزَاحٌ ، فَقَامَ ابْنُ الْكَوَا الشِّكْرِي فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : مِنَ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؟ أَهْمُ الْحُرُورِيَّةِ ؟ فَقَالَ : لَا ، هُم أَهْلُ الْكِتَابِ ، كَانَ أَوَّلُهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، ثُمَّ كَفَرُوا وَأَشْرَكُوا ^(٤) .

وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ ، عَنْ مُصْنَبِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِسَعْدٍ مَنِ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؟ أَهْمُ الْخَوَارِجِ ؟ فَقَالَ : هُم الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، أَمَّا الْيَهُودُ فَلَمْ يُؤْمِنُوا

(١) في الصحاح ١٨٢٨/٥ : التَّزَلُّ : مَا يُهَيَّأُ لِلنَّزِيلِ ، وَالْجَمْعُ الْأَنْزَالُ ، وَالتَّزَلُّ أَيْضًا : الرَّيْعُ ، يُقَالُ : طَعَامٌ كَثِيرُ التَّزَلِّ وَالتَّزَلُّ بِالتَّحْرِيكِ . وَقَالَ فِي الْبَحْرِ ١٦٦/٦ : التَّزَلُّ مَوْضِعُ النَّزُولِ ، وَالتَّزَلُّ أَيْضًا مَا يَقْدَمُ لِلضَّيْفِ وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنَ الطَّعَامِ ، وَالنَّزَلُ هُنَا يَحْتَمِلُ التَّفْسِيرَيْنِ . اهـ .

(٢-٤) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ٣٣/١٦ وجامع الأحكام للقرطبي ٦٦/١١ والبحر المحیط ١٦٦/٦ .

بمحمد ، وأما النصارى فلم يؤمنوا بالقيامة ، لأنهم قالوا ليس في الجنة
أكل ولا شرب ، فضل سعيهم ، وبطل عملهم ، وهم يحسبون أنهم
على هدى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ (١) .

وأما الخوارج فهم الذين قال الله فيهم ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ (٢) .

١٤٦ — ثم قال جل وعز ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [آية ١٠٥] .

رَوَى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « يوثق يوم القيامة
بالعظيم الطويل ، الأكل والشروب ، فلا يزن جناح بعوضة ، اقرعوا
إن شئتم ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (٣) ؟ » .

(١) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الكهف ١١٧/٦ عن مصعب بن سعد ، ولفظه قال :
« سألت أبي ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ أهم الخوارج — قال :
لا ، هم اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ ، وأما النصارى فكفروا بالجنة ، وقالوا :
لا طعام فيها ولا شراب ، والخوارج الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، وكان سعد يسميهم
الفاسقين » اهـ لفظ البخاري .

(٢) سورة الرعد آية ٢٥ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١١٧/٦ من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « إنه ليأتي
الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال اقرعوا ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ ورواه مسلم أيضاً في كتاب الجنة والنار وصفات المنافقين رقم ٢٧٨٥
وأخرجه الطبري ٣٥/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥٣/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم
أيضاً .

١٤٧ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ

جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [آية ١٠٧] .

سئل أبو أمامة^(١) عن الفردوس فقال : هي سُرَّةُ الْجَنَّةِ^(٢) .

وقال كعب^(٣) : هي التي فيها الأعناب .

قال أبو إسحاق^(٤) : الفردوس : البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين ، وكذلك هو عند أهل اللغة ، ولم نسمعه إلا في بيت حسان :

وإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ كُلُّ مُوَحِّدٍ

جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ^(٥) .

(١) في التهذيب ٤/٤٢٠ : أبو أمامة الباهلي الصحابي ، اسمه « صُدَيْي بن عجلان » روى عن النبي ﷺ توفي سنة ٨٦ هـ .

(٢) في النهاية ٢/٣٦٠ : « سُرَّةُ الْجَنَّةِ » أي وسطها وجوفها ، وفي حديث « لَانْزَلُ سُرَّةَ الْبَصْرَةِ » من سُرَّةِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهَا وَسْطُهَا . اهـ .

(٣) هو كعب الأخبار واسمه « كعب بن ماته الجُمَيْرِي » أبو إسحق ، المعروف بكعب الأخبار ، أسلم في أيام عمر ، روى عن النبي ﷺ مرسلًا ، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام ، وكان على دين اليهود فأسلم ، وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي بها سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٨/٤٣٨ .

(٤) أبو إسحاق هو الإمام الزجاج ، وانظر كتابه معاني القرآن ٣/٣١٥ .

(٥) البيت في ديوانه ١/٣٠٦ وقد ذكره في لسان العرب ٦/١٦٣ واستشهد به على أن لفظ الفردوس عربي ، خلافاً لمن زعم أنه لفظ رومي ، قال : وما يدل على أن الفردوس بالعربية قول حسان .. وذكره ، واستشهد به ابن عطية في المحرر الوجيز ٩/٤١٨ وابن الجوزي في زاد المسير ٥/١٤٠ وأبو حيان في البحر المحيط ٦/١٦٨ وهو أيضاً في الخزانة والتاج .

قُرئ على جعفر بن محمد الفريابي ، عن قتيبة بن سعيد ،
قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن زيد بن أسلم قال : « إن في
الجنة مائة درجة ، بين كل درجتين ما بين السماء والأرض ،
والفردوس أعلى الجنة ، وفوقها عرش الرحمن ، ومنها تُفَجَّر أنهار الجنة ،
فإذا سألت الله فاسأله الفردوس » (١) .

١٤٨ — وقوله جل وعز : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَتُغَوَّنَ عَنْهَا حَوْلًا ﴾
[آية ١٠٨] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : متحوّلاً (٢) .

وقال غيره : هو من الحيلة أي لا يحتالون في غيرها (٣) .

١٤٩ — وقوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ
الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ [آية ١٠٩] .

-
- (١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ٥٣/٩ بلفظ « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض ، فإذا سألت الله ، فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجّر أنهار الجنة » ورواه مسلم برقم ١٨٩٠ والنسائي ٣٨/٦ والترمذي رقم ٢٥٣٣ وقال : حديث صحيح .
- (٢) الأثر أخرجه الطبري ٣٨/١٦ وفي البحر ١٦٨/٦ والسيوطي في الدر ٢٥٥/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن أبي شيبة عن مجاهد .
- (٣) ذكره الزجاج في معانيه ٣١٥/٣ فقد قال ﴿ لا يغنون عنها حَوْلًا ﴾ أي لا يريدون عنها تحوّلًا ، وقيل : إن الحَوْل : الحيلة ، فيكون المعنى : لا يحتالون منزلًا غيرها . أقول : الأول هو الأشهر والأظهر .

قال مجاهد : يعني العلم^(١) .

١٥٠ — ثم قال تعالى ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [آية ١٠٩] .

قيل : ﴿ مَدَدًا ﴾ بمعنى : مَدَادًا .

وقيل : هو من قولهم : نحنُ مَدَدٌ له^(٢) .

وقرأ ابن عباس : ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا ﴾^(٣) .

١٥١ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ .. ﴾ [آية ١١٠] .

قيل : ﴿ يرجو ﴾ بمعنى يخاف كما قال الشاعر :

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا

وَحَالَفَهَا فِي بَيْتِ ثُوبٍ عَوَامِلٌ^(٤)

(١) الأثر في الطبري ٣٩/١٦ بلفظ ﴿ لكلمات ربي ﴾ للقلزم ، وفي الدر ٢٥٥/٤ : لعلم ربي كما هو في المخطوطة .

(٢) قاله ابن جرير ٣٩/١٦ قال : والمعنى : ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مَدَدًا ، من قولهم : جئتكم مددًا لك .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المختصب لابن جني ٣٥/٢ والمعنى على هذه القراءة : ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به . وقال ابن الجوزي ١٤١/٥ : المدد : كل شيء زاد في شيء ، فإن قيل : لم قال في أول الآية ﴿ مَدَادًا ﴾ وفي آخرها ﴿ مَدَدًا ﴾ وكلاهما بمعنى واحد ؟ أجاب ابن الأنباري بقوله : لما كان الثاني آخر آية ، وكان قبله نزلاً ، وجولاً كان قوله ﴿ مَدَادًا ﴾ أشبه بهذه الألفاظ من المداد ، واتفاق المقاطع عند آخر الآي ، وانقضاء الآيات ، وتام السجع والنثر ، أخف على الألسن ، وأحلى موقعاً في الأسماع .

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي . انظر شرح أشعار الهذليين للسكري تحقيق : عبدالستار فراج : ج ١ : ص ١٤٤ .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ أي ثواب ربه^(١) .

قال أبو جعفر : وعلى هذا يكون ﴿ يرجو ﴾ على بابه ، وإذا رجا ثواب ربه خاف عقابه .

١٥٢ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [آية ١١٠] .

قال مجاهد : يعني الرياء^(٢) .

وقال سعيد بن جبير : أي لا يرأى^(٣) .

وقال كثير بن زياد^(٤) : سألت الحسن عن قوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ فيمن نزلت ؟ فقال : نزلت في المؤمن ، قلت : أيكون مشركاً ؟ فقال يشرك في العمل ، إذا عمل عملاً أراد الله له والناس ، وذلك الذي يُردُّ عليه^(٥) .

إنتهى سورة الكهف

-
- (١-٣) انظر الآثار في الطبري ٤٠/١٦ وزاد المسير ١٤٢/٥ والدر المنثور ٢٥٥٥/٤ .
(٤) في المخطوطة « كثير بن ثابت » وصوابه ما أثبتناه « كثير بن زياد » كما في التهذيب ٤١٣/٨ قال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : ثقة من أكابر أصحاب الحسن .
(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٥٥/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم من رواية كثير بن زياد ، وانظر الدر المنثور .

تفسير سورة مريم
مكية وآياتها ٩٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ مَرْيَمَ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ^(١)

١ — من ذلك قوله جَلَّ اسْمُهُ ﴿كَهَيْعَصَ﴾ [آية ١] .

حدثنا أبو بكر بن نافع ، قال : نا سلمة بن شبيب ، قال : نا عبدالرزاق ، قال : أنبأنا ابنُ عُيينة ، عن عطاءِ بنِ السَّائب ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْر ، عن ابنِ عباس في قوله تعالى : ﴿كَهَيْعَصَ﴾ قال : «كاف» من كافٍ ، و «هاء» من هادٍ ، و «ياء» من حكيم و «عين» من عليم و «صاد» من صادق ^(٢) .

قال عبدالرزاق : وأخبرنا معمر عن قتادة في قوله ﴿كَهَيْعَصَ﴾ قال : اسمٌ من أسماء القرآن ^(٢) .

قال أبو جعفر : وقد استقصينا ما في هذا في سورة البقرة .

٢ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [آية ٣] .

(١) قال ابن الجوزي ١٤٣/٥ : هي مكية بإجماعهم من غير خلافٍ علمناه . وقال القرطبي

٧٢/١١ : هي مكية بإجماع ، وهي ثمان وتسعون آية .

(٢) و(٣) انظر الآثار في الطبري ٤٤/١٦ والقرطبي ٧٤/١١ ومعاني الزجاج ٣١٧/٣ قال الزجاج

«واختلف في تفسير ﴿كَهَيْعَصَ﴾ فقال أكثر أهل اللغة : إنها حروف التهجِّي ، تدلُّ على

الابتداء بالسورة ، نحو آلم ، والر ، وقيل : إن تأويلها أنها حروفٌ يدلُّ كلُّ واحدٍ منها على صفةٍ

من صفات الله عزَّ وجل ، فكاف يدلُّ على كريم ، وهـ يدلُّ على هادٍ ، وصاد يدلُّ على

صادق ، وهذا أحسن ما جاء في هذه الحروف . اهـ .

قال يونسُ بْنُ عُيَيْدٍ : كان الحسنُ يرى أن يدعوا الإمام في القنوت ، ويؤمنُ مَنْ خلفه ، من غير رفع الصوت^(١) ، وتلا يونس ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ .

٣ — وقوله جَلَّ وعزَّ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [آية ٤] .

قال أبو زيد^(٢) : يُقَالُ : وَهَنَ ، يَهِنُ ، وَوَهِنَ يَوْهِنُ^(٣) .

وقال غيره : أي ضَعُفَ .

٤ — ثم قال تعالى ﴿وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا﴾ [آية ٤] .

يُقال لمن كَثُرَ الشَّيْبُ في رأسه : اشتغل رأسه شيئاً^(٤) .

٥ — ثم قال جَلَّ وعزَّ ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [آية ٤] .

أي لم أكن أحيبُ إذا دَعَوْتُكَ .

٦ — ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ [آية ٥] .

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٧٦/١١ عن يونس بن عُبيد ، وروى السيوطي في الدر ٢٥٩/٤ عن قتادة ﴿نداء خفياً﴾ أي بقلبه سراً ، قال قتادة « إن الله يحبُّ الصوت الخفي » ، والقلب النقي « اهـ » .

(٢) أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، وقد تقدمت ترجمته .

(٣) في الصحاح : الوهنُ : الضعف ، وقد وَهَنَ الإنسانُ وَوَهِنَ بالكسر وَهْنًا أي ضعف . اهـ .
الصحاح مادة وهن .

(٤) قال ابن الجوزي ١٤٥/٥ ﴿اشتغل الرأس شيئاً﴾ يعني انتشر الشيب فيه ، كما ينتشر شعاع النار في الحطب ، وهذا من أحسن الاستعارات .

رَوَى هِشَامٌ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ^(١) ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ،
قَالَ : الْكَلَالَةُ^(٢) .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : الْعَصْبَةُ^(٣) .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يَعْنِي بَنِي الْعَمِّ ، قَالَ وَ ﴿ مِنْ وَرَائِي ﴾
أَي مِنْ قُدَّامِي^(٤) .

وَقَوْلُ مُجَاهِدٍ أَوَّلَى ، يُقَالُ لِلْعَصْبَةِ : مَوَالٍ ، أَي مِنْ يَلِيهِ فِي
النَّسَبِ ، كَمَا أَنَّ الْأَقْرَبَاءَ مِنْ يَقْرُبُ إِلَيْهِ فِي النَّسَبِ .

وَبَنُو الْعَمِّ دَاخِلُونَ فِي هَذَا ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
« مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا »^(٥)

وَقَوْلُهُ أَيْضًا ﴿ مِنْ وَرَائِي ﴾ مِنْ قُدَّامِي ، مُخَالَفٌ لِقَوْلِ أَهْلِ

(١) فِي التَّهْذِيبِ ٢٩١/١ « إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ » الْأَحْمَسِيُّ كُوفِيٌّ تَابِعِيٌّ ثِقَةٌ ، رَوَى عَنْ بَعْضِ
الصَّحَابَةِ ، وَعَنْ بَعْضِ كِبَارِ التَّابِعِينَ ، مَاتَ سَنَةَ ١٤٦ هـ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ
أَصْحَابِ الشَّعْبِيِّ وَهُوَ ثِقَةٌ .

(٢) وَ(٣) انْظُرِ الْآثَارَ فِي الطَّبَرِيِّ ٤٦/١٦ وَابْنُ كَثِيرٍ ٢٠٦/٥ وَالْبَحْرُ الْمَحِيْطُ ١٧٣/٦ وَهُوَ
تَفْسِيرٌ لِلْمَوَالِي .

(٤) انْظُرِ مَجَازَ الْقُرْآنِ لِأَبِي عُبَيْدَةَ ١/٢ وَاسْتَشْهَدْ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ « وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا » أَي
أَمَامِي .

(٥) هَذَا شَطْرُ بَيْتٍ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي هُبَيْرٍ ، وَهُوَ مِنْ شِعْرَاءِ بَنِي هَاشِمٍ فِي عَهْدِ بَنِي
أُمَيَّةَ ، وَتَمَامُهُ :

مَهْلًا يَبِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا لَا تَنْتَبِشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا
وَاسْتَشْهَدْ بِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ ١/٢ وَأَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ ١٧٣/٦ وَالْفَرَطِيُّ فِي جَامِعِ
الْأَحْكَامِ ٧٨/١١ .

التفسير ، لأنَّ المعنى عندهم : من بعد موتي (١) .

وقال سعيد بن العاص : أَمَلَّ عَلَيَّ عَثَانُ بْنُ عَفَّانَ ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿وَإِنِّي خَفَّتِ الْمَوَالِي مِنْ وَرَائِي﴾ (٢) يعني بتشديد الفاء وكسر التاء ، وإِسْكَانِ الياء ، قال ومعناه : قَلْتُ .

٧ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ ﴿وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا...﴾ [آية ٥] .

أي لا تلد كَأَنَّ بِهَا عَقْرًا يَمْنَعُهَا مِنَ الْوَلَادِ (٣) .

٨ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي نخول العظم (٤)

وَيُرْوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَرَأَ ﴿عُسِيًّا﴾ (٥) .

(١) قال ابن عطية ٤٢٩/٩ : ﴿من ورأني﴾ أي من بعدي في الزمن ، وقال أبو عبيدة : أي من بين يدي ومن أمامي ، قال : وهذا قلةٌ تحرير ، والموالي : بنو العمِّ والقراة الذين يُلُون بالنسب . اهـ المحرر الوجيز .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المختسب ٣٧/٢ وذكرها الطبري ٤٧/١٦ ووجهها على أنها من الخِفَّة بمعنى : ذهبْتُ عصبتي ومن يرثني من بني أعمامي .

(٣) في الصحاح ٧٥٥/٢ : العاقرُ : المرأةُ التي لا تحبلُ ، ورجل عاقرٌ : أي لا يُولد له ، وقد عَقُرَتْ المرأةُ بالضم أي صارت عاقراً . اهـ .

(٤) الأثر في الطبري ٥١/١٦ والدر المنثور ٢٦٠/٤ وابن كثير ١٠٩/٥ .

(٥) هذه القراءة ذكرها الطبري ٥١/١٦ وابن عطية في المحرر ٤٣٢/٩ وليست من القراءات المتواترة ، قال الزجاج في معانيه ٣٢٠/٣ : تُقْرَأُ «عِتِيًّا» ورُوِيَتْ «عُسِيًّا» ولكن لا تجوز في القراءة لأنها بخلاف المصحف . اهـ .

يقال : عتا يعتو ، وعسى يعسو : إذا بلغ النهاية في الشدة والكبر^(١) .

قال قتادة : كان ابن بضج وسبعين سنة^(٢) .

٩ — وقوله جل عز ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾^(٣) [آية ٦] .

روى هشيم عن اسماعيل ، عن أبي خالد عن أبي صالح ، قال : يكون نبياً كما كانوا أنبياء^(٤) .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : كانت وراثته علماً ، وكان زكريا من آل يعقوب^(٥) .

وروى عن داود بن أبي هند عن الحسن ﴿ يَرِثُنِي ﴾ أي يرث مالي ﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ : النبوة^(٦) .

وأبو إسحاق^(٧) يذهب إلى القول الأول : ويَعُدُّ أن يكون نبياً

(١) قال ابن جرير ٥١/١٦ : يقال للعود اليابس : عود عاتٍ ، وعاسٍ ، وقد عتا يعتو عتياً وعتواً ، وعسى يعسو عسياً وعتواً ، وكلُّ متناهٍ إلى غايته في كبرٍ ، أو فسادٍ ، أو كفرٍ ، فهو عاتٍ ، وعاسٍ . اهـ وانظر أيضاً معاني الزجاج ٣٢٠/٣ .

(٢) الأثر في الطبري ٥١/١٦ والمحضر الوجيز ٤٣٣/٩ والدر المنثور ٢٦٠/٤ وعزاه إلى عبدالرزاق .

(٣) هذه الآية متقدمة في التلاوة على آية ﴿ وقد بلغت من الكبر عتياً ﴾ وهي في المخطوطة متأخرة فتنبه له والله يرعاك .

(٤-٥-٦) انظر الآثار في الطبري ٤٨/١٦ وابن كثير ٢٠٧/٥ والدر المنثور ٢٥٩/٤ والبحر المحيط ١٧٤/٦ .

(٧) هو الإمام الزجاج صاحب معاني القرآن ، وقد تقدمت ترجمته .

يُشْفِقُ أَنْ يورث ماله ، للحديث المأثور^(١) .

١٠ — وقوله جل وعز ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾
[آية ٧] .

أي قلنا يازكريا .

١١ — ثم قال جل وعز : ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [آية ٧] .

رَوَى إِسْرَائِيلُ عَنْ سِمَاكِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :
لَمْ يُسَمَّ أَحَدٌ — قَبْلَ يَحْيَى — بِيَحْيَى غَيْرُهُ^(٢) .

وَرَوَى سَفِيَانُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَسَّانَ بْنِ أَبِي الْأَشْرَسِ^(٣) : ﴿ لَمْ
نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ قَالَ : عِدْلًا^(٤) .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : مِثْلًا^(٥) .

(١) عبارة الزجاج في معانيه ٣/٣٢٠ : وقال قومٌ لا يجوز أن يقول زكريا إنه يخاف أن يورث المال ، لأنَّ أمر الأنبياء والصالحين أنهم لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم ، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال « إِنَّا معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » ومعنى الآية : يرثني ويرث آل يعقوب النبوة . اهـ وهذا هو الصحيح ، وهو ما اختاره المحققون ، قال الحافظ ابن كثير ٥/٢٠٧ : سأل الله ولداً يكون نبياً بعده ، ليسوسهم بنبوته ، فأجيب إلى ذلك ، لا لأنه خشي من وراثتهم له ماله ، فإن النبي أعظم منزلةً ، وأجل قدراً ، أن يشفق على ماله إلى هذا الحد . اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ١٦/٥٠ والدر المنثور ٤/٢٥٩ وعزاه إلى ابن أبي حاتم والحاكم وصححه قال : لم يُسَمَّ أحد يحيى قبله .

(٣) في المخطوطة « حسان أبي الأشرس » وصوابه حسان بن أبي الأشرس كما في الجرح والتعديل للرازي ٢/٢٣٥ وكذلك في التقريب ١/١٦١ قال : هو والد حبيب صدوق من السادسة .

(٤—٥) انظر الطبري ١٦/٤٩ وابن كثير ٥/٢٠٧ والدر المنثور ٤/٢٦٠ .

قال أبو جعفر : ويتَّوَي هذا أنَّ أهل التفسير منهم ابنُ جريج قالوا في قول الله ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾^(١) أي مثلاً ، أي شريكاً .

١٢ — وقوله جل وعز ﴿ قَالَ رَبِّ ائْتِنِي غُلَامًا ﴾ [آية ٨] .

قال أبو إسحاق : أراد أن يعلم من أيِّ جهة يُولَدُ له ، وامرأته عاقراً ، وقد كَبِرَ^(٢) ؟!

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا « العاقر » و « العِتِي » قبل هذا .

١٣ — ثم قال جل وعز ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ [آية ٩] .

أي الأمرُ كما قيل لك .

ثم قال تعالى ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾

[آية ٩] .

أي شيئاً موجوداً .

١٤ — ثم قال جل وعز ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً .. ﴾ [آية ١٠] .

أي علامة تدلُّ على وقوع ما بُشِّرْتُ به .

(١) سورة مريم آية ٦٥ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٢١ .

﴿ قَالَ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾

[آية ١٠] .

قال عكرمة ، وقتادة ، والضحاك : أي من غير خَرَسٍ (١) .

١٥ — وقوله جَلَّ وعز ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ [آية ١١] .

قال أهل التفسير : كان موضعاً مرتفعاً .

وكذلك هو عند أهل اللغة ، كأنه على حَرَبَةٍ لارتفاعه ، ومنه قيل محرابٌ للموضع الذي يُصَلِّي فيه كأنه أرفع المجلس .

١٦ — ثم قال جل وعز ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ .. ﴾ [آية ١١] .

قال قتادة : أي فأومأ إليهم (٢) .

وروى عليُّ بنُ الحَكَم عن الضحاك قال : كَتَبَ لهم ،
فذلك الوحي (٣) .

١٧ — ثم قال تعالى ﴿ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [آية ١١] .

رَوَى مَعْمَرٌ عن قَتَادَةَ قال : صَلُّوا ، وذلك معروفٌ في اللغة ،

(١) انظر الأثر في جامع البيان ٥٢/١٦ وتفسير ابن الجوزي ١٤٩/٥ والدر المنثور ٢٦٠/٤ .
(٢-٣) انظر جامع البيان للطبري ٥٤/١٦ وابن كثير ٢١٠/٥ وزاد المسير لابن الجوزي ١٤٩/٥
قال الزجاج ٣٢١/٣ : قيل معنى ﴿أوحى إليهم﴾ أومأ إليهم ورمز ، وقيل : كتب لهم في الأرض بيده .

ومنه يقال للصلاة : سُبْحَةٌ (١) .

١٨ — ثم قال جل عز ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ [آية ١٢] .

في الكلام حذف ، لعلم المُخَاطَب .

المعنى : فوهبنا له يحيى ، فقلنا : يا يحيى خذ الكتاب

بقوة (٢) .

قال مجاهد : أي بجِدٍّ (٣) .

وقال غيره : أي بجِدٍّ وِعَوْنٍ من الله (٤) .

١٩ — ثم قال تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [آية ١٢] .

قال عبدالرزاق : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، قال : بلغنا أَنَّ الصَّبِيَّانَ قَالُوا

لِيَحْيَى وَهُوَ صَبِيٌّ : تَعَالَ حَتَّى نَلْعَبَ ، فقال : مَا لِلْعِبِّ خُلِقْنَا ، فقال

جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (٥) .

(١) في الصحاح ٣٧٢/١ : السُّبْحَةُ : التَطَوُّعُ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ ، تقول : قَضَيْتُ سُبْحَتِي ، أي صلاتي ، والسُّبْحَةُ بِالضَّمِّ : خِرَزَاتٌ يُسَبَّحُ بِهَا ، وَالتَّسْبِيحُ : التَّنْزِيهُ . اهـ قال الطبري ٥٤/١٦ : ومعنى الآية : أَوْمَى إِلَيْهِمْ أَنْ صَلُّوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا .

(٢) قال ابن جرير ٥٤/١٦ : أَي فَوُلِّدَ لِرُكْرِيَا يَحْيَى ، فَلَمَّا وُلِدَ ، قَالَ اللَّهُ لَهُ : يَا يَحْيَى خُذْ هَذَا الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ يَعْنِي بِجِدٍّ .

(٣-٤) الأثر عن مجاهد في الطبري ٥٥/١٦ والدر ٢٦٠/٤ والقول الثاني هو قول الزجاج في معانيه ٣٢١/٣ .

(٥) الأثر في الطبري ٥٥/١٦ وابن كثير ٢١٠/٥ ومعنى الآية : أَعْطَيْنَاهُ الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ ، وَرِجَاحُهُ =

قال أبو جعفر : هذا معنى كلامه .

قال عكرمة : الحُكْمُ : اللَّبُّ (١) .

قال قتادة : كان ابن سَتَيْن ، أو ثلاث (٢) .

٢٠ — ثم قال تعالى ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [آية ١٣] .

روى شعبة عن سماك عن عكرمة قال : الحَنَانُ : الرحمة (٣) .

وكذلك هو عند أهل اللغة ، وأصله من حَنِى الناقية على ولدها ، قال طرفة :

أَبَا مُنْدِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا

حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (٤)

= العقل ، وهو حَدَّثَ صغير السنِّ ، لم يبلغ مبلغ الرجال ، قال ابن عباس : كان ابن سبع سنين ، وقال قتادة ومقاتل : كان ابن ثلاث سنين .

(١-٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ١٥٠/٥ والدر المنثور للسيوطي ٢٦١/٤ فقد ذكرت فيهما هذه الآثار .

(٤) البيت لطرفة بن العبد وهو في ديوانه ص ١٨٧ وفي الكامل ص ٣٤٨ والجمهرة ٤٤٩/٣ واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣/٢ والطبري ٥٦/١٦ والقرطبي ٨٧/١١ وابن الجوزي ١٥٠/٥ وابن عطية ٤٣٩/٩ وهو في اللسان والتاج مادة حنن .. ويستشهد به النحويون على أن « حَنَانِيكَ » نُصِبَت على المصدر ، النائب عن الفعل ، وقد نُسِيَ « حَنَانِيكَ » لإرادة التكثير ، لأن التثنية أول مراتب التكثير ، وقد اشتهرت قصة طرفة مع الملك « عمرو بن هند » المكنى أبا منذر ، يقول الشاعر :

لقد أفنيت كثيراً منا فكن رحيماً ببقيتنا وإذا أردت عقاباً فليكن بأهون العقاب وأخفه
والشطر الثاني يُضرب مثلاً للأخذ بأقل الشرين .

٢١ — ثم قال جل وعز ﴿ وَزَكَاتُهُ كَانَ ثَقِيًّا ﴾ [آية ١٣] .

روى على بن الحكم عن الضحاك قال : الزكاة : العقل
الزَّاكِي الصَّالِحُ^(١) .

وقال قتادة : الزكاة : الصدقة^(٢) .

٢٢ — وقوله جل وعز ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ، وَيَوْمَ يَمُوتُ ، وَيَوْمَ يُنْعَثُ حَيًّا ﴾ [آية ١٥] .

روى قتادة عن الحسن قال : لما لقي يحيى عيسى عليهما
السلام ، قال له يحيى : أنت خير مني ، قال عيسى : بل أنت خير
مني ، سلم الله عليك ، وسلمت على نفسي^(٣) .

٢٣ — وقوله جل وعز ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا
مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ [آية ١٦] .

أي تنحّت وتباعدت .

(٢-١) انظر الأثرين في الطبري ٥٨/١٦ وابن الجوزي ١٥٠/٥ والدر المنثور ٢٦١/٤

ومعنى « صدقة » أن الله تعالى جعله صدقة تصدق بها على أبويه .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٥٩/١٦ وابن الجوزي في زاد المسير ١٥١/٥ والسيوطي

في الدر ٢٦٢/٤ عن الحسن البصري ، ولفظه « التقى يحيى وعيسى ، فقال يحيى لعيسى : أنت

خير مني .. » الأثر .

وَبَيَّنْتُ الشَّيْءَ : رَمِيتُ بِهِ .

وقيل : إِنَّهَا قَصَدْتُ مَطْلَعَ الشَّمْسِ ، لِتَغْتَسِلَ مِنَ الْحَيْضِ (١) .

وقيل : لِتَخْلُوَ بِالْعِبَادَةِ (٢) .

٢٤ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا .. ﴾ [آية ١٧] .

رَوَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ الضَّحَّاكِ قَالَ : جَبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) .

قال أبو جعفر : وهذا قول حسن ، لأن غيره قال هو عيسى (٤) .

يدلُّ على ذلك قوله تعالى ﴿ فَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ وعيسى بشر .

(١-٢) انظر هذه الأقوال في تفسير ابن الجوزي ١٥٢/٥ والبحر المحيط ١٧٩/٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٦٠/١٦ وابن كثير ٢١٤/٥ وابن الجوزي ١٥٢/٥ وهو الصحيح وبه قال الجمهور .

(٤) حكى هذا القول الزجاج في معانيه ٣٢٢/٣ عن بعضهم ورده ، قال : وما يدلُّ على أنَّ جبريل هو الروح قوله تعالى ﴿ فَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ وقال ابن كثير ٢١٤/٥ : أرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام ، فمَثَّلَ لها على صورة إنسان تامَّ كامل ، وهذا قول الجمهور مجاهد ، والضحاك ، وقتادة والسدي ، وغيرهم ، وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن ، وما حكى أنه « روح عيسى » فهذا في غاية الغرابة والنكارة ، وكأنه من الاسرائيليات . اهـ .

٢٥ — وقوله جل وعز ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ﴾
[آية ١٨] .

قال أبو إسحاق: أي فإن كنت تقياً فستتعط بتعوذي بالله
جل وعز منك^(١).

وقال غيره: « إن » بمعنى « ما » . والأول أولى .

٢٦ — ثم قال جل وعز ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِیَهَبَ لَكِ غُلَامًا
زَكِيًّا ﴾ [آية ١٩] .

ويقرأ ﴿ لَاهَبَ لَكِ ﴾^(٢) .

فمعنى لَاهَبَ بالهمز محمول على المعنى . أي قال : أرسلته
لَاهَبَ لك .

ويحتمل لِيَهَبَ بلاهمز أي يكون بمعنى المهموز ، ثم خُفِّفَتْ
الهمزة .

وقيل المعنى : أرسلني الله لِيَهَبَ لك .

(١) انظر معاني الزجاج ٣/٣٢٣ وفي البخاري ٦/١١٧ : وقال أبو وائل : « علمت مريم أن التقي ذو
نُهيّة » اهـ أي ينهيه دينه عن فعل القبيح .

(٢) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ لَاهَبَ لَكِ ﴾ بالهمز ، وقرأ أبو
عمرو ، ويعقوب ، وورش ﴿ لِيَهَبَ لَكِ ﴾ بالياء ، والقراءتان سبعيتان وانظر النشر في القراءات
العشر ٢/٣١٧ وانظر توجيه القراءات في معاني الزجاج ٣/٣٢٣ .

٢٧ — وقوله جل وعز ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾

[آية ٢٠] .

أي لم يمسنني على جهة تزوج ، ﴿ وَلَمْ أَكْ يَغِيًّا ﴾ ، أي لم يقربني على غير حد تزوج .

٢٨ — وقوله جل وعز ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ .. ﴾

[آية ٢١] .

أي الأمر كما قيل لك .

قال الكسائي : هو من جاء ، وجئت به ، وأجأته .

وهذا موافق لقول ابن عباس ومجاهد ، لأنه إذا ألجأها إلى الذهاب إلى جذع النخلة ، فقد جاء بها إليه ، قال زهير :

وَجَارٍ سَارٍ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ
أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ^(١)

والخاض : الحمل .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ، وهو في ديوانه ص ٥٠٠ والطبري ٦٤/١٦ ومجاز أبي غبيدة ٤/٢
وجامع الأحكام للقرطبي ٩٢/١١ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والمحرر الوجيز ٤٤٦/٩ والشاهد فيه
أن أجاءته بمعنى ألجأته واضطرته .

قال أبو عبيد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان قال مجاهد :
كان حَمْلُ النخلةِ عَجْوَةً^(١) .

وقال غيره : كان جِذْعاً بلا رأس ، وكان ذلك في الشتاء ،
فأنبت الله له رأساً ، وخلق فيه رطباً^(٢) .

وقال ابن عباس : حملت ووضعت في ساعة واحدة^(٣) .

وقال غيره : أقامت ثمانية أشهر ، وتلك آية ، لأنه لا يؤلّد
مولودٌ لثمانية أشهر فيعيش^(٤) .

قال أبو اسحاق قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ
النَّخْلَةِ ﴾ يدلُّ على طول المُكْثِ^(٥) والله أعلم

٢٩ — وقوله جل وعز ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ﴾ [آية ٢٢] .
قال مجاهد : أي قاصياً^(٦) .

(١-٣) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ٦٥/١٦ وابن كثير ٢١٧/٥ والبحر المحیط ١٨٢/٦
والدر المنثور ٢٦٧/٤ .

(٤) روي هذا عن عكرمة كما حكاه عنه الحافظ ابن كثير ٢١٦/٥ وانظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ .

(٥) انظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ وقد رجح الحافظ ابن كثير هذا القول ، فقال ٢١٧/٥ : والمشهور
الظاهر أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن . الخ .

(٦) الأثر في الطبري ٦٣/١٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ قال القرطبي ٩٢/١١ : أي تنحّت بالحمل إلى
مكان بعيد .

قال الكسائي : يقال : قَصَا يَقْصُو أَي بَعُدَ ، وَأَقْصَاهُ اللَّهُ ،
وَأَقْصَى الشَّيْءَ : أَبْعَدَهُ ^(١) .

٣٠ - وقوله جل وعز ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ .. ﴾
[آية ٢٣] .

قال ابن عباس ومجاهد : أَي فَأَلْجَأَهَا الْمَخَاضُ ^(٢) .

قال الكسائي : هُوَ مَنْ جَاءَ ، وَجِئْتُ بِهِ ، وَأَجَأْتُهُ .

وهذا موافق لقول ابن عباس ومجاهد ، لأنه إذا أَلْجَأَهَا إِلَى
الذهاب إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، فَقَدْ جَاءَ بِهَا إِلَيْهِ ، قَالَ زهير :

وَجَارٍ سَارٍ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ
أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ ^(٣)

والمَخَاضُ : الْحَمْلُ .

(١) حكاها الجوهري في الصحاح ٢٤٦٢/٦ قال : قَصَا الْمَكَانُ يَقْصُو قُصْوًا : بَعُدَ ، فَهُوَ قَصِيٌّ
وَقُصُوتٌ عَنِ الْقَوْمِ : تَبَاعَدْتُ ، وَالْقَصَا : الْبَعْدُ وَالنَّاحِيَةُ ، وَيُقَالُ : فَلَانٌ بِالْمَكَانِ الْأَقْصَى ،
وَالنَّاحِيَةُ الْقُصْوَى .

(٢) أَي اضْطَرَّهَا ، وَهُوَ تَعْدِيَةٌ جَاءَ ، يُقَالُ : جَاءَ بِهِ ، وَأَجَاءَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرِي
٦٤/١٦ والسيوطي في الدر ٢٦٧/٤ قَالَ فِي اللُّسَانِ : أَجَاءَهُ إِلَى شَيْءٍ : جَاءَ بِهِ ، وَأَلْجَأَهُ
وَاضْطَرَّهُ إِلَيْهِ . اهـ .

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص ٥٠٠ والطَّبْرِي ٦٤/١٦ وَبِمَجَازِ أَبِي عُبَيْدَةَ
٤/٢ وَجَامِعِ الْأَحْكَامِ لِلْقُرْطُبِيِّ ٩٢/١١ وَالْبَحْرِ الْخَيْطِ ١٨٢/٦ وَالْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ ٤٤٦/٩
وَالشَّاهِدُ فِيهِ أَنَّ أَجَاءَهُ ، بِمَعْنَى أَلْجَأَهُ وَاضْطَرَّهُ .

قال أبو عبيد : حدثنا عبدالرحمن عن سفيان قال مجاهد :
 كان حَمْلُ النخلة عَجْوَةً^(١) .
 وقال غيره : كان جِذْعاً بلا رأس ، وكان ذلك في الشتاء ،
 فأُنبت الله له رأساً ، وَخَلَقَ فِيهِ رَطْباً^(٢) .
 وقال ابن عباس : حملت ووضعت في ساعة واحدة^(٣) .
 وقال غيره : أقامت ثمانية أشهر ، وتلك آية ، لأنه لا يُولَدُ
 مولودٌ لثمانية أشهر فيعيش^(٤) .

قال أبو اسحاق قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ
 النَّخْلَةِ ﴾ يدلُّ على طول المُكُثِ^(٥) . والله أعلم .

٣١ — ثم قال تعالى ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مَثٌ قَبْلَ هَذَا .. ﴾ [آية ٢٣] .

أي لو خُيِّرْتُ بين الموت وهذا ، لاختَرْتُ الموت .

٣٢ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴾ [آية ٢٣] .

قال عكرمة : أي حيضةً ملقاةً^(٦) .

(١-٣) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ٦٥/١٦ وابن كثير ٢١٧/٥ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ .

(٤) روي هذا عن عكرمة كما حكاه عنه الحافظ ابن كثير ٢١٦/٥ وانظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ .

(٥) انظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ وقد رجح الحافظ ابن كثير هذا القول ، فقال ٢١٧/٥ :
 والمشهور الظاهر أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن !!

(٦) الأثر في الطبري ٦٦/١٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ قال ابن جرير : أي ليتني مَثٌ قبل هذا
 الكرب ، وكُنْتُ كخرق الحيض التي إذا طُرحت لم تُطلب . ولم تُذكر ، وذكره الحافظ
 ابن كثير ٢١٨/٥ عن السدِّي ، وهذا القول حكاه الفراء في معانيه ١٦٥/٢ فقال : والنَّسْيُ :
 ما تلقى المرأة من خرق اعتلاها .

والتَّسْيُ عند أهل اللغة على ضريين :

أحدهما : ما طال مكثه فُتْسِيَ .

والآخر : الشيءُ الحَقِيرُ الذي لا يُعْبَأُ به (١) .

وقرأ محمد بن كعب (٢) : ﴿ وَكُنْتُ نِسْأً ﴾ (٣)

وقرأ تَوْفٌ ﴿ وَكُنْتُ نِسْأً ﴾ (٤) .

وهو من نَسَأَ الله في أَجَلِهِ : أي أخره .

قال حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ : قال لي عاصم : كيف تقرأ

« فَأَجَأَهَا » ؟ قلت : أقرؤها ﴿ فَأَجَأَهَا ﴾ فقال : إنما هو « فَاجَأَ »

من المفاجأة (٥) .

٣٣ — وقوله جل وعز ﴿ فَتَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا .. ﴾ [آية ٢٤] .

(١) قال ابن عطية ٤٤٨/٩ : والتَّسْيُ في كلام العرب : الشيءُ الحَقِيرُ ، الذي من شأنه أن يُنْسَى ، فلا يُتَأَلَمُ لفقده ، كالوتد والحبل ونحوه .

(٢) محمد بن كعب أبو حمزة القرظي ، تابعي ، ولد في حياة النبي ﷺ ونزل الكوفة ثم رجع إلى المدينة توفي سنة ١٠٨ هـ قال عون : ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي ، وانظر ترجمته في طبقات القراء ٢/٢٣٣ .

(٣-٤) القراءتان بالهمز من الشواذ كما في المحتسب ٤٠/٢ وأما قراءة ﴿ نِسْأً ﴾ بكسر النون فهي من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع والكسائي ، وانظر السبعة ص ٤٠٨ .

(٥) على هذا القول لا تكون اللفظة من « جاء » وإنما تكون من « فَاجَأَ » أي ظهر له بغتة ، وهذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢/٣٩ .

كَذَا رُويَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، والبراءِ بْنِ عازِبٍ ، وإبراهيمِ
النخعي ، أنهم قرءوا ﴿مَنْ﴾ بالفتح ، وتأولوه على أنه « عيسى » عليه
السلام (١) .

وقرأ ابن عباس وعمرو بن ميمون والضحاك ﴿فَنَادَاهَا مِنْ
تَحْتِهَا﴾ وفسروه أنه جبريل صلى الله عليه وسلم (٢) .

قال الضحاك : كان جبريل أسفل منها ، فناداهما من ذلك
الموضع . ﴿أَنْ لَا تُخْزِنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (٣) .

روى سفيان عن أبي إسحاق عن البراء ، قال : السريُّ :
الجَدُولُ ، والنهرُ الصغير (٤) .

وكذلك هو في كلام العرب ، قال لييد :

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا

مَسْجُورَةً مُتَجَاوِزًا قَلَامَهَا (٥)

(١-٢) القراءتان من القراءات السبع كما في السبعة ص ٤٠٨ والنشر ٣١٨/٢ الأولى قراءة ابن كثير ،
وأبي عمرو ، وابن عامر ﴿مَنْ تَحْتَهَا﴾ على أن « مَنْ » اسم موصول بمعنى السدي ، أي
ناداهما الذي هو تحتها ، وهو عيسى بن مريم ، وقرأ الباقون ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ على أن « مِنْ »
حرف جر والمراد به جبريل عليه السلام .

(٣-٤) انظر الأثرين في الطبري ٦٧/١٦ والدر المنثور ٢٦/٤ والمحزر الوجيز لابن عطية ٤٥٠/٩ .
(٥) البيت للييد بن ربيعة العامري من معلقته المشهورة في شرح العشر ص ٧٦ وهو في الجمهرة
٣٦٣/٢ ومجاز القرآن ٥/٢ والطبري ٧١/١٦ والقرطبي ٩٤/١١ والمحزر الوجيز ٤٥٢/٩
والشاهد فيه أن السريُّ : النهر الصغير ، أي توسط العير والأتان جانب النهر الصغير .

٣٤ — وقوله جل وعز ﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ۖ ﴾ [آية ٢٦] .

رَوَى سَلْمَانُ التَّمِيمِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : صَمْتًا^(١) .

وذلك معروف في اللغة : يقال لكلّ مُمَسِّكٍ عن كلام ، أو طعام : صائماً ، كما قال الشاعر :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ

تَحْتَ الْعَجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللَّجَمَا^(٢)

صيامٌ ممسكةٌ عن الحركة ساكنةٌ .

٣٥ — وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ [آية ٢٧] .

قال مجاهد : أي عظيماً^(٣) .

وقال سعيد بن مسعدة^(٤) : أي مختلقاً ، مفتعلاً .

يُقَالُ : فَرِيْتُ ، وَأَفَرَيْتُ ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ^(٥) .

(١) الأثر في الطبري ٧٤/١٦ وابن كثير ٢٢٠/٥ والبحر المحيط ١٨٥/٦ .

(٢) البيت للنايعة الذبياني من قصيدته المشهورة « بانت سعاد وأمسى حبلاًها انصرما » وهو في التاج واللسان « صوم » وفي مجاز القرآن ٦/٢ وفي الكامل ص ٤٨٣ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٧٦/١٦ وابن كثير ٢٢٠/٥ والدر المنثور ٢٧٠/٤ .

(٤) « سعيد بن مسعدة » هو المعروف بالأخفش الأوسط ، نحوي لغوي ، أخذ عن سيبويه والخليل ،

توفي سنة ٢١٥ هـ وانظر سير النبلاء ١٨٨/٧ ومعجم المؤلفين ٢٣٧/٤ .

(٥) قال ابن عطية ٤٥٩/٩ : الفرئ : العظيم الشنيع قاله مجاهد والسدي ، واقتراه : اختلقه وهو =

قال قطرب : زعم أبو نَحِيرَةَ الْعَدَوِيُّ أَنَّ « الْفَرِّيَّ » الْجَدِيدُ مِنَ
الْأَسْقِيَةِ .

قال قطرب : فَكَأَنَّ مَعْنَى « فَرِّيٍّ » بَدِيعٌ ، وَجَدِيدٌ ، لَمْ يُسَبِّقْ
إِلَيْهِ ، قَالَ : وَكَأَنَّ مَعْنَى « افْتَرَى عَلَى اللَّهِ » جَاءَ بِأَمْرٍ بَدِيعٍ جَدِيدٍ لَمْ
يَكُنْ .

وقال أبو عبيدة : فَرِّيٌّ عَجِيبٌ (١) .

٣٦ — وَقَوْلُهُ جَل وَعَزْ ﴿ يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ... ﴾
[آية ٢٨] .

روى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : كَانَ هَارُونُ صَالِحاً مِنْ قَوْمِهِمَا ،
فَقَالُوا : يَأْشِبِيهِ هَارُونُ (٢) .

قال أبو جعفر : وَيَقْوَى هَذَا الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ « كَانُوا يَتَسَمَّوْنَ

= من الفرية — يعني الكذب — وفراه يفريه : شَقَّه وَأَفْسَدَهُ . اهـ وانظر الصحاح مادة فَرَا
٢٤٥٤/٦ .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧/٢ قال : ﴿ شَيْئاً فَرِيّاً ﴾ أي عجباً فائقاً ، وكذلك كل شيء فائق ،
من عجب أو عمل فهو فَرِيٌّ . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٧/١٦ ولفظه قال : كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل يسمى هارون ،
فشَبَّهوها به فقالوا : يَأْشِبِيهِ هَارُونُ فِي الصَّلَاحِ ، قال الخافظ ابن كثير ٢٢١/٥ والمعنى :
يَأْشِبِيهِ هَارُونُ فِي الْعِبَادَةِ أَنْتَ مِنْ بَيْتِ طَاهِرٍ طَيِّبٍ ، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة ،
فكيف صدر هذا منك ؟

بأسماء أنبيائهم والصالحين منهم» (١) .

٣٧ — ثم قال جل وعز ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴾ [آية ٢٨] .

أي فاجرة ، والبغاء : الزنا (٢) .

٣٨ — وقوله جل وعز ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ .. ﴾ [آية ٢٩] .

والمعنى : فأشارت إلى عيسى أن كلموه ، ودل على هذا قوله

تعالى : ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [آية ٢٩] .

قيل : « كان » ها هنا زائدة (٣) ، لأن الناس كلهم لا يخلون

من أن يكونوا هكذا .

وقيل : « كان » بمعنى وقع ، وخلق .

(١) أشار المصنف إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه ١٦٨٥/٣ عن المغيرة بن شعبه

قال : لما قدمت نجران سألتني — يعني النصارى — فقالوا إنكم تقرعون ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال : إنهم يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم » وأخرجه أحمد في المسند ٢٥٢/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٠/٤ .

(٢) قال في الصحاح : بغت المرأة بغاء بالكسر والمذ : أي زنت ، فهي بغي ، والجمع بغايا ، يُقال : قامت على رعوسهم البغايا . اهـ مادة بغي .

(٣) هذا قول لأبي عبيدة في مجاز القرآن ٧/٢ واستدل بقول الشاعر : « وجيران لنا كانوا كرام » أي وجيران كرام . وهذا القول رده ابن الأنباري كما في جامع الأحكام ١٠٢/١١ حيث قال : لا يجوز أن يُقال زائدة وقد نصبت « صَبِيًّا » ولا أن يُقال : « كان » بمعنى حَدَث ، لأنه لو كان بمعنى =

وقيل : فيه معنى الشرط أي من كان صبيّاً فكيف نكلمه (١) ؟

٣٩ — وقوله جل وعز ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ ﴾ [آية ٣١] .

رَوَى سَفِيَانُ عَنْ سَمَاكِ عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ آتَانِيَ الْكِتَابَ ﴾ قَالَ : قَضَى أَنْ يُؤْتِيَنِيهِ (٢) .

وقيل معنى : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ [آية ٣١] .

أي أوصاني بالصَّلَاةِ ، والطهارة .

٤٠ — وقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﴾ [٣٤] .

أي ذلك الذي قال هذا « عيسى بن مريم » عبد الله (٣) .

٤١ — ثم قال جل وعز ﴿ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [آية ٣٤] .

= الحدوث والوقوع لاستغنى فيه عن الخير ، تقول : « كَانَ الْحَرُّ » وتكتفي به ، قال : والصحيح أن « مَنْ » في معنى الجزاء ، و« كَانَ » بمعنى يكن ، التقدير : من يكن في المهد صبيّاً فكيف نكلمه ؟ كما تقول : كيف أعطى من كان لا يقبل عطية ؟ أي من يكن لا يقبل هدية .

(١) هذا هو الذي اختاره ورجحه الزجاج في معانيه ٣/٣٢٨ قال : وهو أجود الأقوال .

(٢) الأثر في الطبري ١٦/٨٠ وابن كثير ٥/٢٢٣ ولفظه عن عكرمة قال : قضى أن يؤتيني الكتاب فيما قضى .

(٣) عبارة الزجاج في معانيه ٣/٣٢٠ : أي ذلك الذي قال ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ هو عيسى بن مريم ، لا ما يقوله النصراني من أنه ابن الله ، وأنه إله الخ وهو أوضح وأصرح مما ذكره المصنف ، قال الحافظ ابن كثير ٥/٢٢٣ : أول شيء تكلم به ، أن نزه جناب ربه تعالى ، وبرأ الله عن الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه . اهـ .

حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال : حدثنا سلمة ، قال :
حدثنا عبدالرزاق ، قال : أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى ﴿ ذَلِكْ
عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ قال : « اجتمع بنو
إسرائيل ، فأخرجوا منهم أربعة نفر ، أخرج كل قوم عالمهم ، فامتروا
في عيسى حين رُفِعَ ،

فقال أحدهم : هو الله هبط إلى الأرض ، أحيًا من أحيًا ،
وأما من أَمَاتَ ، ثم صعد إلى السماء ، وهم « اليعقوبية » قال :
فقال الثلاثة : كذبت .

ثم قال اثنان منهم للثالث : قل فيه ، قال : هو ابنُ الله ،
وهم « النسطورية » قال : فقال الاثنان : كذبت .

ثم قال الاثنان للآخر : قل فيه ! قال : هو ثالث
ثلاثة ، الله إله ، وهو إله ، وأمه إله ، وهم « الإسرائيلية » ملوك
النصارى .

قال الرابع : كذبت ، بل هو عبدُ الله ورسوله ، وروحه ،
وكلمته ، وهم المسلمون ، فكانت لكل رجل منهم اتباعٌ على ما قال ،
فاقتتلوا فظهروا على المسلمين ، فذلك قولُ الله جَلَّ وعز : ﴿ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾^(١)

(١) سورة آل عمران آية ٢١ .

قال قتادة : وهم الذين قال الله ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾^(١) . اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً^(٢) .

٤٢ — وقوله جل وعز ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [آية ٣٧] .

روى مبارك عن الحسن قال : يوم القيامة^(٣) .

٤٣ — وقوله جل وعز ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [آية ٣٨] .

روى سعيد عن قتادة ، قال : ذلك والله يوم القيامة ، سمعوا حين لا ينفعهم السمع ، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر^(٤) .

قال أبو جعفر : والمعنى عند أهل اللغة : ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة ؟! لأنهم عاينوا ما لا يحتاجون معه إلى فكر ولا رؤية .

٤٤ — وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية ٣٩] .

(١) سورة مريم آية ٣٧ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ٨٤/١٦ وابن كثير ٢٢٥/٥ والقرطبي ١٠٦/١١ وأبو حيان في البحر المحيط ١٩٠/٦ والسيوطي في الدر ٢٧١/٥ ونسبه إلى عبدالرزاق ، وابن أبي حاتم .

(٣—٤) انظر الأثرين في جامع البيان للطبري ٨٦/١٦ والدر المنثور ٢٧١/٤ قال ابن عطية في المحرر

الوجيز ٤٧٢/٩ : ومعنى الآية : ما أسمعهم وأبصرهم يوم يرجعون إلينا ويرون ما نصنع بهم من العذاب !!

رَوَى سفيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال : « إذا استقرَّ أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، جيئ بالموث في صورة كبش أملح ^(١) ، فينادى يا أهل الجنة ، فيشرئبون ^(٢) ينظرون ، ثم ينادى يا أهل النار ، فيشرئبون ينظرون ، فيقال : أتعرفون هذا؟ فيقولون : نعم ، هذا الموث ، وليس منهم إلا من يعرفه ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت فيه ، ويا أهل النار خلود لا موت فيه ، فذلك قول الله جلَّ وعز : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ ^(٣) .

وروى أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي

(١) قال في النهاية ٣٥٤/٤ : الأملح : الذي يبيضه أكثر من سواده — قاله الكسائي — وقيل : هو النقي البياض .

(٢) في الصحاح ١٥٤/١ : اشرأب للشيء اشرأباً : مدَّ عُنُقَه لينظر . اهـ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة مريم ١١٨/٦ ومسلم برقم ٢٨٤٩ في كتاب الجنة والنار ٢١٨٨/٤ وأحمد في المسند ٩/٣ والترمذي رقم ٢٥٦١ في الجنة والنفوس الحديث كما في الصحيحين « يؤتى بالموث يوم القيامة كهيئة كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فينادي مناد : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم : هذا الموث ، وكلهم قد رآه ، ثم ينادي مناد : يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، هذا الموث ، وكلهم قد رآه ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ ﷺ ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وفي رواية الترمذي : فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو أن أحداً مات حزيناً لمات أهل النار » .

سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال في الدنيا^(١) .

وحدثنا أسامة بن أحمد ، قال : حدثنا هارون بن سعيد الأيلي ، قال : حدثني أنس بن عياض قال : أخبرني محمد بن عمرو ، وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «يؤتى بالموت يوم القيامة ، فيوقف على الصراط ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين وجلين ، أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون فرحين مستبشرين ، رجاء أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟! فيقولون : نعم ياربنا ، هذا الموت ، فيؤمر به فيذبح على الصراط ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلوداً فيما تجدون لا موت فيه أبداً»^(٢) .

٤٥ — وقوله جل وعز ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آية ٤١] .

والمعنى : واذكر في الكتاب الذي أنزل عليك — وهو القرآن — قصة إبراهيم ، وخبره .

(١) الرواية في صحيح مسلم عن معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري : وأشار بيده إلى الدنيا أي أهل الدنيا في غفلة ، اهـ صحيح مسلم ٢١٨٨/٤ .

(٢) أخرجه السيوطي في الدر بنحوه ٢٧٢/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، ورواه الطبري في تفسيره قريباً منه ٨٨/١٦ وقد سقط من المخطوطة تنمة الحديث وهي : «ويا أهل النار خلوداً لا موت فيه أبداً» .

٤٦ — ثم قال جل وعز ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [آية ٤١] .

صِدِّيقٌ مأخوذٌ من الصَّدَقِ ، وفيه معنى المبالغة والتكثير^(١) ،
يقال : لمن صدَّق بالله وأنبيائه ، وفرائضه ، وعمل بها « صِدِّيقٌ » ومنه
قيل لأبي بكر : صِدِّيقٌ .

٤٧ — وقوله جل وعز ﴿ يَا أَبَتِ لَا تُعْبِدِ الشَّيْطَانَ .. ﴾ [آية ٤٤] .

والمعنى : لا تطعه فيما يأمرك به ، من الكفر والعصيان ،
فتكون بمنزلة من عبده .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ الضَّحَّاكِ ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ
لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ بالقول^(٢) .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة ، يقال رَجَمَهُ
وَرَمَاهُ : إذا شَتَّمَهُ ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ ﴾^(٣) .

٤٨ — ثم قال جل وعز ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [آية ٤٦] .

-
- (١) هكذا قال الزجاج في معانيه ٣/٣٣١ إن الصِدِّيقَ اسم للمبالغة في الصدق .
(٢) هذا قول ابن عباس ومجاهد كما في تفسير ابن الجوزي ٥/١٦٦ قال : بالشم والقول ، وقال
الحسن : لأرجمك بالحجارة .
(٣) سورة النور آية ٤ .

قال سعيد بن جبير ومجاهد : أي حيناً^(١) .

وقال الحسن : أي زماناً طويلاً^(٢) .

وقال عكرمة : أي دهرأ^(٣) .

وقال البضحاك : أي سالماً ، لا تصيبك مني مَعْرَةٌ^(٤) .

قال أبو جعفر : القول عند أهل اللغة أنه بمعنى زَمَاناً ،
ودهرأ .

قال الكسائي : يُقال : هجرته مَلِيّاً ، ومِلْوَةً ، ومُلْوَةً ،
ومَلَاوَةً ، ومُلَاوَةً^(٥) .

قال أبو جعفر : ومنه « تَمَلَّ حَبِيبَكَ » أي عِشْ معه دَهْرأ ،
ومنه أَمَلَيْتُ له ، ومنه قِيلَ لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ : المَلَوَانِ ، كما قال الشاعر :
○ أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالْبَلَى المَلَوَانِ ○^(٦)

(١) انظر هذه الآثار في جامع البيان لابن جرير ٩١/١٦ وتفسير ابن كثير ٢٣٠/٥ وتفسير
ابن عطية ٤٧٨/٩ والدر المنثور للسيوطي ٢٧٢/٦ والبحر المحيط لأبي حيان ١٩٥/٦ وتفسير
القرطبي ١١/١١ .

(٥) قال في اللسان مادة مَلَا : المَلَاوَةُ ، والمُلَاوَةُ ، والمَلَا ، والمَلِي ، كُلُّهُ مَدَّةُ الْعِيشِ ، يُقال :
مَلَأَ اللَّهُ حَبِيبَكَ : أي مَتَّعَكَ به وأَعَاشَكَ معه طويلاً ، ويُقَالُ لِمَنْ لَبَسَ الْجَدِيدَ : أَبْلَيْتَ
جَدِيداً ، وَتَمَلَّيْتُ حَبِيباً أي عِشْتُ معه زَمَناً من الدهر ، وفي التنزيل ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾ أي
طويلاً ، وَالْمَلَوَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . اهـ وانظر الصحاح أيضاً .

(٦) هذا عجز بيت تميم بن مقبل ، وهو شاعر إسلامي مخضرم ، وهو في ديوانه ص ٣٣٥ مطلع
قصيدة له أولها :

٤٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [آية ٤٧] .

الحفي : اللطيف البار .

يُقال : حَفِيَ بِهِ ، وَتَحَفَّى : إِذَا بَرَّهُ .

أَي كَانَ يَجِينُنِي إِذَا دَعَوْتُهُ ^(١) .

٥٠ — وقوله جل وعز ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [آية ٥٠] .

أَي أَبْقَيْنَا عَلَيْهِمْ ثَنَاءً حَسَنًا .

قال أبو جعفر : ومعروف في اللغة أن يُجعل اللسان موضع القول ، لأن القول به يكون ، كما قال الشاعر :

إِنِّي أَتَانِي لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَِا

مِنْ عَلُو لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَحَرٌ ^(٢)

= أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ أَمْلٌ عَلَيْهَا بِالْبَلِي الْمَلَوَانِ
وهو في خزانة الأدب ٢٧٥/٣ وفي لسان العرب مادة مَلَأَ .

(١) قال ابن الجوزي ٢٣٨/٥ ﴿ حَفِيًّا ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها : لطيفاً ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وبه قال ابن زيد والزجاج . والثاني : رحيماً ، رواه الضحاك عن ابن عباس . والثالث : باراً بي ، عوّدي منه الإجابة إذا دعوته . اهـ .

(٢) البيت لأعشى باهلة ، واسمه عامر بن الحارث ، وهو في جمهرة أشعار العرب ص ١٣٥ وفي اللسان مادة لسن وقد ورد بلفظ « إِنِّي أَتَانِي لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَِا .. » الخ واستشهد به ابن جرير =

٥١ — وقوله جل وعز ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً﴾
[آية ٥١] .

أي أخلصناه فجعلناه مختاراً خالصاً من الدَّنَسِ .

ومعنى « مُخْلَصاً » بكسر اللام : وَحَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بطاعته ، وَأَخْلَصَ نَفْسَهُ مِنَ الدَّنَسِ^(١) .

٥٢ — وقوله جل وعز ﴿وَقَرْنَاهُ نَجِياً﴾ [آية ٥٢] .

حدثنا الحسن بن عمر الكوفي قال : حدثنا هناد ، قال :
حدثنا وكيعٌ وقبيصةٌ عن سُفْيَانَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ
جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ﴿وَقَرْنَاهُ نَجِياً﴾ قَالَ : أُدْنِي
حَتَّى سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ^(٢) .

٥٣ — وقوله جل وعز ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً .
وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ [آية ٥٦ و ٥٧] .

قيل : إنه سأل مَلَكَ الْمَوْتِ أَنْ يُرِيَهُ النَّارَ ، فَأَرَاهُ إِيَّاهَا ، ثُمَّ

= ٩٣/١٦ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٢/٩ وهو في تاج العروس أيضاً مادة علا قال ومعناه :
أتاني خبر من أعالي نجد . اهـ والمراد بالسَّخَرِ السُّخْرِيَّةُ والاستهزاء ، يريد أنه لا يعجب من هذه
الأنباء ولا يسخر .

(١) قراءة ﴿مُخْلَصاً﴾ بكسر اللام هي قراءة السبعة من غير الكوفيين ، وهي قراءة الجمهور .
(٢) الأثر في الطبري ٩٥/١٦ ومراده أنه عليه السلام قد رفع إلى السماء حتى سمع أصوات الأقلام ،
قال الزجاج في معانيه ٣٣٣/٣ : ويجوز أن يكون مثل قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾
أي قَرَّبَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ حَتَّى سَمِعَ مُنَاجَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَامَهُ .

سأله أن يُدخله الجنة فأدخله إياها ، ثم قال له : اخرج ، فقال :
 كيف أخرج ، وقد قال الله ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ (١) ؟
 قال أبو جعفر : فيجوز أن يكون الله أعلم هذا إدريس ، ثم
 نزل القرآن به .

وقيل معناه : في المنزل والرتبة .

وأصح من هذين القولين ، لعلو إسناده ، وصحّته ، ما رواه
 سعيد عن قتادة قال : حدثنا أنس بن مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ
 لما أُسري به ، قال : « رأيت إدريس في السماء الرابعة » (٢) .

وروى سفيان عن هارون عن أبي سعيد الخدري ﴿ وَرَفَعْنَاهُ
 مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال : السماء الرابعة (٣) .

وروى الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن إساف (٤) ،
 قال : كنّا عند كعب الأحبار إذ أقبل عبدالله بن عباس ، فقال : هذا

(١) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في تفسيره ٢٤٢/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٤ والله أعلم
 بصحته .

(٢) حديث « رأى إدريس في السماء الرابعة » أخرجه البخاري ٢١٧/٦ ومسلم ١٥٠/١ .

(٣) الأثر رواه الطبري ٩٧/١٦ وابن كثير ٢٣٦/٥ والسيوطي في الدر ٢٧٤/٤ قال ابن جرير :
 ذكر أن الله رفعه ، وهو حيّ إلى السماء الرابعة .

(٤) قال في التقريب ٣٢٥/٢ : هلال بن إساف بكسر التحتانية ، ويُقال : ابن إساف الأشجعي
 الكوفي ، ثقة من الثالثة . اهـ .

ابن عم نبيكم ، فَوَسَّعْنَا لَهُ فَقَالَ : يَا كَعْبُ مَا مَعْنَى ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ؟ فَقَالَ كَعْبُ : إِنَّ إِدْرِيسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ لَهُ صَدِيقٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنِّي أَرْفَعُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ عَمَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَقَالَ إِدْرِيسُ لِلْمَلَكِ : كُلَّمَا لِيَ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يُؤَخَّرَ قَبْضُ رُوحِي !! فَحَمَلَهُ الْمَلَكُ تَحْتَ طَرْفِ جَنَاحِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ، لَقِيَ مَلَكَ الْمَوْتِ فَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ : أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَالَ : هَا هُوَ ذَا ، فَقَالَ : مِنَ الْعَجَبِ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَهُ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَقَبِضُهَا هُنَاكَ » (٣) .

٥٤ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ [آية ٥٩] .

قال أبو عبيد : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : « ذَلِكَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَذَهَابِ صَالِحِي هَذِهِ الْأُمَّةِ — أُمَّةِ مُحَمَّدٍ — يَنْزِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَزَقَةِ زِنًا » (٢) .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩٦/١٦ عن هلال بن يساف ، وذكر القصة ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن أبي حاتم وأخرجه ابن عطية في المحرر ٤٩٠/٩ .. وهذا من الأخبار الإسرائيلية قال الحافظ ابن كثير ٢٣٦/٥ : « وَقَدْ رَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ هَا هُنَا أَثَرًا غَرِيبًا عَجِيبًا ، وَسَرَدَ الْأَثَرُ ، ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا مِنْ أَخْبَارِ « كَعْبِ الْأَحْبَارِ » مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، وَفِي بَعْضِهِ نَكَارَةٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ » اهـ أقول : وجه النكارة أَنَّ الْأَعْمَارَ مَحْدُودَةٌ ، فَكَيْفَ يَطْلُبُ مِنْهُ تَأْخِيرَ قَبْضِ رُوحِهِ ؟

(٢) الأثر في الطبري ٩٩/١٦ وابن كثير ٢٣٩/٥ وزاد المسير ٢٤٥/٥ والدر المنثور ٢٧٧/٤ كله من مجاهد .

قال أبو جعفر : الخَلْفُ بتسكين اللّام لا يستعمل إلا
للرديء ، كما قال ليبد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ^(١)

فإذا قلت : خَلَفَ بتحريك اللام فهو للجيد ، كما يُقال :
« جَعَلَ اللَّهُ فِيكَ خَلْفًا مِنْ أَيْبِكَ » .

٥٦ — ثم قال جل وعز ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ .. ﴾
[آية ٥٩] .

قال القاسم بن مخيمرة^(٢) : « أضاعوها » : أَخْرَوْهَا عن وقتها ،
ولو تركوها لكفروا^(٣) .

وقيل : أضاعوها تركوها البتة .

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري ، وهو في ديوانه ص ١٥٣ والشاهد فيه أن الخَلْفَ بإسكان اللام هو الذي يخلف غيره بالشرّ والسوء ، يقول : ذهب الكرام الذين يُنتفع بهم وبصحبتهم وبقيت في قوم لا خير فيهم ، كجلد الأجرب الذي لا ينتفع به .

(٢) القاسم بن مخيمرة الهمداني كوفي الأصل قال عنه يحيى بن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : صدوق ثقة ، وقد ورد في المخطوطة « القاسم بن ضمرة » وهو تصحيف ، وصوابه القاسم بن مخيمرة ، وانظر الجرح والتعديل للرازي ١٢٠/٧ وكذلك الطبري ٩٨/١٦ والقرطبي ١٢٢/١١ فقد ذكروا أنه القاسم بن مخيمرة .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٩٨/١٦ وابن كثير ٢٣٨/٥ ورواه السيوطي في الدر ٢٧٧/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

وهذا أشبه لقوله بعد ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ وهذا يدل على أنهم كفروا^(١) .

٥٧ — ثم قال جل وعز ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [آية ٦٠] .

رَوَى سفيان عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : هو وادٍ في جهنم^(٢) .

قال أبو جعفر : والتقدير عند أهل اللغة : فسوف يلقون جزاء الغي ، كما قال جل ذكره ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(٣) .

ويجوز أن يكون الوادي يُسمى غياً ، لأن الغاوين يصيرون إليه^(٤) .

(١) هذا ما رجحه ابن جرير في جامع البيان ٩٩/١٦ أن المراد بإضاعة الصلاة تركها بالكلية ، لا تأخيرها عن الوقت ، قال الحافظ ابن كثير ٢٣٨/٥ : وهذا اختيار ابن جرير ، ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف إلى القول بكفر تارك الصلاة ، لحديث « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » رواه مسلم ، والحديث الآخر « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » رواه الترمذي .

(٢) الأثر في الطهري ١٠٠/١٦ وابن كثير ٢٤٠/٥ والدر المنثور ٢٧٨/٤ ولفظه كما في تفسير ابن كثير عن ابن مسعود قال : « وادٍ في جهنم ، بعيد القعر ، خبيث الطعم » .

(٣) سورة الفرقان آية ٦٨ .

(٤) انظر الصحاح مادة غوى فقد جاء فيه : الغي : الضلال ، والخيبة أيضاً ، غوى يعوي غياً وغواية .. الخ .

٥٨ — وقوله جل وعز ﴿جَنَاتٍ عَذْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ

بِالْغَيْبِ ..﴾ [آية ٦١] .

جَنَاتٍ إِقَامَةٍ ، يُقَالُ : عَذَنَ بِالْمَكَانِ : إِذَا أَقَامَ بِهِ ، وَمِنْهُ قِيلَ
« مَعْدِنٌ » لِمُقَامِ أَهْلِهِ بِهِ شَتَاءً وَصَيْفًا ، لَا يَنْتَجِعُونَ مِنْهُ (١) .

٥٩ — وقوله جل وعز ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [آية ٦١] .

« مَأْتِيٌّ » مَفْعُولٌ مِنَ الْإِتْيَانِ ، وَكُلُّ مَا وَصَلَ إِلَيْكَ فَقَدْ وَصَلَتْ
إِلَيْهِ ، كَمَا تَقُولُ : وَصَلَ إِلَيَّ مِنْ فُلَانٍ خَيْرٌ ، وَوَصَلْتُ مِنْهُ إِلَى خَيْرٍ .
فَالضَّعِيفُ فِي الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ : « مَفْعُولٌ » بِمَعْنَى « فَاعِلٌ » .

٦٠ — وقوله جل وعز : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [آية ٦٢] .

اللَّغْوُ : الْبَاطِلُ ، وَمَا يُؤْتَمُّ فِيهِ ، وَمَا لَا مَعْنَى لَهُ .

وَالسَّلَامُ : كُلُّ مَا يَسْلَمُ مِنْهُ ، وَهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْخَيْرِ ، أَيْ
لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا كُلَّ مَا يَحْبُبُونَ (٢) .

(١) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : عَذَنَتْ الْبَلَدُ : تَوَطَّنَتْهُ ، وَعَذَنَتْ الْإِبِلُ بِالْمَكَانِ : لَزِمَتْهُ فَلَمْ تَبْرَحْ ، وَمِنْهُ جَنَاتُ
عَذْنٍ أَيْ جَنَاتُ إِقَامَةٍ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَعْدِنُ بِكَسْرِ الدَّالِ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَقِيمُونَ فِيهِ الصَّيْفَ
وَالشِّتَاءَ . اهـ الصَّحَاحُ ٢١٦٢/٦ .

(٢) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي حِجَازِ الْقُرْآنِ ٨/٢ : السَّلَامُ لَيْسَ مِنَ اللَّغْوِ ، وَالْعَرَبُ تَسْتَشْنِي الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ
وَلَيْسَ مِنْهُ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ فِيهَا سَلَامًا . اهـ أَقُولُ : هَذَا
مَا يَسْمِيهِ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ الْأَسْتِثْنَاءَ الْمَنْقُوعَ ، لِأَنَّ السَّلَامَ لَيْسَ مِنَ اللَّغْوِ .

٦١ - ثم قال جل وعز ﴿لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [آية ٦٢] .

رَوَى الضحاك عن ابن عباس قال : في مقادير اللَّيْلِ والنَّهَارِ^(١) .

قال أبو جعفر : ومعنى هذا أنَّ الجنة ليست فيها عَدَاةٌ وَلَا عَشِيَّةٌ ، ولكن المعنى : في مقادير هذه الأوقات^(٢) .

وقال قتادة : كانت العرب إذا وجد الرجل منهم ما يأكل بالغداة والعشي ، عَجَبَ به ، فأعلمهم الله أن ذلك في الجنة^(٣) .

٦٢ - وقوله جَلَّ وعز ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَمَا خَلْفَنَا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ..﴾ [آية ٦٤] .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير بنحوه ١٠٢/١٦ وهو في الدر المنثور ٢٧٨/٤ عن ابن عباس قال المفسرون : ليس في الجنة بكرة ولا عشية ، ولكنهم يؤتون برزقهم على مقدار ما كانوا يعرفون في الدنيا من الغداة والعشي ، وانظر زاد المسير ٢٤٧/٥ .

(٢) أخرج السيوطي في الدر ٢٧٨/٤ عن الحسن أن رجلاً قال يارسول الله : هل في الجنة من ليل ؟ قال : وما هيَّجك على هذا ؟ قال : سمعتُ الله يذكر في الكتاب ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقلت : الليل من البكرة والعشي ، فقال رسول الله ﷺ : ليس هناك ليل ، وإنما هو ضوء ونور ، يرُدُّ الغُدُوُّ على الرواح ، والرَّوَّاحُ على الغُدُوِّ ، وتأتيهم طُرفُ الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلوات التي كانوا يصلون فيها في الدنيا ، وتسلم عليهم الملائكة .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٢/١٦ والقرطبي ١٢٧/١١ والسيوطي في الدر ٢٧٨/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وفي رواية عن الحسن قال : كانوا يعدُّون النعيم ، أن يتغذى الرجل ثم يتعشى ، فقال الله لأهل الجنة ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ اهـ .

روى عمرو بن ذرّ ، عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام : « لِمَ لَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا ؟ » فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ ^(١) إلى آخر الآية ، وكان هذا الجواب له .

وَرَوَى أَبُو حَصِينٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مَا يَنْتَظِرُونَ ﴾ قَالَ : مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ﴾ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ﴿ وَمَا يَنْتَظِرُونَ ذَلِكَ ﴾ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَيُّ الْبَرَزَخِ ^(٢) .

٦٣ — وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [آية ٦٤] .

قِيلَ مَعْنَاهُ : لَمْ يَنْسَكَ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْكَ الْوَحْيُ .

وقيل : هو عالم بما كان ، وبما يكون — ولم يقع — وما هو كائن . لم ينقطع ، حافظ له ، لم ينس منه شيئاً ^(٣) .

٦٤ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [آية ٦٥] .

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١١٨/٦ وأحمد في المسند ٢٣١/١ والترمذي في كتاب التفسير ٢٩٦/٥ وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، ورواه السيوطي في الدر ٢٧٨/٤ وابن كثير في تفسيره ٢٤٣/٥ .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٤/١٦ وابن كثير ٢٤٥/٥ والبحر المحيط ٢٠٣/٦ وتفسير ابن الجوزي ٢٥٠/٥ .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٣٧/٣ والقول الأول مروى عن ابن عباس كما في زاد المسير ٢٥٠/٥ واختاره ابن جرير الطبري .

رَوَى اسْرَائِيلُ عَنْ سِمَاكِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :
هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا سَمَّى الرَّحْمَنُ سِوَاهُ ^(١) ؟

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذَا أَجَلُ إِسْنَادٍ عَلِمْتُهُ رُويَ فِي هَذَا
الْحَرْفِ ، وَهُوَ قَوْلٌ صَحِيحٌ ، لَا يُقَالُ : « الرَّحْمَنُ » إِلَّا لِلَّهِ ، وَقَدْ يُقَالُ
لِغَيْرِ اللَّهِ : رَحِيمٌ .

وَقَدْ بَيَّنَّا لِمَ لَا يُقَالُ « الرَّحْمَنُ » إِلَّا لِلَّهِ ، فِي سُورَةِ الْحَمْدِ ^(٢) .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ؟
قَالَ : مِثْلًا ^(٣) .

وَرَوَى حَجَّاجٌ عَنْ ابْنِ يَجْرِيجٍ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ قَالَ :
لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَا مِثْلَ ^(٤) .

وَقِيلَ : هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا تَقُولُ لَهُ « اللَّهُ » إِلَّا هُوَ ^(٥) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةٌ .

وَأَمَّا الْمَعْنَى : هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا يُقَالُ لَهُ هَذَا ، عَلَى اسْتِحْقَاقٍ إِلَّا

(١) و(٢) و(٣) انظر الآثار في الطبري ١٠٦/١٦ وزاد المسير ٢٥١/٥ وابن كثير ٢٤٥/٥ والدر المنثور

٢٧٨٩/٤ وانظر الجزء الأول صفحة ٥٤ في خصوصية لفظ « الرحمن » لرب العالمين .

(٤) الأثر رواه ابن جرير عن ابن جريج ١٠٦/١٦ والسيوطي في الدر ٢٧٩/٤ .

(٥) هذه رواية عطاء عن ابن عباس ، كما ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٢٥١/٥ .

اللَّهُ ، لأنه الذي وسعت رحمته كل شيء ، وهو القادر ، والرازق^(١) .

وقيل المعنى : إن اسمه المذكور في هذه الآية ، لا يُسمى به

غيره ، وهو ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ !!

٦٥ — وقوله جل وعز ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُحْرَجُ حَيًّا .

أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ ﴾ [آية ٦٦] .

أي أو لا يتفكر وينظر ، ويذكره بعلم ، ويتبينه^(٢) ؟

٦٦ — وقوله جل وعز ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ

حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَاً ﴾ [آية ٦٨] .

قال مجاهد وقناة : أي على ركبهم^(٣) .

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٣٨/٣ فقد جاء فيه : وتأويله والله أعلم : هل تعلم له سميّاً يستحق أن يقال ل : خالق ، وقادر ، وعالم بما كان وما يكون ، فذلك ليس إلا من صفة الله تعالى .

(٢) في القرطبي ١٣١/١١ : قرئ ﴿ يَذْكُرُ ﴾ بالتشديد ، وأصله يتذكر ، لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وفي مصحف أبي ﴿ أَوْ لَا يَتَذَكَّرُ ﴾ وهذه القراءة على التفسير ، لأنها مخالفة لخط المصحف ، ومعنى « يتذكر » يتفكر ، ومعنى « يَذْكُرُ » يتنبه ويعلم ، قاله النحاس . اهـ .

(٣) (٥-٣) انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ١٠٧/١٦ والبحر المحيط ٢٠٨/٦ والحرر الوجيز ٥٠٨/٩ وزاد المسير ٢٥٣/٥ والدر المنثور ٢٨٠/٤ وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش ، قال أبو حيان في البحر ٢٠٨/٦ : « ولما أقام تعالى الحجة الدامغة على حقيقة البعث ، أقسم على ذلك باسمه مضافاً إلى رسوله ، تشريفاً له وتفخيماً ، وقد =

والمعنى : أنهم لشدة ما هم فيه ، لا يقدرّون على القيام .

٦٧ — وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ [آية ٦٩] .

رَوَى سفيان عن عليّ بن الأَقرم ، عن أبي الأحوص ، قال :
يُبدَأُ بالأَكابر جُرمًا^(٤) .

ومعنى هذا القول : نبدأ بتعذيب أكبرهم جرماً ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه .

قال مجاهد : ﴿ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ : [من كل أمة
﴿ عِتِيًّا ﴾] أي كُفراً^(٥) .

٦٨ — وقوله جل وعز ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [آية ٧١] .

في هذه الآية خمسة أقوال :

أ — قيل وُزُوذُها : دخولُها ، لأنَّ بعده ﴿ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا ﴾ .
وإنما يقال ﴿ نَذَرُ ﴾ لِمَا حَصَلَ ، فينجي الله الذين اتَّقَوْا ،
وبصيرون إلى رحمته ، فيعرفون مقدار ما خُلِّصُوا منه ، لأنهم قد دخلوا
النَّارَ وخُلِّصُوا منها ، وهذا قول ابن عباس ، وإسناده جيّد .

= تكرر هذا القسم في القرآن ، تعظيماً لحقه ورفعاً منه ، كما رفع من شأن السماء والأرض بقوله
« فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ۝ » اهـ .

روى سفيانُ بنُ عُيينَةَ عن عمرو بن دينار ، قال : تَمَارَى
ابنُ عباس ونافعُ بنُ الأزرق ، فقال نافع : ليس الورودُ الدخولُ ، وقال
ابن عباس : هو الدخولُ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (١) ؟

أوردوا أم لا ؟ وقوله تعالى ﴿ وَيَسَّ الْوِرْدَ الْمَوْرُودَ ﴾ (٢) فَأَمَّا
أَنَا وَأَنْتَ فَسَنَرِدُّهَا ، وأرجو أن يخرجني الله منها ، ولا يخرجك منها
لتكذيبك (٣) فقال له نافع : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ
أَخْرَجْتَهُ ﴾ .

رَوَى مَعْمَرٌ عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي
هريرة ، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَلْغَوْا
الْحِنْتَ ، لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ » (٤) .
يعني الورود .

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨ .

(٢) سورة هود آية ٩٨ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٩/١٦ وابن كثير ٢٤٨/٥ والسيوطي في الدر ٢٨٠/٤ وفي رواية أخرى
ذكرها الحافظ ابن كثير : أن ابن عباس قال له : وبلك أجبون أنت ؟ أين قوله تعالى ﴿ يَقْدُمُ
قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ ﴾ وقوله ﴿ وَنَسُوقُ الْجَزْمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً ﴾ ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا
وَارِدُهَا ﴾ ؟ والله إن كان دعاء من مضى « اللَّهُمَّ أَخْرِجْنِي مِنَ النَّارِ سَالِمًا ، وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ
غَانِمًا ﴾ اهـ . ابن كثير ٢٤٨/٥ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ٩٣/٢ وفي كتاب الإيمان ١٦٧/٨ وأخرجه مسلم في
كتاب البر رقم ٢٦٣٢ ومعنى « لَمْ يَلْغَوْا الْحِنْتَ » أي لَمْ يَلْغَوْا مَبْلَغَ الرِّجَالِ ، ويجري عليهم القلم
بكتابة الْحِنْتِ وهو الإثم هـ أفاده ابن الأثير في النهاية ٤٤٩/١ .

ب — وقيل : يردها المؤمنون وهي جامدة .

روى سفيان عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قالوا يارب : ألم توعدنا أننا نرد النار ؟ فيقول : قد وردتموها وهي جامدة »^(١) .

ج — وقيل : يعني القيامة .

د — وقيل : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ، يُراد به المشركون ، واستدل صاحب هذا القول بأن عمر بن الوليد روى عن عكرمة أنه قرأ ﴿ وَإِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾^(٢) .

هـ — والقول الخامس : أن ورودها بلاغها ، والممر بها .

رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قَالَ : الممر بها^(٣) .

وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ .

قال : حضورها^(٤) .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٠٩/١٦ وفي بعض الروايات « قد مررت عليها وهي خامدة » وأخرجه في الدر ٢٨١/٤ وعزاه إلى ابن أبي شيبة .

(٢) ذكرها ابن عطية في المحرر ٥١١/٩ والمراد بها على هذه القراءة ﴿ وَإِنْ مِنْهُمْ ﴾ الكفار ، وهذه ليست من القراءات السبع .

(٣—٤) انظر الأثرين في الطبري ١١٠/١٦ وزاد المسير ٢٥٦/٥ والدر المنثور ٢٨١/٤ .

فهذه خمسة أقوال ، والله أعلم بما أراد ، إلا أنه معروف في كلام العرب ، أن يقال : وردت كذا أي بلغت ، ولم أدخله ، قال زهير :

فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ

وَضَعَنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ^(١)

وقرأ أبي بن كعب ﴿ ثُمَّ نُنْحِي الَّذِينَ اتَّقُوا ﴾^(٢) أي في ذلك

الموضع .

قال أبو جعفر : وأبين ما في هذه الأقوال ، قول من قال : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ : إنها القيامة ، وقوله تعالى ﴿ فَوَرِّتْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ يدل على ذكر القيامة ، فكفى عنها بهذا .

وكذلك ذكر جهنم ، يدل على القيامة ، لأنها فيها ، والله جل وعز يقول : ﴿ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فيبعد أن يكون مع

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ، وهو في ديوانه ص ١٣ وفي القرطبي ١٣٧/١١ والبحر المحيط ٢٠٩/٦ ومعاني الزجاج ٣٤٢/٣ وزاد المسير ٢٥٦/٥ وفي اللسان ، والتاج . والشاهد فيه : (وردن الماء) أي بلغت إلى الماء وإن لم يدخله ، وجمام الماء أي الكثير المتجمع ، ووضع العصي والتخييم كناية عن الإقامة والاستقرار .

(٢) هذه القراءة ﴿ نُنْحِي ﴾ بالخاء المهملة من القراءات الشاذة ، وليست من السبع ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٢٥٧/٥ .

هذا دخول النار^(١) .

وقرأ ابن عباس : ﴿ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴾^(٢) .

٦٩ — وقوله جل وعز ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ [آية ٧٣] .

رَوَى أَبُو ظَبْيَانَ^(٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا ﴾ قَالَ : مِنْزَلًا ، ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ قَالَ : مَجْلَسًا^(٤) .

قَالَ الْكَسَائِيُّ : النَّدِيُّ ، وَالنَّادِي : الْمَجْلَسُ^(٥) .

(١) خلاصة القول في هذه المسألة ، أن السلف اختلفوا في معنى الورود ، فقال ابن عباس : الورود : الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم ، ويبقى الأشرار والفجار فيها يصلون حرها ، وقال ابن مسعود وقتادة : الورود : المرور عليها حين اجتياز الصراط ، ولعل هذا القول أصح وأرحم — أجازنا الله منها — وهذا القول هو الذي رجحه الزجاج في معانيه ٣٤١/٣ حيث قال : وحجتهم في ذلك جيدة جداً ، فإن العرب تقول : وردت ماء كذا ولم تدخله ، وتقول : وردت بلد كذا وكذا : إذا بلغته ولم تدخله ، قال : والحجة القاطعة في هذا القول قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَى أُولَئِكَ مِنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ هـ .

(٢) هذه من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٤١١ ، والنشر ٣١٨/٢ .

(٣) « أبو ظبيان » هو حُصَيْنُ بْنُ جُنْدُبِ بْنِ الْحَارِثِ الْجَنْبِيِّ الْكُوفِيِّ ، تابعي ثقة مات سنة ٨٩ هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣٧٩/٢ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١١٦/١٦ وابن كثير ٢٥٢/٥ والسيوطي في الدر ٢٨٣/٤ .

(٥) وكذلك قال الفراء في معانيه ١٧١/٢ قال : ﴿ نَدِيًّا ﴾ : مَجْلَسًا ، وَالنَّادِيُّ وَالنَّادِي لُغَتَانِ .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة ، يُقال : نَدَوْتُ القومَ
أَنَدُوهم أي جمعتهم ، ومنه قيل « دار الندوة » لأنهم كانوا يجتمعون فيها
إذا حَزَبَهُم الأمر ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ
الْمُنْكَرَ ﴾ ^(١) .

٧٠ — وقوله جل وعز ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا
وَرِئِيًّا ﴾ [آية ٧٤] .

روى الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : الأثاث :
المتاع ، والرَّئِي : المنظر ^(٢) .

قال أبو جعفر : والأثاث في اللغة : المتاع ، وقال الأحمر :
واحدته أَثَاثَةٌ ^(٣) .

وقال الفراء : لا واحد له ^(٤) .

وكذلك الرَّئِي : المنظر ، من رأيتُ ، أي ما ترى في صورة

(١) سورة العنكبوت آية ٢٩ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٧/١٦ وابن كثير ٢٥٣/٥ والبحر المحيط ٢١٠/٦ وفي البخاري
١١٧/٦ ﴿ وَرِئِيًّا ﴾ منظرًا .

(٣) في الصحاح ٢٧٢/١ : الأثاث : متاع البيت ، وقال أبو زيد : الأثاث : الإبل . والغنم ،
والعبيد ، والمتاع ، الواحدة أَثَاثَةٌ . اهـ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١٧١/٢ فقد جاء فيه : الأثاث : المتاع ، والرَّئِي : المنظر ، والأثاث لا
واحد له ، كما أن المتاع لا واحد له .

الإنسان ، ولباسه ، ويُقرأ ﴿ وَرِيًّا ﴾ (١) بلا همز ، وهو جيد على تخفيف الهمز .

وهو حَسَنٌ ها هنا لتتفق رؤوس الآيات .

ويمجوز أن يكون من الرِّيِّ والنعمة .

وقال الأخفش : يجوز أن يكون من رِيِّ المطر ، والزِّيِّ بالزاي : الهيئة والحُسْنُ ، يُقال : زَيْتُ المرأة أي زِينَتُها وهيئَتُها (٢) .

٧١ — وقوله جَلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ [آية ٧٥] .

يُقال : ما معنى الأمر ها هنا ؟

قال أبو جعفر : الجواب أن هذا أبلغ ، فلو قلت : إن تجنني فلا كرمك ، كان أبلغ من قولك : إن تجنني فأكرمك ، وإنما صار أبلغ ، لأن فيه معنى الإلزام (٣) .

(١) هذه قراءة ابن عامر ، وأهل المدينة ﴿ وَرِيًّا ﴾ بغير همز ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٤١١ .

(٢) ذكره الفراء في معانيه ١٧١/٢ فقال : قُرِء ﴿ وَرِيًّا ﴾ والزِّيُّ : الهيئة والمنظر ، والعرب تقول : قد زَيْتُ الجارية أي زَيْنْتُها وهيئْتُها . اهـ .

(٣) ذكره ابن عطية في الحرر ٥٢٢/٩ فقال : هي لام أمرٍ دخلت على معنى الخبر ، ليكون أوكد وأقوى . اهـ وقال القرطبي ١٤٤/١١ قال : ومعنى الآية فليدعُ في طغيانه وكفره ، فلفظُه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ، وهذا غاية في التهديد والوعيد . اهـ .

٧٢ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ۖ ﴾ [آية ٧٥] .

العذابُ ها هنا : أن ينصر اللهُ المسلمين عليهم ، فيعذبُهم بالقتل والسَّبي .

والسَّاعةُ : القيامةُ أي : وإمَّا تقومُ القيامةُ فيصيرون إلى النار ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا ﴾ إذا صاروا إلى النار ، ﴿ وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ إذا نصر اللهُ المسلمين عليهم^(١) .

٧٣ — ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۖ ﴾ [آية ٧٦] .
قيل : نزيدهم هدىً بالناسخ والمنسوخ^(٢) .

وقيل : نزيدهم هدىً مجازةً .

وقد ذكرنا معنى ﴿ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتِ ﴾ في سورة الكهف^(٣) .

(١) هكذا قال ابن جرير ١١٩/١٦ وابن عطية ٥٢٣/٩ وصاحب البحر المحيط ٢١٢/٦ والمعنى : من كان في ضلاله ، فليُمِهلهُ الرحمن ، وليدعه في طغيانه ، حتى يلقى ربه ، وينال عقابه ، ولينتظر حتى يشاهد ما يحلُّ به ، فيسعلمون عندئذ أي الفريقين شرُّ منزلة عند الله ، وأقلُّ فئة وأنصاراً ، هل هم الكفار أم المؤمنون ؟

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٤٤/٣ قال : بالناسخ والمنسوخ بنحو ما كان من صوم رمضان ، من أنه كان يجوز لمن يقدر على الصوم أن يُطعم مسكيناً ويُقطر ، فنسخ ذلك بإلزام الصوم . اهـ والأقرب أن المعنى : ويزيد الله المؤمنين المهتدين ، بصيرةً وإيماناً وهدايةً ، بسبب أعمالهم الصالحة .

(٣) انظر صفحة (٢٤٨) من هذا الجزء .

٧٤ — وقوله جلَّ وعز ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا
وَوَلَدًا ﴾ [آية ٧٧] .

قال أبو جعفر : حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد السلام ،
قال : حدثنا أبو الأزهر ، قال : حدثنا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، قال : حدثنا
شعبة ، عن سليمان ، عن أبي الضُّحَى عن مسروق ، عن خُبَّاب
قال : « كُنْتُ قَيْنًا ^(١) فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَعَمَلْتُ لِلْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ، حَتَّى
اجْتَمَعْتُ لِي عَلَيْهِ دِرَاهِمٌ ، فَجِئْتُ أَتَقَاضَاهُ ، فَقَالَ : لَا أَقْضِيكَ حَتَّى
تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، فَقُلْتُ : لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ وَتَبْعَثَ ،
قَالَ : وَإِنِّي لِمَبْعُوثٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لِي ثَمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ
فَأَقْضِيكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا .
وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ^(٢) !؟ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ .

قال أبو جعفر : وهذا معنى الحديث .

(١) قَيْنًا : أَيِ حَدَّادًا .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة مريم ١١٨/٦ ومسلم رقم ٢٧٩٥ في باب صفات
المنافقين ، والترمذي في التفسير رقم ٣١٦٢ وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . أقول
العاص بن وائل هو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور ، وقول خُبَّاب : « لَا أَكْفُرُ حَتَّى
تَمُوتَ ثُمَّ تَبْعَثَ » هُوَ مِنْ بَابِ السَّخَرَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ لِأَنَّ الْفَاجِرَ كَانَ يَنْكُرُ الْبَيْعَ وَالنَّشُورَ ، فَهُوَ
قَدْ عَلَّقَهُ عَلَى مَا يَسْتَحِيلُ بِزَعْمِهِ سَخَرِيَّةً وَتَهْكِمًا ، وَانْظُرْ مَا كَتَبَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي
٣٢٩/٨ حَوْلَ هَذَا الْحَدِيثِ .

٧٥ — وفي قوله تعالى ﴿ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [آية ٧٨] .

أقوال :

قال سفيان : عملاً صالحاً^(١) .

وقيل : العهدُ ها هنا : توحيدُ الله ، والإيمانُ به^(٢) .

وقيل : العهدُ ها هنا : الوعدُ بما قال^(٣) .

وقال الأسود بنُ زيد قال عبدالله : يقول الله عز وجل يوم القيامة : « من كان له عندي عهدٌ فليُقم ؟ فقالوا : يا أبا عبدالرحمن : فعلّمنا قال : قولوا : اللهم فاطرَ السماوات والأرض ، عالمَ الغيب والشهادة ، إني أعهد إليك عهداً في هذه الحياة الدنيا ، إنك إن تكلمني إلى عملي ، تُقربني من الشرِّ ، وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلاّ برحمتك ، فاجعله لي عندك عهداً تؤدّيه إليّ يومَ القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد »^(٤) .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٢٢/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٨٤/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٦١/٥ .

(٢) هذا قول ابن عباس رواه عنه الضحاك كما في تفسير ابن كثير ٢٥٦/٥ .

(٣) هذا قول ابن السائب كما في زاد المسير ٢٦١/٥ والمعنى : أم اتخذ عند الله عهداً أنه سيدخله الجنة .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤١٢/١ ورواه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٩٤/٧ وزاد فيه : « إلّا قال الله عز وجل للملائكة يوم القيامة : إن عبدي قد عهد إليّ عهداً ، فأوفوه إياه ، فيدخله الله الجنة » .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة ، والعهد في اللغة :
يكون الأمان ، ومنه أهل العهد ، ومنه قول الله تعالى ﴿ قَالَ لَا يَأْتِلُ
عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

قال أبو عبيد : كأنه قال : لا أؤمّمهم من عذاب يوم
القيامة .

وكذلك قول قتادة ، قال : في الآخرة ، فأما في الدنيا فقد أكلوا
وشربوا ، وعاشوا وأبصروا .

فإذا قيل للتوحيد عهد ، فلأنه يؤمّن به ، وكذلك الوعد .

٧٦ — وقوله جل وعز ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [آية ٨٠] .

قال قتادة : أي نرثه ما عنده ، أي قوله ﴿ لَأُوتِينَ مَالًا
وَوَلَدًا ﴾ .

قال : وفي قراءة ابن مسعود ﴿ وَنَرِثُهُ مَا عِنْدَهُ ﴾ (٢) .

وقيل : يُبْقَى عليه الإثم ، فكأنه موروث .

قال أبو جعفر : قيل هذا مفسر في حديث خباب ، قيل :

(١) سورة البقرة آية ١٢٤ .

(٢) هذه القراءة ذكرها الطبري في جامع البيان ١٢٣/١٦ وهي محمولة على التفسير ، لا على أنها من
القراءات المعتبرة .

والمعنى — واللَّهُ أعلمُ — نَسْلُهُ مَالُهُ وولَدُهُ يوم القيامة^(١) ، ألا ترى أنَّ بعده ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ ١؟

قال أبو جعفر: وأصحُّ ما قيل في هذا ، أنَّ معنى ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ : نحفظُ عليه ما يقول ، حتى نوفيَّه عقوبته عليه .

ومن هذا حديثُ أبي الدرداء عن النبي ﷺ (العلماءُ ورثةُ الأنبياء)^(٢) .

ومنه : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ﴾^(٣) .

٧٧ — وقوله جل وعز ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ [آية ٨١] .

أي أعواناً^(٤) .

٧٨ — ثم قال سبحانه ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ .. ﴾ [آية ٨١] .

(١) هذا اختيار الطبري ١٢٢/١٦ والزجاج ٣٤٥/٣ قال الطبري : أي نسل هذا القائل ماله

وولده ، وبصير لنا ماله وولده دونه ، ويأتينا يوم القيامة وحده ، لا مال معه ولا ولد .

(٢) هذا طرف من حديث رواه أبو داود رقم ٣٦٤١ والترمذي رقم ٢٦٨٣ وابن ماجه ، وأحمد ،

وتتمته « وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »

وانظر تمام الحديث في جامع الأصول ٥/٨ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٢٧ .

(٤) قال ابن كثير ٢٥٦/٥ : أي يعتزُّون بهم ويستنصرونهم ، والقول الأول قول الزجاج .

« كَلَّا » عند أهل العربية تنقسم قسمين :

أحدهما : أن يكون ردعاً وتنبيهاً ، وردّاً لكلام ، وهي ها هنا كذلك^(١) ، أي ارتدعوا عن هذا ، وتنبهوا على وجه الضلالة فيه .

فإذا كانت كذا ، فالوقوف عليها التمام :

وتكون ردعاً وتنبيهاً ، ولا تكون ردّاً لكلام ، نحو قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾^(٢) .

٧٩ — وقوله جل وعز ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [آية ٨٢] .

أي أعواناً .

قال مجاهد : أي تكون أوثانهم عليهم في النار ، تخصمهم ، وتكذبهم^(٣) .

(١) هكذا قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٢٤/٩ ﴿ وكَلَّا ﴾ زجرٌ وردع ، والمعنى : ليرتدع ذلك الكافر الفاجر عن تلك المقالة الشنيعة ، فسكتب ما يقوله ، ونضاعف له مدد العذاب ، وقد تأتي « كَلَّا » بمعنى « حقاً » كقوله سبحانه ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾ أي حقاً كما أشار المصنف .

(٢) سورة العلق آية ٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢٤/١٦ وابن كثير ٢٥٧/٥ والسيوطي في الدرر ٢٨٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

٨٠ — وقوله جل وعز ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوَزُّهُمْ
أَزْأًا ﴾ [آية ٨٣] .

في معناه قولان :

أحدهما : لم تعصمهم من الشياطين ^(١) .

والقول الآخر : قَيَّضْنَا لَهُمُ الشَّيَاطِينَ ، مجازاة على
كفرهم ^(٢) ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ
نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا ﴾ .

ومعنى ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾ في اللغة هاهنا : سَلَّطْنَا .

ثم قال سبحانه ﴿ تُوَزُّهُمْ أَزْأًا ﴾ .

قال عليُّ بنُ أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : تُغَرِّبُهم
إِغْرَاءً ^(٣) .

قال ابن جريج : الشَّيَاطِينُ تُوَزُّ الْكَافِرِينَ إِلَى الشَّرِّ : امضُوا ،

(١) و(٢) ذكرهما الزجاج في معانيه ٣/٣٤٥ فقال : في الآية وجهان : أحدهما : أن المعنى خَلَّيْنَا
الشَّيَاطِينَ وَإِيَّاهُمْ ، فلم تعصمهم من القبول منهم . والثاني : وهو المختار — سَلَّطْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ ،
وَقَيَّضْنَاهُمْ لَهُمْ بِكُفْرِهِمْ . اهـ وانظر زاد المسير ٥/٢٦٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير عن الضحاك وابن عباس ١٦/١٢٥ وابن كثير ٥/٢٥٧ قال الفراء
٢/١٧٣ : أي تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم بها .

امضوا ، حتى توقعهم في النار^(١) .

قال قتادة : ﴿ تَوَزُّهُمْ ﴾ أي تزعجهم إلى المعاصي^(٢) .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة المعاني ، وأصله من
أَزَزْتُ الشَّيْءَ أَزْزُهُ ، أَزًّا ، وَأَزِيزًا أي حَرَكْتُهُ^(٣) ، ومنه الحديث « إن
النبي ﷺ كان يُصَلِّي ولجوفه أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمَرْجَلِ »^(٤) أي من البكاء .

٨١ - وقوله جل وعز : ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴾

[آية ٨٤] .

روى هُشَيْمٌ عن أبي يزيد عن أبي جعفر « محمد بن علي » في
قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴾ قال : كل شيء حتى

(١) و(٢) انظر الآثار في الطبري ١٢٥/١٦ والقرطبي ١٥٠/١١ والدر المنثور ٢٨٤/٤ .

(٣) قال ابن فارس : يُقَالُ : أَزَّهُ عَلَى كَذَا : إِذَا أَغْرَاهُ بِهِ ، وَأَزَّتِ الْقِدْرُ : غَلَّتْ ، وفي البخاري في التفسير ١١٧/٦ قال ابن عُيَيْنَةَ ﴿ تَوَزُّهُمْ أَزًّا ﴾ : تَزَعَّجَهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي لِإِزْعَاجٍ ، وانظر زاد المسير ٢٦٢/٥ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٥/٤ عن مطرّف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ عن أبيه ، ولفظه : قال « انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يُصَلِّي ، ولصدره أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمَرْجَلِ » وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ، والنسائي في السُّهُور .

الأنفاس^(١) .

٨٢ — وقوله جلَّ اسمه : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾

[آية ٨٥] .

قال أهل التفسير : أي رُكباناً .

قال الثُّعْمَانُ بن سَعْدٍ : قرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه
﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ فقال : « أَمَا وَاللَّهِ
لا يُحْشَرُونَ على أقدامهم ، ولكنَّهم يُؤْتَوْنَ بِنُوقٍ ، لم تَرَ الخِلائِقُ
مِثْلَهَا ، عليها أرحلة الذهب ، وأزمتُّها الزُّبرجدُ ، ثم تنطلق بهم إلى
الجنة ، حتى يقرعوا بابها »^(٢) .

٨٣ — وقوله جلَّ وعز ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴾ [آية ٨٦] .

قال أهل التفسير : أي عطاشاً .

قال أهل اللغة : هو مصدرٌ وَرَدْتُ ، فالتقدير عندهم : ذوي

وَرْدٍ .

وقد حكوا أنه يُقال للواردين الماء : وَرْدٌ ، فلما كانوا يَرِدُونَ على

(١-٢) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٢٦/١٦ والقرطبي ١٥٠/١١ والدر المنثور ٢٨٤/٤
وفي الطبري « عليها رحال الذهب ، وأزمتُّها الزُّبرجدُ ، فيركبون عليها ، حتى يضربوا أبواب
الجنة » .

النَّارَ ، كما يَرِدُ الْعِطَاشُ عَلَى الْمَاءِ ، قيل لهم : « وَرَدَّ » فعلى هذا يوافق اللغة^(١) .

٨٤ — ثم قال جل وعز ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [آية ٨٧] .

إن جعلت « مَنْ » بدلاً من الواو ، كان المعنى :
لا يملك الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ، فإنه يَشْفَعُ .

وإن جعلته استثناءً ليس من الأول^(٢) ، كان المعنى :
لَكِنْ مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ، فإنه يَشْفَعُ فيه .
٨٥ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ [آية ٨٨ و٨٩] .

قال مجاهد : أي عظيماً^(٣) .

(١) قال الأزهري : ﴿ وَرَدًا ﴾ أي مشاة عطاشاً ، كالإبل ترد الماء ، فيقال : جاء ورد بني فلان . اهـ تهذيب اللغة مادة ورد ، وفي التفسير : مشاة عطاشاً تنقطع أعناقهم من العطش ، والورد : الماء الذي يورد . اهـ قرطبي ١١/١٥٣ .

(٢) يريد استثناءً منقطعاً ، لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، فتكون « إِلَّا » بمعنى لكن .

(٣) انظر الأثر في الطبري ١٦/١٢٩ والدر المنثور ٤/٢٨٦ قال أبو غبيدة : الإدُّ ، والتكُّر : الأمر المتناهي العظم ، والأمر العظيم من أعظم الدواهي . اهـ مجاز القرآن ٢/١١ وقال الجوهري : الإدُّ والإدَّة : الداهية والأمر الفظيع .

وذلك معروف في اللغة ، يُقال : جاء شيئاً إِدًّا ، وجاءَ بشيءٍ إِدًّا .

وقرأ أبو عبدالرحمن السُّلَمي ﴿ اَدَّا ﴾ بفتح الهمزة (١) .

والكسرُ أَعْرَفُ .

قال أبو عبيد : ومنه الحديث أَنَّ عبدالرحمن بن مُلجم — لعنه الله — لَمَّا هَمَّ بقتل عليٍّ رضوان الله عليه ، ذاكر فلاناً قال أبو عبيد — وقد سَمَاهُ — فقال : ثكلتك أمك ، لقد جئت شيئاً إِدًّا ، أتقتل عليَّ بنَ أبي طالب ؟

٨٦ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ .. ﴾ [آية ٩٠] .

قال مجاهد : الانفطارُ : الانشقاقُ (٢) .

قال أبو جعفر : وذلك معروف في اللغة ، يُقال : فَطَرَ نابُ البعير ، إذا انشَقَّ اللحمُ وخرَجَ .

٨٧ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [آية ٩٠] .

أي سقوطاً .

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المختص ٤٥/٢ قال ابن جني : والأدُّ بالفتح : القوة .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٠/١٦ والسيوطي في الدر ٢٨٧/٤ قال الطبري ومعنى الآية : تكاد السموات يتشققن قطعاً من قيلهم اتخذ الرحمن ولداً ، وتكاد الأرض تنشق فتصعد من ذلك ، وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض ، قال : والهدُّ : السقوط .

٨٨ — وقوله جل وعز : ﴿ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ [آية ٩١] .

أي لأن دَعَوْا للرحمن ولداً ، ومن أن دَعَوْا ^(١) .

٨٩ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [آية ٩٦] .

رَوَى مجاهد عن ابن عباس قال : محبة ^(٢) .

قال مجاهد : يحبهم الله ، ويحبهم إلى خلقه ^(٣) .

٩٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [آية ٩٧] .

(١) هذا قول الفراء في معانيه ١٧٣/٢ قال : « أن » في موضع نصب بسقوط الحافض أي لأن دَعَوْا ، ومن أن دَعَوْا ، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٢/٢ معناه : أن جعلوا للرحمن ولداً ، وقال : وليس هو من دعاء الصوت . اهـ .

(٢،٣) انظر الأثرين في الطبري ١٣٣/١٦ وابن كثير ٢٦٤/٥ والدر المنثور ٢٨٧/٤ أقول : يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس ومجاهد الحديث الذي رواه مسلم في كتاب البر ٤٠/٨ وأحمد في المسند ٤١٣/٢ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا أحبَّ الله عبداً ، دعا جبريل ، فقال يا جبريل : إني أحبُّ فلاناً فأحبه ، قال : فيحبه جبريل ، قال : ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يحبُّ فلاناً ، قال : فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض .

وإن الله إذا أبغض عبداً ، دعا جبريل فقال يا جبريل : إني أبغض فلاناً فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال : فيبغضه أهل السماء ، ثم توضع له البغضاء في الأرض »

وفي رواية ابن أبي حاتم « فذلك قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ وانظر تفسير ابن كثير ٢٦٣/٥ .

أَي سَهْلَنَاهُ ، وَأَنْزَلْنَاهُ بِلُغَتِكَ .

٩١ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَنُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُّذًّا ﴾ [آية ٩٧] .

رَوَى سَفِيَّانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ : عَوْجاً عَنْ
الْحَقِّ (١) .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : الْأَلُذُّ : الظَّالِمُ الَّذِي لَا يُسْتَقِيمُ (٢) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : اللَّذُّ : الصُّمُّ (٣) .

وَقَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ : هُوَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْحَقَّ ، وَيَدْعِي
الْبَاطِلَ (٤) ، وَأُنْشَدَ :

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَلَيْنًا
وَحَصِيمًا أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقٍ (٥)
وَيُرْوَى « مِعْلَاقٍ » بِالْعَيْنِ (٦) .

(١—٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٦/١٣٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١١/١٦٢ والبحر

المحيط لأبي حيان ٦/٢٢١ وتفسير ابن كثير ٥/٢٦٥ والدر المنثور ٤/٢٨٨ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٣ .

(٥) البيت لمُهَلِّهْل « عدي بن ربيعة » وهو في الكامل ص ٢٥ واللسان ، والتاج مادة غلق

واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٣ وقال المبرّد : وَيُرْوَى « ذَا مِعْلَاقٍ » فَمَنْ رَوَى « ذَا

مِغْلَاقٍ » فَتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ يُغْلِقُ الْحِجَةَ عَلَى الْخَصْمِ ، وَمَنْ قَالَ : « ذَا مِغْلَاقٍ » فَإِنَّمَا يَرِيدُ أَنَّهُ إِذَا عَلِقَ

خَصْمًا لَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْهُ ، وَفِي الصَّحَاحِ ٤/١٥٣١ : « إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْمًا وَجُودًا » .

(٦) انظر لسان العرب ، والصحاح مادة علق .

قال أبو جعفر : أحسنُ هذه الأقوال : الأول ، واللديدان :
صفحتا العُنُق ، فكأنه تمثيلٌ .

٩٢ — وقوله جل وعز ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [آية ٩٨] .

يقال : هل أَحَسَسْتَ صَاحِبَكَ ؟ أي هل أَبْصَرْتَهُ ؟

٩٣ — ثم قال جل وعز ﴿ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [آية ٩٨] .

روى عليُّ بنُ الحَكَم ، عن الضَّحَّاك ، قال : صوتاً^(١) .

قال أبو جعفر : الرِّكْزُ في اللغة : الصوتُ الخَفِيُّ ، الذي لا يكاد يُتَبَيَّنُ^(٢) .

وصلَّى الله على خير خلقه محمد نبيِّه وعلى آله وسلَّم^(٣) .

تمت سورة مريم والله الحمد والمِنَّة

* * *

-
- (١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٥/١٦ وابن كثير ٢٦٥/٥ والسيوطي في الدر ٢٨٨/٤ .
(٢) قال ابن قتيبة : الرِّكْزُ : الصوتُ الذي لا يفهم ، قال ابن كثير : والرِّكْزُ في أصل اللغة هو الصوت الخفي . اهـ .
(٣) كتب في نهاية المخطوطة لنسخة دار الكتب المصرية العبارة الآتية : « تم الجزء الأول وصلَّى الله على خير خلقه محمد نبيِّه وعلى آله وسلَّم » قرأتُ به فصَحَّ إن شاء الله .

تفسير سورة الحج

مدنية وآياتها ٧٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« عَوْنُكَ يَا رَبِّ »

سُورَةُ الْحَجِّ وَهِيَ مَدِينِيَّةٌ ^(١)

قال أبو عمرو بن العلاء عن مجاهد : سألتُ ابنَ عَبَّاسٍ فقال : سورةُ الحجِّ نزلتْ بمكة ، سوى ثلاثِ آياتٍ منها ، فإنهنَّ نزلنَّ بالمدينة ، في ستَّةِ نفرٍ من قريش : ثلاثةٌ منهم مؤمنون ، وثلاثةٌ كافرون .

فأما المؤمنون فهم « حمزةُ بن عبدالمطلب » و« عليُّ بن أبي طالب » و« عبدةُ بن الحارث » رضي الله عنهم .

دعاهم للبراز « عُتْبَةُ » و« شَيْبَةُ » ابنا ربيعةَ و« الوليد بن عُتْبَةَ » فأنزلَ اللهُ جلَّ وعزَّ ثلاثِ آياتٍ مدنيَّاتٍ ، وهنَّ قوله تعالى : ﴿ هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۚ ۞ ﴾ ^(٢) إلى تمام الآيات. الثلاث من ذلك .

(١) هذه السورة هي بداية القسم الثاني من المخطوطة ، وهي مخطوطة اسطنبول ، ولم نجد في مخطوطة القاهرة تفسيراً لسورتي : طه ، والأنبياء ، ولا ندري هل هما مفقودتان أم أن المصنّف لم يتناولهما بالتفسير ، وقد ذُكرت في هامش النسخة في أول الكتاب العبارة الآتية : أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفضل محمد بن ناصر قراءةً عليه ، قال : أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن الحسن بن الحسين الخلعي المصري إجازةً ، قال أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعد الحوفي ، قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الأقوي ، قال : أخبرنا أبو جعفر النحاس .. الخ ثم بدأ بالرواية عن مجاهد .

(٢) سورة الحج آية ١٩ .

١ — قوله جل وعزّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [آية ١] .

رَوَى سُفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، قَالَ :
هذا قبل يوم القيامة ^(١) .

٢ — ثم قال جل وعزّ : ﴿ يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تُذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ .. ﴾ [آية ٢] .

أَي تَسْلُو عَنْهُ ، وَتَتْرَكُهُ وَتَتَحَيَّرُ ، لَصُعُوبَةٍ مَا هِيَ فِيهِ .
وَيَبِينُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ذَلِكَ ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ فِي أَيِّ مَوْطِنٍ
يَكُونُ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْخَالِقِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ
الْحَسَنِ الْأَسَدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَصَامُ بْنُ
طَلِيْقٍ ^(٢) ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ

(١) هذا القول هو المشهور ، أنَّ الزلزلة من أَسْرَاطِ السَّاعَةِ ، وَأَنَّهَا تَكُونُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
وهذا القول ذكره ابن جرير ١٠٩/١٧ عن علقمة ، والشَّعْبِيِّ ، وَرَوَى الطَّبْرِيُّ قَوْلًا آخَرَ أَنَّ هَذَا
يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ ، حِينَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ : أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ مِنْ ذَرِيَّتِكَ ، مِنْ كُلِّ آلِيفٍ
تَسْعَمَائَةِ وَتَسْعَةِ وَتَسْعُونَ .. الْحَدِيثُ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

(٢) فِي الْمَخْطُوطَةِ «عَاصِمُ بْنُ طَلِيْقٍ» وَصَوَابُهُ «عَصَامُ بْنُ طَلِيْقٍ» كَمَا فِي التَّهْذِيبِ ١٩٥/٧ وَلَمْ أَرَهُ
بَلْفَظَ «عَاصِمُ» فِي كِتَابِ الرِّجَالِ ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : هُوَ عَصَامُ بْنُ طَلِيْقٍ الطُّفَاوِيُّ «بَصْرِي» ،
قَالَ أَبُو زُرْعَةَ : ضَعِيفُ الْحَدِيثِ ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : مُنْكَرُ الْحَدِيثِ ، وَذَكَرَهُ الْعَقِيلِيُّ فِي الضَّعْفَاءِ .
اهـ .

عائشة قالت : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجْرِي ، فَقَطَرْتُ دُمُوعِي عَلَى خَدَّهِ ، فَاسْتَيْقِظَ ﷺ فَقُلْتُ : ذَكَرْتُ الْقِيَامَةَ وَهَوَّلَهَا ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهَالِيكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ : ثَلَاثَةٌ لَا يَذْكُرُ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا نَفْسَهُ .

أ — عند الميزانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْخَفُ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ ؟

ب — وَعِنْدَ الصُّحُفِ حَتَّى يَعْلَمَ مَا فِي صَحِيفَتِهِ .

ج — وَعِنْدَ الصِّرَاطِ حَتَّى يُجَاوِزَهُ ^(١) .

٣ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى .. ﴾

[آية ٢] .

أي وترى الناس سُكَارَى مِنَ الْعَذَابِ وَالْخَوْفِ ، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى مِنَ الشَّرَابِ .

وَقَرَأَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَأَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرٍو بْنُ جَرِيرٍ ^(٢) ﴿ وَتَرَى

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٠١/٦ ورواه أبو داود في السنة رقم ٤٧٥٥ عن عائشة رضي الله عنها ، ولفظه قالت : « ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يَبْكِيكَ ؟ قُلْتُ : ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهَالِيَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ : أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ ، فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا : عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْخَفُ مِيزَانِهِ أَمْ يَثْقُلُ ؟ وَعِنْدَ تَطَايِيرِ الصُّحُفِ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ ، فِي يَمِينِهِ ، أَمْ فِي شِمَالِهِ ، أَمْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ؟ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَجُوزَ » .

(٢) هذه ليست من القراءات السبع وانظر الطبري ١١٥/١٧ وأبو زرعة اسمه هرم ، وقيل : عمرو ، قال ابن حجر في التقریب ٤٢٤/٢ : ثقة من الثالثة .

النَّاسَ ﴿ أَي تَظُنُّهُمْ لَشِدَّةٍ مَا هُمْ فِيهِ .

حدثنا أحمد بن محمد بن نافع ، قال : حدثنا سلمة ، قال :
حدثنا عبدالرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، وأبان عن أنس بن
مالك قال : نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ
شَيْءٌ عَظِيمٌ .. ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ .

قال : نزلت على النبي ﷺ وهو في مَسِيرٍ له ، فَرَفَعَ بِهَا
صَوْتَهُ ، حَتَّى ثَابَ (١) إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ : أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟
هَذَا يَوْمٌ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَأَدَمَ ، يَا آدَمُ قُمْ فَاْبْعَثْ بَعْثَ أَهْلِ النَّارِ ،
مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ ، وَوَاحِدًا إِلَى الْجَنَّةِ !!
فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سَدُّوْا ،
وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ ، إِلَّا كَالشَّامَةِ
فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ ، وَإِنَّ مَعَكُمْ لَخَلِيقَتَيْنِ ،
مَا كَانَتْ مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثُرَتْهُ « يَأْجُوجُ » و« مَأْجُوجُ » وَمَنْ هَلَكَ مِنْ
كَثْرَةِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ » (٢) .

(١) ثابت إليه أصحابه : أي رجعوا إليه ، واجتمعوا عنده عند سماعهم صوته ﷺ .

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند ٤/٤٣٢ عن « عمران بن حصين » ورواه الترمذي في تفسير سورة
الحج ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وانظر تحفة الأحوذى رقم ٣٢١٨ الجزء التاسع
ص ١٢ وتفسير ابن كثير ٥/٣٨٦ وقد ورد في المخطوطة « تسعة وتسعين إلى النار ، وواحد في
الجنة » بالفتح ، ولعل صوابه « تسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة » بالرفع كما في رواية
الترمذي وتفسير ابن كثير .

٤ — قال ابن جريج في قوله تعالى ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ [آية ٣] .

هو النضر بن الحارث (١) .

وقال غيره : ﴿يُجَادِلُ﴾ يخاصم في الله ، بزعمه أن الله جلّ وعزّ ، غير قادرٍ على إحياء من قد يَلَيّ ، وعادَ تراباً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٢) .

٥ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [آية ٣] .

أي ويتبع قوله ذلك وجداله ، كل شيطانٍ مرِيد (٣) .

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قال قتادة : «أي على الشيطان» (٤) .

المريد : الممتدّ في الشرّ ، المتجاوز فيه ، ومنه قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدًا مِنْ قَوَارِيرَ﴾ (٥) .

(١) هذا الأثر ذكره الطبري في تفسيره ١١٥/١٧ وابن كثير من رواية السدي عن أبي مالك ٣٩٠/٥ .

(٢) المراد به يخاصم بغير علم صحيح ، من طريق الشرع أو العقل ، فهو يجادل عن جهلٍ وسفَه ، وانظر فتح القدير للشوكاني ٤٣٦/٣ .

(٣) قال الحافظ ابن كثير : وهذا حال أهل الضلال والبدع ، المعرضين عن الحقّ ، المتبعين للباطل . يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحقّ المبين ، ويتبعون أقوال رجوس الضلالة ، الدعاة إلى البدع بالأهواء ، والآراء . اهـ تفسير ابن كثير ٣٨٩/٥ .

(٤) هذا الأثر ذكره ابن جرير الطبري ١١٦/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٤/٤ .

(٥) سورة النمل آية رقم ٤٤ .

قيل : مطوّل .

وقيل : ممّلس^(١) .

٦ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ .. ﴾ [آية ٤] .

قال مجاهد وقتادة : أنه من تولّى الشيطان أي تبعه^(٢) .
قال أبو جعفر : والمعنى : قُضِيَ على الشيطان أنه يُضِلُّ من اتّبعه .

٧ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ .. ﴾ [آية ٥] .

أي إن كنتم في شكٍّ من أنكم تبعثون ، فتدبروا في أول خلقكم
وابتدائكم فإنكم لاتجدون فرقاً بين الابتداء والإعادة .

٨ — ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ .. ﴾ [آية ٥] .
يعني آدم صلى الله عليه وسلم^(٣) . ﴿ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ .. ﴾ .

(١) في المخطوطة « مجلس » وهو تصحيف ، وصوابه « ممّلس » وانظر الصحاح ٥٣٨/٢ .
(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٦/١٧ والسيوطي في الدرر ٣٤٤/٤ .
(٣) قال الطبري : أي ابتدأنا خلق أيكم آدم عليه السلام من تراب ، ثم أنشأناكم من نطفة آدم . اهـ
جامع البيان ١١٦/١٧ .

قال الخليل : العَلَقُ : الدَّمُ قبل أن يَبَسَ ، الواحدة عَلَقَةٌ ،
وهكذا تُصِيرُ النُّطْفَةُ .

قال أبو عُيَيْدٍ : العَلَقُ من الدَّمِ : ما اشتَدَّتْ حمْرُهُ (١) .

٩ - ﴿ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾

وهي لحمة صغيرة بقدر ما يُمَضَّغُ . ﴿ مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرُ
مُخَلَّقَةٍ ﴾ .

رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : تَامَّةٌ ، وَغَيْرُ تَامَّةٍ (٢) .

قال الشعبيُّ : النُّطْفَةُ ، وَالْعَلَقَةُ ، وَالْمُضْغَةُ ، فَإِذَا نُكِّسَتْ فِي
الْحَلْقِ الرَّابِعِ كَانَتْ مُخَلَّقَةً ، وَإِذَا قَذَفَتْهَا قَبْلَ ذَلِكَ فَهِيَ غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ (٣) .
قال أبو العالية : غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ : السَّقَطُ .

قال أبو جعفر : ﴿ مُخَلَّقَةٌ ﴾ : مَصَوْرَةٌ ، وَبَيِّنَ ذَلِكَ هَذَا
الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ مَرْوِيُّ مِنْ طَرِيقِ شَتَّى .

فَمِنْ طَرَفِهِ مَا رَوَاهُ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ ،

(١) قال الأزهرى : العَلَقَةُ الدَّمُ الجامدُ الغليظُ ، ومنه قيل للدابة التي تكونُ في الماء : عَلَقَةٌ ، لأنها
حمراء كالدم ، وكلُّ دمٍ غليظٍ عَلَقٌ . تهذيب اللغة ٢٤٣/١ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١٧/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/٤ .

(٣) الأثر في الدر المنثور ٣٤٥/٤ ، وهذا القول منقول أيضاً عن مجاهد ، وانظر ابن كثير ٣٩٠/٥ .

قال : سمعتُ ابن مسعودٍ يقول : سمعتُ النبي ﷺ يقول — وهو الصَّادُقُ المصدوقُ — : « يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلاقَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ إِلَيْهِ مَلَكاً ، فيقولُ : اكتبْ عَمَلَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَاكْتُبْهُ شَقِيّاً ، أَوْ سَعِيداً .. »

قال عبد الله : والذي نفسي بيده ، إِنَّ الرجلَ ليعمَلُ بعملِ أهلِ السعادة ، فيعمَلُ بعملِ أهلِ الجنة ، حتى ما يكونُ بينه وبينها غيرُ ذراع ، ثُمَّ يدركُهُ الشقاء ، فيعملُ بعملِ أهلِ النار ، أَوْ الشقاء ، فيدخلُ النارَ ^(١) .

وَرَوَى عُبيدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ جَدُّهُ قَالَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قد وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكاً ، فيقولُ : أَيُّ رَبِّ أَنْطَفَأَ ؟ أَيُّ رَبِّ أَعْلَقَ ؟ أَيُّ رَبِّ أُمُضِغَ ؟ فإذا أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا ، قال يقولُ الْمَلَكُ : أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى ؟ »

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ١٦١/٤ ومسلم في كتاب القدر ٤٤/٨ رقم ٢٦٤٣ ولفظ البخاري « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نطفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ ، فينفِخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَ يَوْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بكتبَ رِزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٌّ ، أَمْ سَعِيدٌ .. » الحديث ، وأخرجه أبو داود رقم ٤٧٠٨ والترمذي رقم ٢١٣٨ باب الأعمال بالخواتيم .

أَشَقِيَّ أَمْ سَعِيدٌ ؟ فَمَا الْأَجَلُ ؟ فَمَا الرَّزْقُ ؟ فَيَكْتُبُ ذَلِكَ فِي بطن
أُمِّهِ ^(١) .

قال علقمة : إذا وقعت النُّطْفَةُ في الرَّحِمِ ، قال المَلَكُ :
مَخْلَقَةٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلَقَةٍ ، فَإِنْ قَالَ : غَيْرُ مَخْلَقَةٍ ، مَجَّتِ الرَّحِمُ دَمًا ، وَإِنْ
قَالَ مَخْلَقَةٍ ، قَالَ : أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى ؟ أَشَقِيَّ أَمْ سَعِيدٌ ؟ فيقول : اكتبها
من اللُّوحِ المحفوظِ ، فيجد صفتها ، فَيَسْتَنْسِخُهَا ، فلايزال العبدُ
يعمل عليه حتى يموت ^(٢) .

١٠ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ ﴾ [آية ٥] .

أي ذكرنا أحوال الخلق لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ .

ويجوز أن يكون المعنى : خلقنا هذا الخلق لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ .

١١ — ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ .. ﴾ [آية ٥] .

أي ونحن نُقَرِّ في الأرحام ما نشاء ^(٣) .

ثم قال : ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى .. ﴾ [آية ٥] .

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ١٦٢/٤ ومسلم في القدر ٤٥/٨ وأحمد في المسند ١٤٨/٣ وأخرجه الطبري ١١٧/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/٤ وابن كثير في تفسيره ٣٩١/٥ .

(٢) هذا الأثر ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان ١١٧/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/٤ والحافظ ابن كثير بنحوه ٣٩١/٥ والألوسي ١١٦/١٧ . وانظر الروايات الواردة في الصحيحين .

(٣) انظر معاني الزجاج ٤١٢/٣ وتوجيهه للآية ، فقد ذكر أنه لايجوز فيها إلا الرفع ، وعُلِّلَ ذلك .

وحكى أبو حاتم^(١) أن بعضهم قرأ : ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ
يَتَوَفَّى ﴾^(٢) .

ومعناه يستوفي أجله .

١٢ — وقوله جل وعز : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۖ ﴾ [آية ٥] .

قال القراء : لكيلا يعقل من بعد ما عقل شيئاً^(٣) .

١٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ۖ ﴾ [آية ٥] .

روى سعيد عن قتادة قال : أي غرباء مُتهشمَة^(٤) .

قال أبو جعفر : يقال : همدت النار إذا طفئت وذهب
لهبها ، وأرض هامدة : أي جافة عليها تراب^(٥)

١٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا أُنْزِلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۖ ﴾
[آية ٥] .

(١) أبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني ، أخذ عنه المبرّد ، وابن دُرَيْد ، وقد تقدمت ترجمته
٧٨/١ .

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٣٥٣/٦ والألوسي في روح المعاني ١١٩/١٧ فقال :
وقرىء ﴿ يَتَوَفَّى ﴾ على صيغة المعلوم ، وفاعله ضميرُ الله تعالى ، أي من يتوفاه الله تعالى ،
ويجوز أن يكون المعنى : ومنكم من يستوفي مدة عمره . اهـ وهذه ليست من القراءات السبع .

(٣) انظر معاني القرآن للقراء ٢١٦/٢ وعبارته فيه : لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً .

(٤) الأثر في الدر المنثور ٣٤٥/٤ وابن كثير ٣٩٣/٥ .

(٥) انظر الصحاح للجوهري ٥٥٦/٢ فقد جاء فيه : أرض هامدة : أي لا نبات بها .

أي تحركت ، و ﴿ رَبَّتْ ﴾ أي زادت^(١) .

وقرأ يزيد بن القَعْقَاع ، وخالد بن إلياس ﴿ وَرَبَّاتٌ ﴾^(٢) أي ارتفعت حتى صارت بمنزلة الرَبِيعَةِ^(٣) ، وهو الذي يحفظ القوم على شيء مُشْرِفٍ ، فهو رَأيٌ ، ورَبِيعَةٌ على المبالغة .

١٥ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَأَلْبَتٌ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ ﴾ [آية ٥] .
أي من كل صنفٍ من النبات .

وروى سعيد عن قتادة قال : ﴿ بَهِيجٌ ﴾ حسن^(٤) .
قال أبو جعفر : يقال بَهَجَ فهو بَهِيجٌ : إذا حَسُنَ ، وأبهجني : أعجبني لحسنه .

١٦ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ .. ﴾ [آية ٦] .
أي الأمرُ ذلك ، والأمرُ ما وُصِفَ لكم وبُيِّنَ^(٥) .

(١) قال الطبري ١١٩/١٧ المعنى : فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة ، التي لا نبات فيها المطر

من السماء ﴿ اهتَزَّتْ ﴾ أي تحركت بالنبات ، وأضعفت بمجيء الغيث .

(٢) هذه القراءة ذكرها ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٢٥/٢ والفراء في معاني القرآن

٢١٦/٢ وقد عدّها ابن جني في المحتسب ٧٤/٢ من القراءات الشاذة ، وهي ليست شاذة .

(٣) قال في لسان العرب : الربيعَةُ : هو العينُ والطلِيعَةُ الذي ينظر للقوم ، لئلا يذْهَبَهم عدُوٌّ ، ولا

يكونُ إلا على جَبَلٍ ، أو شَرَفٍ يُنْظَرُ منه . اهـ اللسان مادة ربا .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٠/١٧ وابن كثير ٣٩٣/٥ والدر المنثور ٣٤٦/٤ .

(٥) « ذلك » إشارة إلى خلق الإنسان على أطوار مختلفة ، قال الطبري ١٢٠/١٧ « أي هذا الذي =

ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَأَنَّهُ يُخَيِّي الْمَوْتَى ﴾ أي كما أحيَا
الأرض بقدرته .

١٧ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ ثَانِي عِطْفِهِ ﴾ [آية ٩] .

قال مجاهد : أي رقبته (١) .

وقال قتادة : أي عنقه (٢) .

قال أبو العباس (٣) : العِطْفُ : ما انثنى من العُنُقِ ، ويُقال
للأردية : العِطْفُ لأنها تقع على ذلك الموقع .

وقال غيره : يُوصَفُ بهذا المتكبرُّ المُعْرِضُ تحجيراً (٤) .

١٨ — قوله جل وعزَّ ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آية ١٠] .

= ذكرَّه لكم أيها الناس ، من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم ، ووصفنا أحوالكم طفلاً ،
وشيحاً وهرماً ، لتؤمنوا وتصدِّقوا بأن الذي فعل ذلك ، هو الله الحقُّ ، الذي لاشك فيه ، لا ما
تعبدون من الأوثان والأصنام » اهـ .

(١)(٢) انظر الآثار في الطبري ١٢١/١٧ والبحر ٣٥٤/٦ والدر المنثور ٣٤٦/٤ .

(٣) هو الإمام المبرِّد ، وهو أحد أعلام اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٤) قال ابن عباس : ﴿ ثَانِي عِطْفِهِ ﴾ أي مستكبراً في نفسه ، معرضاً عن قبول الحق . اهـ —
الطبري ١٢١/١٧ .

والمعنى : يُقال له : هذا العذاب بما قَدِّمْتَ يدَاكَ ، وبأنَّ اللَّهَ
ليس بظَلَامٍ للعبيد .

١٩ — ثم قال جَلَّ وعَزَّ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ ﴾
[آية ١١] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : على شكٍّ (١) .

قال أبو جعفر : وحقيقته في اللغة : على حَرْفٍ طريقة
الدِّين ، أي ليس داخلاً فيه بكليته (٢) .

وبَيَّنَّ هذا بقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ ﴾ .

قال : استقرَّ ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ ﴾ قال : عذابٌ أو مصيبةٌ
﴿ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ قال : ارتدَّ كافراً .

٢٠ — ثم قال جَلَّ وعَزَّ ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۖ ﴾ [آية ١١] .

وقرأ مجاهدٌ وحُميدٌ : ﴿ خَاسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ (٣) .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢٢/١٧ .

(٢) قال ابن عطية : ﴿ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ : على انحرافٍ منه عن العقيدة البيضاء ، أو على شفا
منها — أي طرفٍ منها — معدٌّ للزحوق . وقال الزخشي ﴿ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ على طرفٍ من
الدِّين ، لا في وسطه ولا في قلبه ، وهذا مثلٌ لكونهم على قَلْبِي ، واضطرابٍ في دينهم ، لا على
سكونٍ وطمأنينة . الكشف ٥١/٢ الطبعة البولاقية .

(٣) هذه قراءة حُميد ، ومجاهد ، وابن مُحَيِّصٍ ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٢٦/٢ والمحْتَسَب
لابن جَنِّي ٧٥/٢ ومعاني القرآن للفراء ٢١٧/٢ .

٢١ — وقوله جل وعز : ﴿ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ﴾

[آية ١٢] .

ثم قال بعد ﴿ يَدْعُو لِمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبِئْسَ الْمَوْلَى ﴾ .

فيقال : كيف يكون له ضرر وقد قال : « مَا لَا يَضُرُّهُ » ؟

فالجواب أن المعنى : يدعو لمن ضر عبادته .

فإن قيل : كيف قال ﴿ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ ولا نفع له ^(١) ؟

فالجواب : أن العرب تقول لما لا يكون البتة : هذا بعيد ، مثل قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ ^(٢) .

وفي الآية أجوبة من أجل اللام ^(٣) :

فأكثر النحويين يذهب إلى أنها في غير موضعها ^(٤) ، وأن المعنى : يدعو من لضره أقرب من نفعه .

وقال أبو العباس : في الكلام حذف أي يدعو لمن ضره أقرب من نفعه إلهاً .

(١) هذا وارد على سبيل الفرض والتسليم أي لو سلمنا أنها ضارة نافعة لكان ضررها أكثر من نفعها .

(٢) سورة ق آية رقم ٣ ومرادهم أن ذلك أمر مستحيل لا يمكن حدوثه .

(٣) في قوله ﴿ لِمَنْ ضُرُّهُ ﴾ وهي لام الابتداء .

(٤) هذا قول الفراء قال في البحر : وهذا بعيد لأن ما كان في صلة الموصول ، لا يتقدم على الموصول . البحر ٣٥٧/٦ .

وقيل : ﴿ يدعو ﴾ ههنا بمعنى « يقول » كما قال عنتره .
يَدْعُونَ عَنَّتَرَ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا
أَشْطَانُ يَفِرُّ فِي لَبَانِ الْأَذْهَمِ (١)

وقال أبو إسحق (٢) : يجوز أن يكون « يدعو » في موضع
الحال ، وفيه هاءٌ محذوفة ، ويكون خبر « مَنْ » ﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَى
وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ (٣) .

قال الفراء : يجوز أن يكون « يدعو » خبر « مَنْ » ويكون
﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ مكررة على ما قبلها (٤) .

ولأبي إسحق قول آخر — وزعم أن النحويين أجازوه —
قال : يكون ﴿ ذَلِكَ ﴾ بمعنى « الذي » أي الذي هو الضلال البعيد
﴿ يَدْعُو لِمَنْ ضَرُّهُ ﴾ كما قال تعالى ﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ
يَا مُوسَى ﴾ (٥) ؟

(١) ديوان عنتره ص ٢١٦ والمحتسب لابن جني ١٠٩/١ ذكر بضم الراء « عنتر » وفتحها وجهان .

(٢) هو الإمام الزجاج وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٣) انظر معاني الزجاج ٤١٥/٣ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢١٧/٢ فقد جاء فيه : وقد يكون قوله ﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو ﴾

فتجعل « يَدْعُو » من صلة « الضَّلَالُ الْبَعِيدُ » وتُضمَرُ في يدعو الهاء ، ثم تستأنف الكلام
باللام ، فتقول ﴿ لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى ﴾ وهو وجه قوي في العربية . اهـ .

(٥) سورة طه آية ١٧ .

وأنشد :

عَدَسٌ مَالِ عِبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ

أَمِنْتَ وَهَذَا — تَحْمِلِينَ — طَلِيقٌ^(١)

وحكى الفراء : أنه يجوز في هذا شيء لم يتقدم به أثر ، وهو « يَدْعُو لِمَنْ ضُرُّهُ » بكسر اللام ، بمعنى يدعو إلى مَنْ ضُرُّهُ ، كما قال سبحانه ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ أي إلى هذا^(٢) .

قال أبو جعفر : والآية مشكلة لدخول اللام ، وإنَّ الحَذَاقَ من النحويين ، يمنعون أن يُنَوَّى بها تقديم أو تأخير ، لأنها لا تُصَرَفُ ، وأن يكون ﴿ يَدْعُو ﴾ بمعنى « يقول » حسن ، والخبر محذوف أي يقول لِمَنْ ضُرُّهُ أقرب من نفعه له^(٣) .

٢٢ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَبَسَ الْمَوْلَى ﴾ [آية ١٣] .

أي الولي ، كما قال الشاعر :

فَعَدْتُ كِلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّه

مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامُهَا^(٤) .

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري ، وانظر الشعر والشعراء (٣٢٤) واحتسب ٩٤/٢ وخزانة الأدب

٥١٤/٢ ومعاني القرآن للزجاج ٤١٧/٣ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢١٨/٢ .

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣٩٢/٢ .

(٤) جمهرة أشعار العرب ص (٧٠) وتهذيب اللغة ٣٥٩/١٠ قال الأزهرى : يعني البقرة الوحشية =

﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ أي صاحبُ والحليل .

قال مجاهد : يعني الوثن (١) .

٢٣ — وقوله جل وعز : ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّيَا
وَالْآخِرَةِ﴾ [آية ١٥] .

قال أبو جعفر : هذه الآية مشككة وفيها قولان :

أ — روى سفيان عن أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس قال :
﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿فَلْيَمْدُدْ
بِسَبَبٍ﴾ أي بجبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي سقف بيته ﴿ثُمَّ
لَيَقْطَعُ﴾ أي ليختنق (٢) .

قال أبو جعفر : وهذا قول أكثر أهل التفسير ، منهم
الضحَّاك .

ومعناه : من كان يظنُّ أن لن ينصرَ اللهُ محمداً عليه السلام

= تظنُّ كلا فرجيهما ولئي مخافتها ، ثم ترجم لكلا الفرجين بأنه خلّفها وأمامها .
وفي المخطوطة «فَعَدْتُ» بالعين ، وصوابه «فَعَدْتُ» بالعين كما في تهذيب اللغة للأزهري .
(١) الأثر في جامع البيان ١٢٥/١٧ والدر المنثور ٣٤٧/٤ والبحر المحيط .

(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ١٢٦/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٤ وقال : أخرجه ابنُ
أبي حاتم ، والحاكم ، وصحّحه ، والمراد من الآية الكريمة : أن المكذّب لدعوة الرسول ، إذا كان
يتضابق من رسالته عليه السلام ، فليختنق ويقطع عنقه ، حتى يرى هل يذهب ما في صدره
من الغيظ والحقد على الإسلام والرسول ؟ وهذا أبلغ أسلوب في التهكم كما قال ابن كثير .

وَيُظْهِرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، فَلْيَجْهَدْ جَهْدَهُ ، فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ شَيْئاً ؟ .

ب — والقول الآخر ، أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ عَمْرِو قَالَ : سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ : فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ أَنَّ لَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ أَيِ إِلَى سَمَاءِ بَيْتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ ، أَوْ يَأْتِيهِ بَرْزُقٌ ^(١) ؟

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ قَالَ : أَيُّ أَنَّ لَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ ^(٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذَا الْقَوْلُ أَيْضاً مَعْرُوفٌ فِي اللُّغَةِ ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ ^(٣) .

وَحَكَّى أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّهُ يُقَالُ : أَرْضٌ مَنْصُورَةٌ أَيِ مَمْطُورَةٌ .

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : « مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ

(١) هذا القول ذكره الطبري ١٢٧/١٧ ، وابن كثير ٣٩٧/٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٤ وهو قول مرجوح .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى ، وأبلغ في التهكم ، فإن المعنى : مَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِنَاصِرٍ مُحَمَّدًا وَكِتَابَهُ وَدِينَهُ ، فَلْيَذْهَبْ فَلْيَقْتُلْ نَفْسَهُ ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ غَائِظَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ لَا حِمَالَةَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ابن كثير ٣٩٧/٥ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٦/٢ .

محمدًا » أي يرزقه في الدنيا (١) .

وقال غيره : الأولى أن تكون الهاء تعود على النبي ﷺ ، لأن الله جلَّ وعزَّ ، ذكر قومًا يعبدونه على حَرْفٍ ، ثم أَتْبَعَ ذلك هذه الآية ، في قوم يظنون أن الله لا يوسع على محمد وأُمَّتِهِ ، ولا يرزقهم في الآخرة من سِنِيِّ عطاياه ، فليمدد بحبل إلى سماءٍ فوقه ، إِمَّا سَقَفَ بيته أو غيره ، إذا اغتاض لاستعجال ذلك (٢) .

٢٤ — قال أبو جعفر : وقد ذكرنا القول في قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا .. ﴾ في سورة البقرة (٣) .

٢٥ — وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [آية ١٧] .

قيل : السُّجُودُ ههنا الطاعة والانقياد .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ .. ﴾ وكثيرٌ أُنْبَى .

٢٦ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ .. ﴾ [آية ١٨] .

(١) الأثر في الطبري ١٢٧/١٧ والدر المنثور ٣٤٧/٤ .

(٢) هذا ما رجحه ابن جرير في جامع البيان ١٢٨/١٧ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ٦٢ ولم نجد تفسيرها لوجود سقطٍ في المخطوطة في بعض آياتٍ من السورة .

قال الفراء : وقد يُقرأ « فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ » أي إكرام^(١) .

٢٧ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ .
[آية ١٩] .

قد ذكرنا فيمن نزلت هذه القصَّة في أول هذه السورة .

٢٨ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ .
[آية ١٩] .

قيل : هذا لأحد الخصمَيْن^(٢) ، وهي الفرقة الكافرة .

٢٩ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ﴾ [آية ٢٠] .
قال مجاهد : أي يُذاب .

قال أبو جعفر : وحكى أهل اللغة : صَهَرْتُ الشَّحْمَ : أي
أَذَبْتُهُ ، والصُّهْرَةُ : ما أُذِيبَ مِنَ الْآلِيَةِ^(٣) .

-
- (١) انظر معاني الفراء ٣١٩/٢ وهي قراءة ابن أبي عتبة كما في الألوسي ١٣٣/١٧ والبحر المحيط ٣٥٩/٦ وقد حكاه ابن جرير الطبري فقال : « وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ ﴿ مِنْ مُكْرَمٍ ﴾ بمعنى فما له من إكرام ، وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من القراءة على خلافه » اهـ الطبري ١٣١/١٧ قال الفراء في معاني القرآن : والمعنى ومن يُشَقِّقُهُ اللَّهُ فما له من مُسْعَد ، وقد تقرأ ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ ﴾ يريد من إكرام . اهـ معاني القرآن للفراء ٢١٩/٢ .
- (٢) الخصمان هما : فريق أهل الإيمان ، وفريق عبدة الأوثان ، وقد ذكر الشيخ أنها نزلت في ثلاثة مؤمنين ، وثلاثة كافرين في أول السورة الكريمة .
- (٣) في اللسان : الصُّهْرُ : إذابة الشحم ونحوه ، وفي التنزيل ﴿ يُصْهَرُ بِهِ ﴾ أي يُذاب ، واصطهره : أذابه .

٣٠ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .. ﴾

[آية ٢٥] .

خبرُ « إِنَّ » محذوف .

والمعنى : إن الذين كفروا هلكوا ، كما قال :

﴿ إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًّا ﴾^(١)

٣١ — ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً

الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ .. ﴾ [آية ٢٥] .

وحكى أبو حاتم أن بعضهم قرأ ﴿ سَوَاءً ﴾ بالنصب^(٢) ،

« الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي » بالخفض ..

والمعنى : الذي جعلناه للناس ، العاكف والبادي^(٣) .

(١) هذا شطر بيت للأعشى وهو في ديوانه ص ٢٣٣ من قصيدة يمدح فيها « سلامة ذي فائش » ومطلع القصيدة هذا الشطر :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًّا وَإِنْ فِي السَّفَرِ مَا مَضَى مَهَلًّا

يريد : إن لنا في هذه الدنيا مقاماً ، وإن لنا عنها لمرتحلاً ، وإن الناس فيها لمسافرون يُمهلون إلى حين ، والشاهد فيه حذف خبر « إِنَّ » أي إن لنا محلاً في الدنيا ومرتحلاً .

(٢) قراءة النصب هي قراءة حفص ، والأعمش ، وقرأ الجمهور بالرفع ﴿ سَوَاءً ﴾ قال الفراء :

نصبها الأعمش ، ورفعها سائر القراء ، وانظر النشر في القراءات العشر للجزري ٣٢٦/٢ والبحر المحيط ٣٢٦/٦ ومعاني القرآن للفراء ٢٢٢/٢ وعلى قراءة النصب يكون المعنى : الذي جعلناه للناس قبلة ومتعبداً كذا قدره ابن عطية .

(٣) قال القرطبي : العاكف : المقيم الملازم . والبادي : أهل البادية ومن يقدم عليهم ، يقول : سواء =

قال مجاهد : العَاكِفُ : النَّازِلُ ، والبادي : الجَائِي (١) .

وقال الحسنُ وعطاءُ : العَاكِفُ : من كان من أهل مكة ،
والبادي : من كان من غير أهلها (٢) .

قال مجاهد : أي هما في تعظُمهما وحُرْمتهما سَوَاءٌ (٣) .

وقال عطاء : أي ليس أحدٌ أحقُّ به من أحد .

وتأول عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الآية ، على أنه لا يكرى بيوتُ
مكة (٤) .

وروي عن عمر بن الخطاب : أنه كان يَنْهِي أن تُغْلَقَ دُورُ
مكة في زمن الحجِّ ، وأن النَّاسَ كانوا يَنْزِلُونَ منها حيثُ وجدوه
فارغاً (٥) .

= في تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه ، الحاضر ، والذي يأتيه من البلاد . تفسير القرطبي
٣٢/١٢

(٣-١) انظر الآثار في الطبري ١٣٨/١٧ وابن كثير ٤٠٥/٥ والدر المنثور ٣٥١/٤ .
(٤) أخذ هذا من قوله تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ﴾ على أن المراد « بالمسجد الحرام » مكة
كلُّها شَرَفُهَا الله ، وبهذا قال مالكٌ أنها لا تُبَاعُ ، ولا تُكْرَى ، وكره أبو حنيفة إجارتها في أيام
الموسم ، والجمهور على الجواز .

(٥) هذا مشهورٌ عن عمر رضي الله عنه ، فقد روي عنه أنه كان يقول : يا أهل مكة لا تَتَّخِذُوا للدورِكم
أبواباً ، لينزل البادي حيثُ شاء « ذكره الحافظ ابن كثير ٤٠٦/٥ وذكر الألبوسي ١٣٨/١٧ أن
دور مكة كانت بغير أبواب ، حتى كثرت السرقة ، فاتخذ رجلٌ باباً فأنكر عليه عمر ، وقال :
أَتَغْلِقُ باباً في وجهِ حاجٍ بيتَ اللهِ ؟ فقال : إنما أردتُ حفظَ متاعهم من السرقة ، فتركه عمر .
وذهب الشافعي إلى جواز بيع بيوت مكة وإجارتها ، وقد جرت بينه وبين إسحق بن راهوية =

وظاهرُ القرآن يدلُّ على أنَّ المراد « المسجد » كما قال جلُّ وعزَّ : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(١) لأنهم كانوا يمنعون منه ، ويدَّعون أنهم أربابه ، وإنما ذكرَ المسجد ولم يذكر دور النَّاسِ ومنازلهم .

وقيل : هما في إقامة المناسك سواء .

وقيل : ليس لأحدهما فضلٌ على صاحبه .

٣٢ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدَقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [آية ٢٥] .

رَوَى مُرَّةٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا مَمَّ بِخَطِيئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ .. وَلَوْ هُمْ بِقَتْلِ رَجُلٍ بِمَكَّةَ وَهُوَ بـ « عَدَنَ أُبَيْنَ »^(٢) لَعَذَّبَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ

= مناظرة — وكان إسحق لا يَرخصُ في كراء دور مكة ، لقوله تعالى ﴿ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ — فاحتج عليه الشافعي بقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ فقد أضاف الدور إلى أصحابها ومالكها ، وبقوله ﷺ « وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ » وبأنه قد اشترى عمر من صفوان بن أمية داراً بأربعة آلاف درهم وجعلها سجنًا ، فهل اشتراها من مالِكها أو غير مالِكها ؟ فترك إسحق قوله للزوم الحجة .

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٥ .

(٢) « عَدَنُ أُبَيْنَ » يريد عَدَنَ الساحلية البعيدة قال في معجم البلدان : وهي مدينة مشهورة ، على ساحل بحر الهند من جهة اليمن ، وهي غير « عدن لأَعَة » التي يقرب صنعاء . انظر معجم البلدان ٨٩/٤ .

لَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١﴾ .

وَرَوَى هُشَيْمٌ عَنْ الْحَجَّاجِ عَنْ عَطَاءٍ ﴿٢﴾ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ
بِإِلْحَادٍ ﴿٣﴾ قَالَ : مَنْ عَبْدَ غَيْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ (١) .

وقال مجاهد : من عمل بسيئة (٢) .

وقال حبيب بن أبي ثابت : هم المحتكروا الطعام بمكة (٣) .

وأبين ما قيل فيه : أن معنى ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ لكل معصية ،
لأن الآية عامة .

قال أبو جعفر : أصل الإلحاد في اللغة : الميل عن القصد ،
ومنه سُمِّيَ اللَّحْدُ ، ولو كان مستويًا ل قيل : ضريح . ومنه قوله سبحانه
﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ (٤) يقال : لَحَدَ ، وَلَحْدَ ،
بمعنى واحد ، هذا قول أهل اللغة (٥) ، إلا الأحمر فإنه حكى أنه يُقال :
الْحَدَّ إذا جادل ، وَلَحَدَ إذا عَدَلَ وَمَالَ (٦) .

(١-٤) انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ١٤١/١٧ والبحر المحيط ٣٦٣/٦ وابن الجوزي
٤٢٢/٥ والدر المنثور ٣٥١/٤ وابن كثير ٤٠٨/٥ .

(٥) سورة الأعراف آية رقم ١٨٠ .

(٦) قال الأزهري : لَحَدْتُ وَلَحْدْتُ لَهُ قَالَ تَعَالَى ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي ﴾ والمَّلْحَدُ :
العادل عن الحق ، يقال : اللّحد في الدين ، ولحد ﴿ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ﴾ أي يميلون . تهذيب اللغة
٤٢١/٤ وقال في كتاب الأفعال : لحد إلى الشيء ، وألحد ، ولحد في الدين ، وألحد : مال في
كل ذلك . اهـ السرقسطي ٤١١/٢ .

(٧) انظر الصحاح للجوهري ٥٣٤/٢ .

قال سعيد بن مسعدة^(١) : الباء زائدة ، والمعنى : ومن يُرد فيه إلحاداً بظلم .

وهذا عند أبي العباس خطأ ، لأنه لا يزداد شيء لغير معنى .
والقول عنده أن يريد ما يدل على الإرادة ،

فالمعنى : وَمَنْ إِرَادَتُهُ بَأَن يُلْحَدَ بِظُلْمٍ ، كما قال الشاعر :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا

تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ^(٢)

وحكى الفراء : عن بعض القراء ﴿ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾^(٣) من الورد .

وهذا بعيد ، لأنه إنما يقال وَرَدَّتْهُ ، ولا يكاد يُقال : وردت فيه .

٣٣ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ .. ﴾ [آية ٢٦] .

(١) « سعيد بن مسعدة » الجاشعي البلخي ، المشهور بالأخفش الأوسط ، نحوي لغوي ، أخذ عن سيبويه والخليل ، وانظر ترجمته في سير النبلاء ١٨٨/٧ ومعجم المؤلفين ٢٣١/٤ .

(٢) البيت لكثير عزة ، وانظر الأغاني ٧٥/٧ والأمثالي ٦٥/٢ والمختضب ٣٢/٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٢٣/٢ وقد ذكر هذه القراءة الطبري في تفسيره ١٤٢/١٧ وصاحب البحر ٣٦٣/٦ قال الطبري : وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ﴿ وَمَنْ يَرِدْ ﴾ بفتح الياء من وردت المكان ، أُرِدُّهُ ، ولا تجوز بها القراءة عندي لخلافها ما عليه الحجة .

يُقال : لَمْ جِئْ ههنا بِاللَّامِ ، وقد قال في موضع آخر
﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبْأً صَدَقَ ﴾ (١) ؟

فالفارق بينهما أن أهل التفسير قالوا : المعنى : جعلنا لإبراهيم (٢)
مكان البيت مَبْأً ، أي منزلاً .

قال أبو جعفر : وَيُبين لك معناه حديثٌ حدثناه أبو عُبيد
القاضي عن الزعفراني قال : حدثنا سعيد بن منصور ، قال : حدثنا
سفيان عن بشر بن عاصم ، عن سعيد بن المسيب قال : سمعتُ
كعب الأحبار يقول : « كان البيتُ عُثَاءً » (٣) على الماء ، قبل أن يخلق
الله الأرض بأربعين سنة ، ومنه دُحِيتُ الأرض (٤) .

قال سعيد : حدثنا علي بن أبي طالب ، أن إبراهيم — نبيَّ
الله ﷺ — أقبل من « أرمينية » ومعه السَّكِينَةُ ، تدلُّه على البيت ،
حتى تبوَّأ البيتَ تبوَّأً ، كما تبوَّأ العنكبوتُ بيتاً ، فكان يحمل الحجر
من الحجارة — الحجرُ يطيقُه أو لا يطيقُه ثلاثون رجلاً — قال : فقلت
لسعيد : يا أبا محمد إنَّ الله جلَّ وعز يقول ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ

(١) سورة يونس آية رقم ٩٣ .

(٢) ضَمَّن « بَوَّأْنَا » معنى جعلنا ، قال القرطبي : بَوَّأْنَا نَازِلَةً منزلة فعل يتعدى باللام كَنَحَوْ جعلنا

أي جعلنا لإبراهيم مكان البيت مَبْأً . القرطبي ٣٦/١٢ .

(٣) عُثَاءٌ : العُثَاءُ ما يطفو على وجه الماء ، قال الأزهرى : العُثَاءُ بالمدِّ والضمُّ : ما يجيء فوق

السيول . اهـ والمعنى : كان البيت طافياً فوق وجه الماء .

(٤) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٥٤٨/١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٥٣/٤ بنحوه .

القَوَاعِدُ مِنَ الْيَتِّ وَإِسْمَاعِيلُ ﴿^(١)﴾ قَالَ : إِنَّمَا كَانَ هَذَا بَعْدَ ذَلِكَ .

٣٤ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَطَهَّرَ يَتِّي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ .. ﴾

[آية ٢٦] .

رَوَى هُشَيْمٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : ﴿ الْقَائِمُونَ ﴾ : الْمَصْلُونَ .

قَالَ قَتَادَةُ : ﴿ وَالرُّكْعَ السُّجُودَ ﴾ : أَهْلُ الصَّلَاةِ ^(٢) .

٣٥ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [آية ٢٨] .

وَقَرَأَ الْحَسَنُ : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ مَخْفَفَةً مَمْدُودَةً ^(٣) .

يُقَالُ : أَذَّنْتُهُ بِالصَّلَاةِ ، وَبِكَذَا : أَيَّ أَعْلَمْتُهُ ، وَأَذَّنْتُ عَلَى

التَّكْثِيرِ .

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي إِسْحَقَ ﴿ بِالْحَجِّ ﴾ بِكَسْرِ الْحَاءِ فِي جَمِيعِ

الْقُرْآنِ .

قَالَ مُجَاهِدٌ : فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَقُولُ ؟ قَالَ :

قُلْ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَجِيبُوا رَّبَّكُمْ ، فَوَقَرْتُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، فَأَجَابُوا

(١) سورة البقرة آية ١٢٧ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤٣/١٧ وابن الجوزي ٤٢٣/٥ والسيوطي في الدر ٣٥٤/٤ .

(٣) هذه قراءة الحسن ، وابن مُحَيْصِنٍ ، وَتَصَحَّفَ هَذَا عَلَى « ابْنِ جَنِّي » فَإِنَّهُ حَكَى عَنْهُمَا

« وَأَذِّنْ » بِالتَّخْفِيفِ وَجَعَلَهَا مَعْطُوفاً عَلَى « بَوَانَا » وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَانْظُرِ الْمُحْتَسَبَ ٧٨/٢

وَالْقُرْطُبِيَّ ٣٧/١٢ وَالْبَحْرَ الْمَحِيطَ ٣٦٤/٦ وَعَدَّ ابْنُ جَنِّي هَذِهِ الْقِرَاءَةَ ﴿ أَذِّنْ ﴾ مِنْ الشَّوَاذِ .

بـ « لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ » أي فأجاب من يحجُّ (١) .

٣٦ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ يَأْتُوكَ رُجَالًا ﴾ [آية ٢٨] .

قال ابن عباس : أي رَجَالَةً (٢) .

وقرأ مجاهد : ﴿ يَأْتُوكَ رُجَالًا ﴾ (٣) .

ورُوي عن عكرمة : يَأْتُوكَ رُجَالًا (٤) .

قال أبو جعفر : يُقال في جمع راجل خمسة أوجه : رَاجِل ، ورُجَال ، مثل راكب ورُكَّاب ، وهذا الذي رُوي عن عكرمة ، ورَاجِل ، ورِجَال مثل : قائم ، وقيام .

ويقال : راجِلٌ ، ورَجَلَةٌ ، ورَجْلٌ ، ورَجَالَةٌ ، فهذه خمسة .
والذي رُوي عن مجاهد غير معروف ، والأشبهُ به أن يكون غير منون (٥) ، مثل كُسَالَى وسُكَارَى ، ولو نُونَ لكان على « فُعَال » وفُعَال في الجمع قليل .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري عن سعيد بن جبير قال : « لَمَّا فرغ إبراهيم من بناء البيت ، أوحى الله إليه أن أذن في النَّاسِ بالحج ، فخرج فنَادَى في النَّاسِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن رِبْكُمْ قَدْ اتَّخَذَ بَيْتًا فَحُجُّوهُ ، فلم يسمعه يومئذٍ من إنس ولا جن ، ولا شجر ، ولا أكمة ، ولا جبل ، ولا شيء ، إلا قال « لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ » الطبري ١٤٤/١٧ .

(٢) أي مشاة على أرجلهم .

(٣) و (٤) القراءتان « رُجَالًا » و « رُجَالًا » من القراءات الشاذة ، وانظر المختص ٧٩/٢ .

(٥) أي رُجَالِي غير منون كسُكَارَى ، وهذه قراءة مجاهد وهي شاذة كما في المختص ٧٩/٢ وانظر القرطبي ٣٩/١٢ .

٣٧ — ثم قال جل وعزَّ ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾

[آية ٢٧] .

وقرأ أصحاب عبدالله ﴿يَأْتُونَ^(١) مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

قال عطاء ومجاهد والضحاك : من كل طريق بعيد^(٢) .

قال أبو جعفر : العُمُقُ في اللغة : البُعْدُ ، ومنه بئرٌ عميقةٌ أي

بعيدة القعر ، ومنه :

« وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ حَاوِي الْمُخْتَرَقِ »^(٣)

٣٨ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ...﴾ [آية ٢٨] .

رَوَى عاصمٌ عن أبي رَزَيْنٍ عن ابن عباس قال : الْأَسْوَاقُ^(٤) .

وَرَوَى سَفِيَّانٌ عن جَابِرٍ عن أبي جعفر ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ

لَهُمْ﴾ قال : الْمَغْفِرَةُ^(٥) .

وقال عطاء : ما يَرْضَى اللَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٦) .

(١) في المخطوطة « يَأْتِينَ » وصوابه « يَأْتُونَ » لأنها قراءة ابن مسعود كما في القرطبي ٣٩/١٢ وإعراب القرآن للنحاس ٣٩٩/٢ وهي قراءة ابن أبي عبله والضحاك وهي من الشواذ ، والضمير على قراءة « يَأْتُونَ » للناس ، وأما على القراءة المشهورة ﴿يَأْتِينَ﴾ فيكون الضمير للإبل ، وردَّ الضمير عليها تكرمة لها ، كما قال في خيل المجاهدين ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ .

(٢) الأثر في الطبري ١٤٦/١٧ والدر المنثور ٣٥٥/٤ وتفسير ابن الجوزي ٤٢٤/٥ .

(٣) انظر شواهد ابن عقيل ٢٠/١ والشاهد فيه « أعماق » جمع عُمُق ، وهو ما بُعِدَ من أطراف الصحراء .

(٤—٦) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٤٧/١٧ وتفسير ابن كثير ٤١٠/٥ وتفسير ابن الجوزي

٤٢٤/٥ والدر المنثور ٣٥٦/٤ .

قال أبو جعفر : قولُ جابر في هذا أحسنُ ، أي وأذن في النَّاس بالحج ، ليأتوا لعملِ الحجِّ الذي دُعُوا له ، وهو سببٌ للمغفرة . وليس يأتون من كل فجٍّ عميق ، ولا وأذن فيهم ليتَّجروا ، هذا بعيدٌ جداً^(١) .

٣٩ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ .. ﴾ [آية ٢٨] .

في الأيام المعلومات اختلافٌ ، ولا نعلم في المعدودات اختلافاً .

رَوَى ابْنُ أَبِي لَيْلَى عن المنهال بن عمرو ، عن زُرِّ بن حُبَيْش ، عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قال : الأَيَّامُ المعلوماتُ : يومُ النحر ، ويومان بعده ، إذْبَحَ فِي أَيَّهَا شِئْتَ ، وَأَفْضَلُهَا أَوَّلُهَا^(٢) .

وهذا المعروف من قول ابن عمر ، وهو قول أهل المدينة^(٣) .
وَرَوَى هُشَيْمٌ عَنْ أَبِي بَشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

-
- (١) لام التعليل ﴿ لِيَشْهَدُوا ﴾ متعلقة بقوله ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ ﴾ لا بقوله ﴿ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ والعلة هي شهود منافع الحج ، لا التجارة ، هذا مراد الشيخ رحمه الله .
(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٦/٤ .
(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ البقرة آية ٢٠٣ فهي يوم النحر ويومان بعده .

« الأيام المعلومات » : العشر يوم النحر منها^(١) .

و « الأيام المعدودات » أيام التشريق^(٢) إلى آخر النحر .

وقال بهذا القول عطاء ، ومجاهد ، وإبراهيم ، والضحاك ،
وهو قول أهل الكوفة .

٤٠ — وقوله جل وعز : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾
[آية ٢٨] .

قال عطاء ومجاهد : إن شئت فكل ، وإن شئت فلا تأكل^(٣) .

قال أبو جعفر : وهذا عند أهل اللغة على الإباحة ، كما قال
سبحانه ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾^(٤) .

فإن قيل : الإباحة لا تكون إلا بعد حظر ، فكيف يكون
ههنا إباحة ، وليس في الكلام حظر ؟

فالجواب أنهم كانوا في الجاهلية ، يحظرون أكل لحوم الضحايا ،

(١) هي العشر من ذي الحجة ، من أولها إلى يوم النحر ، وهي الأيام المباركة التي أقسم الله تعالى بها
في قوله سبحانه ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرَ ﴾ .

(٢) أيام التشريق هي الثاني والثالث والرابع من أيام الأضحية المبارك ، سميت « أيام التشريق » لأنهم
يجففون لحوم الأضاحي في هذه الأيام .

(٣) الأثر في الطبري ١٤٨/١٧ وابن كثير ٤١٢/٥ والدر المنثور ٣٥٦/٤ .

(٤) سورة المائدة آية رقم ٢ .

فَاعْلَمَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّ ذَلِكَ مَبَاحٌ لَهُمْ^(١) .

قال مجاهد : ﴿ الْبَائِسُ ﴾ الذي إذا سَأَلَكَ مَدَّ يَدَهُ^(٢) .

قال أبو جعفر : البائِسُ في اللغة : الذي به البؤسُ وهو شدة الفقر .

٤١ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ [آية ٢٩] .

حدثنا أحمد بن محمد بن منصور الخنَّاس ، قال : حدثنا الحكم بن موسى ، قال : حدثنا عيسى بن يونس ، قال : حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : التَّفْتُ : الحلقُ ، والتقصيرُ ، والرميُ ، والذبحُ ، والأخذُ من الشاربِ ، واللحية ، ونتفُ الإبط ، وقصُ الأظفار^(٣) .

وكذلك هو عند جميع أهل التفسير ، أي الخروج من الإحرام إلى الحلِّ ، لا يعرفه أهل اللغة إلَّا من التفسير .

٤٢ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال مجاهد : الحجُّ ، والهَدْيُ ، وكلُّ ما يلزمُ الإنسانَ من أمر الحجِّ^(٤) .

(١) هذا على الإباحة كما قال النحاس ، فالصيد حرام على المحرم ، فإذا تحلَّل من إحرامه حلَّ له الصيدُ ، وليس الأمر هنا للوجوب كما ثبَّه عليه المصنف .

(٢) و(٣) انظر الأثرين في الطبري ١٤٩/١٧ والدر المنثور ٣٥٧/٤ .

(٤) إنما سميت أفعال الحج نذراً ، لأن النذر هو ما أوجبه الإنسان على نفسه من الطاعات ، فحين =

قال أبو جعفر : الذي قاله مجاهدٌ معروفٌ ، يُقال لكل ما وجب على الإنسان : نذرٌ .

فالمعنى : وليوفوا ما وجب عليهم من أمر الحج .

٤٣ — ثم قال سبحانه ﴿ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [آية ٢٩] .

قال مجاهدٌ والضحاكُ : هو الطَّوْفُ الواجبُ يوم النحر^(٢) .

ورَوَى رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، عن صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري ، أن النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم قال : « إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، فَلَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ قَطُّ »^(٢) .

ورواه أبو داود الطيالسي عن صالح ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة ، عن أبي هريرة ، غير مرفوع .

وقال الحسن : سُمِّيَ الْعَتِيقُ لِقَدَمِهِ .

= ينوي الحجَّ ويُحرم به ، فكأنه نذر على نفسه الإتيان بكل تلك الواجبات ، والأثر أخرجه ابن جرير ١٥١/١٧ والسيوطي في الدر ٣٥٧/٤ .

(١) هذا الطواف هو طواف الركن ويكون بعد النزول من عرفة ، وبدونه لا يصح الحج ، وانظر الأثر في الطبري ١٥٢/١٧ وابن كثير ٤١٣/٥ والدر ٣٥٧/٤ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي مرفوعاً ٣٠٤/٥ بلفظ : « إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، قال : وقد روي عن الزهري مرسلاً ٣٢٢/٥ . وانظر القرطبي ٥٢/١٢ والدر المنثور ٣٥٧/٤ والطبري ١٥٢/١٧ .

وَحُجَّتْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ يَتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بَبَكَّةَ ﴾ (١) .

٤٤ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ
رَبِّهِ .. ﴾ [آية ٣٠] .

قال مجاهد : الحجُّ والعمرة (٢) .

وقال عطاء : المعاصي (٣) .

قال أبو جعفر : القولان يرجعان إلى شيء واحد ، إلا أنَّ
حرَمَاتِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، ما فرضه ، وأَمَرَ بِهِ ، ونَهَى عنه ، فلا ينبغي أن
يُتجاوز ، كأنه الذي يَحْرُمُ تركه (٤) .

٤٥ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنِعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ .. ﴾
[آية ٣٠] .

قيل : الصيِّدُ للمحرم .

(١) سورة آل عمران آية ٩٦ .

(٢-٣) انظر الآثار في الطبري ١٥٣/١٧ وابن كثير ٤١٥/٥ والدر المنثور ٣٥٨/٤ .

(٤) قال القرطبي : الحرَمَاتُ المقصودة ههنا : هي أفعالُ الحجِّ ، ويدخل في ذلك تعظيمُ المواضع ، كما
قاله ابن زَيْدٍ ، وغيره . اهـ القرطبي ٥٤/١٢ .

وقال الطبري ١٥٣/١٧ : قال ابن زَيْدٍ : الحرَمَاتُ : المشعرُ الحرامُ ، والبَيْتُ الحرامُ ،
والمسجدُ الحرامُ ، والبلدُ الحرامُ ، هؤلاء الحرَمَاتُ .

وَرَوَى معمر عن قتادة قال : الميتة ، وما لم يذكر اسمُ الله عليه .

وقال غيره : هو ما يُتلى في سورة المائدة من قوله جلَّ وعز ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ .. ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ (١) .

قال أبو جعفر : وقولُ قتادة جامعٌ لهذا ، لأن هذه المحرمات أصنافُ الميتة .

٤٦ — ثم قال تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ .. ﴾ [آية ٣٠] .
الرِّجْسُ : النَّتْنُ (٢) .

و « مِنْ » ههنا لبيان الجنس ، أي الذي هو وَثْنٌ .

٤٧ — ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [آية ٣٠] .

قال عبد الله بن مسعود : عدلَ الله عزَّ وجلَّ شهادة الزور بالشَّرِّكِ ، ثم تلا هذه الآية (٣) .

وقال مجاهد : الزُّورُ : الكذبُ (٤) .
وقيل : الشرُّكُ .

(١) سورة المائدة آية رقم ٣ .

(٢) المعنى : اجتنبوا عبادة الأوثان ، التي هي رجسٌ ، وثنٌ ، وقدر .

(٣) و(٤) الأثران أخرجهما ابن جرير ١٥٤/١٧ وابن الجوزي ٤٢٩/٥ وابن ثير ٤١٥/٥ والحديث

أخرجه أحمد في المسند ٣٢١/٤ .

والمعاني متقاربة ، وكلُّ كذبٍ زورٌ ، وأعظمُ ذلك الشرُّ .

والذي يوجب حقيقة المعنى : لا تُحَرِّمُوا مَا كَانَ أَهْلُ الْأَوْتَانِ يُحَرِّمُونَهُ ، من قولهم ﴿ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾^(١) ومن تحريم السائبة ، وما أشبه ذلك من الزور ، كما قال تعالى ﴿ افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٢) .

٤٨ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ .. ﴾ [آية ٣١] .

قال مجاهد : أي متبعين^(٣) .

٤٩ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ .. ﴾ [آية ٣١] .

أي هو في البعد من الحق كذي^(٤) .

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٣٩ .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٤٠ .

(٣) الأثر في الطبري بمعناه ١٥٥/١٧ وهو تفسير قوله ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ ﴾ قال الطبري : أي مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له ، وإفراد الطاعة والعبادة له ، خالصاً دون الأوثان والأصنام . اهـ . وقال القرطبي ٥٥/١٢ : أي مستقيمين ، أو مسلمين مائلين إلى الحق .

وقال الخافظ ابن كثير ٤١٦/٥ : أي مخلصين له الدين ، منحرفين عن الباطل قصداً إلى الحق . اهـ .

(٤) هذا من أروع صور التشبيه فقد شبه تعالى أمر المشرك ، بمن هوى من أعماق السماء ، فتمزَّق مزعاً مزعاً ، وتخطفته الطيور فابتلعت ، وهكذا شأن الكافر الذي سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر والعصيان .

يُقَال : خَطَفَهُ يَخْطُفُهُ ، واختطفَهُ يَخْتطفُهُ : إذا أَخَذَهُ بِسرعةٍ .

٥٠ — ثم قال جَلَّ وعزَّ ﴿ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

[آية ٣١] .

قال مجاهد : أي بعيد^(١) .

٥١ — وقوله جَلَّ وعزَّ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٣٢] .

قال مجاهد عن ابن عباس : هو تسمينُ البُذْنِ ، وتعظيمُها ،

وتحسينُها^(٢) .

وقال غيره : ﴿ شَعَائِرُ اللَّهِ ﴾ : رميُ الجمار ، وما أشبه ذلك

من مناسك الحج^(٣) .

قال أبو جعفر : وهذا لا يمتنع ، وهو مذهبُ مالك بن أنس ،

أنَّ المنفعةَ بعرفة ، إلى أن يطلع الفجر من يوم النحر ، وفي المشعر

الحرام ، إلى أن تطلع الشمس ، وفي رمي الجمار ، إلى انقضاء أيام

منى ، وهذه كلها شعائر ، والمنفعةُ فيها إلى وقتٍ معلوم ﴿ ثُمَّ

مَحِلُّهَا ﴾ كلها ﴿ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ فإذا طَافَ الحاجُّ بعد هذه

المشاعر بالبيت العتيق ، فقد حلَّ .

(١-٣) انظر هذه الآثار والأقوال في الطبري ١٥٥/١٧ وابن كثير ٤١٦/٥ والدر المنثور ٣٥٩/٤ .

وواحد « الشعائر » شعيرة^(١) ، لأنها أشعرت أي جعلت فيها علامة تدل على أنها هدي .

ثم قال تعالى ﴿ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ أي فإنَّ الفَعْلَةَ^(٢) .

٥٢ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال أبو جعفر : في هذا قولان غير قول مالك .

أحدهما : أن « عروة » قال : هي البدن المقلدة يركبها ويشرب من ألبانها^(٣) .

والثاني : قال مجاهد : هي البدن من قبل أن تُقلد ، ينتفع بركوبها ، وأوبارها ، وألبانها ، وإذا صارت هدياً لم يكن له أن يركبها إلا من ضرورة^(٤) .

قال أبو جعفر : وقول مجاهد عند قوم أولى ، لأن الأجل

(١) قال القرطبي ٥٦/١٢ : الشعائر جمع شعيرة ، وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر ، أشعربه وأعلم ، ومنه شِعَارُ القوم في الحرب ، أي علامتهم التي يتعارفون بها ، فشعائر الله . أغلام دينه ، لاسيما ما يتعلق بالناسك . اهـ الجامع لأحكام القرآن .

(٢) هذا قول الفراء في معانيه ٢٢٥/٢ قال : ولو قيل : فإنه من تقوى القلوب كان جائزاً .

(٣) و(٤) انظر الطبري ١٥٧/١٧ والدر المنثور ٣٥٩/٤ .

المسمَّى عنده أن تُجعل هدياً وتُقْلَد ، والأجل المسمَّى ليس موجوداً في قول عُروَة .

وقد احتجَّ من قال بقول عُروَة بقول النبي ﷺ (اركبها ويُلك)^(١) .

واحتجَّ عليه بأنه لم يقل له : وهل يحرم ركوبُ البدنِ ؟
ولعلَّ ذلك من ضرورة ، ويُبين هذا حديثُ ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ : « اركبوا الهديَ بالمعروفِ حتَّى تجدوا ظهراً »^(٢) .

٥٣ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ۖ ﴾ [آية ٣٤] .

رَوَى سفيان عن أبيه عن عكرمة قال : مذبحاً^(٣) .

ورَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : عيداً^(٤) .

قال أبو إسحق : المَنَسِكُ : موضعُ الذَّبْح ، والمَنَسَكُ المصدرُ^(٥) .

(١) الحديث في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنةً ، قال : اركبها ، قال : إنها بدنة ، قال : « اركبها ويُلك » في الثانية ، أو الثالثة » اهـ البخاري ٢٠٥/٢ ومسلم ٩١/٤ .

(٢) الحديث رواه مسلم رقم ٣٧٦ بلفظ (اركبها بالمعروف حتَّى تجد ظهراً) وانظر التاج ٢٧٠/٢ .

(٣) و(٤) انظر الآثار في تفسير الطبري ١٦١/١٧ وابن كثير ٤٢٠/٥ والدر المنثور ٣٦٠/٤ .

(٥) المَنَسَكُ : موضعُ التَّسْك ، وقد فسَّره مجاهد بالذبح ، وإراقة الدماء على وجه التقرب إلى الله عزَّ =

٥٤ — ثم قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [آية ٣٤] .

رَوَى سَفِيَّانُ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : الْمُخْبِتُونَ :
الْمُطْمَئِنُّونَ بِأَمْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ (١) .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ (٢) : الْمُخْبِتُونَ الَّذِينَ لَا يُظْلَمُونَ ، وَإِذَا
ظَلَمُوا لَمْ يَنْتَصِرُوا (٣) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَصْلُ هَذَا مِنَ الْخَبْتِ ، وَهُوَ مَا أَطْمَأَنَّ مِنْ
الْأَرْضِ (٤) .

٥٥ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ..﴾
[آية ٣٦] .

= وجل ، واشتهر في أفعال الحج ، وروى عن ابن عباس أنه قال : منسكاً أي عيداً ، والأظهر ما
قاله مجاهد لقوله تعالى ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ فهو الأوفى بظاهر
الآية ، أي شرع لكل أهل دين أن يذبحوا له تعالى على وجه التقرب .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٦١/١٧ والسيوطي في الدر ٣٦٠/٤ .

(٢) هو عمرو بن أوس بن أبي أوس ، واسمه حذيفة الثقفي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة
٧٥ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ٦/٨ .

(٣) الأثر في الطبري ١٦١/١٧ وابن كثير ٤٢١/٥ والألوسي ١٥٥/١٧ .

(٤) قال السرقسطي في كتاب الأفعال : أَخْبَتَ اللَّهُ : تَوَاضَعَ ، وَأَخْبَتَ تَزَلَّ الْخَبْتُ ، وَهُوَ الْمُطْمَئِنُّ
مِنَ الْأَرْضِ . اهـ كتاب الأفعال ٥٠٧/١ .

ومعنى الآية : بشر يا محمد المتواضعين الخاشعين من المؤمنين بالشواب الجزيل ، ويدل عليه
قوله بعده ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ .

وقرأ ابن أبي إسحق : ﴿ وَالْبُدْنَ ﴾^(١) والمعنى واحد .

قال مجاهد : قيل لها بُدْنٌ : للبدانة ..

قال أبو جعفر : البدانة : السَّمْنُ ، يُقال : بُدْنٌ إذا سَمِنَ ،
وَبُدْنٌ إذا أَسَنَّ ، فقليل لها بُدْنٌ لأنها تُسَمَّنُ .

٥٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال إبراهيم : يركب إذا احتاج ، ويشرب من اللبن^(٢) .

وقيل : خيرٌ في الآخرة .. وذا أُولَى لأنه لو كان للدنيا ، كان
ألا يجعلها بدنةً خيراً له .

٥٧ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ .. ﴾^(٣)
[آية ٣٦] .

وقرأ عبدُ الله بن مسعود : ﴿ صَوَافِنَ ﴾^(٤) .

(١) قال القرطبي ٦٠/١٢ : هما لغتان يقال : بُدْنٌ ، وَبُدْنٌ جمع بدنة ، كما يقال : تحشبة ،
وتحشِب ، وتحشِب .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٦٣/١٧ والسيوطي في الدر ٣٦١/٤ .

(٣) « صَوَافٍ » هذه قراءة الجمهور جمع صافّة ، من صَفَّ يَصِفُّ ، والمعنى : انحروها على اسم الله
قائمة قد صُفِّت قوائمها .

(٤) هذه قراءة شاذة وليست من السبع « صوافن » جمع صافنة ، وهي التي عقلت إحدى قوائمها
ووقفت على ثلاث ، انظر الألويسي ١٥٦/١٧ واحتسب في شواذ القراءات ٨١/٢ .

وقرأ الحسن وزيد بن أسلم والأعرج : صَوَافِي^(١) .

رَوَى نافع عن ابن عمر ﴿ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا
صَوَافٍ ﴾ قال : قياماً مصفوفة^(٢) .

ورَوَى أبو ظبيان عن ابن عباس ﴿ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ
عَلَيْهَا ﴾ قال : « بسم الله ، والله أكبر ، اللهم منك ولك »^(٣) .

قال : و « صَوَافِن » قائمة على ثلاث .

قال قتادة : معقولة اليد اليمنى^(٤) .

قال الحسن وزيد بن أسلم : ﴿ صَوَافِي ﴾ أي خالصة لله
من الشرك^(٥) !

قال أبو جعفر : ﴿ صَوَافٍ ﴾ جمع صَافَّة ، وصَافَّةٌ : مصفوفة
ومصطفَّةٌ بمعنى واحد .

و « صَوَافِن » جمع صافنة ، يُقال للقائم : صافِنٌ ، ويُستعمل
لما قام على ثلاث .

(١) هذه القراءة شاذة أيضاً ، وانظر المحتسب ٨١/٢ والقرطبي ٦١/١٢ والألوسي ١٥٦/١٧ قال
القرطبي : (صوافي) أي خوالص لله عز وجل ، لا يشركون به في التسمية عند نحرها أحداً .
(٢-٥) انظر جميع هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٦٤/١٧ وابن كثير ٤٢٤/٥ والدر المنثور
٣٦٢/٤ .

و « صَوَافِي » جمع صَافٍ وهو الخالص ، أي لا تذكروا عليها
غير اسم الله جلَّ وعزَّ ، حتى تكون التسمية خالصةً لله جلَّ وعزَّ^(١) .

٥٨ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ۖ ﴾ [آية ٣٦] .

قال مجاهد : أي خرَّت إلى الأرض^(٢) .

٥٩ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۖ ﴾ [آية ٣٦] .

قال أبو جعفر : أحسن ما قيل في هذا — وهو الصحيح في
اللغة — أن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن قالوا :

﴿ الْقَانِعُ ﴾ الذي يَسْأَلُ .

و﴿ الْمُعْتَرَّ ﴾ الذي يتعرَّض ولا يَسْأَلُ^(٣) .

وقال مالك بن أنس : أحسن ما سمعتُ ، أن « القانع » هو
الفقير ، وأن « الْمُعْتَرَّ » هو الزائر^(٤) .

(١) قال ابن جرير رحمه الله ١٦٣/١٧ : واختلفت القُرَاءُ في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قُرَاءِ الأمصار « صَوَافٍ » بمعنى مصطفة قد صُفِّت بين أيديها وقرئ « صَوَافِي » بالياء منصوبة ، بمعنى خالصة لله ، لا شريك له فيها ، وقرأ بعضهم « صَوَافٍ » مثل عَوَارٍ ، ورؤى عن ابن مسعود أنه قرأه « صَوَافِنٌ » بمعنى معقلة ، والصواب عندي قراءة من قرأه ﴿ صَوَافٍ ﴾ بتشديد الفاء ونصبها ، لإجماع الحجة من القراء عليه . اهـ الطبري .

(٢) المراد كما قال ابن عباس : نُجِرَتْ وسقطت مَيْتَةً على الأرض ، والأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٦٦/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٤ .

(٣) و(٤) انظر الآثار في الطبري ١٦٧/١٧ وابن كثير ٤٤٥/٥ والدر المنثور ٣٦٣/٤ .

وقال أبو جعفر : يُقال : قَنَعَ الرَّجُلُ ، يَقْنَعُ قَنوعاً فهو قانع ،
إذا سأل ، وأنشد أهل اللغة :

لَمَّا لَ الْمَرْءُ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي
مَفَاقِرَهُ أَغْفٌ مِنَ الْقُنُوعِ^(١)

وروي عن أبي رجاء أنه قرأ ﴿ وَأَطْعِمُوا الْقَنِيعَ ﴾ .

ومعنى هذا مخالف للأول ، يُقال : قَنَعَ الرَّجُلُ إذا رَضِيَ فهو
قَنِيعٌ^(٢) .

وروي عن الحسن أنه قرأ ﴿ وَالْمُعْتَرِي ﴾^(٣) معناه كمعنى
المعتَر ، يقال : اعتَرَهُ ، واعتَرَاهُ ، وعَرَّهُ ، وعَرَاهُ : إذا تَعَرَّضَ لما عنده ،
أو طَلَبَهُ .

٦٠ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا .. ﴾
[آية ٣٧] .

(١) البيت للشماخ من ديوانه ص ٢٢١ والمراد بالمفاقر : وجوه الفقر ، واستشهد به المؤلف على أن
« القنوع » بمعنى السؤال ، والقانع هو السائل ،

والمعنى : إن مال الإنسان الذي يكسبه من عرق جبينه ، ويدفع عنه وجوه الفقر ، خير له
من مسألة الناس ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٢٥/٥ والقرطبي ٦٤/١٢ .

(٢) القَنِيعُ بوزن الحَذِر ، معناه : الراضي ، وهذه ليست من القراءات السبع ، وإنما هي من الشواذ ،
كما في المختسب في شواذ القراءات ٨٢/٢ وانظر روح المعاني ١٥٧/١٧ والقرطبي ٦٤/١٢ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما ذكرها ابن جني في المختسب ٨٢/٢ .

يُرَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَنْضَحُونَ
بِدُمَاءِ الْبُذْنِ مَا حَوْلَ الْبَيْتِ ، فَأَرَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ هَذِهِ الْآيَةَ ^(١) .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ .. ﴾ قَالَ : التَّقْوَى
مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^(٢) .

٦١ - وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾
[آيَةُ ٣٨] .

وَعَدَّهُمْ جَلَّ وَعَزَّ النَّصْرَ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَجِبُ مِنْ ذَكَرَ غَيْرِ
اسْمِهِ عَلَى الذِّيحَةِ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ
كَفُورٍ ﴾ .

و ﴿ خَوَّانٍ ﴾ فَعَالٌ ^(٣) مِنَ الْخِيَانَةِ .

(١) الْأَثَرُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ ٦٥/١٢ وَفِي ابْنِ كَثِيرٍ ٤٢٨/٥ وَفِي الدَّرِّ الْمَشْتُورِ ٣٦٣/٤ .
(٢) انْظُرْ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ ١٧٠/١٧ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ ١٥/١٢ : أَيُّ لَنْ يَصِلَ إِلَى اللَّهِ لِحُومُهَا وَلَا
دُمَائُهَا ، وَلَكِنْ يَصِلُ إِلَيْهِ التَّقْوَى مِنْكُمْ ، وَهُوَ مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهُهُ فَذَلِكَ الَّذِي يَقْبَلُهُ وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ ،
وَيَسْمَعُهُ وَيُثَبِّتُ عَلَيْهِ .

(٣) ﴿ خَوَّانٍ ﴾ عَلَى وَزْنِ « فَعَالٍ » مِنْ صَيَغِ الْمُبَالَعَةِ كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ :
فَعَالٌ أَوْ مَفْعَالٌ أَوْ فَعُولٌ فِي كَثَرَةٍ عَنْ فَاعِلٍ بِدِيْلٍ
فَيَسْتَحِقُّ مَالَهُ مِنْ عَمَلٍ وَفِي « فَعِيلٍ » قُلْ ذَاوُ « فَعِيلٍ »

٦٢ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا...﴾
[آية ٣٩] .

في الكلام حذف^(١) .

والمعنى : أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ أَنْ يُقَاتِلُوا .

وَرَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَرَأَ
« أُذِنَ » بفتح الهمزة ، « يُقَاتِلُونَ » بكسر التاء ، وقال : هي أول آية
نزلت في القتال ، لما أخرج النبي ﷺ من مكة^(٢) .

٦٣ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾
[آية ٤٠] .

رَوَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ الضَّحَّاكِ قَالَ : هُوَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ
خَرَجَ مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ .

(١) قال القرطبي : في الآية إضمار أي أُذِنَ لِلَّذِينَ يُصَلُّحُونَ للقتال في القتال ، فحذف لدلالة
الكلام على المحذوف . اهـ القرطبي ٦٨/١٢ .

(٢) هذه الآية ناسخة لكل ما في القرآن من آيات الإعراض ، والترك والصفح ، وهي أول آية نزلت
في القتال ، قال ابن عباس وابن جبير : « نزلت عند هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة »
وروى الترمذي عن ابن عباس أنه قال : « لما أخرج النبي ﷺ من مكة ، قال أبو بكر :
أَخْرَجُوا نَبِيَّهْمَ لِيَهْلِكُنَّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا...﴾ فَقَالَ أَبُو
بَكْرٍ : لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ » قال الترمذي : هذا حديث حسن . وقد روى غير واحد
عن سفیان عن الأعمش عن « مُسْلِمِ الْبَطِينِ » عن سعيد بن جبير مرسلًا ، وليس فيه عن ابن
عباس . وانظر تفسير القرطبي ٦٨/١٢ .

٦٤ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [آية ٤٠] .

هذا عند « سيبويه » استثناءً ليس من الأول (١) .

وقال غيره : المعنى إِلَّا بَأَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ على البدل .

٦٥ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، لَهْذَمْتُ صَوَامِعُ ، وَبَيْعُ ، وَصَلَوَاتُ ، وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [آية ٤٠] .

حدثنا سعيد بن موسى بـ « قَرْقِيسِيَاءَ » (٢) قال : حدثنا مَحْلُدُ

بْنُ مَالِكٍ ، عن محمد بن سَلَمَةَ ، عن خُصَيْفٍ قال :

أَمَّا « الصَّوَامِعُ » فصوامعُ الرُّهبانِ .

وأما « الْبَيْعُ » فكُنَائِسُ النَّصَارَى (٣) .

(١) يريد الشيخ أنه استثناء منقطع يَقْدَرُ بـ « لَكِنْ » أي لَكِنْ أُخْرِجُوا لِقَوْلِهِمْ رَبُّنَا اللَّهُ وانظر البحر المحيط ٣٧٤/٦ والقرطبي ٦٩/١٢ .

(٢) « قرقيسياء » : بلدة على نهر الخابور عند مصب الخابور في الفرات ، كذا في معجم البلدان ٣٢٨/٤ .

(٣) هذا ما ذهب إليه بعضُ المفسرين أن « الصَّوَامِعَ » للرهبان ، و« الْبَيْعَ » للنصارى جمع بَيْعَةٍ وهي الكنيسة و« الصَّلَوَاتِ » لليهود ، و« الْمَسَاجِدَ » للمسلمين ، وذكر الطبري ١٧٥/١٧ عن مجاهد وابن زيد أن « الْبَيْعَ » كنائس اليهود ، والصَّلَوَاتِ كنائس النصارى ، أقول : لعلَّ هذا القول أرجح ، لأن الله تعالى ذكر أماكن العبادة مرتبة ، فبدأ بالرهبان ثم باليهود ، ثم بالنصارى ، ثم بالمسلمين ، ولو لم يراع هذا الترتيب ، لبدأ بمساجد المسلمين ، لأنها هي المعابد الحقّة ، فتنبه والله يراكم .

وَأَمَّا « الصَّلَوَاتُ » فكنائس اليهود .

وَأَمَّا « المساجد » فمساجد المسلمين .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا : لولا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يدفع بعض النَّاسِ ببعض ، لَهُدِّمَ في وقتِ كُلِّ نَبِيٍّ ، المصلَّياتُ التي يُصلِّي فيها ^(١) .

وقيل ﴿ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ راجعٌ إلى المساجد خاصة ، هذا قول قتادة ^(٢) .

فَأَمَّا قوله ﴿ وَصَلَوَاتُ ﴾ والصلوات لا تهدم ففيه ثلاثة أقوال :
قال الحسن : « هدمها » : تركها .

قال الأخفش : هو على إضمار أي وتركَّت صَلَوَاتُ ^(٣) .

(١) قال الإمام القرطبي ٧٠/١٢ في تفسير هذه الآية ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء ، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بنَّته أرباب الديانات ، من مواضع العبادات ، ولكنه دفع شرهم بأن أوجب القتال ، ليتفرغ أهل الدين للعبادة ، فالجهاد أمر متقدِّم في الأمم ، وبه صلحت الشرائع ، واجتمعت المتعبَّات ، فكأنه قال : أذن في القتال فليقاتل المؤمنون ، فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقضٌ لمذهبه ، إذ لولا القتال لما بقي الدين الذي يُدبُّ عنه .. اهـ .

(٢) انظر الطبري ١٧٧/١٧ والدر المنثور ٣٦٥/٤ وهذا رأي الجمهور .

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش ٦٣٦/٢ .

وقال أبو حاتم^(١) : هو إن شاء الله بمعنى : موضع صلوت .

وروي عن « عاصم الجحدري » أنه قرأ ﴿ وُصِّلْتُ ﴾^(٢)
بالباء المعجمة من تحت .

وروي عنه أنه قرأ ﴿ وُصِّلْتُ ﴾^(٣) بضم الصاد والتاء ،
معجمة بنقطتين ، وقال : هي للتصاري .

وروي عن الضحاك أنه قرأ ﴿ وُصِّلْتُ ﴾^(٤) بالثاء
معجمة ، ولا أدري أفتح الصاد أم ضمها ؟

إلا أن الحسن قال ﴿ وُصِّلْتُ ﴾ هي كنائس اليهود ، وهي
بالعبرانية صَلُّوتًا .

٦٦ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ .. ﴾ [آية ٤١] .

قال الحسن : هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم^(٥) .

(١) أبو حاتم هو سهل السجستاني وتقدمت ترجمته ٧٨/١ .

(٢—٤) هذه القراءات كلها من الشواذ كما في المحتسب لابن جني ٨٢/٢ ما عدا قراءة ﴿ وُصِّلْتُ ﴾ وهي كما ذكرنا « كنائس التصاري » جمع صلاة ، وسميت الكنيسة « صلاة » لأنه يصلّى فيها ، من باب تسمية المحلّ باسم الحال ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧١/١٢ .

(٥) هذا قول أبي العالية أيضاً ، وهو أرجح من قول ابن نجيح أنهم الولاة ، والأرجح منهما قول ابن عباس : هم المهاجرون والأنصار ، والتابعون لهم بإحسان ، وقال الضحاك : هو شرط شرطه الله لمن آتاه الله الملك . اهـ وانظر البحر المحيط ٣٧٦/٦ والقرطبي ٧٣/١٢ .

وقال ابن أبي نجيح : هم الولاة

قال أبو جعفر : « الَّذِينَ » بدل مِنْ « مَنْ » ^(١) والمعنى :
ولينصرن الله الذين إن مكناهم في الأرض ، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة .

٦٧ — وقوله جل وعز : ﴿ فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ
خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .. ﴾ [آية ٤٥] .

قال أهل التفسير : المعنى « فكم » وهي عند النحويين « أي »
دخلت عليها « كاف » التشبيه ، فصار التقدير كالعدد الكثير والمعنى
معنى « كم » ^(٢) .

٦٨ — وقوله جل وعز : ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .. ﴾ [آية ٤٥] .

روى معمر عن قتادة قال : خالية ليس فيها أحد ^(٣) .

قال أبو جعفر : يُقال خَوَتْ الدَّارُ تَخَوًى خَوَاءً إِذَا خَلَتْ ،
وَتَخَوَى الرَّجُلُ يَخَوًى خَوًى إِذَا جَاعَ ، والعروش : السقوف .

٦٩ — ثم قال جل وعز ﴿ وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ ﴾ [آية ٤٥] .

(١) يريد « مَنْ » في قوله تعالى ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ فيصير المعنى : ولينصرن الله المؤمنين ،
الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة .. الخ .

(٢) فكأين : بمعنى « كم » تقتضي الكثير ، والمعنى كثير من الأمم وأهل القرى أهلكناها .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨٠/١٧ والدر المنثور ٣٦٥/٤ .

قال الضحَّاك : أي لا أهل لها^(١) .

﴿ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ قال عكرمة : أي مجصَّص^(٢) .

قال ابن أبي نجيح : أي بالقَصَّة وهي الجِصُّ^(٣) .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ﴿ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾

قال : طويل .

والقول الأول أولى ، لأنه يُقال : شَادَهُ ، يَشِيدُهُ ، إذا بناه

بالشَّيد ، وهو الجِصُّ^(٤) ، كما قال عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا

فَلِلطَّيْنِ فِي ذُرَاهِ وَكُـوُزٌ^(٥)

(١-٣) انظر الآثار في تفسير القرطبي ٧٤/١٢ ﴿ وَبَيْتٍ مُعْطَلَةٍ ﴾ متروكة ، قال الضحَّاك ، وقيل :

خالية من أهلها لهلاكهم . وفي الدر المنثور ٣٦٥/٤ عن قتادة قال : ﴿ وَبَيْتٍ مُعْطَلَةٍ ﴾ عطَّلَهَا

أهلها وتركوها ﴿ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ قال : شِيدُوهُ وَحَصَّنُوهُ فَهَلَكُوا وَتَرَكُوهُ . اهـ .

(١) قال في اللسان : الشَّيْدُ بالكسر كُلُّ مَا طُلِيَ بِهِ الْخَائِطُ مِنْ جِصٍّ أَوْ بِلَاطٍ ، وَكُلُّ مَا أَحْكَمَ مِنْ

البناء فَقَدْ شِيدَ ، وَتَشْيِيدُ الْبِنَاءِ : إِحْكَامُهُ وَرَفْعُهُ . اهـ اللسان مادة شيد .

(٢) البيت لعدي بن زيد العبادي وهو في ديوانه ص ٨٨ بلفظ « وَخَلَّلَهُ كِلْسًا » وهو الصحيح لأن

معناه جعل الكلس في خلل الحجر ، وجميع المصادر تنفق على روايته مصحفاً « وَجَلَّلَهُ كِلْسًا »

بالجيم كما هي رواية المصنف ، إلا أن العسكري نبه على هذا التصحيف فقال : ترويه العامة

« جَلَّلَهُ » بالجيم ، وقرأته عل ابن دُرَيْدٍ فقال « خَلَّلَهُ » بالخاء المعجمة أي جعل الكلس في خلل

الحجر ، وقال : جَلَّلَهُ ليس بشيء ، وكان يضحك من هذا ويقول : متى رأوا حصناً مصهرجاً ،

وقال : هكذا رواه الأصمعي بالخاء المعجمة ، وانظر الجوهرة ٤٥/٣ وما اختاره النحاس أن المراد =

فَأَمَّا إِذَا طَوَّلَهُ وَرَفَعَهُ فَإِنَّمَا يُقَالُ فِيهِ : شَيْدَهُ وَأَشَادَهُ ، وَمِنْهُ أَشَادَ
فُلَانٌ بِذِكْرِ فُلَانٍ .

٧٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ
الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [آية ٤٦] .

وفي قراءة عبدالله^(١) ﴿ فَإِنَّهُ لَا تَعْمَى ﴾ والمعنى واحد .
قال أبو جعفر : التذكيرُ على الخبر ، والتأنيثُ على القصة .
قال قتادة : البصرُ الناظرُ جُعِلَ بُلَعَةً وَمَنْفَعَةً ، والبصرُ النافعُ في
القلب^(٢) .

٧١ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [آية ٤٧] .

= بالمشيد المبني بالشيء — وهو الجص — فيه نظر ، فقد روي عن ابن عباس أنه الشديد المنيع
الحصين ، وهذا أولى لأن الغرض من الآية بيان أن الله أهلكتهم ، وقد تركوا خلفهم القصور
الفخمة الضخمة ، المنعة الحصينة ، الشديدة البنيان تركوها من غير سكان ، وفي ذلك عبرة
لمن يعتبر .

(١) المراد به ابن مسعود ، والضمير في ﴿ فَإِنَّهَا ﴾ يعود على القصة ، وهذه القراءة ليست من
القراءات السبع .

(٢) الأثر في القرطبي ٧٧/١٢ والدر المنثور ٣٦٥/٤ وأخرج البيهقي في شعب الإيمان أن النبي ﷺ
قال : « ليس الأعمى من يعمى بصره ، ولكن الأعمى من تعمى بصيرته » وأخرجه أيضاً
الديلمي في مسند الفردوس .

رَوَى إِسْرَائِيلُ عَنْ سِمَاكِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : يَوْمٌ
مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا
تَعُدُّونَ^(١) .

وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ :
يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ ، كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ .

قَالَ : وَيَوْمٌ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (يَوْمُ الْقِيَامَةِ)^(٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْقَوْلُ الثَّانِي حَسَنٌ جَدًّا ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ يَتَصَلَّ
بِالْكَلَامِ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّهُمْ اسْتَعْجَلُوا بِالْعَذَابِ فَقَالَ ﴿ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
وَعْدَهُ ﴾ أَيِ فِي عَذَابِهِمْ ، وَإِنَّ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ عَذَابِهِمْ فِي الْآخِرَةِ ،
كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فِي الدُّنْيَا^(٣) .

(١) و(٢) الأثران عن ابن عباس أخرجهما الطبري في جامع البيان ١٨٣/١٧ والسيوطي في الدر
٣٦٥/٤ .

(٣) قَالَ الْأَلُوسِي ١٧٠/١٧ : لَا يَخْلُو هَذَا الْقَوْلُ عَنْ حُسْنٍ إِلَّا أَنْ فِيهِ بُعْدٌ .
وَقَالَ أَبُو حَيَّانٍ ٣٧٩/٦ : « وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَا التَّشْبِيهِ ، فَقِيلَ التَّشْبِيهُ فِي الْعِدَدِ أَيِ الْيَوْمِ عِنْدَ
اللَّهِ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ عِدَدِكُمْ ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : (يَدْخُلُ فَقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ
بِنِصْفِ يَوْمٍ ، وَذَلِكَ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ) فَالْمَعْنَى : وَإِنْ طَالَ الْإِمْهَالُ فَإِنَّهُ فِي بَعْضِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ
اللَّهِ .

وَقِيلَ : التَّشْبِيهُ وَقَعَ فِي الطُّوْلِ لِلْعَذَابِ فِيهِ وَالشَّدَّةُ ، أَيِ وَإِنْ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ عَذَابِ اللَّهِ ، لِشِدَّةِ
الْعَذَابِ فِيهِ وَطَوْلِهِ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِنْ عِدَدِكُمْ ، إِذْ أَيَّامُ التَّرَجُّحِ مُسْتَطَالَةٌ ، وَأَيَّامُ الْفَرْحِ مُسْتَقْصَرَةٌ ،
فَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْوَاحِدُ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِنْ سَنَى الْعَذَابِ ، وَالْمَعْنَى : لَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا حَالَ الْآخِرَةِ مَا
اسْتَعْجَلُوهُ . اهـ .

فصار المعنى : إن الله لن يُخلف وعده في عذابهم في الدنيا ،
وعذابهم في الآخرة أشد .

قال أبو جعفر : وفي معناه قول آخر يبين وهو أنهم استعجلوا
بالعذاب فأعلمهم الله جلّ وعز ، أنه لا يفوته شيء ، وإن يوماً عنده
وألف سنة واحد ، إذ كان ذلك غير فائته ^(١) .

٧٢ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ .. ﴾
[آية ٥١] .

قال عبد الله بن الزبير إنما هي ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ أي مثبطين عن
الإيمان ^(٢) .

قال ابن عباس : ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ أي مُشَاقِّين ^(٣) .

قال الفراء : معاندين ^(٤) .

وروى معمر عن قتادة في قوله تعالى ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ قال :
كذبوا بآيات الله عز وجل ، وظنوا أنهم يُعْجِزُونَ الله ، ولن يُعْجِزوه ^(٥) .

(١) هذا أظهر الأقوال وهو قول الزجاج في معانيه ٤٣٣/٣ قال : إنهم استعجلوا العذاب ، فأعلمهم
الله أنه لا يفوته شيء ، وأن يوماً عنده وألف سنة واحد في قدرته عز وجل ، فلا فرق بين وقوع ما
يستعجلونه وبين تأخيره في القدرة الإلهية .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤٣٨/٥ والقرطبي ٧٨/١٢ ومعاني القرآن للفراء ٢٢٩/٢ قال السيوطي
في الدر المنثور ٣٦٦/٤ عن عروة بن الزبير ، أنه كان يعجب من الذين يقرءون هذه الآية
﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ ويقول : ليس ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ من كلام العرب ، وإنما
هي ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ يعني مثبطين . اهـ .

أقول : القراءتان سبعيتان ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٤٣٩ ، فقد قرأ ابن كثير ، وأبو

قال أبو جعفر : وهذا قول بَيِّنٌ .

والمعنى عليه : وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا ، ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يُعْجِزُونَنَا ،
لأنهم لَا يَقْرُونُ بِيَعِثٍ ، وَلَا بِجَنَّةٍ ، وَلَا نَارٍ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ .
٧٣ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ
إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ .. ﴾ [آية ٥٢] .

قال ابن أبي نجيح ﴿ تَمَنَّيَ ﴾ أَي : قَالَ ^(١) .

وقال أهل اللغة : « تَمَنَّيَ » أي تلا ، والمعنى واحدٌ .

٧٤ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ
آيَاتِهِ .. ﴾ [آية ٥٢] .

رَوَى اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ عَنِ الزَّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ
ابن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ بِمَكَّةَ
﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى .. ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ
وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ سَهَا فَقَالَ « فَإِنَّ شَفَاعَتَهُمْ
تُرْتَجَى » فَلَقِيَهُ الْمُشْرِكُونَ ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ،

= عمرو ﴿ مُعْجِزِينَ ﴾ مُشَدَّدًا بِغَيْرِ أَلْفٍ ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ ، وَنَافِعٌ ، وَابْنُ عَامِرٍ ، وَجُمَرَةُ ، وَالْكَسَائِيُّ
﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ بِأَلْفٍ ، وَانْظُرْ أَيْضاً النُّشْرَ ٣٢٧/٢ .

(١) الْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ١٩٠/١٧ وَابْنُ كَثِيرٍ ٤٤١/٥ وَالسُّيُوطِيُّ فِي الدَّرَجَاتِ ٣٦٨/٤ وَلَفْظُهُ : إِذَا
تَكَلَّمَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي كَلَامِهِ .. وَفِي الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ ١٢٢/٦ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿ فِي
أُمْنِيَّتِهِ ﴾ إِذَا حَدَّثَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي حَدِيثِهِ .

فقال : إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ إلى آخر الآية .

قال قتادة : قرأ النبي ﷺ فَأَغْفَى وَنَعَسَ فقال : أفرأيتُم اللَّاتَ وَالْعُزَّى . ومناة الثالثة الأخرى . فإنها تُرْتَجَى ، وإنها الغرائق^(١) العُلى ، فوقرت في قلوب المشركين ، فسجدوا معه أجمعون ، وأنزل الله

(١) هذه القصة تسمى « قصة الغرائق » وقد أُلِيعَ بذكرها بعضُ المفسرين ، وهي قصة واهية باطلة ، لا يجوز الاعتقاد ولا التحدث بها ، لأنها من الأخبار المكذوبة .

وخلاصة القصة أن النبي ﷺ لَمَّا قرأ سورة النجم ، بمحض من المشركين والمنافقين ، ألقى الشيطان على لسانه مدح الأوثان والأصنام ، بهذه العبارة « تلك الغرائق العُلى وإن شفاعتهن لُترتجى » ففرح بذلك المشركون ، ولما انتهى عليه السلام من تلاوة السورة سجد وسجد معه المشركون ... الخ وهذه القصة باطلة لا أساس لها من الصحة ، لأنها تعارض قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْتَظِرُ عَنْ هَوًى إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ فلا يمكن للشيطان أن ينطق بلسان الرسول ، لأنه عليه السلام محفوظٌ ومعصومٌ .

قال ابن العربي : إن جميع ما ورد في هذه القصة باطل لا أصل له .

وقال ابن إسحاق : هي من وضع الزنادقة .

وقال البيهقي : رواها مطعونٌ فيهم .

وقال ابن كثير : ذكر كثير من المفسرين قصة الغرائق وهي روايات مراسلات ومنقطعات لا تصح .

وقال القاضي عياض : هذا حديث لم يخرجْه أحد من أهل الصحَّة ، وإنما أُلِيعَ به ويمثله المفسرون والمؤرخون ، والمولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

أقول : والعجب أن تنزل قدم المصنف الإمام الانحاس ، وهو من جهاذة العلماء المحققين ، فيذكر هذه القصة الباطلة !!

جل وعز ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ .. ﴾ إلى آخر الآية .

٧٥ — وقوله جل وعز : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ .. ﴾ [آية ٥٣] .

﴿ فِتْنَةً ﴾ أي اختباراً وامتحاناً والله جل وعز يمتحن بما يشاء .

٧٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [آية ٥٣] .
الشِّقَاقُ : أشدُّ العداوة .

٧٧ — ثم أخبر تعالى أن هؤلاء لا يتوبون ، ولا يزالون في شك ، فقال جل
وعز : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ﴾ أي في شك
﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ أي فجأة ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ
عَقِيمٍ ﴾ [آية ٥٥] .

قيل : هو يوم القيامة .

وأهل التفسير على أنه يوم بدر ، قال ذلك سعيد بن جبير ،
وقتادة .

وقال قتادة : وبلغني عن أبي بن كعب أنه قال : أربع آيات
نزلت في يوم بدر^(١) .

﴿ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾^(٢) يوم بدر .

(١) انظر الطبري ١٩٣/١٧ والقرطبي ٨٧/١٢ والدر المنثور ٣٦٨/٤ .

(٢) هي هذه الآية ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ .. ﴾ الآية من سورة الحج .

و « اللَّزَامُ »^(١) : القتال في يوم بدر .

و ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى ﴾^(٢) يوم بدر .

﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾^(٣)

يوم بدر .

قال أبو جعفر : أصلُ الْعُقْمِ في اللغة : الامتناعُ ، ومنه قولهم
« امرأةٌ عقيمٌ » و « رجلٌ عقيمٌ » إِذَا مُنِعَا الْوَلَدَ .

و « رِيحٌ عَقِيمٌ »^(٤) لا يأتي بسحابٍ فيه مطر .

أي فيه العذاب .

و « وَيَوْمٌ عَقِيمٌ »^(٥) لا خير فيه لقوم .

فيومُ القيامة ، ويومُ بدر ، قد عُقِمَ فيهما الخيرُ ، والفرحُ عن

الكفار .

(١) يشير إلى قوله سبحانه في سورة الفرقان آية ٧٧ ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ .

(٢) سورة الدخان آية رقم ١٥ .

(٣) سورة ألم السجدة آية رقم ٢١ والأثر أخرجه السيوطي في الدر ٣٦٨/٤ وعزاه إلى ابن مردويه .

(٤) أشار إلى قوله تعالى ﴿ وَفِي غَايِ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ سورة الذاريات آية ٤١ .

(٥) قوله تعالى ﴿ أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴾ هذا من لطيف الاستعارة ، لأن العقيم المرأة التي

لاتلد ، ولما كان يوم القيامة لاينفع فيه ندمٌ ، لأن الزمان قد مضى ، والتكليف قد انقضى ، ولم

يعد يمكن للإنسان تدارك ما فاتهُ ، جعل كأنه بمنزلة المرأة العقيم ، التي لاتلد ، فله در

القرآن !!

٧٨ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ذَلِكْ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ .. ﴾

[آية ٦٠] .

والأول ليس بعقوبة ، فسُمِّي الأول باسم الثاني ، لأنهما من جنس واحد على الازدواج^(١) ، كما يسمى الثاني باسم الأول .

٧٩ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً .. ﴾ [آية ٦٣] .

قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ فقال : هذا واجبٌ ، وهو تنبيه^(٢) .

والمعنى : انتبه ، أنزل الله من السماء ماءً ، فكان كذا ، وكذا .

وقال الفراء : هو خبر^(٣) .

(١) يسمى هذا عند علماء البلاغة « المشاكلة » أي المجانسة في اللفظ مع اختلاف المعنى ، ومنه قول الشاعر :

قالوا اقترح شيئاً نُجِدُّ لك طبخه قلت : اطبخوا لي جبَّة وقميصاً

(٢) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط ٣٨٦/٦ وقال : لو نصب المضارع لأعطى عكس الغرض :

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٢٩/٢ قال : إن المضارع « فتصبح » إنما رفع لأن الجملة خبرية ، ولو كانت استفهاماً لوجب النصب ، وعبارته : ﴿ فتصبح الأرض مُخْضَرَّةً ﴾ رُفِعَتْ « فتصبح » لأن المعنى في « أَلَمْ تَرَ » معناه خبرٌ ، كأنك قلت : اعلم أن الله يُنزل من السماء =

وَيُقْرَأُ ﴿ فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُحْضَرَةً ﴾ ^(٢) أي ذات خُضِرٍ ، كما يقول : مَبْقَلَةٌ ، وَمَسْبَعَةٌ ، أي ذات بَقْلٍ ، وَسِبَاحٍ .

٨٠ — وَقَوْلُهُ جَل وَعَزْ : ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ .. ﴾ [آية ٦٥] .

والمعنى : كراهية أن تَقَعَ ^(٣) .

٨١ — وَقَوْلُهُ جَل وَعَزْ : ﴿ فَلَا يُتَارَعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ .. ﴾ [آية ٦٧] .

أي فلا يُجَادِلُكَ ، ودَلَّ على هذا ﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ ﴾ .

ويقال : قد تَارَعَوْهُ ، فكيف قال : ﴿ فَلَا يُتَارَعُنَّكَ ﴾ ؟

فالجواب : أن المعنى : فلا تَنَارَعُهُمْ .

ولا يجوز هذا إلا فيما لا يكون إلا من اثنين ، نحو المنازعة ،

= ماء فتصبح الأرض مُحْضَرَةً ، ولو جعلته استفهاماً وجعلت الفاء شرطاً لنصبت كقوله « ألم تسأل فتخبرك الديارا » .

وعبارة القرطبي : ﴿ فَتَصْبِحُ ﴾ ليس بجواب فيكون منصوباً ، وإنما هو خبر عند الخليل وسيبويه ، قال الخليل : المعنى انتبه أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا . اهـ قال ابن خروف : وقوله : هذا واجب ، يريد أنه ماضٍ .

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع ، وقراءة الجمهور بالتشديد ﴿ مُحْضَرَةً ﴾ .

(٢) قال الألوسي : الكلام على حذف حرف الجر ، أي عن أن تقع عليها ، وقدره البصريون كراهة أن تقع ، والكوفيون يقدرون « لئلا تقع » والمراد بإمسакها عن الوقوع : حفظ تماسكها بقدرته تعالى . اهـ روح المعاني ١٧/١٩٣ .

والخاصمة ، وما أشبهها ، ولو قلت : لا يضرُّنَّكَ تريدُ لا تُضِرُّنَّهم لم
يجز (١) .

ويُقرأ ﴿ فَلَا يَنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ ﴾ (٢) قرأ به « أبو مجلز » أي
فلا يَغْلِبُنَّكَ .

وحكى أهل اللغة : نازعني فَنَزَعْتُهُ .

٨٢ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ يَكَاذُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا .. ﴾ [آية ٧٢] .

قال محمد بن كعب : أي يقعون بهم (٣) .

وقال الضحاك : أي يأخذونهم أخذاً باليد (٤) .

وحكى أهل اللغة : سَطَا به ، يَسْطُو ، إذا بَطَشَ به ، كان
ذلك بضربٍ أو بِشْتَمٍ .

٨٣ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ .. ﴾
[آية ٧٣] .

(١) باب المُفَاعَلَةِ لا يكون إلا من اثنين فأكثر مثل : خاصم ، وقَاتَلَ ، وجَادَلَ ، لأن هذه الصيغة
تدل على مشاركة من الطرفين ، فلا يقال عن شخص « قَاتَلَ » إلا إذا كان أمامه من يقاتله ،
وهكذا ، والغرض من الآية : تحريضه عليه السلام على التأسي بالأنبياء في الصبر وتحمل الأذى ،
وترك مجادلة الكفرة المعاندين ، والإسك عن مناظرتهم بعد اليأس من إيمانهم .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٨٥/٢ .

(٣) و (٤) انظر الأثر في الطبري ٢٠٢/١٧ والدر المنثور ٣٧٠/٤

قال الأخفش : إن قيل : فأين المثل ؟

فالجواب : أنه ليس ثمَّ مثل ، والمعنى : إن الله جلَّ وعزَّ قال : ضربوا لي مثلاً على قولهم ^(١) .

وقال القُشَيَّيْ ^(٢) : يأياها النَّاسُ مثلكمَّ مثل من عَبَدَ آلهةً ، لم تستطع أن تخلُق ذباباً ، وسلَّها الذُّبابُ شيئاً ، فلم تستطع أن تستنقذه منه .

فذهب إلى أنَّ في الكلام ما دلَّ على المثل من قوله ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ إلى آخر الآية .

ومذهب الأخفش أن الكفار ضربوا لله جلَّ وعزَّ مثلاً ، أي جعلوا لله مثلاً بعبادتهم غيره ، كما يُعبد هو جلَّ وعزَّ ، كما قال «أين شركائي» ^(٣) ؟

(١) معاني الأخفش ٦٣٧/٢ وهذا القول مرجوح ، والراجع أن هناك مثلاً ضربه الله تعالى لما يُعبد

من غيره من الأوثان والأصنام فكأنه تعالى يقول : إن هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله ، لا تقدر على خلق ذبابة على ضعفها ، فكيف يليق بالعاقل جعلها آلهة وعبادتها من دون الله ؟!

(٢) هو ابن قتيبة الدينوري ، واسمه عبدالله بن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦هـ وانظر ترجمته في شذرات الذهب ١٦٩/٢ ووفيات الأعيان ٣١٤/١ .

(٣) أشار إلى قوله تعالى في سورة القصص آية ٧٤ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ مع أنه تعالى ليس له شركاء ، وإنما يقوله توبيخاً لهم وتبكيتاً .

والذُّبابُ عند أهل اللغة واحدٌ ، وجمعه أُذْبَةٌ ، وذُبَّانٌ^(١) .

٨٤ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ ضَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [آية ٧٣] .

الطَّالِبُ : الآلهة . والمطلوبُ : الذُّباب^(٢) .

٨٥ — ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ .. ﴾ [آية ٧٤] .

أي ما عَظَّموه حق عظمته .

ولما خَبِرَ بضعف ما يعبدون ، أخبر بقوَّته فقال جَلَّ وعَزَّ ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

٨٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا .. ﴾

[آية ٧٧] .

فلا يكون ركوعٌ إلَّا بسجودٍ ، ثم قال تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ أي اُخْلِصُوا عبادتكم لله وحده .

(١) قال الجوهري في الصحاح ١/١٢٦ : والذباب معروف ، الواحدة ذبابة ، ولا تقل : ذبابة ، وجمع القلة أذبة ، والكثير ذُبَّان ، كغراب وجرَّبان .

(٢) هذا قول ابن عباس ، وقال غيره : الطالب عابد الصنم ، والمطلوب الصنم ، أي ضعف العابد الذي يطلب الخير من الصنم ، والمطلوب الذي هو الصنم ، فكل منهما حقيرٌ ضعيف ، قال القرطبي : وخصَّ الذباب لأربعة أمور : لمهاتته ، وضعفه ، ولاستقذاره ، وكثرته ، فإذا كان هذا — هو أضعف الحيوان وأحقره — لا يقدر من عبده من دون الله على خلق مثله ، ودفع أذيته ، فكيف يجوز أن يكون آلهة معبودين ، وأرباباً مطاعين ؟ القرطبي ١٢/٩٧ .

٨٧ — ثم قال جل وعزّ : ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾ [آية ٧٧] .

أي كلّ ما أمر الله به .

ثم قال جل وعزّ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ أي لتكونوا على رجاءٍ من الفلاح^(١) .

٨٨ — ثم قال جل وعزّ : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ .. ﴾ [آية ٧٨] .

قيل : هذا منسوخ وهو مثل قوله ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾^(٢) نَسَخَهُ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾^(٣) .

٨٩ — ثم قال جل وعزّ ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ أي اختاركم ، ثم قال ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [آية ٧٨] .

قال أبو هريرة : الإِصْرُ الذي كان على بني إسرائيل وُضِعَ عنكم .

رَوَى يُونُسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ : سَأَلَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلِيًّا

(١) إنما نحى المصنّف هذا المنحى ، لينبّه أن الرجاء صادرٌ من المخلوق ، لا من الخالق ، أي رجاء منكم أنتم أن تُفْلِحُوا ، وليس الله تبارك وتعالى يترجّى ممّا الفلاح ، فتنبه له فإنه دقيق .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٢ .

(٣) سورة التغابن آية ١٦ والقول بأن الآية منسوخة ضعيف ، والأصح أنها محكمة كما قال ابن الجوزي ٤٥٦/٥ .

ابن عبد الله ابن عباس عن قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ فقال : هو الضيق ، جعل لكفارات الأيمان مخرجاً ، سمعت ابن عباس يقول ذلك ^(١) .

قال أبو جعفر : أصل الحرج في اللغة : أشد الضيق ^(٢) ، وقد قيل : إن المعنى أنه جعل للمسافر الإفطار ، وقصر الصلاة ^(٣) ، ولمن لم يقدر أن يصلي قائماً الصلاة قاعداً ، وإن لم يقدر أوماً ، فلم يضيّق جلّ وعزّ .

وروى معمر عن قتادة قال : « أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم يُعطها إلا نبيٌّ :

أ — كان يُقال للنبيّ اذهب ، فلا حرج عليك ، وقيل لهذه الأمة : ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ .

ب — والنبيّ ﷺ شهيدٌ على أمته ، وقيل لهذه الأمة ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ .

(١) انظر الأثر في الطبري ٢٠٦/١٧ .

(٢) ومنه قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتِمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ . سورة الأنعام آية ١٢٦ .

(٣) هذه بعض صور لرفع الحرج عن المؤمنين ، وأمثال هذا كثيرٌ ، قال ابن عباس : هذا في هلال شهر رمضان ، إذا شكّ فيه الناس ، وفي الحج إذا شكوا في الهلال ، وفي الفطر ، وفي الأضحي ، إذا التبس عليهم ، وأشباهه . اهـ الطبري ٢٠٧/١٧ .

ج — ويُقال للنبي : سَلْ تُعْطَهُ ، وقيل لهذه الأمة ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(١) .

وقال كعبُ الأحبارِ نحوَ هذا .

وقال عكرمة : أحلَّ النِّسَاءَ مثنى ، وثلاث ، ورباع .

وروى عن ابن عباس : جعل التَّوْبَةُ مقبولة .

٩٠ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ .. ﴾ [آية ٧٨] .

أي وَسَّعَ عليكم ، كما وَسَّعَ عليه صلى الله عليه وسلم^(٢) ،
وقيل ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾ فعل أبيكم إبراهيم .

٩١ — ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا .. ﴾
[آية ٧٨] .

روى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال يقول : اللهُ جَلَّ
وَعَزَّ سَمَّاكُمْ^(٣) .

(١) الأثر في البحر المحيط ٣٩٢/٦ والقرطبي ١٠٠/١٢ والطبري ٢٠٨/١٧ .

(٢) قال الطبري ٢٠٧/١٧ : المعنى : وسَّعَهُ عليكم كَمِلَّةِ أبيكم إبراهيم ، ويحتمل نصبها على وجه الأمر ، فكأنه قيل : اركعوا واسجدوا ، والزموا مِلَّةَ أبيكم إبراهيم . اهـ . وانظر البحر المحيط ٣٩١/٦

(٣) هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، واختيار جمهور المفسرين ، والمعنى : اللهُ سَمَّاكُمْ المسلمين في الكتب المتقدمة ، وفي هذا القرآن العظيم ، ورضي لكم الإسلام ديناً ، فاعبدوه واستسلموا =

قال مجاهد : ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي في الكتُبِ والذِّكْرِ ^(١) .

قال أبو جعفر : ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ يعني القرآن .

٩٢ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ ﴾ [آية ٧٨] .

قال سفيان : أي بأعمالكم ﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾
بأن الرسل قد بلغتهم .

٩٣ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَتَنِمَ الْمَوْلَى ﴾ أي الوليُّ ﴿ وَنِعَمَ النَّصِيرُ ﴾

أي النَّاصر ، كما يقول : قديرٌ ، وقادرٌ ، ورحيمٌ ، وراحمٌ .

* * *

(انتهت سورة الحج)

= لحكمه ، وقال الحسن وابن زيد : الضمير يعود على إبراهيم ، وهو قول مرجوح ، وانظر الطبري

٢٠٨/١٧ والقرطبي ١٠١/١٢ .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/٤ وابن كثير ٤٥٢/٥

تفسير سورة المؤمنون
مكية وآياتها ١١٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ (١)

١ — من ذلك قول الله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آية ١] .

أي قد نالوا الفلاح ، وهو دوام البقاء في الجنة .

٢ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [آية ٢] .

قال إبراهيم وقتادة : الخشوعُ في القلب ، قال إبراهيم : وهو السُّكُونُ .

وقال قتادة : وهو الخوفُ ، وغضُّ البصرِ في الصلاة (٢) .

قال مجاهد : هو السُّكُونُ .

والخشوعُ عند بعض أهل اللغة : في القلب ، والبصر ، كأنه

تفريغ القلب للصلاة ، والتواضعُ باللسان ، والفعل (٣) .

(١) في المخطوطة « سورة المؤمنين » هكذا ذكرت « المؤمنين » بالجر ، وهذا حسب قواعد اللغة العربية

سليم ، وهو على الإضافة ، والأفضل أن يقال « سورة المؤمنون » على الحكاية كما هو في رسم القرآن ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٨/٥ : وهي مكية في قول الجميع .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢/١٨ وأبو حيان في البحر المحیط ٣٩٥/٦ .

(٣) خلاصة القول في الخشوع : أنه السكون والطمأنينة ، والخوف من الجبار ، وتفريغ القلب من الأغيار ، واستحضار عظمة الله وجلاله ، بحيث لا يشغل في صلاته بأي شاغل دنيوي ، كما =

قال أبو جعفر : وقول مجاهد ، وإبراهيم في هذا حسن ، وإذا
سكن الإنسان تذلل ، ولم يطمح ببصره ، ولم يحرك يديه ، فأما وضع
البصر موضع السجود ، فتحديد شديد .

وقد روى عن علي عليه السلام : الخشوع : أن لا يلتفت
في الصلاة^(١) .

وحقيقته : المنكسر قلبه إجلالاً لله ، ورهبةً منه ، ليؤدّي ما
يجب عليه .

٣ — ثم قال جل وعزّ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [آية ٣] .
قال الحسن : عن المعاصي^(٢) .

قال أبو جعفر : واللغو عند أهل اللغة : ما يجب أن يلغى ،

= يكون الإنسان في حضرة الملك ، وقد روى الإمام أحمد ٣٤/١ عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال : « كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي ، يُسمع عند وجهه كدوي النحل ، وأنزل
عليه يوماً ، فمكثنا عنده ساعة ، فسُرّي عنه ، فاستقبل القبلة فرفع يديه وقال : « اللهم زدنا ولا
تُقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وأعطينا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا » ثم
قال : لقد أنزلت عليّ عشر آيات ، من أقامهنّ — أي عمل بهن وطبقهنّ — دخل الجنة ، ثم
قرأ : ﴿ قد أفلح المؤمنون .. ﴾ حتى ختم العشر » وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٣٠٥/٥
رقم ٣١٧٣ .

(١) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاده ٦٠/٥ والسيوطي في الدر ٦٠/٤ .

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي ٦٠/٥ والسيوطي في الدر ٤/٥ قال الزجاج : واللغو كل لعب وهو ،
وكل معصية فهي مطرحة ملغاة .

أي يُطرح ويُترك ، من اللَّعِبِ ، والهَزْلِ ، والمعاصي^(١) .

أي شغلهم الجَدُّ عن هذا .

٤ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ [آية ٤] .

أي مؤدُّون^(٢) .

[ومدح الله جلَّ وعزَّ من أخرج من ماله الزَّكاةَ ، وإن لم يُخرج

منها غيرها]^(٣) .

٥ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [آية ٥ — ٦] .

[قال الفراء : أي إلا من اللَّاتِي أَحَلَّ اللَّهُ جُلَّ وَعَزَّ لَهُمُ الْأَرْبَعَ لَا

تُجَاوِزُهُ .

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ في موضع خفض معطوفة على

(١) قال أبو حيان : اللغو : ما لا يعينك من قول ، أو فعل ، كاللعب ، والهزل ، وما توجب المروء

أطراحه ، يعني : أن بهم من الجدِّ ما يشغلهم عن الهزل . اهـ. البحر المحيط ٣٩٥/٦ .

(٢) هذا من باب التضمين ، فقد ضَمَّنَ المصنِّفُ لفظة ﴿ فاعِلون ﴾ بعبارة « مؤدُّون » لأنه المراد

من الآية ، قال في البحر : إن أريد بالزَّكاة قدر ما يُخرج من المال للفقير ، فيكون على حذف أي

لأداء الزَّكاة فاعِلون ، إذ لا يصح فعل الأعيان من المَرْكَبِ ، أو يُضَمَّنُ « فاعِلون » معنى مؤدُّون ،

وبه شرحه التبريزي . اهـ. البحر ٣٩٦/٦ .

(٣) ما بين الحاصرتين من كتاب إعراب القرآن للنحاس ٤١٤/٢ وهو ساقط من المخطوطة .

أزواجهم ، و « ما » مصدر ، أي ينكحون ما شاءوا من الإماء ،
حفظوا فروجهم إلا من هذين ^(١) .

٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾
[آية ٧] .

أي فمن طلب سوى أربع نسوة ، وما ملكت يمينه ﴿ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْعَادُونَ ﴾ أي الجائرون إلى ما لا يحل ، الَّذِينَ قَدْ تَعَدَّوْا .

٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾
[آية ٨] .

أي حافظون .

يُقَال : رَعَيْتُ الشَّيْءَ : أي قُمْتُ بِصِلَاحِهِ ، ومنه فلان يَرَعَى
ما بينه وبين فلان ^(٢) .

٨ — ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [آية ٩] .

(١) سقط من المخطوطة تفسير الآيتين ، وقد أثبتناه من إعراب القرآن للنحاس ٤١٤/٢ ومعاني
القرآن للفراء ٢٣١/٢ .

(٢) قال القرطبي ١٠٧/١٢ : الأمانة والعهد : يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه ،
قولاً وفعلاً ، وهذا يعمُ معاشرَ النَّاسِ ، والمواعيد ، وغير ذلك ، وغاية ذلك حفظه والقيام به ،
والأمانة أعمُّ من العهد ، وكل عهد فهو أمانة ، من قول ، أو فعل ، أو معتقد . اهـ .

قال مسروق : أي يصلونها لوقتها^(١) .

وليس من جهة الترك ، لأنَّ الترك كفرٌ .

٩ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [آية ١٠] .

يُقال : إنَّما الوارثُ من وَرِثَ ما كان لغيره ، فكيف يُقال لمن
دَخَلَ الجنةَ وارثٌ ؟

ففي هذا أجوبةٌ :

يُسْتغنى عن ذكرها بما رُوي عن النبي ﷺ .

رَوَى الأعمشُ عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ
في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ قال : « ليس من أحدٍ إلَّا له
منزلان ، منزلٌ في الجنة ، ومنزلٌ في النَّار ، فإنَّه هو أُدْخِلَ النَّارَ ، وَرِثَ
أهل الجنة منزلَه ، فذلك قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(٢) .

(١) الصحيح ما قاله المصنف أن المراد بالمحافظة على الصلاة في الآية : إقامتها والمبادرة إليها في أوقاتها ، وإتمام ركوعها وسجودها .

فإن قيل كيف تكرَّر ذكر الصلاة في أول الآيات وآخرها ؟ فالجواب : أنه ليس بتكرار ، فقد ذكر تعالى هناك الخشوع فيها ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ وذكر هنا المحافظة عليها بمعنى أدائها في أوقاتها ، وهما مختلفان فلا تكرار .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه ١٤٥٣/٢ وابن أبي حاتم . قال القرطبي : إسناده صحيح ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٥٩/٥ والطبري ٥/١٨ والقرطبي ١٠٨/١٢ .

١٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ الَّذِينَ يَرْتُفُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
[آية ١١] .

في حديث سعيد عن قتادة عن أنس مرفوعاً : « والفردوس رُبَّةُ الْجَنَّةِ ، وَأَوْسَطُهَا ، وَأَفْضَلُهَا »^(١) .

ثم قال ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فأثت على معنى الجنة .

١١ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾
[آية ١٢] .

قال قتادة^(٢) : اسْتَلَّ آدَمُ ﷺ مِنْ طِينٍ .

وقال غيره : إنما قيل لآدم سُلالة ، لأنه سُل من كل تُربة .
ويقال للولد : سُلالة أبيه .

وهو « فُعالة » من انسلَّ ، وفُعالة تأتي للقليل من الشيء ،

(١) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٣١٧٤ من حديث الربيع بنت النضر بهذا اللفظ ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه مسلم بلفظ « إذا سألتُم الله فسلوه الفردوسَ ، فإنه أوسطُ الجنةِ ، وأعلى الجنةِ ، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنةِ » .

ومعنى « أوسط الجنة » أنه في وسط الجنان في العرض ، وأعلاها في الارتفاع ، قاله ابن حبان ، قال القرطبي : وهذا يصحُّ قول أبي هريرة « إن الفردوس جبلُ الجنة ، التي تتفجَّرُ منه أنهارُ الجنة » وانظر تفسير القرطبي ١٠٨/١٢ .

(٢) سقط من المخطوطة عبارة « قال قتادة » وأثبتناها من القرطبي ١٠٨/١٢ وهي ضرورية لقوله بعدها وقال غيره .

نحو : القَلَامَةِ ، والنُّخَالَةِ .

وقد قيل : إن السُّلَالَةَ إنما هي نطفةُ آدم ﷺ ، كذا قال مجاهد^(١) .

وهو أصحُّ ما قيل فيه : ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالةِ آدم ، وآدمُ هو الطينُ لأنه تُخلق منه .

١٢ — ويدلُّ على ذلك قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [آية ١٣] .

ولم يصِرْ في قرارٍ مكِينٍ ، إلَّا بعد خلقه في صلب الفحل .
وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ يُراد ولده .
﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ وهي واحدة العَلَقِ ، وهو الدَّم قبل أن يَبَسَ .

﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ المضْغَةُ : القطعةُ الصغيرةُ من اللحم ، مقدار ما يُمَضَغ ، كما يقال : « غُرْفَةٌ » لمقدار ما يُعْرَفُ ، و« حُسْوَةٌ » [لمقدار ما يُحْسَى]^(٢) .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٧/١٨ والسيوطي في الدر ٦/٥ وقال البخاري في كتاب التفسير ١٢٤/٦ : ﴿ من سُلالة ﴾ الولد ، والنُّطفَةُ : السُّلالة . اهـ .

(٢) سقطت من المخطوطة لفظة « لمقدار ما يُحْسَى » وأثبتناها لأنها توضيح لمعنى الحسوة ، قال في المصباح : والحُسْوَةُ بالضمّ : ملءُ الفم ممَّا يُحْسَى . اهـ . المصباح المنير مادة حَسَا .

١٣ — ثم قال جل وعز ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُصَنَّعَةَ عِظَامًا ۖ ﴾ [آية ١٤] .

ويُقرأ « عَظْمًا »^(١) وهو واحد يدل على جَمْع ، لأنه قد عَلِمَ أَنَّ
للإنسان عظاماً .

﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ ويجوز العَظْمُ^(٢) على ذلك .

١٤ — وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۖ ﴾ [آية ١٤] .

رَوَى عطاء عن ابن عباس والربيع بن أنس عن أبي العالية ،
وسعيد عن قتادة عن الحسن ، وعلي بن الحَكَم عن الضحَّاك في قوله
﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ قالوا : نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ^(٣) .

ورَوَى هُشَيْمٌ ، عن مَنْصُورٍ ، عن الحسن ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ

(١) قراءة « عَظْمًا » بالإفراد هي قراءة ابن عامر ، وأبي بكر ، عن عاصم ، وهي من القراءات المشهورة ، وقرأ الجمهور بالجمع « عِظَامًا » وانظر النشر في القراءات العشر ٣٢٨/٢ والطبري ٩/١٨ والبحر ٣٩٨/٦ .

(٢) أي تجوز القراءة هنا على الإفراد أيضاً ﴿ عَظْمًا ﴾ على المعنى الذي ذكره المصنف ، أنه واحد يدل على الجمع ، قال ابن الجوزي في النشر ٣٢٨/٢ : وهي قراءة ابن عامر ، وأبي بكر .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٩/١٨ وابن الجوزي في زاده ٤٦٢/٥ والسيوطي في الدر ٧/٥ .

خَلَقًا آخَرَ ﴿ قال : ذكراً وأنثى ^(١) .

وَرُوي عن الضَّحَّاك قال : الأَسْتَانُ ، وخروجُ الشعر ^(٢) .

قال أبو جعفر : وأوَّلُ ما قيل فيه : أَنَّهُ نفخُ الرُّوح فيه ، لأنَّه يتحوَّلُ عن تلك المعاني ، إلى أن يصيرَ إنساناً ^(٣) .

والهَاءُ في ﴿ أَشْأَنَاهُ ﴾ تعودُ على الإنسانِ ، أو على ذكر العظام ، والمضغَةِ والتُّطفَةِ ، أي : أنشأنا ذلك .

وقوله ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [آية ١٥] .

ونقول في هذا المعنى : لَمَائِتُونَ ^(٤) .

١٥ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ .. ﴾

[آية ١٧] .

قال أبو عُبَيْدة : أي سبع سموات ^(٥) .

(١-٣) هذه الأقوال كلها منقولة عن السلف ، فقد قال ابن عباس : المرادُ نفخُ الروح فيه بعد الخلق ، واختار هذا ابن جرير الطبري وإليه ذهب النحاس ، وروي عن مجاهد : كَالْ شَبَابِهِ ، وعن الضحاك : نَبَاتُ الشَّعْرِ ، وخروج الأسنان ، واختار كثير من المفسرين أنه عام في جميع هذا وفي غيره حيث جعله الله خَلْقًا آخَرَ ، مَبَايِنًا لِلْخَلْقِ الْأَوَّلِ ، حيث صارَ إنساناً وكان جماداً ، وجسداً وكان طيناً ، وَحَيًّا وكان ميتاً .

(٤) المَيِّتُ : بسكون الياء من مات فعلاً ، والمَيِّتُ : بالتشديد من سيموت ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ وكما قال الشاعر : « إِنَّمَا المَيِّتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ » وانظر معاني الزجاج ٩/٥ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٦/٢ .

وحكى غيره أنه يُقال : طارقتُ الشيء أي جعلتُ بعضه

فوق بعض ، فقليل للسموات : طرائق ، لأنَّ بعضها فوق بعض^(١) .

١٦ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ ﴾ [آية ١٨] .

معنى ﴿ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ جعلناه فيها ثابتاً .

كما روي (أربعة أنهارٍ من الجنة في الدنيا : الفرات ، ودجلة ، وسِيحان^(٢) ، وجِيحان^(٣)) .

قرىء على « أبي يعقوب » إسحق بن إبراهيم بن يونس ، عن جامع بن سَوَادَةَ قال : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سَابِقٍ ، قال : حَدَّثَنَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَلِيٍّ ، عن مُقَاتِلِ بْنِ حِيانٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ مِنَ الْجَنَّةِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ : « سِيحُون » وهو نهر الهند ، و« جِيحُون » وهو نهر بليخ ، و« دجلة والفرات » وهما

(١) قال في البحر ٤٠٠/٦ : وقيل سُمِّيَتْ طرائق لأنها طرائق الملائكة في العروج .

(٢) يقال : سِيحَانٌ وَجِيحَانٌ ، ويقال : سِيحُونٌ ، وَجِيحُونٌ كما في الرواية الأخرى .

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا عن ابن عطف ، كذا في الدر المنثور ٨/٥ للسيوطي ، وما جنح إليه المصنف من أن المراد بالماء الساكن في الأرض الأنهار ، هو قول آخر في الآية مرجوح ، والقول الراجح أن المراد أسكنه في بطون الأرض ، في الآبار والأودية ، فيفتح العيون والأنهار ، ويسقي الزروع والثمار كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلَفاً أَلْوَانُهُ ﴾ الزمر آية ٢٠ .

نَهَرًا الْعِرَاقَ ، و « النَّيْل » وهو نهرُ مصر .. أنزلهما الله جل وعزَّ من غير واحدة من عيونِ الجَنَّةِ ، في أسفلِ درجةٍ من درجاتها ، على جناحي جبريل ﷺ فاستودعها الجبال ، وأجراها في الأرض ، وجعل فيها منافع للناس من أصنافِ معاشهم ، وذلك قوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ فإذا كان عند خروج « يأجوج ومأجوج » أرسل الله جلَّ وعزَّ جبريل عليه السلام ، فرفع من الأرض القرآن ، والعلم ، وهذه الأنهار الخمسة ، فيرفع ذلك إلى السماء ، وذلك قوله تعالى ﴿ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ فإذا رُفِعَتْ هذه الأشياءُ من الأرض إلى السماء ، فَقَدْ أَهْلَهَا خَيْرَ الدِّينِ ، والدنيا ، والآخرة (١) .

١٧ — وقوله جل وعز ﴿ وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ .. ﴾ [آية ٢٠] .

المعنى : وأنشأنا شجرة .

قال أبو عبيدة : الطُّورُ : الجبلُ ، وسيناء : اسم (٢) .

وقال الضحَّاك ﴿ سَيْنَاءَ ﴾ الحسن (٣) .

(١) الحديث أخرجه ابن مردويه ، والخطيب بسند ضعيف ، وانظر روح المعاني ١٩/١٨ والدر المنثور ٨/٥ والقرطبي ١١٣/١٢ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٧/٢ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٣/١٨ .

قال أبو جعفر : والمعروف أن « سَيْنَا » اسم الموضع^(١) .

١٨ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ تَنْبُثُ بِالذُّهْنِ .. ﴾ [آية ٢٠] .

ويقرأ « تَنْبُثُ بِالذُّهْنِ »^(٢) .

وفيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الباء زائدة ، وهذا مذهب أبي عبيدة ، كما قال

الشاعر :

هُنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتٌ أَحْمِرَةٌ

سُوْدُ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ^(٣)

(١) هذا القول هو الصحيح واختاره الطبري ١٨/١٤ حيث قال : وقال ابن زيد هو جبل الطور

الذي بالشام ، الذي كلَّم الله عليه موسى ، فهو اسم الجبل ، ولو كان كما قال من قال معناه :
جبل مبارك ، أو معناه حسن ، لكان الطور منوَّناً ، وكان قوله « سَيْنَاء » من نعته ، على أن
« سيناء » بمعنى مبارك وحسن ، غير معروف في كلام العرب ، ولكن القول في ذلك إن شاء الله
كما قال ابن عباس من أنه جبل عُرف بذلك ، وهو الذي نودي منه موسى ، وهو مع ذلك
مبارك ، لأنه معناه مبارك . اهـ .

(٢) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وقرأ الباقر « تَنْبُثُ » بفتح التاء وانظر النشر ٢/٣٢٨ والسبعة

في القراءات لابن مجاهد ص ٤٤٤ .

(٣) جاء في خزنة الأدب ٩/١٠٨ والبيت وقع في شعرين : أحدهما للراعي الثميري ، والثاني للفتال

الكلابي وقبله قوله :

صَلَّى عَلَى عِزَّةِ الرَّحْمَنِ وَابْنَتِهِهَا لَيْلَى وَصَلَّى عَلَى جَارَاتِهَا الْأُخْرَى

هُنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتٌ أَحْمِرَةٌ إلخ

وقد جاء في تفسير القرطبي ١٢/١١٥ بالخاء « أحمرة » جمع خمار ، وكذلك في

اللسان ، وذكر في الخزنة أنه تصحيف ، وصوابه أحمرة .

وقيل : الباء متعلقة بالمصدر الذي دلّ عليه الفعل ، ف قيل :
تَبَّتْ ، وَأُتِبَتْ بِمَعْنَى ، كما قال الشاعر :
رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ
قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أُتِبَتْ الْبَقْلُ^(١)

وهذا القول مذهب الفراء وأبي إسحاق ، ومعنى ﴿ تَنْبُتُ ﴾ وتنبث بالدهن ، ومعنى ﴿ تُنْبِتُ ﴾ وتنبث بالدهن ، و ﴿ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ﴾ عندهما واحد .

والمعنى : تَنْبُتُ ومعها الدهن ، كما تقول : جاء فلان بالسيف ، أي ومعه السيف .

١٩ — ثم قال جل وعزّ : ﴿ وَصَبْغٌ لِلْأَكْلِينَ ﴾ [آية ٢٠] .

وصبغ ، وصباغ ، بمعنى واحد .

قال قتادة : يعني الزيتون^(٢) .

(١) البيت لزهير في مدح « هرم بن سنان » وهو في ديوانه ص ١١١ والقطين : الساكن النازل في الدار ، وقبله :

إِذَا السَّنَةُ الشَّهَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ وَنَالَ كِرَامَ الْمَالِ فِي السَّنَةِ الْأَكْلُ
يقول : إن ذوي الحاجات يقصدونهم في زمن الجذب ، حتى يأتي الربيع ، وينبت البقل ، وانظر معاني القرآن للفراء ٢٣٣/٢ والبحر المحيط ٤٠٠/٦ وروح المعاني ٢٢/١٨ وأنكر الأصمعي « أنبت » في قصيدة زهير ، وقال : هو تَبَّتْ الْبَقْلُ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٨/٨ ولفظه : وقال قتادة ﴿ وشجرة تُخْرُجُ ﴾ قال : هي الزيتون ، جعل الله فيها دهنًا وأدماً . اهـ . وسُمِّيَ الزَيْتُ « صَبْغًا » لَأَنَّهُ يَصْبُغُ الْخَبْزَ إِذَا غُمِسَ فِيهِ ، فهو كالصباغ للثياب ، وهذا مروي عن ابن عباس وابن زيد ، وانظر الطبري ١٨/١٥ =

٢٠ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ ۖ ﴾ [آية ٢٥] .

« جَنَّةٌ » أي جنون .

﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ قال الفراء : ليس يُرَادُ بِالْحِينِ وقتٌ بعينه ، إنما هو كما تقول : دَعُهُ إِلَى يَوْمٍ ما^(١) .

٢١ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا ۖ ﴾ [آية ٢٩] .

« مُنْزَلٌ » و« إِنْزَالٌ » واحدٌ ، والمنْزِلُ : موضعُ التَّنْزِيلِ ، والمنْزَلُ بمعنى التَّنْزِيلِ^(٢) ، كما تقول : جَلَسَ مَجْلَسًا ، والمَجْلِسُ : الموضعُ الذي يُجْلَسُ فيه^(٣) .

٢٢ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ﴾ [آية ٣٣] .

= والبحر المحيط ٤٠١/٦ .

أقول : ذكر تعالى منافع الزيتون ، أنه يُؤْكَلُ وَيُسْتَخْرَجُ مِنْهُ الزَّيْتُ ، فهو زاد وأدَمٌ ، وفي الحديث الشريف « كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ » أخرجه الترمذي والإمام أحمد .

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٣ .

(٢) قال الجوهري : المَنْزَلُ بفتح الميم والزاي : النزول وهو الحلول ، تقول : نزلت نُزُولًا ومنْزَلًا . اهـ .
الصحاح مادة نزل .

(٣) نبه المصنف إلى القراءات الواردة في هذه الآية ، قال ابن مجاهد في السبعة ص ٤٤٥ : قرأ عاصم في رواية ﴿ مَنَزَلًا ﴾ بفتح الميم وكسر الزاي ، وقرأ الباقر وحفص : ﴿ مُنْزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ اهـ . والمعنى : أنزلني إنزالًا مباركًا ، وأما على قراءة عاصم ﴿ مَنَزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ فالمعنى : أنزلني مكانًا مباركًا ، وانظر الطبري ١٨/١٨ والقرطبي ١٢/١٢٠ .

معناه : وسّعنا عليهم ، حتّى صاروا يُؤْتُونَ بالثُّرْفَةِ ، وهي مثلُ
التُّحْفَةِ (١) .

٢٣ - وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً
أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ [آية ٣٥] .

قال سيّويه : وممّا جاء مُبدلاً من هذا الباب قوله تعالى
﴿ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ ؟
يذهبُ إلى أنَّ « أَنْ » الثانية ، مبدلةٌ من الأولى ، وأنَّ المعنى :
أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ إِذَا مِتُّمْ ؟

قال سيّويه : وكذلك أريد بها ، وجيءَ بـ « أَنْ » الأولى ، لتدلَّ
على وقت الإخراج .

والفراء (٢) ، والجَرْمِي (٣) ، وأبو العباس (٤) ، يذهبون إلى أنَّ
« أَنْ » الثانية مكرّرةٌ للتوكيد ، لمّا طال الكلام كان تكريرها حسناً .

(١) عبارة القرطبي ﴿ وأترفاهم في الحياة الدنيا ﴾ أي وسّعنا عليهم نعم الدنيا حتّى بطروا ، وصاروا
يؤْتُونَ بالثُّرْفَةِ وهي مثل التُّحْفَةِ . اهـ. القرطبي ١٢١/١٢ .

(٢) انظر معاني الفراء ٢٣٤/٢ .

(٣) الجَرْمِي : هو صالح بن إسحاق الجرّمي ، أبو عمر البصري المتوفى سنة ٢٢٥ هـ إمام العربية
صاحب التصانيف ، أخذ العربية عن سعيد الأَخْفَش ، واللغة عن أبي عُبيدة ، قال المبرّد : كان
الجرّمي أثبت القوم في كتاب سيّويه . وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥٦١/١٠ ووفيات
الأعيان ٢٨٥/١ ومعجم المؤلفين ٣/٥ .

(٤) أبو العباس : هو الإمام المبرّد أحد كبار علماء اللغة ، وقد تقدّمت ترجمته ٥٥/١ .

والأخفشُ يذهبُ إلى أنَّ « أنَّ » الثانية في موضع رفع بفعل مضمَر ، دَلَّ عليه « إذا » والمعنى عنده : أيعدمُ أنكم إذا مِتُّم ، وكنتم تُراباً وعظاماً يحدث إخراجكم ، كما تقول : اليومَ القتالُ ، والمعنى عنده : اليومَ يَحْدُثُ القتالُ ، ويقعُ القتالُ .

قال الفراء : وفي قراءة ابن مسعود^(١) ﴿ أَيْعِدُكُمْ إِذَا مِتُّم وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً إِنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ ؟

قال أبو إسحاق : ويجوز « أيعدمُ إنكم إذا مِتُّم وكنتم تُراباً وَعِظَاماً إِنَّكُمْ مُخْرَجُونَ » لأنَّ معنى « أيعدمُ » أيقول لكم .

٢٤ — وقوله جَلَّ وعزَّ ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ [آية ٣٦] .

قال قتادة : أي للبعث^(٢) .

قال أبو جعفر : العرب تقول : هَيْهَاتَ ، هَيْهَاتَ لِمَا قُلْتَ ، وهَيْهَاتَ مَا قُلْتَ .

(١) قراءة ابن مسعود بإسقاط ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ الأولى ، ذكرها أبو حيان في البحر ٤٠٤/٦ والقرطبي ١٢٢/١٢ والألوسي ٣١/١٨ وهي خلاف قراءة الجمهور ، وأحسن ما قيل في تكرار ﴿ أَنْكُمْ ﴾ أنه لطول الفصل بينه وبين خبره وهو ﴿ مُخْرَجُونَ ﴾ .

قال الفراء ٢٣٥/٢ : أُعيدت ﴿ أَنْكُمْ ﴾ مرتين ، وحسُن ذلك لما فُرِّقَتْ بينها وبين خبرها بإذا ، وكذلك تفعل بكل اسم أوقعت عليه « أن » بالظن ، ثم اعترض عليه الجزاء دون خبره ، فإن شئت كررت اسمه ، وإن شئت حذفته أولاً أو آخراً ، فتقول : أَظُنُّ أَنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ أَنَّكَ نَادِمٌ فَإِنْ حَذَفْتَ أَنَّكَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَةَ صَلَّحْ وَإِنْ أَتَيْتَهُمَا صَلَّحْ ، وإن لم تعرض بينهما بشيء لم يجز فخطأ أن تقول أَظُنُّ أَنَّكَ نَادِمٌ ، إِلَّا أَنْ تُكْرِّرَ كالتوكيد . اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ٢٠/١٨ وهو تفسير لقوله ﴿ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ ومعنى « هيهات » بعيد أي =

فمن قال « هَيَّاهُتَ لِمَا قُلْتَ » فتقديره : البَعْدُ لِمَا قُلْتَ ، ومن قال : « هَيَّاهُتَ مَا قُلْتَ » فتقديره : البَعِيدُ مَا قُلْتَ .

وفي « هيهات » لغاتٌ ليس هذا موضع ذكرها .

٢٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ۖ ﴾ [آية ٣٧] .

يُقال : كيف قالوا : ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ وهم لا يُقَرِّون بالبعث ؟

ففي هذا أجوبة :

أ — [منها في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ ، والمعنى : ما هي إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ، نحيا فيها ونموت] ^(١) كما قال تعالى ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي ﴾ ^(٢) .

= بعيد ، بعيد ما يعدكم به من أمر البعث بعد الموت ، وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير ١٢٤/٦ ﴿ هيهات هيهات ﴾ بعيد ، بعيد .

(١) سقط من المخطوطة هذا السطر ، وأخذناه من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٤/١٢ وهو القول الأول ، لأنه ذكر بعده فوراً : وجواب ثالث ، ولم يذكر المصنف إلا الثاني والثالث .

(٢) سورة آل عمران ٤٣ وقامها ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ . وإنما ذكر هذا الوجه لأنهم ينكرون البعث ، فليس قولهم ﴿ نموت ونحيا ﴾ إقراراً بالبعث بعد الموت ، لأنه يعارض قولهم ﴿ وما نحن بمبعوثين ﴾ وقد استشهد المصنف بالآية على أن « الواو » لا تقتضي الترتيب ، وإنما هي لمطلق الجمع كقوله تعالى ﴿ واسجدي واركعي ﴾ ومعلوم أن السجود قبل الركوع .

ب — ومنها أن المعنى : نموت ، وَيَحْيَا أَوْلَادُنَا^(١) .

ج — وجواب ثالث : وهو أن يكون المعنى : نكون مَوَاتاً أي نُطْفَأَ ،
ثم نحيا في الدنيا^(٢) .

٢٦ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ [آية ٤٠] .

والمعنى : عن قليل ، و « مَا » زائدة للتوكيد .

٢٧ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً .. ﴾ [آية ٤١] .

والمعنى : فأهلكناهم ، وفرقناهم .

والغُثَاءُ : ما علا الماء من وَرَقِ الشَّجَرِ ، والقَمْشُ^(٣) ، لأنه
يتفرَّق ، ولا يُنتَفَعُ به .

٢٨ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا ثَمْرًا .. ﴾ [آية ٤٤] .

قال أبو عبيدة : أي بعضها في إثر بعض^(٤) .

قال أبو جعفر : وهذا قول أكثر أهل اللغة ، إلا الأصمعي

فإنه قال : ﴿ ثَمْرًا ﴾ مِنْ وَاتَرْتُ عَلَيْهِ الْكُتُبَ ، أي بينها مُهْمَلَةٌ^(٥) .

(١) عبارة البحر أوضح فقد قال : يموت بعض ويولد بعض ، ينقرض قرن ، ويأتي قرن . اهـ. البحر
٤٠٥/٦ .

(٢) هذا الوجه بعيد ، ولعل الوجه الأول هو أرجح الوجوه .

(٣) القَمْشُ : فُتَاتُ الأشياء قال في القاموس المحيط : القَمْشُ جمع القُمَاش ، وهو ما على وجه الأرض
من فُتَاتِ الأشياء ، حتى يقال لرذالة الناس قماش . اهـ. القاموس مادة قمش .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٩/٢ .

(٥) العبارة هنا غامضة ، وأوضح منها ما جاء في إعراب القرآن للنحاس ٤١٩/٢ : قال الأصمعي : =

و « تَثْرَى » الأصل فيه من الوَثْر ، وهو الفردُ ، فمن قال ﴿ تَثْرَى ﴾ ^(١) بالتثوين ، فالأصل عنده « وَثْرًا » ثم أبدل من الواو تاءً كما يُقال : « تَالله » بمعنى : وَالله .

ومن قرأ ﴿ تَثْرَى ﴾ بلا تنوين ، فالمعنى عنده كهذا : إلا أنه جعلها ألف تأنيث .

ويقال : تَثَرَّ كما يُقال : وَثَر .

والمعنى : أرسلناهم فرداً ، فرداً ^(٢) ، إلا أنه قد روى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَثْرَى ﴾ قال يقول : يتبع بعضها بعضاً ^(٣) .

٢٩ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ .. ﴾ [آية ٤٤] .

= واترت كُتِبِي عليه : أتبع بعضها بعضاً ، إلا أن بين كل واحد منها وبين الآخر مُهْلَةٌ . اهـ . قال في تاج العروس : تَثْرَى يَثْرَى كَرَمَى يَرْمَى : أي تراخى في العمل ، فعمل شيئاً بعد شيء ، وأثَرَى عمل أعمالاً متواترة ، بين كل عملين فترة . اهـ . مادة ترى .
(١) هذه قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ﴿ تَثْرَى ﴾ بالتثوين ، وهي من لقرءات السبع ، وانظر النشر ٣٢٨/٢ .

(٢) عبارة القرطبي ١٢/١٢٥ : وقيل هو من الوثر وهو الفرد ، فالمعنى أرسلناهم فرداً فرداً . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٨/٢٤ ، وهذا القول أرجح الأقوال في الآية الكريمة وهو الذي ذهب إليه ابن عباس ، والمعنى : أرسلنا رسولنا متتابعين ، متتالين ، يتبع بعضهم بعضاً ، كلما ذهب رسول أعقبه رسول كما قال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ .

قال أبو عبيدة : أي مثلنا بهم ، ولا يُقال في الخير جعلته حديثاً^(١) .

٣٠ — وقوله جل وعز : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ۖ ﴾ [آية ٥٠] .

قال قتادة : ولدته من غير أب^(٢) .

قال أبو جعفر : ولم يقل : « آيَتَيْنِ » لأن الآية فيهما واحدة^(٣) .

وبجوز أن يكون مثل قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾^(٤) .

٣١ — وقوله تعالى ﴿ وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى زُبَّةٍ ۖ ﴾ [آية ٥٠] .

(١) أحاديث ﴿ قال القرطبي ١٢/١٢٥ : جمع أحدىثة ، وهي ما يُحدث به ، كأعاجيب جمع أعجوبة ، وهي ما يتعجب منه ، قال الأخفش : إنما يقال هذا في الشر ﴿ جعلناهم أحاديث ﴾ ولا يقال في الخير ، كما يقال : صار فلان حديثاً أي عبثاً ومثلاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾ . اهـ .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري ١٨/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٩/٥ .

(٣) قال في البحر ٦/٤٠٨ : أي جعلنا قصتهما آية للعالمين ، وهي آية عظمى بمجموعها ، وهي آيات مع التفصيل ، ويحتمل أن يكون حُذِفَ من الأول « آية » لدلالة الثاني أي جعلنا ابن مريم آية وأمّه آية . اهـ . وقال الزجاج ٤/١٤ : إن الآية فيهما واحدة ، لأنها ولدته من غير فعل . وعلى هذا مذهب الفراء : وجعلناها آية للعالمين وابنها ، مثل قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ وحّد الضمير .

(٤) سورة التوبة آية رقم ٦٢ .

رَوَى إِسْرَائِيلُ عَنْ سِمَاكِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ
جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ قَالَ : نُبِّئْتُ أَنَّهَا دَمَشْقُ (١) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَكَذَا الْمَعْرُوفُ مِنْ قِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ وَيُقَالُ : « رَبْوَةٌ » بَفَتْحِ الرَّاءِ (٢) ، وَيُقَالُ « رَبَاوَةٌ » بَفَتْحِ الرَّاءِ وَالْأَلْفِ ، وَقُرَأَ بِهَا الْأَشْهُبُ الْعُقَيْلِيُّ ، وَيُقَالُ : « رَبَاوَةٌ » بِالْأَلْفِ وَضَمِّ الرَّاءِ ، وَيُقَالُ « رَبَاوَةٌ » بِكَسْرِ الرَّاءِ ، وَمَعْنَاهُ : الْمَرْتَفِعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَمَعْنَى الرَّبْوَةِ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، يُقَالُ : رَبَا إِذَا ارْتَفَعَ وَزَادَ ، وَمِنْهُ الرَّبَا فِي الْبَيْعِ (٣) .

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَرْفِ :

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا ذَكَرْنَاهُ .

وَكَذَلِكَ رَوَى يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ

(١) الْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ٢٦/١٨ وَابْنُ كَثِيرٍ ٤٧٠/٥ .

(٢) هَذِهِ مِنَ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ، قَرَأَ عَاصِمٌ وَابْنُ عُمَرَ ﴿ إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ بَفَتْحِ الرَّاءِ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿ رَبْوَةٍ ﴾ بِالضَّمِّ ، وَانْظُرِ السَّبْعَةَ فِي الْقِرَاءَاتِ ص ٤٤٦ ، وَأَمَّا قِرَاءَةُ رَبَاوَةٍ فَهِيَ مِنَ الشَّوَاذِ .

(٣) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ٥٩/٢ : الرَّبْوَةُ يُضَمُّ أَوَّلُهَا وَيُكْسَرُ ، وَهِيَ النَّجْوَةُ مِنَ الْأَرْضِ — أَيِ الْمَرْتَفِعِ مِنْهَا — وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : فَلَانَ فِي رَبْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ أَيِ فِي عِزِّ وَشَرَفٍ وَعَدَدٍ . اهـ . مَجَازُ الْقُرْآنِ .

﴿ وَأَوْتَاهُمَا إِلَى رَّبْوَةٍ ﴾ قال : دمشق^(١) .

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَنَادَةَ قَالَ : بَيْتُ الْمَقْدِسِ^(٢) .

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ : بَيْتُ الْمَقْدِسِ أَقْرَبُ إِلَى السَّمَاءِ بِثَمَانِيَةِ
عَشَرَ مِيلًا^(٣) .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُثَنٍّ : مِصْرُ^(٤) .

وَرَوَى سَالِمُ الْأَفْطُسُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ﴿ وَأَوْتَاهُمَا إِلَى
رَبْوَةٍ ﴾ قال : النَشْرُ مِنَ الْأَرْضِ^(٥) .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ^(٦) .

وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الرَّبْوَةَ هَهنا : الرَّمْلَةُ^(٧) .

فَأَمَّا ابْنُ زَيْدٍ فَقَالَ : إِلَى رَّبْوَةٍ مِنْ رُبَى مِصْرَ ، قَالَ : وَلَيْسَ
الرُّبَى إِلَّا بِمِصْرَ ، وَالْمَاءُ حِينَ يُرْسَلُ تَكُونُ الرُّبَى عَلَيْهَا الْقُرَى ، وَلَسَوْلا

(٦-١) هذه الأقوال أن الربوة دمشق ، أو بيت المقدس ، أو مصر ، أو ما ارتفع من الأرض ، كلها أقول منقولة عن السلف ذكرها السيوطي في الدر المنثور ١٠/٥ والطبري ٢٦/١٨ وأبو حيان في البحر المحيط ٤٠٨/٦ .

(٧) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ، عن مَرَّةَ الْبَهْرِيِّ قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الرَّبْوَةُ : الرَّمْلَةُ ، وفي رواية عن أبي هريرة : هي الرملة في فلسطين ، وانظر الدر المنثور ١٠/٥ .

الرُّبَى غَرَقَتْ تِلْكَ الْقَرْىَ^(١) .

قال أبو جعفر : والصوابُ أن يُقال : إِنَّهَا مَكَانٌ مُرْتَفَعٌ ، ذُو
استواءٍ ، وماءٍ ظاهر .

٣٢ — ثم قال تعالى ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [آية ٥٠] .

قال قتادة : ذاتُ ماءٍ وثمار^(٢) .

وَرَوَى سَالِمٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ ﴾ مُسْتَوِيَةً
و﴿ مَعِينٍ ﴾ مَاءٍ ظَاهِر^(٣) .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ الضَّحَّاكِ ﴿ وَمَعِينٍ ﴾ قال :
الماءُ الجاري^(٤) .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢٦/١٨ والسيوطي في الدر المنثور ٩/٥ وعزاه
إلى ابن أبي حاتم ، قال الألوسي في تفسيره روح المعاني ٣٨/١٨ : ذكروا أن قرى مصر كل
واحدة منها على ربوة مرتفعة ، لعموم النيل في زيادته جميع أرضها ، فلو لم تكن القرى على الرُّبَى
لغرقت . اهـ .

(٢—٤) ذكر هذه الآثار الطبري في تفسيره ٢٨/١٨ وصاحب البحر المحيط ٤٠٨/٦ وقال يعني أنه
من أجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ، وذكرها السيوطي في الدر المنثور ١٠/٥ .
قال الحافظ ابن كثير ٤٧٠/٥ : وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في
قوله سبحانه ﴿ وَأَوْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ قال المعينُ : الماء الجاري ، وهو النهر الذي
قال الله تعالى ﴿ قَدْ جَعَلْتُ لَكَ نَهْرًا سَرِيًّا ﴾ وكذا قال الضحَّاك ، وقتادة ، وهو في بيت
المقدس ، فهذا — والله أعلم — هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى ، والقرآن يفسر بعضه
بعضاً . اهـ .

قال أبو جعفر : معنى ﴿ ذات قرار ﴾ في اللغة : يُسْتَقَرُّ فيها ، والذي قال سعيد بن جبير حَسَنٌ .

و﴿ مَعِينٌ ﴾ فيه ثلاث تقديرات :
إحداهن : أن يكون مفعولاً .

قال أبو إسحاق : هو الماء الجاري في العين^(١) .

فالميم على هذا زائدة ، كزيادتها في « مبيع » .

وكذلك الميم زائدة في قول من قال : إنه الماء الذي يرى بالعين .

٢ — وقيل إنه « فَعِيلٌ » بمعنى « مفعول » .

قال علي بن سليمان^(٢) : يُقال : مَعَنَ الماء إذا جرى وكثر ، فهو معين ، مَمْعُونٌ ، قال وأنشدني محمد بن يزيد بيتاً ، لم يَحْفَظْ منه إلا قوله :

« وماءٍ مَمْعُونٌ »

قال ويُقال : معينٌ ، ومُعَنٌ ، كما يُقال : رَغِيفٌ ، ورُغْفٌ .

(١) انظر معاني الزجاج ١٥/٤ .

(٢) علي بن سليمان بن الفضل البغدادي المتوفى سنة ٣١٥ هـ المشهور بالأخفش الصغير ، أحد أئمة العلم والأدب سمع المبرد ، وثعلب ، وانظر ترجمته في معجم الأدباء ٢٤٦/١٣ .

٣ — والقول الثالث : حدثناه محمد بن الوليد عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال : مَعَنَ الْمَاءُ يَمَعَنُ مُعَوْنًا : جرى وسَهَّلَ ، وأَمَعَنَ أَيْضًا وَأَمَعَتْهُ أَنَا ، ومِياهٌ مُعْنَانٌ^(١) .

٣٣ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا .. ﴾ [آية ٥١] .

قال أبو إسحق^(٢) : هذا مُخَاطَبَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، ودَلَّ الْجَمْعُ^(٣) على أَنَّ الرُّسُلَ كُلَّهُم كَذَا أُمِرُوا ، أي كُلُّوا مِنَ الْحَلَالِ^(٤) .

٣٤ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً .. ﴾ [آية ٥٢] .

المعنى : « وَلَآنَ » أي وَلَآنَ دِينِكُمْ دِينٌ وَاحِدٌ ، وهو الإسلامُ فَاتَّفَقُوا .

(١) قال ابن منظور : ﴿ ذاتِ قرارٍ ومعين ﴾ قال الفراء : ﴿ ذاتِ قرار ﴾ أرض منبسطة ، و ﴿ معين ﴾ الماء الظاهر الجاري ، قال : ولك أن تجعل المعين مفعولاً من العيون ، وأن تجعله فعلاً من الماعون ، ويكون أصله المعن . اهـ . لسان العرب مادة مَعَن .

(٢) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ « إبراهيم بن السري » عالم بالنحو واللغة ، له كتاب إعراب القرآن . وانظر الأعلام ٤٠/١ .

(٣) في المخطوطة « الجميع » وهو خطأ ، وصوابه « الجمع » كما أثبتناه ، وكما ذكره القرطبي ١٢٨/١٢ نقلاً عن الزجاج .

(٤) قال الفراء في معاني القرآن ٢٣٧/٢ ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ﴾ أراد النبي ﷺ فجمع ، كما يُقال في الكلام للرجل الواحد : أيها القوم كفوا عنا أذاكم . اهـ . وقال في البحر : ونداء الرسل وخطابهم بمعنى نداء كل واحد في زمانه ، وإنما أتى بصيغة الجمع ، ليعتقد السامع أَنَّ أمراً يُؤدى له جميع الرسل ووصوا به ، حقيق أن يُستمسك ويُعمل به . اهـ . البحر المحيط ٤٠٨/٦ .

٣٥ — ثم خَبِرَ أَنْ قَوْمًا فَرَّقُوا أديَانَهُمْ فقال جل وعزَّ : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ ﴾ [آية ٥٣] .

قال قتادة : أي كُتِباً^(١) .

قال الفراء : أي صاروا يهودَ ونصارى^(٢) .

وقرأ الأعمش : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ ﴾^(٣) وهو جمع « زُبْرَةٍ » أي قِطْعًا وَفِرْقًا .

٣٦ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ^(٤) ﴾ [آية ٥٣] .

أي معجبون .

٣٧ — ثم قال تعالى ﴿ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [آية ٥٤] .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ١٠/٥ وهو تفسير لقوله « زُبُرًا » قال ابن زيد : يعني كُتِباً وضعوها ، وضلالات أَلْفوها ، قال القرطبي : يعني الأمم اختلفوا ، فجعلوا دينهم أدياناً ، بعدما أُمرُوا بالاجتماع .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢٣٧/٢ .

(٣) هذه قراءة الأعمش ، وأبي عمرو ، قال الطبري ٣٠/١٨ قرأته عامة قراء المدينة والعراق « زُبُرًا » جمع زبور بمعنى أن القوم تفرقوا في الدين الواحد ، والملة الواحدة ، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الذي دان به الفريق الآخر ، وقرأ عامة قراء الشام « زُبُرًا » بفتح الباء بمعنى أنهم تفرقوا أمرهم بينهم قِطْعًا كزُبُر الحديد ، فصار بعضهم يهوداً وبعضهم نصارى .

(٤) الفرح هنا ليس فرح غبطة وسرور ، بل هو فرح أشد وبطر ، ولذلك فسره بقوله : معجبون .

قال قتادة : ﴿ فِي غَمَرَتِهِمْ ﴾ أي في جهالتهم ^(١) .

﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾ قال مجاهد : حَتَّى الموت ^(٢) .

٣٨ - ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ .. ﴾ [آية ٥٥ ، ٥٦] .

الخبرُ محذوفٌ ، والمعنى : نُسارع لهم به ، وهذا قول أبي إسحق .

ولهشامُ الضرير ^(٣) فيه قولٌ ، وهو أن « ما » هي الخيراتُ ، فصار المعنى : نُسارعُ لهم فيه ، بغير حذف : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴾ مجازةٌ لهم وخيرٌ ^(٤) .

وقرأ عبد الرحمن بن أبي بكرة ^(٥) ﴿ يُسَارِعُ لَهُمْ فِي

(٢٤١) انظر الطبري ٣١/١٨ والدر المشور ١١/٥ وابن كثير ٤٧٢/٥ .

(٣) هو هشام بن معاوية الضرير المتوفى سنة ٢٠٩ هـ كوفي نحوي ، من كتبه « الحدود ، والمختصر ، والقياس » وكلها في النحو ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٨٨/٨ الطبعة الحديثة ، وقد وقع خطأ في اسمه في البحر المحيط فقال : هشام بن معونة الضرير ، والصواب ما أثبتناه كما في الأعلام .

(٤) عبارة الفراء أوضح حيث قال : « ما » في موضع الذي ، وليست بحرف واحد ، وقوله ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ يقول : أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُعْطِيهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، مِنَ الْأَمْوَالِ وَالبَيْنِ ، أَنَّا جَعَلْنَاهُمْ لَهَا ثَوَاباً ؟ إِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ مَتَاهُمْ . اهـ . معاني القرآن للفراء ٢٣٨/٢ .

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكرة نفع بن الحارث الثقفي ، أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة ، ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٩٦ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٤٨/٦ .

الْخَيْرَاتِ ﴿١﴾ بِالْيَاءِ وَكسْرِ الرَّاءِ .

وهذا يجوز أن يكون على غير حذف ، أي يُسارع لهم
الإمداد .

وجوز أن يكون فيه حذف ، ويكون المعنى : يُسارع الله لهم
به في الخيرات (٢) .

٣٩ — وقوله جلّ وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ .. إِلَى
قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ .. ﴿
[آية ٥٧ — ٦٠] .

قال عبدالرحمن بن سعيد الهمداني عن عائشة رضي الله
عنها قالت : « سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ
يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ أَهْوِ الرَّجُلُ يَزْنِي ، أَوْ يَسْرِقُ ، أَوْ
يَشْرِبُ الْخَمْرَ ؟ فَقَالَ : لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يُصَلِّي ،

(١) هذه القراءة شاذة ، وانظر المحتسب ٩٤/٢ والطبري ٣١/١٨ والقرطبي ١٣١/١٢ والبحر المحيط
٤١٠/٦ .

(٢) الآية وردت مورد الذم والتوبيخ على سوء الفهم ، قال قتادة : مُكِرَ وَاللَّهُ بِالْقَوْمِ فِي أَمْوَالِهِمْ
وَأَوْلَادِهِمْ ، يَا ابْنَ آدَمَ ، فَلَا تَعْتَبِرِ النَّاسَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، وَلَكِنْ اعْتَبِرْهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ
الصَّالِحِ . اهـ . تفسير ابن كثير ٤٧٣/٥ .

وَيَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُ ، وَيَخَافُ أَلَّا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ ^(١) .

وَرَوَى ابْنُ مَجَاهِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ
﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ قَالَ : يُعْطُونَ مَا أُعْطُوا ^(٢) .

قال أبو جعفر : هكذا رُوي هذا ، وهكذا معنى ﴿يُؤْتُونَ﴾
يُعْطُونَ ، ولكنَّ المعروف من قراءة ابن عباس ﴿وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا
آتَوْا﴾ ^(٣) وهي القراءة المروية عن النبي ﷺ وعن عائشة .

ومعناها : يعملون ما عملوا ، كما رُوي في الحديث .

٤٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [آية ٦٠] .

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٥٩/٦ والترمذي في سننه رقم ٣١٧٥ والحاكم وصححه بلفظ
مقارب ، ولفظ الترمذي : عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : « سألت رسول الله ﷺ عن
هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قالت عائشة : أهم الذين يشربون الخمر
ويسرقون ؟ قال : لا يا بنت الصديق !! ولكنهم الذين يصومون ، ويصلُّون ، ويتصدقون ، وهم
يخافون ألا يُقبلَ منهم » ﴿أولئك يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ وانظر الدر المنثور
١١/٥ فقد جمع فيه الروايات التي وردت عن رسول الله ﷺ .

(٢) انظر الطبري ٣١/١٨ وابن كثير ٤٧٣/٥ والدر المنثور ١١/٥ .

(٣) هذه القراءة وردت أيضاً عن الأعمش ، والحسن ، والنخعي ﴿يأتون ما آتوا﴾ من الإتيان أي
يفعلون ما فعلوا من الطاعات والأعمال الصالحات ، وقرأ الجمهور ﴿يُؤْتُونَ ما آتوا﴾ أي
يعطون ما أعطوا من الصدقات ، والزكوات ، وقُلُوبُهُمْ خائفة ألا يتقبل الله منهم ، قال الإمام
الفخر : وترتيب هذه الصفات جاء في نهاية الحسن ، لأن الآية الأولى دلت على حصول الخوف
الشديد الموجب للاحتراز ، والثانية على تحصيل الإيمان بالله ، والثالثة على ترك الرياء في الطاعة ،
والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات ، مع الوجع والخوف من
التقصير ، وهو نهاية مقام الصديقين . اهـ . التفسير الكبير ١٠٧/٢٣ .

قال الفراء : المعنى : من أنهم^(١) .

وقال أبو حاتم^(٢) : المعنى : لأنهم إلى ربهم راجعون .

٤١ — ثم قال تعالى ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ [آية ٦١] .

قال أبو جعفر : سَارَعَ ، وَأَسْرَعَ ، بمعنى واحد .

٤٢ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [آية ٦١] .

فيه ثلاثة أقوال :

١ — المعنى : وهم إليها سابقون ، كما قال ﴿ بَانَ رَبُّكَ أَوْحَى

لَهَا ﴾^(٣) أي أوحى إليها ، وأنشد سيويه :

تَجَافُفُ عَنْ جَوِّ الِيمَامَةِ نَاقَتِي

وَمَا قَصَدْتُ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَا^(٤) .

٢ — وقيل : معنى : ﴿ وَهُمْ لَهَا ﴾ : من أجلها ، أي من أجل

(١) أي خائفون من أنهم إلى ربهم راجعون ، وانظر معاني الفراء ٢/٢٣٨ وفي البخاري في كتاب التفسير ٨/٤٤٤ ﴿ قُلُوبُهُمْ وَجِلَّةٌ ﴾ خائفين ، قال ابن عباس : يعملون خائفين . اهـ وانظر فتح الباري .

(٢) أبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني المقرئ اللغوي النحوي وقد تقدمت ترجمته ١/٧٨ .

(٣) سورة الزلزلة آية ٥ .

(٤) البيت للأعشى وهو في ديوانه ص ٨٩ واستشهد به القرطبي ١٢/١٣٣ وفي المخطوطة « عَنْ جَوِّ » وفي تهذيب اللغة « عَنْ جُلِّ » قال الأزهري : سَوَاءُ الشَّيْءِ : نَفْسُهُ ، قال الأعشى : « وما عدلت عن أهلها لسوائكا » يريد بها نفسك أي وما قصدت غيرك ، وانظر الصحاح للجوهري ٦/٢٣٨٤/٦ .

اكتسابها ، كما تقول : أنا أكرمُ فلاناً لك ، أي من أجلك .

٣ — وقيل : لما قال ﴿ وهم لها سابقون ﴾ دلّ على السبق ، كأنه قال : سبقهم لها ^(١) .

٤٣ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا .. ﴾ [آية ٦٣] .

— أي في غفلةٍ وغطاءٍ ، متحيّرة .

ويقال : غَمَرَهُ الماءُ إذا غَطَّاه ، ونهرٌ غَمَرٌ يُغَطِّي مَنْ دَخَلَهُ ، ورجلٌ غَمَرٌ تَغْمُرُهُ آراءُ الناسِ ^(٢) .

وقيل : غَمْرَةٌ لأنها تُغَطِّي الوجه ، ومنه : دخل في غُمارِ الناسِ ^(٣) .

— في قول من قاله — معناه : فيما يغطّيه من الجمع .

وقوله ﴿ مِنْ هَذَا ﴾ فيه قولان :

(١) قال القرطبي ١٣٣/١٢ : وقال ابن عباس في معنى ﴿ وهم لها سابقون ﴾ سبقت لهم من الله

السعادة ، فلذلك سارعوا في الخيرات ، وقيل : المعنى : وهم من أجل الخيرات سابقون .

(٢) قال في لسان العرب : رجلٌ غَمَرٌ وَغَمَرٌ : لا تجربة له بحرب ولا أمر ، ولم تحنكه التجارب .

(٣) قال القرطبي : يقال دخل في غُمارِ الناسِ وُحْمَارِهِمْ ، أي فيما يغطّيه من الجمع ، وقوله تعالى

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ أي في حيرةٍ وعمى . اهـ. تفسير القرطبي ١٣٤/١٢ .

١ — أحدهما : أن مجاهد قال : بل قلوبُهم في عِمَايةٍ من القرآن^(١) .

فعلى قول مجاهد ﴿ هَذَا ﴾ إشارةٌ إلى القرآن .

وقال قتادة : وصَفَ أَهْلَ الْبِرِّ فقال ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ وَالَّذِينَ .. وَالَّذِينَ .

ثم وصف أَهْلَ الْكُفْرِ فقال ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا .. ﴾ .

فالمعنى على قول قتادة : من هذا البرِّ^(٢) .

٤٤ — ثم قال تعالى ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ [آية ٦٣] .

فيه قولان :

أحدهما : أن الحسن^(٣) قال : ولهم أعمال رَدِيَّةٌ ، لم يعملوها وسيعملونها .

(١) الأثر ذكره القرطبي ١٣٤/١٢ قال مجاهد : أي في غطاء وغفلة وعِمَاية عن القرآن ، ورواه أبو حيان في البحر المحیط ٤١١/٦ فقال : المعنى أي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء ﴿من هذا﴾ العمل ، أو من القرآن ، وقال القرطبي ٣٥/١٨ وعنَى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطَّأها عن فهم ما أودع الله في كتابه المواعظ والحجج والعبر ، وعنَى بقوله : ﴿من هذا﴾ من القرآن ، وهو قول مجاهد .

(٢) قول مجاهد هو الأظهر ، وقول قتادة ذكره في الدر المنثور ١٢/٥ وهو قول مرجوح .

(٣) إذا أطلق الحسن فيراد به الحسن البصري رحمه الله وهو من كبار المفسرين من التابعين .

قال مجاهد : أي لهم خطايا ، لابد أن يعملوها^(١) .

ب — وقال قتادة : رجع إلى أهل البر فقال ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ ﴾ قال : أي سوى ما عُدّ .

٤٥ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ ﴾ [آية ٦٤] .

قال قتادة : أي يجزعون .

وحكى أهل اللغة : جَارٌ ، يَجَارُ ، إذا رفع صوته^(٢) .

قال مجاهد والضحاك : العذاب الذي أخذوا به : السَّيْفُ^(٣) .

قال مجاهد : يوم بدر .

(١) ذكره في الدر ١٢/٥ والطبري ٣٦/٨ قال ابن كثير ٤٧٥/٥ أي قد كتب عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لتحقق عليهم كلمة العذاب . اهـ .

(٢) قال الأزهري : جأرت البقرة جَوَّاراً رفعت صوتها ، وجأر القوم إلى الله جَوَّاراً ، وهو أن يرفعوا أصواتهم إلى الله متضرعين . اهـ . تهذيب اللغة مادة جَارٌ ، وأصل الجَوَّار رفع الصوت بالتضرع .

(٣) هذا القول ذكره الطبري ٣٧/١٨ والألوسي ٤٧/١٨ والسيوطي في الدر ٤/٥ ورُوي عن الضحاك قول آخر ، وهو أن المراد بالعذاب « عذاب الجوع » وذلك أنه ﷺ دعا على أهل مكة لما كذبوه فقال : « اللهم اشدّد وطأتك على مُضَرّ ، اللهم احعلها عليهم سنين كسني يوسف » فابتلاهم الله بالقحط والجوع ، حتى أكلوا العظام ، والميتة ، والكلاب ، والجيف ، وهلك الأموال والأولاد ، والأولى أن العذاب يجمع القولين ، وهو ما أصابهم من الجوع ، والقتل ، والأسر ، والله أعلم .

٤٦ — وقوله جل وعز : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثْلَى عَلَيْكُمْ .. ﴾ [آية ٦٦] .

قال الضحَّاك : قبل أن تُعَذَّبُوا بالقتل .

٤٧ — ثم قال تعالى ﴿ فَكُتِّمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تُنْكِصُونَ ﴾ [آية ٦٦] .

قال مجاهد : تستأخرون .

٤٨ — ثم قال تعالى ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ .. ﴾ [آية ٦٧] .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحَّاك ، والحسن ، وأبو مالك : مستكبرين بالحرم^(١) .

قال أبو مالك : لأمنهم ، والنَّاسُ يُتَخَطَّفُونَ حولهم .

قال أبو جعفر : وقيل مستكبرين بالقرآن ، أي يحضرهم عند قراءته استكباراً .

والقول الأول أولى .

والمعنى : إنهم يفتخرون بالحرم ، فيقولون : نحن أهل حرم الله عز وجل .

(١) الضمير في « به » إما أن يعود إلى البيت الحرام ، أو إلى القرآن ، والجمهور على الأول ، قال ابن الجوزي : الضمير عائد إلى البيت الحرام ، وهو كناية عن غير مذكور لشهرة الأمر ، والمعنى : أنكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرم لأمنكم فيه ، تقولون : نحن أهل الحرم فلا نخاف أحداً ، ونحن أهل بيت الله وولائه . اهـ . زاد المسير ٤٨٢/٥ وقال ابن كثير : الضمير للقرآن كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهتجر من الكلام يقولون سحر وشعر .. إلخ .

٤٩ — ثم قال تعالى ﴿ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [آية ٦٧] .

قال أبو العباس^(١) : يقال للجماعة يجتمعون للحديث : سَامِرٌ ، وَسَمَارٌ^(٢) ، فَسَامِرٌ كما تقول : بَاقِرٌ لجماعة البَقَرِ ، وَجَامِلٌ لجماعة الجَمَالِ .

أي يجتمعون للسَّمَرِ ، وأكثر ما يُستعمل « سَامِرٌ » للذين يَسْمُرُونَ ليلاً .

قال أبو العباس : وأصل هذا من قولهم : « لا أَكَلِمَةُ السَّمَرِ وَالْقَمَرِ » أي الليل والنَّهَارِ .

وقال الثوري : يُقال لظل القمر : السَّمَرُ .

قال أبو إسحق : ومنه السَّمَرَةُ في اللَّوْنِ ، ويُقال له : الفَحْتُ ومنه فاخته^(٣) .

(١) هو الإمام المبرد محمد بن يزيد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ النحوي اللغوي أبو العباس ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٢) قال القرطبي ١٣٧/١٢ : ﴿ سَامِرًا ﴾ نصبٌ على الحال ومعناه سَمَارٌ ، وهم الجماعة يتحدثون بالليل ، مأخوذ من السَّمَرِ ، وهو ظل القمر ، وكانوا يتحدثون حول الكعبة في ظل القمر ، فهو اسم مفرد بمعنى الجمع ، كالحاضر ، وهم القوم النازلون على الماء ، والباقر جمع البقر ، والجامل جمع الإبل ، ذكورتها وإناثها ، ومنه قوله تعالى ﴿ ثم يخرجكم طفلاً ﴾ أي أطفالاً ، يقال : قوم سَمَرٌ ، وَسَمَرٌ ، وسَامِرٌ . اهـ . وانظر الصحاح مادة سمر .

(٣) انظر معاني الزجاج ١٨/٤ .

قال أبو جعفر : وفي قوله ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ قولان :

١ — قال الحسن : تهجرون نبيّ ، وكتابي^(١) .

٢ — وقال غيره : ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ تَهْذُونَ ، يُقال هَجَرَ المريضُ ، يَهْجُرُ ، هُجْرًا إِذَا هَذَى^(٢) .

وقرأ ابن عباس ﴿ تَهْجِرُونَ ﴾^(٣) بضم التاء وكسر الجيم .

وقال : يَسْمُرُونَ برسول الله ﷺ ويقولون الهُجْرَ^(٤) .

وقال عكرمة : ﴿ تَهْجِرُونَ ﴾ تُشْرِكُونَ^(٥) .

وقال الحسن : تَسُبُّونَ النبي صلى الله عليه وسلم^(٦) .

وقال مجاهد : تقولون القول السيّء في القرآن^(٧) .

(١) هذا الأثر ذكره السيوطي في الدر ١٣/٥ عن الحسن ، وذكره الطبري ٤٠/١٨ عن ابن عباس والسُّدِّي وهو من الهَجْر بمعنى الترك ، وقيل : من الهُجْر وهو الكلام الفاحش البذيء ، من هَجَرَ المريض إِذَا هَذَى ، والمعنى : تسمرون بذكر القرآن ، والطعن فيه ، وتقولون الكلام الفاحش في النبي عليه السلام .

(٢) في المصباح : هجر المريض في كلامه هَذَى ، والهُجْر بالضم مصدر بمعنى الفُحْش . اهـ . المصباح المنير .

(٣) هذه قراءة نافع وهي من القراءات السبع ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٢٩/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٤٦/٢ .

(٤-٧) انظر الآثار في الطبري ٤١/١٨ والبحر المحيط ٤١٣/٦ والقرطبي ١٣٦/١٢ وروح المعاني ٥٠/١٨ .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة ، يُقال : أَهْجَرَ ،
يُهْجِر إذا نَطَقَ بالفُحْش ، وقال الحَنَئِي ، والإسم منه الهُجَر ، ومعناه
أنه تجاوز ، ومنه قيل : الهَاجِرَة ، إنما هو تجاوزُ الشَّمْسِ ، من المشرقِ
إلى المغرب .

وقرأ أبو رجاء « سُمَّاراً »^(١) وهو جمع سَامِر ، كما

قال الشاعر :

فَقَالَتْ سَبَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي

أَلَسْتُ تَرَى السُّمَّارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي^(٢)

٥٠ — ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ .. ﴾ [آية ٦٨] .

أي القرآن^(٣) .

(١) هذه من القراءات الشاذة ، وانظر المحتسب ٩٦/٢ وذكرها ابن عطية في المحرر ٣٨٠/١٠ وهي قراءة سُمَّاراً وهي شاذة أيضاً .

(٢) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه صفحة ٣١ من قصيدة مطلعها :

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَتَيْهَا الطَّلُّ الْبَالِي

والشاهد فيه لفظ « السُّمَّار » وهم المجتمعون للسُّمَر ليلاً ، وفي المخطوطة « أحوالي » بالياء ومعناها حَوَالِي ، وفي الديوان بدون ياء « أحوال » قال السيوطي في مع الهوامع ١٥٨/٣ : ومنها : حَوَّلَ ، وَحَوَّلِي ، وَحَوَّلِي ، وَأَحْوَالِي ، وَحَوَالٍ ، وَأَحْوَالٍ ، واستشهد ببيت امرئ القيس ، وبالحديث : « اللهم حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا » .

(٣) ويؤيده قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ وَسُمِّي الْقُرْآنُ قولاً ، لأنهم حُوطِبُوا به ، وأَمَرُوا بتلاوته ، قال في البحر : والقول : هو القرآن الذي أتى به محمد ﷺ أي أفلم يتفكروا فيما جاء به عن الله ، فيعلموا أنه الكلام المعجز الذي لا يمكن معارضته ، فيصدّقوا به ، وبمن جاء به ؟! . اهـ . البحر المحيوط ٤١٣/٦ .

٥١ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ .. ﴾ [آية ٧١] .

رَوَى سَفِيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ ﴾
قال : اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (١) .

وقيل : المعنى : بل جاءهم بالقرآن ، ولو اتَّبَعَ القرآنُ أهواءَهُمْ
أي لو نزل بما يُحِبُّون ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن .

٥٢ — ثم قال تعالى ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾
[آية ٧١] .

رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ ﴿ بِذِكْرِهِمْ ﴾ قال : بالقرآن .

قال أبو جعفر : والمعنى على قوله : بل آتيناهم بما لهم فيه ذِكْرٌ
ما يوجب الجنة لو اتَّبَعُوهُ .

(١) روى هذا القول السيوطي في الدر المنثور ١٣/٥ وأبو حيان في البحر ٤١٤/٦ والقرطبي

١٤٠/١٢ وقد اختلف المفسرون في تفسير « الحق » على قولين :

الأول : أن المراد به « الله » سبحانه وتعالى ، وهو قول مجاهد ، وأبي صالح ، والسدي ،
والمعنى : لو أجابهم الله تعالى إلى ما في أنفسهم من الهوى ، وفعل ما يوافق أهواءهم ، لاختلَّ
نظام الكون وفسد العالم ، لأن آراءهم متناقضة .

الثاني : أن المراد بالحق « القرآن » وما جاءهم به الرسول عليه السلام ، والمعنى : لو نزل
القرآن بما يُحِبُّون ، لفسدت السموات والأرض ، ومن فيهن من الإنس والجن ، وسائر المخلوقات ،
قال في البحر ٤١٤/٦ والظاهر أنه الحق الذي ذكر قبل في قوله ﴿ بل جاءهم بالحق ﴾ والمراد به
الأمر اليقين الثابت .

وقيل : الذُّكْرُ ههنا : الشَّرْفُ .

٥٣ - وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ .. ﴾
[آية ٧٢] .

قال الحسن : « خَرْجاً » أي أجراً^(١) .

قال أبو حاتم : الخَرَّاجُ : الجُعْلُ ، والخَرَّاجُ : العَطَاءُ إن شاء الله ، أو نحو ذلك .

٥٤ - وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ ﴾ [آية ٧٤] .

رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ يَقُولُ ﴿ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ ﴾ عَنْ الْحَقِّ لِعَادِلُونَ^(٢) .
قال أبو جعفر : والصِّرَاطُ فِي اللُّغَةِ : الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ ،

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ٤٧٨٣٥ : قال الحسن : خَرْجاً : أجراً ، وقال قتادة : جُعْلاً ، والمعنى : أنت يا محمد لا تسألهم أجرَةً على دعوتك إياهم إلى الهدى ، بل أنت تحتسب عند الله جزيل ثوابه ، كما قال سبحانه ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْراً ﴾ . وانظر أيضاً الدر المنثور ١٣/٥ وزاد المسير ٤٨٥/٥ .

(٢) قال في اللسان : نَكَبَ عن الطريق يُنَكِبُ نَكْوباً إذا عدل عنه . اهـ . لسان العرب ، وقال الفراء ٢٤٠/٢ : ﴿ لَنَّاكِبُونَ ﴾ أي لمعرضون عن الدين ، والصراط ههنا هو الدين ، والأثر أخرجه الطبري ٤٤/١٨ ، وابن كثير ٤٧٩/٥ قال : نَكَبَ فلان عن الطريق إذا زاغ عنها ، والمعنى : إنهم لعادلون ، جائرون ، منحرفون عن طريق الله ، قال ابن عباس ﴿ لَنَّاكِبُونَ ﴾ لعادلون ، وقال قتادة : حائرون ، وقال الكلبي : معرضون ، وهذه أقوال متقاربة .

ويقال : نكَبَ عن الحقِّ إذا عدَلَ عنه .

والمعنى : إنهم عن القصد لعادلون .

٥٥ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [آية ٧٦] .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ﴾ أي بالخوف ، ونقص الأموال ، والأنفس ^(١) .

﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ أي فما خضعُوا .

٥٦ — وقوله جَلَّ وعزَّ ﴿ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ .. ﴾ [آية ٧٧] .

قيل : يعني الجوع ، وقيل : السيِّف .

﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ أي متحيِّرون يائسون من الخير ^(٢) .

٥٧ — قوله تعالى ﴿ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .. ﴾ [آية ٨٠] .

(١) فسَّر المصنف العذاب بالخوف ، ونقص الأموال والأنفس ، وهو قول ابن جريج فقد قال : العذاب هو الجوع والجذب ، وقال الضحاك : هو الجوع ، وقيل : هو السبي والقتل ، وسبب نزول الآية ما روي أن النبي ﷺ دعا عليهم فأخذهم الله بالقحط والجوع حتى أكلوا الميتة والكلاب ، فجاء أبو سفيان فقال يا محمد : أنشدك الله والرحم ، ألسْتَ تزعم أن الله بعثك رحمة للعالمين ؟ قال : بلى ، قال : فوالله ما أراك إلا قتلْتَ الأبناء بالسيِّف ، وقتلْتَ الأبناء بالجوع ، فنزلت الآية ، وانظر الطبري ٤٥/١٨ والبحر ٤١٥/٦ والدر المنثور ١٣/٥ .

(٢) الإيلاس : اليأس من كل خير ، قال القرطبي ١٤٣/١٢ : ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ أي يائسون متحيِّرون ، لا يدرون ما يصنعون ، كالآيس من الفرج ومن كل خير . اهـ .

قال الفراء : معنى ﴿ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ : هو خالقتها ، كما تقول : لك الأجر والصلَّة^(١) .

٥٨ - وقوله جل وعزَّ ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ .. ﴾ [آية ٨٤] .

هذه الآية لا اختلاف فيها^(٢) ، واللَّتان بعدها ، يقرؤهما أبو عمرو ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾^(٣) .

وأكثرُ القراءِ يقرءون ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ .

فمن قرأ ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ جاء بالجواب على اللفظ^(٤) .

ومن قرأ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ جاء به على المعنى ، كما يُقال :

لمن هذه البدارُ ؟ فيقول : لزيد ، على اللفظ ، وصاحبها زيدٌ على المعنى .

(١) عبارة الفراء في معانيه ٢٤٠/٢ ﴿ وله اختلاف الليل والنهار ﴾ يقول : هو الذي جعلهما مختلفين ، كما تقول في الكلام : لك الأجر والصلَّة ، أي إنك تُؤجر وتُوصَل . اهـ .

(٢) أي هذه القراءة ﴿ لِلَّهِ ﴾ بدون ألف ، عند جميع القراء ، لأنها جواب الاستفهام ﴿ قل لمن الأرض ﴾ ؟ .

(٣) قال ابن مجاهد : اختلفوا في قوله ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ في الآيتين الأخيرتين ، ولم يختلفوا في الأولى ، فقرأ « أبو عمرو » وحده ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ في الأولى ، و ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ في الأخيرتين ، وقرأ الباقرن الثلاثة ﴿ لِلَّهِ ﴾ . وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٤٧/٢ .

(٤) قال الفراء : وقراءة أهل البصرة ﴿ اللَّهُ ﴾ أبين في العربية ، لأنها مردود مفعول ﴿ قل من رب السموات ﴾ مرفوع لا خفض فيه . اهـ . معاني القرآن ٢٤٠/٢ .

وَمَنْ صَاحِبَ هَذِهِ الدَّارِ ؟ فَيَقُولُ : زَيْدٌ عَلَى اللَّفْظِ ، وَلِزَيْدٍ
فَيَجْزئُكَ عَنْ ذَلِكَ .

وَيَجُوزُ فِي الْأَوَّلَى ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ فِي الْعَرَبِيَّةِ .

٥٩ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ .. ﴾ [آية ٨٨] .

أَيُّ وَهُوَ يُجِيرُ^(١) مِنْ عَذَابِهِ ، وَمِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ
مِنْ خَلْقِهِ .

٦٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾ [آية ٨٩] .

مَعْنَى ﴿ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾ فَأَنِّي تُصَرَّفُونَ عَنِ الْحَقِّ^(٢) ؟

٦١ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا
لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ .. ﴾ [آية ٩١] .

فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ ، أَيُّ لَوْ كَانَتْ مَعَهُ آلهَةٌ ، لَا نَفَرْدَ كُلِّ إِلَهٍ
بِخَلْقِهِ .

(١) يُجِيرُ : يَمْنَعُ وَيَحْمِي مِنْ اسْتِعَاثٍ بِهِ ، يَقَالُ : أَجَرْتُ فَلَانًا عَلَى فَلَانٍ : إِذَا أَغَثْتَهُ وَمَنْعْتَهُ مِنْهُ ،
وَمَعْنَى الْآيَةِ : أَنَّهُ سَبْحَانَهُ يَحْمِي مِنْ اسْتِجَارٍ بِهِ ، وَالتَّجَاؤُ إِلَى ، وَلَا يَغِيثُ أَحَدٌ مِنْهُ أَحَدًا .

(٢) « أَلْنِي » بِمَعْنَى كَيْفَ أَيُّ كَيْفَ تُخْدَعُونَ وَتُصَرَّفُونَ عَنْ طَاعَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ ؟ أَوْ كَيْفَ يُخِيلُ إِلَيْكُمْ
أَنْ تَشْرَكُوا مَعَ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ؟ قَالَ فِي التَّسْهِيلِ : رَبُّ سَبْحَانَهُ فِي الْآيَاتِ هَذِهِ
التَّوْبِيخَاتِ الثَّلَاثَةِ بِالتَّدرِجِ ، فَقَالَ أَوَّلًا ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ ثَانِيًا ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ وَذَلِكَ
أَبْلَغُ ، لِأَنَّ فِيهِ زِيَادَةَ تَخْوِيفٍ ، ثُمَّ قَالَ ثَالِثًا ﴿ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾ وَفِيهِ مِنَ التَّوْبِيخِ مَا لَيْسَ فِي
غَيْرِهِ . اهـ . التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ ٥٥/٣ .

﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي لغالب بعضهم بعضاً^(١) .

٦٢ — وقوله جل وعز ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ . رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [آية ٩٣ ، ٩٤] .

النِّدَاءُ معترضٌ .

والمعنى : إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ، فلا تجعلني في القوم الظَّالِمِينَ .

٦٣ — وقوله جل وعز : ﴿اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ..﴾ [آية ٩٦] .
قال مجاهد وعطاء وقتادة : يعني السَّلَامَ ، إذا لقيتهُ فسَلِّمْ عليه^(٢) .

(١) عبارة القرطبي : ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي ولغالب وطلب القوي الضعيف ، كالعادة بين الملوك ، وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الإلهية . اهـ . تفسير القرطبي ١٤٦/١٢ والآية برهان على الوجدانية ، وبيانه أن يقال : لو كان مع الله إله آخر ، لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر ، واستبدَّ كل واحد منهما بملكه ، وطلب غلبة الآخر والعلو عليه ، كما ترى حال ملوك الدنيا وعظمائها ، ولكن لما رأينا جميع المخلوقات ، مرتبطة بعضها ببعض ، حتى كأنَّ العالم كله كتلة واحدة ، علمنا أن مالكة ومدبِّره واحد ، لا إله غيره ، وهذا كما يقول ابن عطية وغيره يسمى برهان « التمانع والتدافع » .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥/١٨ والسيوطي في الدر ١٤/٥ وهو تفسير للتي هي أحسن ، قال الحافظ ابن كثير : أرشده إلى الترياق النافع في مخالطة الناس ، وهو الإحسان إلى من يُسيء إليه ، ليستجلب خاطره ، فتعود عداوته صداقة ، وبغضه محبة . اهـ . تفسير ابن كثير ٤٨٥/٥ .

٦٤ - وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ .. ﴾ [آية ٩٧] .

أَصْلُ الْهَمْزِ : النَّخْسُ وَالْدَّفْعُ ، وَقِيلَ : فَلَانٌ هُمَزَةٌ ، كَأَنَّهُ يَنْخُسُ مَنْ عَابَهُ ، فَهَمْزُ الشَّيْطَانِ (١) : مَسَّهُ وَوَسَّوَسَتْهُ .

٦٥ - وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ .. ﴾ [آية ٩٩] .

يعني المذكورين الذين لا يؤمنون بالبعث .

﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ولم يقل : ارْجِعْنِ (٢) ، فمخاطب على ما يُخْبِرُ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ به عن نفسه ، كما قال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ وفيه معنى التوكيد والتكرير .

٦٦ - وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا .. ﴾ [آية ١٠٠] .

(١) همزات الشياطين : الوسوس والنزعات ، جمع همزة ، وهي الدفع والتحريك الشديد ، وهو كالهز والأز ، قال أهل اللغة : الهمز : النَّخْسُ والدَّفْعُ ، يُقَالُ هَمَزَهُ ، وَلَمَزَهُ ، وَنَخَسَهُ دفعه ، وهمزات الشياطين نزغاتها الشاغلة عن ذكر الله .

(٢) لم يقل : رَبِّ ارْجِعني ، وإنما قال ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ بصيغة الجمع ، للتعظيم لجناب الله جل وعلا ، على عادة الملوك والعظماء ، حيث يقول الملك أو السلطان : نحن فلان أمرنا بكذا ، وهذا ما أشار إليه المصنف بقول : « فمخاطب على ما يخبر الله به عن نفسه » كما قال الشاعر :
أَلَا فَارْحَمُونِي يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ فَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

﴿ كَلَّا ﴾ رَدْعٌ ، وَزَجْرٌ ، وَتَنْبِيْهُ^(١) .

٦٧ — ثم قال جل وعز ﴿ وَمَنْ وَرَّائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُعْثَبُونَ ﴾

[آية ١٠٠] .

قال أبو عبيدة : أي من أمامهم^(٢) .

قال مجاهد : البرزخ : حجاب بين الموت ، والرجوع إلى

الدنيا^(٣) .

قال الضحاك : هو ما بين الدنيا والآخرة^(٤) .

قال أبو جعفر : والعرب تُسمِّي كل حاجز بين شيئين

برزخاً^(٥) ، كما قال سبحانه ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾^(٦) .

(١) قال في التسهيل : « كلاً » حرف ردع وزجر ، وقيل : إنها للنفي : أي ليس الأمر كما ظننت . اهـ . ومعنى الآية : لا رجوع إلى الدنيا فليتردد هذا الفاجر عن طلبه ذلك ، فإن طلبه للرجعة لا فائدة فيه ، لأنه ذاهب أدراج الرياح .

(٢) لفظة « وراء » في اللغة : تطلق على الخلف ، وعلى الأمام ، ومنه قوله سبحانه ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ أي أمامهم ملك ظالم غاشم ، قال في المصباح : « وراء » كلمة مؤنثة ، تكون خلفاً ، وتكون قدماً ، فيقال : وراءك برد شديد أي قدملك برد شديد . اهـ . وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٣/٢ .

(٣،٤) انظر الآثار في الطبري ٥٣/١٨ وزاد المسير ٤٩٠/٥ والدر المنثور ١٥/٥ .

(٥) البرزخ : الحاجز والمانع ، وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ قال الجوهري : البرزخ الحاجز بين الشيئين ، وعالم البرزخ هو ما بين الدنيا والآخرة ، من وقت الموت إلى وقت البعث ، فمن مات فقد دخل في البرزخ . اهـ . قال القرطبي ١٥٠/١٢ : قال رجل بحضرة الشعبي : رحم الله فلاناً فقد صار من أهل الآخرة ، فقال : لم يصِرْ من أهل الآخرة ، ولكنه صار من أهل البرزخ . اهـ .

(٦) سورة الرحمن آية ٢٠ .

٦٨ - وقوله جل وعز : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [آية ١٠١] .

قال أبو عبيد : هو جمع صورة^(١) .

قال أبو جعفر : يذهب إلى أن المعنى : فإذا نفخ في صورِ الناس الأرواح وهذا غلط عند أهل التفسير ، واللغة .

رَوَى أبو الزعراء^(٢) عن عبد الله بن مسعود ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ قال : في القرن .

ورَوَى عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « كَيْفَ أَنْعُمُ وَقَدْ التَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ ، وَحَتَّى جَبَّهَتْهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَمَا نَقُولُ ؟ قَالَ : قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ؛ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا »^(٣) .

ولا يعرف أهل اللغة في جمع « صورة » إلا « صُوراً » ولو كان جمع صورة ، لكان « ثم نُفِخَ فيها »^(٤) إلا على بُعد من الكلام .

(١) ذكره في البحر عن بعضهم ، وهو ضعيف كما قال المصنف .

(٢) جاء في تهذيب التهذيب ٦/٦١ : « عبد الله بن هانيء أبو الزعراء الكبير الكوفي ، قال العجلي : ثقة من كبار التابعين وذكره ابن حبان في الثقات .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في القيامة رقم ٢٤٣١ وقال : هذا حديث حسن ، ورواه أحمد في المسند ٣٢٦/١ .

(٤) يخطئ المصنف من قال إن الصُّور جمع صورة ، ولو كان كذلك لقال تعالى ﴿ ثم نفخ فيها ﴾ بينما الآية ﴿ ثم نُفِخَ فيها ﴾ فإذا هم قيام ينظرون ﴿ وهذا وجه دقيق .

قال أبو جعفر : وهذه الآية مشككة لأنه قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ وقال في موضع آخر ﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ !؟

والجواب عن هذا — وهو معنى قول عبد الله بن عباس^(١) وإن خالف بعض لفظه والمعنى واحد — أنه إذا نفخ في الصور أول نفخة ، تقطعت الأرحام ، وصعق من في السموات ومن في الأرض ، وشغل بعض الناس عن بعض بأنفسهم ، فعند ذلك لا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون^(٢) .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ يَوْمئِذٍ ﴾ في قوله ﴿ فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمئِذٍ ﴾ كما تقول : أنا اليوم كذا ، أي في هذا الوقت ، لا تريد وقتاً بعينه .

٦٩ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [آية ١٠٤] .

(١) قال ابن عباس : لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا ، ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا : من أي قبيلة أنت ؟ ولا من أي نسب ؟ ولا يتعارفون لهول ما أذهلهم . اهـ . القرطبي ١٥١/١٢ .

(٢) قال في التسهيل : فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله ﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ؟ فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ، ثم يتساءلون بعد ذلك ، فإن يوم القيامة يوم طويل ، فيه مواقف كثيرة . اهـ . التسهيل ١٢٢/٣ .

رَوَى أَبُو الْأَخْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : الْكَالِحُ :
الَّذِي قَدْ بَدَتْ أَسْنَانُهُ ، وَتَقَلَّصَتْ شَفَتُهُ ، كَالرَّأْسِ الْمُسَيِّطِ بِالنَّارِ (١) .

٧٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا .. ﴾
[آية ١٠٦] .

قال مجاهد : أي التي كُتِبَتْ علينا .

٧١ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون .. ﴾
[آية ١٠٨] .

يُقَالُ : خَسَأَتْهُ إِذَا بَاعَدَتْهُ بَانْتِهَارٌ (٢) .

٧٢ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فَاتَّخِذْهُمْوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّى أَنْسُوكُمْ ذِكْرِي .. ﴾
[آية ١١٠] .

قال الحسن وقتادة وأبو عمرو بن العلاء — وهذا معنى
ما قالوا — السُّحْرِيُّ : بِالضَّمِّ مَا كَانَ مِنْ جِهَةِ السُّحْرَةِ ، وَالسُّحْرِيُّ :

(١) الأثر في الطبري ٥٦/١٨ وفي اللسان : كَلَحَ يَكْلَحُ كَلَوْحاً ، وَالْكَلُوحُ : تَكَشَّرٌ فِي عَبُوسٍ ،
وقال ابن سيده : الْكَلُوحُ بَدْوُ الْأَسْنَانِ عِنْدَ الْعَبُوسِ . اهـ . وفي الترمذي ٣٠٧/٥ عن النبي
ﷺ مَرْفُوعاً ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالْحَوْنِ ﴾ قال : تشويه النار ، فَتَقَلَّصَ شَفَتُهُ الْعَلِيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسْطَ
رَأْسِهِ ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتَهُ السُّفْلَى حَتَّى تُضْرِبَ سِرَّتَهُ « وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) انظر الصحاح ٤٧/١ .

٧٣ — بالكسر ما كان من الهزؤ^(١) .

وقوله جل وعزّ : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [آية ١١١] .

أي لأنهم^(٢) .

ويجوز أن يكون المعنى : إني جزيتهم الفوز .

٧٤ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿ قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾ [آية ١١٣] .

قال مجاهد : ﴿ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾ الملائكة^(٣) .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٣ ، وروح المعاني للألوسي ١٨/٦٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/١٥٤ .

(٢) قرأ حمزة والكسائي عن نافع ﴿ إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ بكسر الهمزة ، على ابتداء المدح من الله تعالى لهم ، وقرأ الباقون بالفتح ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ أي لأنهم هم الفائزون ، قال في البحر ٦/٤٢٣ : ومفعول جزيتهم الثاني محذوف تقديره : جزيتهم الجنة أو رضواني ، وقال الزمخشري : من قرأ بالفتح هو المفعول الثاني أي جزيتهم فوزهم ، والظاهر أنه تعليل أي جزيتهم لأنهم . اهـ . وانظر القرطبي ١٢/١٥٥ .

(٣) انظر الآثار كلها في الدر المنثور ٥/١٧ وفي البحر المحيط ٦/٤٢٤ وقال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن : ﴿ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾ أي سأل الحُصَّاب الذي يعرفون ذلك فإننا قد نسيناه ، أو فاسأل الملائكة الذين كانوا معنا في الدنيا ، الأول قول قتادة ، والثاني قول مجاهد . اهـ . تفسير القرطبي ١٢/١٥٦ .

وقال قتادة : أي الحُسَّابُ .

٧٥ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ [آية ١١٧] .

قال مجاهد : أي لا بَيِّنَةٌ له به .

* * *

انتهت سورة المؤمنون

تفسير سورة الشُّور

مدنية وآياتها ٦٤ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ ^(١)

١ — من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا .. ﴾ [آية ١] .

أي هذه سورة ^(٢) .

وقرأ الأعرجُ ومجاهد وقتادة وأبو عمرو ﴿ وَفَرَضْنَاهَا ﴾ ^(٣) .
قال قتادة : أي يبينها .

وقال أبو عمرو : أي فصلناها .

ومعنى ﴿ فَرَضْنَاهَا ﴾ فرضنا الحدود التي فيها ، أي
أوجبناها ، بأن جعلناها فرضاً .

(١) قال القرطبي ١٥٨/١٢ : مدينة بالإجماع ، والمقصود من هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر .

(٢) قال الزجاج والفراء والمبرد : سورة بالرفع لأنها خبر الابتداء ، لأنها نكرة ، ولا يُبتدأ بالنكرة في كل موضع ، أي هذه سورة ، وقال القرطبي ١٥٨/١٢ ويحتمل أن تكون مبتدأ ، وما بعدها صفة لها ، أخرجتها عن حدِّ النكرة المحضة ، فحسُن الابتداء لذلك . اهـ .

(٣) ﴿ وفرضناها ﴾ قرئ بتخفيف الراء ، وهي قراءة الجمهور ، أي فرضنا ما فيها من الأحكام عليكم وعلى من بعدكم ، وبالتشديد ﴿ وفَرَضْنَاهَا ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عامر ، والقراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٣٣٠/٢ والمعنى أنزلنا فيها فرائض شتى مختلفة . اهـ .
القرطبي ١٥٨/١٢ .

٢ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ ﴾ [آية ٢] .

قال أبو جعفر : ليس بين أهل التفسير اختلاف ، أن هذا ناسخ لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ۖ ﴾ ^(١) إلى آخر الآية ، ولقوله ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا ۖ ﴾ ^(٢) . فكان من زنى من النساء ، حُبِسَتْ حتى تموت ، ومن زنى من الرجال أُوذِيَ .

قال مجاهد : بالسب ، ثم نُسخ ذلك بقوله تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ ﴾ ^(٣) .

واختلفوا في المعنى :

فقال أكثر أهل التفسير : هذا عام يُراد به خاص ^(٤) .

والمعنى : الزانية والزاني من الأبكار ، فاجلدوا كُلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة .

(١) سورة النساء آية ١٥ ، ١٦ . قال القرطبي : وهذه الآية ناسخة لآية الحبس وآية الأذى ،

اللتين في سورة النساء باتفاق . اهـ . الجامع لأحكام القرآن ١٢/١٥٩ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٤/٢٩٦ وهو في تفسير مجاهد ١/١٤٨ .

(٣) يعني أن اللفظ عام يشمل كل زان ، سواء كان محصناً أو غير محصن ، وقد اتفق العلماء أنه يراد به الخاص ، وهو « البكر » غير المتزوج ، رجلاً كان أو امرأة ، وهذا معنى قوله : عام يراد به خاص .

وقال بعضهم : هو عامٌّ على كلِّ مَنْ زنى ، من بكرٍ ومحسن^(١) ، واحتجَّ بحديث عبادة^(٢) ، وحديث عليّ رضي الله عنه ، أنه جلدَ شُرَاحَةَ^(٣) يوم الخميس ، ورجمها يوم الجمعة ، وقال : جلدتها بكتاب الله عزَّ وجلَّ ورجمها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) .

٣ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٢] .

قال مجاهدٌ ، وعطاء ، والضحاكُ : أي في تعطيل الحدود^(٥) .

-
- (١) هذا رأي أهل الظاهر ، ورأي الجمهور أن حدَّ المحسن « المتزوج » هو الرجم فقط . قال الحافظ ابن كثير : وقد أمر رسول الله ﷺ بـرجم هذه المرأة — وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير فزنى بامرأته — ورجم النبي ﷺ ماعزاً ، والغامدية ، وكل هؤلاء لم يُنقل عن رسول الله ﷺ أنه جلدهم قبل الرجم ، وإنما وردت الأحاديث الصحاح بالاعتصار على رجمهم ، وليس فيها ذكر الجلد ، وهذا مذهب جمهور العلماء . اهـ. ابن كثير ٥/٦ .
- (٢) حديث عبادة هو ما رواه مسلم والإمام أحمد وأهل السنن الأربعة من قول النبي ﷺ : « خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكرُ بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيبُ بالثيب جلد مائة والرجم » وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه منسوخ ، لأن النبي ﷺ رجم ماعزاً والغامدية ، ولم يثبت أنه جمع لهما بين الجلد والرجم .
- (٣) « شُرَاحَةُ » كسرُاقَة امرأة من همدان أقرَّت بالزنى عند علي رضي الله عنه ، وانظر القاموس المحيط مادة شرح .
- (٤) فعل علي رضي الله عنه محمول على أنه ظنَّ أنها بكرٌ فجعلها ، ثم أخبر بأنها متزوجة فرجمها ، فليس فيه حجة لأهل الظاهر .
- (٥) الأثر في الطبري ٦٧/١٨ وابن كثير ٦/٦ والدر المنثور ١٨/٥ .

والمعنى على قولهم : لا تَرْحَمُوهُمَا فترَكُوا حَدَّهما إِذَا زنيا^(١) .

٤ — وقوله جَلَّ وعز ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[آية ٢] .

رَوَى عَنْ عَلِي بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : الطَّائِفَةُ :
الرجلُ فما فوقه^(٢) .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : الطَّائِفَةُ : الرجلُ فما
زاد^(٣) .

وكذا قال الحسن والشَّعْبِيُّ^(٤) .

وروى ابنُ عُيَيْنَةَ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : الطَّائِفَةُ
الرجلان فصاعداً^(٥) .

وقال مالك : الطَّائِفَةُ أربعة^(٦) .

(١) قال الطبري ٦٨/١٨ وقيل : المعنى لا تُخَفِّقُوا الضَّرْبَ عَنْهُمَا ، ولكن أوجعوهما ضرباً ، وهو قول الحسن ، وسعيد بن المسيب ، فقد قالوا : هو الضرب الشديد . اهـ .

(٢-٦) كل هذه الأقوال وردت عن السلف الصالح ، فقد قال مجاهد : الطائفة رجل فما فوقه إلى الألف ، وقال ابن زيد : لا بدُّ من حضور أربعة قياساً على الشهادة في الزنى ، وهو قول مالك ، والليث ، وقال عكرمة وعطاء : لا بدُّ من اثنين ، وقال الزهري : ثلاثة ، لأنه أقلُّ الجمع ، إلخ وانظر البحر المحيط ٤٢٩/٦ والطبري ٧٠/١٨ والألوسي ٨٣/١٨ وفي الدر المنثور نقلاً عن قتادة ١٨/٥ : قال : أمر الله أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، ليكون ذلك عظة وعبرة ونكالاً لهم . اهـ .

قال أبو إسحاق : لا يجوز أن تكون الطائفة واحداً ، لأن معناها معنى الجماعة ، والجماعة لا تكون لأقل من اثنين لأن معنى « طائفة » قطعة ، يُقال : أكلت طائفة من الشاة أي قطعة منها^(١) .

وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا .. ﴾ أنهما كانا رجلين .

قال أبو جعفر : إلا أن الأشبه بمعنى الآية — والله أعلم — أن تكون الطائفة ، لأكثر^(٢) من واحد في هذا الموضع ، لأنه إنما يُراد به الشهرة ، وهذا بالجماعة أشبه .

٥ — وقوله جل وعز : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آية ٣] .

قال مجاهد والزهري وقناة : كان في الجاهلية نساء معلوم منهن الزنى ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن ، فنزلت الآية^(٣)

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨/٤ .

(٢) في المخطوطة « الأكثر » ولعل الصواب : لأكثر .

(٣) في الدر المنثور ١٩/٥ : لما قدم المهاجرون المدينة قدموها وهم يجهد ، إلا قليل منهم ، والمدينة غالية السعر ، شديدة الجهد ، وفي السوق زوان متعائنات من أهل الكتاب ، قد رفعت كل امرأة منهن علامة على بابها ، لتعرف أنها زانية ، وكُنَّ من أخصب أهل المدينة وأكثرهم خيراً ، فرغب أناس من مهاجري المسلمين — للذي هم فيه من الجهد — أن يتزوجوا بعض هؤلاء الزواني فنزلت الآية .

﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً ﴾ وهذا القول الأول .

وقال الحسن : الزاني المجلود لا ينكح إلا مثله .

قال حبيب المعلم : فقال رجل لعَمْرُو بن شُعَيْبٍ : إِنَّ الحسنَ يقول كذا ، فقال : ما عَجَبُكَ مِنْ هذا ؟ حدثني سَعِيدُ بن سَعِيدٍ المَقْبُرِيُّ عن أَبِي هريرة أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا يَنْكِحُ الزَّانِي المَجْلُودُ إِلَّا مِثْلَهُ » (١) .

وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ نحوه .

وَرَوَى سَعِيدُ بن جُبَيْرٍ عن ابن عباس قال : النكاح ههنا الجماع (١) .

وَرَوَى عَلِيُّ بنُ أَبِي طَلْحَةَ عن ابن عباس قال : الزَّانِي من أهل القبلة ، لا يزني إِلَّا بزانيه من أهل القبلة أَوْ مُشْرَكَةً .. والزَّانِيَةُ من أَهْلِ القبلة ، لا تزني إِلَّا بزَانٍ من أَهْلِ القبلة أَوْ مُشْرَكَةً (٣) .

(١) الحديث رواه أبو داود في النكاح رقم ٢٠٥٢ وإسناده حسن ، وأحمد بن حنبل في المسند ٣٢٤/٢ .

(٢) قال القرطبي ١٦٧/١٢ : مقصد الآية تشنيع الزنى وتبشيع أمره ، وأراد بقوله « لا ينكح » أي لا يوطأ ، فيكون النكاح بمعنى الجماع ، والمعنى : الزاني لا يوطأ في وقت زناه إلا زانية من المسلمين ، أو من هي أحسن منها من المشركات .

(٣) وقال في البحر : قال الزمخشري : وقولهم أراد بالنكاح الوطء ، ليس بقول لأمرين : أحدهما : أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم يُرد بها إلا معنى العقد . =

قال أبو جعفر : فهذه ثلاثة أقوال .

وفي الآية قولٌ رابعٌ كأنه أولها .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم المعروف بالقطّان ، قال حدثنا يحيى ابن عبد الله بن بكير ، قال حدثنا الليث ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ابن قيس الأنصاري ، عن سعيد بن المسيّب أنه قال : يزعمون أن تلك الآية ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ تُسَخِّتُ بِالْآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ (٣) فدخلت الزانية في أَيْامَى المسلمين .

وإنما قلنا « كأن هذا أولى » لأن حديث القاسم عن عبد الله مضطرب الإسناد ، وحديث سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قاله قبل نزول الآية الناسخة .

= والثاني : فساد المعنى وأداؤه إلى قولك : الزاني لا يزني إلا بزانية ، والزانية لا تزني إلا بزان ، انتهى وما ذكره من الأمر الأول أخذه من الزجاج حيث قال : لا يُعرف النكاح في كتاب الله إلا بمعنى التزويج ، وأما الأمر الثاني فالمقصود به تشنيع الزاني وتشنيع أمره ، وأنه محرم على المؤمنين ، قال الزمخشري : ومعنى الآية أن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى والخُبْثُ ، لا يرغب في نكاح الصالح من النساء ، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله ، أو في مشركة ، والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصالحاء من الرجال . اهـ . البحر المحيط . ٤٢٩/٦ .

(١) سورة النور آية (٢٣) .

والقول الثالث : أن يكون النكاح هو الجماع ، زعم أبو إسحاق^(١) أنه بعيد ، وأنه لا يُعرف في القرآن النكاح بمعنى الجماع^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فدل على أنه التزويج لأنه لا يُقال في الزنى ، هو محرّم على المؤمن خاصة .

وقول من قال : إنهن نساءٌ معلوماتٌ ، يدل على أن ذلك كان في شيءٍ بعينه ثم زال ، فقد صار قول سعيد أولاهما^(٣) .

وأيضاً فإن سعيداً قال : يزعمون ، فدل على أنه أخذه عن غيره ، وإنما يأخذه عن الصحابة .

٦ — ثم قال جل وعزّ : ﴿ وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آية ٣] .

(١) أبو إسحاق هو الإمام الزجاج ، فقد قال في كتابه معاني القرآن ٢٩/٤ « لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله تعالى إلا على التزويج » . اهـ . وانظر القرطبي أيضاً ١٦٧/١٢ .

(٢) قال القرطبي ١٦٨/١٢ : وليس كما قال ففي القرآن ﴿ حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ وقد بينه النبي ﷺ أنه بمعنى الوطء بقوله « حتى تذوق من عُسَيْلَتِهِ ويزدوق عُسَيْلَتَكَ » ورجحه الطبري ٧٥/١٨ فقال : وأولى الأقوال أنه عنى بالنكاح الوطء . اهـ .

(٣) هذا يؤيد قول من قال : إن نكاح الزاني أو الزانية جائز ، وأن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ فالزانية من أيامى المسلمين ، وقد روي أن رجلاً زنى بامرأة في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، فجلد كل واحد منهما مائة جلدة ، ثم زوّج أحدهما من الآخر ، وسئل ابن عباس عن زنى بامرأة ثم أراد أن يتزوج بها فقال : « أوله سفاح وآخره نكاح » ومثّل ذلك كمثّل رجل سرق من بستان ثمرًا ، ثم أتى صاحب البستان فاشتري منه ثمره ، فما سرق حرام ، وما اشترى حلال . اهـ . وانظر القرطبي ١٧٠/١٢ .

قال ابن عباس : يعني الزَّنى^(١) .

٧ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ^(٢) ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً
أَبَدًا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ .. ﴾
[آية ٥٤ هـ] .

قال أبو جعفر : في هذه الآية ثلاثة أحكامٍ على القاذف :
منها جَلْدُهُ .

وترك قبول شهادته .

وتفسيقه .

وفيهما ثلاثة أقوال :

أحدها : قاله الحسن ، وشريح ، وإبراهيم : أن الاستثناء من قوله
﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ وقالوا : لا تقبل شهادته وإن تاب ،
وهذا قول الكوفيين^(٣) .

-
- (١) الأثر أخرجه ابن كثير ٧/٦ والسيوطي في الدر المنثور ١٩/٥ ونسبه إلى ابن أبي حاتم والبيهقي .
(٢) قال القرطبي ١٧٢/٢١ ذكر الله تعالى في الآية النساء ، من حيث إنهن أهم ، ورميهن بالفاحشة
أشنع ، وأنكى للنفوس ، وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى ، والإجماع . اهـ .
(٣) الاستثناء ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ لا يرجع إلى الجلد باتفاق ، واختلف في ردِّ شهادة القاذف ،
فالجمهور على قبول شهادته إذا تاب ، وقال الحنفية : لا تقبل شهادته ولو تاب وصار أصلح
الصالحين ، لقوله سبحانه ﴿ أَبَدًا ﴾ فإنها تفيد الدوام والاستمرار ، وانظر القرطبي ١٧٩/١٢ .

والقول الثاني : أن يكون الاستثناء من قوله تعالى
﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ أي إلا من تاب ، فإنه تُقبل
شهادته .

وهذا قول مسروق ، وعطاء ، ومجاهد ، وطاووس .
ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكر^(١) : إن ثبتت
قبلت شهادتك ، وهذا قول أهل المدينة .

والقول الثالث : يروى عن الشعبي أنه قال : الاستثناء من
الأحكام الثلاثة^(٢) .

فإذا تاب ، وظهرت توبته لم يُحدّ ، وقُبلت شهادته ، وزال عنه
التفسيق ، لأنه قد صار ممّن يُرضى من الشهداء ، وقد قال الله عز
وجل ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ
اهْتَدَى ﴾^(٣) .

(١) « أبو بكر » هو نُفَيْع بن الحارث ، وكان قد قذف المغيرة بن شعبة ، فأقام عليه عمر الحدّ ،
وفي صحيح البخاري « جلد عمر رضي الله عنه أبا بكر ، وشيّل بن مَعْبُد ، ونافعاً ، بقذف
المغيرة ، ثم استتابهم وقال : من تاب قُبلت شهادته » وانظر روح المعاني ١٨/١٠٢ والبحر
الحيط ٦/٤٣٢ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨/٧٧ والسيوطي في الدر ٥/٢١ وكان الشعبي يقول : يقبل الله توبته
وتردّون شهادته ؟

(٣) سورة طه آية ٨٢ .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون الاستثناء من قوله ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ كما ذكرنا في القول الأول ، ويكون ﴿ الَّذِينَ ﴾ في موضع نصب ، إلا أنه يجب أن يزول عنه اسم الفسوق ، فيجب قبول شهادته ، ويكون عدلاً .

ويجوز أن يكون الاستثناء من قوله ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ ويكون ﴿ الَّذِينَ ﴾ في موضع خفض ، بمعنى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ ويكون قبول شهادته أوكد ، وهو أيضاً متعارف عن عمر ، فهو أولى أيضاً لهذا .

ويجوز أن يكون كما روي عن الشعبي ، إلا أن الفقهاء على خلافه (١) .

وفي الكلام حذف ، المعنى : والذين يرمون المحصنات بالزنى ، ثم حذف لأن قبله ، ذكر الزانية والزاني .

والفائدة في قوله جل وعز ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ أن ﴿ أَبَدًا ﴾ مقدار مدة حياة الرجل ، ومقدار انقضاء قصته .

فإذا قلت : الكافر لا تقبل له شهادة أبداً ، فمعناه مادام كافراً .

(١) الحد لا يسقط عن قذف محصناً عفيفاً باتفاق الفقهاء حتى ولو تاب ، لأن التوبة لا تسقط عنه الحد ، وإنما يسقط عنه الفسق ورد الشهادة على خلاف بينهم في ذلك ، وانظر البحر المحيط ٤٣٢/٦ وروح المعاني ١٠٢/١٨ .

وإذا قلت : القاذف لا تُقبل له شهادة أبداً : فمعناه مادام قاذفاً . وهذا من جهة اللغة ، وكلامُ العرب يؤكد قبولَ شهادته ، وألا يكون أسوأ حالاً من القاتل^(١) .

٨ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ [آية ٦] .

في هذا قولان :

أحدهما : أن المعنى : والذين يقولون لأزواجهم يازواني ، أو يقول لها : رأيْتُكِ تزنينَ ، وهذا قولُ أهل الكوفة .

والقول الآخر : أنه يقول لها : رأيْتُكِ تزنينَ لا غيرُ ، وهذا قولُ أهل المدينة .

قال أبو جعفر : والقولُ الأولُ أولى ، لأنَّ الرَّمْيَ في قوله ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ هو أن يقول لها : يازانية ، أو رأيْتُكِ تزنينَ ، فيجب أن يكون هذا مثله .

(١) قال القرطبي ١٨١/١٢ : قال أبو عبيد : الاستثناء يرجع إلى الجمل السابقة ، وليس من تُسبب إلى الزنى بأعظم جرماً من مرتكب الزنى ، ثم الزاني إذا تاب قُبِلَت شهادته ، لأنَّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وإذا قُبِلَ الله التوبة من العبد ، كان العباد بالقبول أولى . اهـ . وقال الزجاج ٣١/٤ : وليس القاذف بأشدَّ جرماً من الكافر ، فحقُّه إذا تاب وأصلح أن تُقبل شهادته ، وقوله تعالى « أبداً » أي ما دام قاذفاً كما تقول : لا تقبل شهادة الكافر أبداً ، فإنَّ معناه ما دام كافراً . اهـ . وانظر أقوال الفقهاء في الموضوع فإنه نفيس .

٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ .. ﴾

[آية ٦] .

رَوَى إِبْرَاهِيمُ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ^(١) قَالَ : « كَانَ رَجُلٌ
مَعَنَا جَالِساً لَيْلَةَ جُمُعَةٍ ، فَقَالَ : إِنْ أَحَدُنَا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا ، فَإِنْ
قَتَلَهُ قَتَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَكَلَّمْ حَدِّثْتُمُوهُ ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ عَلَى غَيْظٍ ، اللَّهُمَّ
احْكَمْ^(٢) ، فَأُنْزِلَتْ ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ : جَاءَ عُمَيْرُ^(٣) إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي وَسْطِ
النَّاسِ فَسَأَلَهُ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .. وَقَالَ فِي آخِرِهِ : فَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا .

وَقَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : فَفَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمَا .

١٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنْ

الْكَافِرِينَ^(٤) ﴾ [آية ٧] .

(١) هو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ، والمفسر الشهير .

(٢) الحديث في مسند الإمام أحمد ٤٢١/١ بلفظ « كنا جلوساً عشية الجمعة في المسجد ، فقال رجل من الأنصار : أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلاً فقتله .. » إلى آخره .

(٣) هو « عُمَيْرُ بْنُ أَبِي أَيْيُضَ الْعَجَلَانِي » صحابي أخرجه الشيخان قصته ، وذكر في الموطأ أنه « عُمَيْرُ بْنُ أَشْقَرٍ » وهو خطأ ، وصوابه ما أثبتناه ، وانظر الإصابة ٧٤٦/٤ .

(٤) سبب نزول الآية ما رواه أبو داود عن ابن عباس أن « هلال بن أمية » قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء ، فقال النبي ﷺ : « الْبَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ » قال يا رسول الله : إذا رأى أحدنا رجلاً على امرأته ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي ﷺ يقول : « الْبَيِّنَةُ وَإِلَّا =

وَتَقْرَأُ « وَالْخَامِسَةَ » بِمَعْنَى : وَيَشْهَدُ الشَّهَادَةَ الْخَامِسَةَ .

وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَأَنْشُدَ سَيَبُويه :

فِي فِتْنَةٍ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا

أَنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَتَّعِلُ ^(١) .

١١ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَيَذْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ .. ﴾ [آية ٨] .

مَعْنَى ﴿ يَذْرَأُ ﴾ : يَدْفَعُ .

وَفِي مَعْنَى الْعَذَابِ هَهُنَا قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ الْحَبْسُ .

وَالْآخَرُ : أَنَّهُ الْحُدُّ ^(٢) .

= حَدُّ فِي ظَهْرِكَ « فَقَالَ هَلَالٌ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ ، وَلَيَنْزِلَنَّ اللَّهُ فِي أَمْرِي مَا يَبْرُرُ »
ظَهْرِي مِنَ الْحُدِّ ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ وَانْظُرِ الْقُرْطُبِي ١٨٣/١٢ .

(١) الْبَيْتُ فِي شَوَاهِدِ سَيَبُويه ص ١٢٤ وَهُوَ لِلْأَعَشَى فِي دِيَوَانِهِ ص ١٤٧ .

(٢) فِي الْبَحْرِ ٤٣٤/٦ ﴿ وَيَذْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ ﴾ أَيُّ يَدْفَعُ عَنْهَا الْعَذَابَ ، وَالْعَذَابُ قَالَ الْجُمْهُورُ :
إِنَّهُ الْحُدُّ « حَدُّ الزُّنَى » وَحَكَى الطَّبْرِي أَنَّ الْعَذَابَ هُوَ الْحَبْسُ ، حَكَاهُ عَنْ آخِرِينَ . اهـ . وَالْقَوْلُ
الْأَوَّلُ هُوَ مَذْهَبُ الْحَنْفِيَّةِ ، وَالثَّانِي هُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ قَالَ الْأَلُوسِي : فَإِنْ امْتَنَعَ الزَّوْجُ
عَنِ الْمُلَاعَنَةِ ، حَبَسَهُ الْحَاكِمُ حَتَّى يَلَاعَنَ أَوْ يَكْذِبَ نَفْسَهُ فَيَحُدَّ ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ : إِنْ امْتَنَعَ حُدَّ
حَدَّ الْقَذْفِ ، وَإِنْ امْتَنَعَتْ تَحُدَّ عِنْدَهُ حَدُّ الزُّنَى ، وَعِنْدَنَا تُحْبَسُ حَتَّى تَلَاعَنَ . اهـ . رُوحُ الْمَعَانِي
١٠٨/١٨ .

١٢ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ

تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [آية ١٠] .

في الكلام حذف .

والمعنى : ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، لنال الكاذب منكم عذابٌ عظيمٌ ^(١) .

١٣ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ .. ﴾

[آية ١١] .

قال الضحَّاك : هم الذين قالوا لعائشة ما قالوا ^(٢) .

قال أبو جعفر : يُقال للكذب : إفكٌ ، وأصله من قولهم : أفكهُ يَأْفِكُهُ ، إذا صرَّفه عن الشيء ، ف قيل للكذب إفكٌ ، لأنه مصروف عن الصدق ومقلوبٌ عنه ، ومنه المؤتفكات .

والذين جاءوا بالإفك — فيما رُوِيَ — « عبدُ اللَّهِ بنُ أبيي » ^(٣)

(١) جواب « لولا » محذوف للتهويل ، وكما قيل : ربُّ مسكوتٍ عنه أبلغ من منطوق ، وقد قدَّره المصنف بما ذكر ، وقال التبريزي تقديره : لهلكتم ، أو لفَضَحَكم ، أو لعاجلكم بالعقوبة ، وقال ابن عطية : تقديره لكشف الزناة بأيسر من هذا ، أو لأخذهم بعقاب من عنده ، ونحو هذا من المعاني . اهـ . البحر المحيط ٤٣٥/٦ وانظر روح المعاني ١١١/١٨ .

(٢) أي رموها بمحادثة الإفك وهي الزنى ، وانظر تفصيل القصة في الصحيحين .

(٣) هو « عبد الله بن أبيي بن سلول » رأس الفتنة ، وزعيم المنافقين ، وهو الذي تولى كبر الحديث ، أي معظمه ، وأشاعه وأذاعه ، ورمى أم المؤمنين عائشة بفاحشة الزنى ، حتى نزلت براءتها من السماء رضي الله عنها وأرضاها .

و« مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ »^(١) ، و« حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ » .

ثم قال تعالى ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

[آية ١١] .

فالخطابة لعائشة ، وأهلها ، وصفوان^(٢) .

أي تُؤجرون فيه^(٣) ، ونزل فيهم القرآن .

١٤ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[آية ١١] .

روى ابن أبي نجيح عن مُجاهد قال : ﴿ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾

عبدالله بن أبيّ بن سلول .

وروى الزُّهري عن عُروة عن عائشة قالت : هو عبدالله بن

أبيّ .

(١) مسطح بن أثاثة بن عبّاد القرشي المطلبي ، ابن خالة أبي بكر ، كان ممن خاض في الإفك على

عائشة ، فجلده النبي ﷺ فيمن جلد ، توفي سنة ٣٤ وانظر ترجمته في أسد الغابة ١٥٦/٥ .

(٢) هو « صفوان بن المعطل السُّلَمي » ثم الذكواني كما في المسند ١٩٤/٦ وهو الذي اتهمت به عائشة الصديقة .

(٣) قال في التسهيل : والخير في ذلك من خمسة وجوه : تبرئة أم المؤمنين ، وكرامة الله بإنزال الوحي في شأنها ، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها ، وموعظة المؤمنين ، والانتقام من المفترين . اهـ .
التسهيل ١٣١/٣ .

وقرأ حميد بن قيس ويعقوب ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كُبْرَهُ ﴾ بضم الكاف^(١) ،

قال يعقوب كما تقول : الذي تَوَلَّى عَظْمَهُ .

قال الفراء : هو وجه جيد في النحو .

قال أبو جعفر : وخالفه في ذلك الرؤساء من النحويين ، قيل لأبي عمرو بن العلاء : أتقرأ ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كُبْرَهُ ﴾ ؟ فقال : لا ، إنما الكُبر في النسب .

قال أبو جعفر : يريد أنه يُقال : الكُبر من ولد فلان لفلان^(٢) .

١٥ — وقوله جَل وعَزَّ : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ۖ ﴾ [آية ١٢] .

(١) عبارة الفراء في معانيه ٢٤٧/٢ قال : اجتمع القراء على كسر الكاف ، وقرأ حميد الأعرج « كُبْرَهُ » بالضم ، وهو وجه جيد في النحو ، لأن العرب تقول : فلان تَوَلَّى عَظْمَ الأمر : يريدون أكثره . اهـ .

أقول : وقد ذكر ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر ٣٣١/٢ هذه القراءة ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كُبْرَهُ ﴾ بضم الكاف ، وقراءة الجمهور بالكسر .

(٢) قال في لسان العرب ٢٠٩/١١ : قاس الفراء « الكُبر » على « العَظْم » وكلام العرب على غيره ، أخبرني المنذري عن ابن السكيت أنه قال : كِبُر الشيء : مُعْظَمه بالكسر ، فَأَمَّا الكُبر بالضم ، فهو أكبر ولد الرجل . اهـ .

أي هلاً ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ؟

أي بأهل دينهم ، ومن يقوم مقامهم .

ومعنى قوله ﴿ أَفَضْتُمْ فِيهِ ﴾ خَضْتُمْ فِيهِ^(١) .

١٦ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ [آية ١٥] .

قال مجاهد : أي يرويه بعضكم عن بعض^(٢) .

وقرأت عائشة وابنُ عُمَرُ : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾^(٣)

بكسر اللام ، وضَمَّ القاف ، يُقال : وَلَقَ ، يَلْقُ ، إذا أسرع في الكذب وغيره .

١٧ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً ﴾

[آية ١٧] .

قال مجاهد : أي ينهاكم .

(١) في الصحاح ١٠٩٩/٣ : فاض الخير يَفِيضُ واستفاض : أي شاع ، وهو حديث مستفيض أي منتشر في الناس ، ولا تقل : مستفاض إلا أن تقول : مستفاض فيه ، وأفاضوا في الحديث : أي اندفعوا فيه . اهـ. الجوهري .

(٢) الأثر في الطبري ٩٨/١٨ وابن كثير ٢٧/٦ والدر المنثور ٣٣/٥ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٠٤/٢ وذكرها الطبري ٩٨/١٨ وفي البحر ٤٣٨/٦ والقرطبي ٢٠٤/١٢ ومعاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢ .

١٨ — وقوله جلّ وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ

آمَنُوا .. ﴾ [آية ١٩] .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : أَنَّ يَظْهَرُ الرَّئِي (١) .

١٩ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ .. ﴾

[آية ٢٢] .

قل أبو جعفر : فيه قولان

أحدهما : رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال :
لا يقسموا ألا ينفعوا أحداً (٢) .

والآخر : أن المعنى : لا يقصّروا ، من قولهم ما ألوت أن
أفعل .

قال هشام : ومنه قول الشاعر :

أَلَا رَبَّ خَصِمٍ فَيْكَ أَلَوِي رَدَدْتُهِ

نَصِيحٍ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرُ مُؤْتَلِي (٣) .

(١) قال القرطبي ٢٠٦/١٢ : الفاحشة : الفعل القبيح المفرط في القبح ، وقيل : الفاحشة في هذه الآية : القول السيئ . اهـ .

(٢) قال الطبري : يأتل من الألية وهي القسم بالله والمعنى : ولا يقسم أولو الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم ، ونسب هذا القول إلى ابن عباس . الطبري ١٠٢/١٨ والدر المنثور ٣٤/٥ .

(٣) البيت لامرئ القيس من قصيدته التي مطلعها : قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل .. وهو في ديوانه ص ١٨ وفي المنصف لابن جني ٨٣/٣ والشاهد فيه قوله « غير مؤتلي » أي غير مقصّر في نصحي ، والألوى : الشدديد الخصومة .

قال أبو جعفر : القول الأول أولى ، لأنَّ الزُّهريَّ روى عن سعيد بن المسيَّب ، وعروة ، وعلقمة بن وقاص ، وعُبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه ، عن عائشة قالت : كان أبو بكر يُنفقُ على « مسطج بن أثاثة » لقربائِهِ وفقرِهِ ، فقال : « واللّٰه لا أنفقُ عليه بعدما قال في عائشة ما قال » فأنزل الله عزَّ وجل ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى .. ﴾ (١) .

قال أبو جعفر : والتقديرُ في العربية : ولا يحلفُ أَوْلُو الفضلِ كراهةً أن يُؤْتوا ، وعلى قول الكوفيَّين : لأنَّ لا يؤْتوا .

ومن قال معناه : ولا يُقَصِّرُ (٢) ، فالتقديرُ عنده : ولا يُقَصِّرُ أَوْلُو الفضلِ عن أن يُؤْتوا .

فإن قيل : ﴿ أَوْلُو ﴾ لجماعةٍ ، وفي الحديث أن المراد أبو بكرٍ ؟ فالجواب : أنَّ عليَّ بنَ الحَكَم رَوَى عن الضَّحَّاك قال قال أبو بكرٍ

(١) هذا طرف من حديث طويل مشهور هو حديث الإفك ، أخرجه البخاري في التفسير ١٣٢/٦ والترمذي رقم ٣١٨٠ وقال : حديث حسن صحيح ، وانظر تمام الحديث في الطبري ١٠٢/١٨ والقرطبي ٢٠٧/١٢ وابن كثير ٣٠/٦ والبحر المحيط ٤٤٠/٦ .

(٢) إلى هذا ذهب الزمخشري في الكشاف ٧٧/٢ فقال : المعنى : لا يحلفوا على ألا يُحسنوا إلى المستحقين للإحسان ، أو لا يُقَصِّروا في أن يُحسنوا إليهم ، وإن كانت بينهم شحنة ، لجناية اقترفوها ، فليعودوا عليهم بالعفو والصفح .. اهـ .

وغيره من المسلمين^(١) : لا تَبْرُ أَحَدًا مِمَّنْ ذَكَرَ عَائِشَةُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
﴿ وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ إلى آخر الآية .

٢٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ، الْغَافِلَاتِ ،
الْمُؤْمِنَاتِ ، لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾
[آية ٢٣] .

[رَوَى سَفِيَّانٌ عَنْ خُصَيْفٍ قَالَ : سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ ،
مَنْ قَذَفَ مُحْصَنَةً لِعَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟] فَقَالَ : هَذَا خَاصٌّ
بعائشة^(٢) .

وَرَوَى « سَلْمَةُ بْنُ نُبَيْطٍ »^(٣) عَنْ الضَّحَّاكِ قَالَ : هَذَا فِي
أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً^(٤) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَالضَّحَّاكِ أَوَّلَى مِنَ الْقَوْلِ
الأول ، لِأَنَّ قَوْلَهُ ﴿ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ .

(١) الأثر عن الضحاك ذكره في الدر المنثور ٣٥/٥ والبحر المحيط ٤٤٠/٦ والألوسي في روح المعاني
١٢٥/١٨ .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش ، وانظر الطبري ١٠٣/١٨ والقرطبي
٢٠٩/١٢ والدر المنثور ٣٥/٥ .

(٣) سلمة بن نبيط تابعي من الطبقة الخامسة ، وضبطه في تقريب التهذيب ٣١٩/١ بالتصغير
« نُبَيْط » وقال هو الأشجعي ثقة .

(٤) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٥/٥ .

وقيل : حُصَّ بهذا أزواجُ النبي ﷺ فقليل لمن قذفهن : ملعون
في الدنيا والآخرة ، ومن قذف غيرهن ، قيل له : فاسق ، ولم يُقل له
هذ^(١) .

٢١ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ..﴾ [آية ٢٥] .

الَّذِينَ ههنا : الحساب ، والجزاء ، كما قال تعالى ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ
الْقِيَمُ﴾^(٢) و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ .

٢٢ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ،
وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ..﴾ [آية ٢٦] .

قال سعيّد بن جبیر وعطاء ومجاهد : أي الكلمات الخبيثات

(١) قال الزمخشري في تفسيره الكشاف ٧٧/٢ وأجاد وأبدع : « ولو قَلِبَتِ الْقُرْآنُ كُلُّهُ ، وَفُتِّشَتْ
عَمَّا أَوْعَدَ بِهِ الْعَصَاةَ ، لَمْ تَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَلِظَ فِي شَيْءٍ تَغْلِيظُهُ فِي الْإِفْكَ ، وَمَا أَنْزَلَ فِيهِ مِنْ
الْآيَاتِ الْقَوَارِعِ ، الْمَشْحُونَةِ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ ، وَالزَّجْرِ الْعَنِيفِ ، وَاسْتَفْظَاعِ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ ، مَا نَزَلَ
فِيهِ عَلَى طَرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَأَسَالِيِبٍ مُتَفَنَّةٍ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا كَافٍ فِي بَابِهِ ، وَلَوْ لَمْ يُنْزَلِ اللَّهُ إِلَّا هَذِهِ
الْآيَاتُ الثَّلَاثُ ، لَكَفَى بِهَا ، حَيْثُ جَعَلَ الْقَذْفُ مَلْعُونِينَ فِي الدَّارَيْنِ جَمِيعاً وَتَوَعَّدَهُمُ بِالْعَذَابِ
الْعَظِيمِ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ أَلْسِنَتَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا أَفْكُوا وَهَتَاؤُهُمْ ، فَأَوْجَزَ فِي ذَلِكَ
وَأَشْبَعَ ، وَفَصَّلَ وَأَجْمَلَ ، وَأَكْثَدَ وَكَرَّرَ ، وَجَاءَ بِمَا لَمْ يَقَعْ فِي وَعِيدِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ . انْتَهَى .
(٢) سورة التوبة آية رقم ٣٦ واستشهد المصنف بالآية ضعيف ، لأن المراد بالدين هنا : الشرع
المستقيم وهو ملة إبراهيم كما قال المفسرون ، واستشهاده بالثانية صواب ، لأن المراد بالآية أنه
تعالى مالك يوم الجزاء والحساب ، قال في التسهيل ٣٣/١ : الدين له خمسة معانٍ : الملة ،
والعادة ، والجزاء ، والحساب ، والقهر .

للخبِيثِينَ مِنَ النَّاسِ ، والخبِيثُونَ مِنَ النَّاسِ للخبِيثَاتِ مِنَ الْقَوْلِ
والخبِيثَاتِ مِنَ النَّاسِ ..

وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْكَلَامِ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ ، وَالطَّيِّبُونَ مِنَ النَّاسِ ،
لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْقَوْلِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ النَّاسِ (١) .

قال أبو جعفر : وهذا أحسن ما قيل في هذه الآية .

والمعنى : الكلمات الخبيثات لا يقوهرن إلا الخبيثون والخبِيثَاتُ
من الناس ، والكلمات الطيبات لا يقوهرن إلا الطيبون والطيبات من
الناس (٢) .

ودل على صحّة هذا القول : ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا

(١) انظر الطبري ١٠٦/١٨ والتسهيل ١٢٦/٣ والبحر المحيط ٤٤١/٦ وهذا قول ابن عباس والضحاك .

(٢) قال في البحر : والظاهر أن « الخبيثات » وصف للنساء ، وكذلك الطيبات ، والمعنى : النساء الخبيثات للرجال الخبيثين ، ويرجحهُ مقابلته بالذكر أي إن الخبيثات من النساء ينزعن للخبيثات من الرجال ، فيكون قريباً من قوله ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، ويدل على هذا التأويل قول عائشة : ولقد خلقت طيبةً عند طيب . اهد البحر ٤٤١/٦ أقول ما ذكره هنا هو قول ابن زيد ، وهو الأوضح والأظهر وكما قيل في الأمثال : « إن الطيور على أشكالها تقع » وقد ذكر هذا القول أيضاً الحافظ ابن كثير ٣٥/٦ قال : والمعنى : ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة ، لأنه أطيّب من كل طيب من البشر ، ولو كانت خبيثة ما صلحت له ، لا شرعاً ولا قدراً ، ولهذا قال تعالى ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان .

يَقُولُونَ ﴿ أَي « عَائِشَةُ » وَ « صَفْوَانُ » مَبْرُءُونَ مِمَّا يَقُولُ الْخَبِيثُونَ
وَالْخَبِيثَاتُ .

وَجَمَعَ وَإِنْ كَانَا اثْنَيْنِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ
إِخْوَةٌ ﴾ ^(٤) هَذَا قَوْلُ الْفَرَاءِ فِي الْجَمْعِ .

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ قَوْلَانِ آخِرَانِ :

أ — قِيلَ الْمَعْنَى : الْخَبِيثَاتُ مِنَ الْكَلَامِ ، إِنَّمَا تُلْصَقُ بِالْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثَاتِ
مِنَ النَّاسِ ، لَا بِالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ .

ب — وَقِيلَ الْمَعْنَى : الْخَبِيثُونَ مِنَ الرِّجَالِ ، لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ،
وَالْخَبِيثَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ، لِلْخَبِيثِينَ مِنَ الرِّجَالِ ^(١) .

٢٣ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ
بُيُوتِكُمْ ، حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا .. ﴾ [آيَةُ ٢٧] .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّمَا هُوَ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا .

(١) يَرِيدُ أَحْوِينَ فَمَا زَادَ ، وَالْآيَةُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ رَقْمَ ١١ وَانْظُرْ تَوْحِيهِ الْآيَةِ فِي مَعَانِي الْفَرَاءِ
٢٤٩/٢ .

(٢) فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلْنَّحَاسِ ٤٣٧/٢ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ﴾
قَدْ ذَكَرْنَا فِيهِ أَقْوَالَ ، فَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيهِ أَنَّ الْمَعْنَى : الزُّنَاةُ لِلزُّنَاةِ . اَلْخَ وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ
الْأَطْهَرُ كَمَا بَيَّنَّا وَحَيْثُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبَ الطَّيِّبِينَ ، وَخَيْرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، كَانَتْ
عَائِشَةُ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبَاتِ وَأَطْهَرَ الطَّاهِرَاتِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا .

قال مجاهد : هو التَّنْحُج ، والتَّنْحُم^(١) .

قال أبو جعفر : الاستئناسُ في اللغة : الاستعلامُ ، يُقال :
استأنستُ فلم أرَ أحداً ، كما قال النابغة :

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا
بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَحْدٍ^(٢)

أي على ثور قد فزع ، فهو يستعلم ذلك ، ومنه قول الشاعر :
أَنْسَتْ نَبَأَهُ وَأَفْرَعَهَا الْقَنَّا
صُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ^(٣)

ومنه قوله جل وعز ﴿ فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾^(٤) أي
علمتم .

وَيُيِّنُ لَكَ هَذَا الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ .

(١) قال ابن جرير : وقال آخرون معنى الآية : حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنج والتنخم وما أشبهه ، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم ، ثم ذكر بسنده قول مجاهد . انظر تفسير الطبري ١١١/١٨ .

(٢) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه ص ١٧ ومعنى « مستأنسٍ وَحْدٍ » الثور الوحشي المنفرد ، شبه ناقته به في شدة الخوف والفزع ، وانظر الخصائص لابن الجني ٢٦٢/٣ وأمالى ابن الشجري ٢٧١/٢ وشرح المفصل لابن يعيش ١٦/٦ .

(٣) البيت للحارث بن جِلْزَة من معلقته المشهورة ، وانظر المصون لأبي أحمد العسكري ص ٩٥ . وذكره في لسان العرب ١٦٤/١ قال : والنبأة : الصوت ليس بالشديد . اهـ ومراده أنها شعرت بصوت خفي ففزعته من القنّاص وقد دنا المساء .

(٤) سورة النساء آية ٦ .

رَوَى أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : (جِئْتُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، فَقَالَ : فَهَلَّا أَقَمْتُ ؟ فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَيْسَتْ أَدْنَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمُ عَلَى أَخِيهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَإِنْ أُذِنَ وَإِلَّا رَجَعَ » فَقَالَ : لَتَأْتِيَنِي عَلَى هَذَا بَعْنٌ يَشْهَدُ لَكَ ، أَوْ لَتَنَالَنَّكَ مِنِّي عَقُوبَةٌ ! فَجِئْتُ إِلَى « أَبِي بَنِي كَعْبٍ » فَجَاءَ فَشَهِدَ لِي (١) .

قال أبو جعفر : فهذا يبين لك أن معنى ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ حتى تستعلموا : أَيْؤْذَنُ لَكُمْ أَمْ لَا ؟

٢٤ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ .. ﴾ [آية ٢٨] .

(١) الحديث أخرجه البخاري في الاستئذان ٦٨/٨ ومسلم في كتاب الآداب ٣٧/٣٣ بلفظ (جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فقال : السلام عليكم ، هذا عبد الله بن قيس ، فلم يأذن له ، فقال : السلام عليكم هذا أبو موسى ، السلام عليكم هذا الأشعري ، ثم انصرف ، فقال : ردوا علي ، ردوا علي ، فجاء فقال : يا أبا موسى ماركك ! كنّا في شغل ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الاستئذان ثلاث ، فإن أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ » قال : لتأتيني على هذا بيّنة ، وإلّا فعلت وفعلت ، فذهب أبو موسى ، فلما أن جاء بالعشي وجدوه ، قال : يا أبا موسى ما تقول ؟ أقد وجدت ؟ قال : نعم « أبي بن كعب » قال : عدل ، قال يا أبا الطفيل ما يقول هذا ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك يا ابن الخطاب ، فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : سبحان الله !! إنما سمعت شيئاً فأحييت أن أتيت (ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه) .

المعنى : حتى يأذن لكم أصحابها بالدخول ، لأنه لا ينبغي له أن يدخل إلى منزل غيره — وإن علم أنه ليس فيه — حتى يأذن له صاحبه .

٢٥ — وقوله جلّ وعز : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾ [آية ٢٩] .

قال مجاهد : كانت بيوت في طرق المدينة ، يجعل الناس فيها أمتعتهم ، فأجلّ لهم أن يدخلوها بغير إذن^(١) .

وروى سالم المكي عن محمد بن الحنفية قال : هي بيوت الخانات والسوق^(٢) .

وقال الضحاك : هي الخانات^(٣) .

وقال جابر بن زيد : ليس يعني بالمتاع الجهاز ، وإنما هو البيت ينظر إليه ، أو الخربة يدخلها لقضاء حاجة ، وكل متاع الدنيا منفعة^(٤) .

وقال عطاء : ﴿ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾ للخلاء ، والبول^(٥) .

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ١١٤/١٨ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩/٥ وأبو حيان في البحر ٤٤٦/٦ .

(٢) الخانات : الفنادق ، استثنى الله من البيوت التي يجب الاستئذان على دخولها ما ليس بمسكون منها ، نحو الفنادق وهي الخانات ، والرُّبَط ، وحوانيت البياعين ، قال في البحر وهو مروي عن ابن عباس وعكرمة والحسن وانظر البحر ٤٤٦/٦ .

(٣-٥) انظر الآثار في الطبري ١١٤/١٨ والقرطبي ٢٢١/١٢ .. قال الفراء ﴿ فيها متاع لكم ﴾ أي =

وهذه الأقوال متقاربة ، وأبينها قول مجاهد ، لأنه تعالى حَظَرَ عليهم بَدْءاً أن يدخلوا غير بيوتهم ، ثم أذن لهم إذا كان لهم في بيوت غيرهم متاع ، على جهة اكتراءٍ أو نظيره أن يدخلوا .

والذي قاله غير مجاهد جائز في اللغة ، لأنه يُقال لكل منفعة متاع ، ومنه ﴿ فَمَتَّعُوهُمْ عَلَىٰ مَوْسِعِ قَدْرِهِ وَعَلَىٰ الْمَقْتَرِ قَدْرُهُ ﴾ ^(١) .

٢٦ — وقوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ .. ﴾ [آية ٣٠] .

قال قتادة : أي عما لا يحل لهم ^(٢) .

« مِنْ » ههنا لبيان الجنس .

قال جرير بن عبد الله : « سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفُجأة فقال : اصْرِفْ بَصْرَكَ » ^(٣) .

= منافع لكم تنتفعون بها وتستظلون بها من الحر والبرد ، قال الفراء : الفندق مثل الخان ، وسمعت أعرابياً من قضاة يقول : فُتِّق . اهـ معاني القرآن ٢٤٩/٢ .

(١) عبارة القرطبي : وقال جابر بن زيد : ليس يعني بالمتاع الجهاز ، ولكن ماسواً من الحاجة ، إما منزل ينزله قوم من ليل أو نهار ، أو خربة يدخلها لقضاء حاجة ، أو دار ينظر إليها ، فهذا متاع ، وكل منافع الدنيا متاع . اهـ وهذا الكلام أشمل وأوضح وانظر تفسير القرطبي ٢٢١/١٢ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن ابن زيد ١١٧/١٨ والسيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٤٠/٥ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الآداب ١٨١/٦ وأبو داود في النكاح ٦١/٨ والترمذي في الاستئذان رقم ٢٩١٦ وقال : حسن صحيح ، ورواه أحمد في المسند ٣٦١/٤ .

فأمره ﷺ بصرف بصره ، لأنه إذا لم يصرف بصره ، كان تاركاً ما أمره الله جلَّ وعزَّ به ، وكان ناظراً نظرة ثانية اختياراً ، كما قال أبو سلمة عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال : (يا عليُّ إِنَّ لَكَ كَنْزاً فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا ^(١)) ، فلا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى ، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ ^(٢) .

٢٧ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا .. ﴾ [آية ٣١] .

رَوَى أَبُو إِسْحَقَ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) قَالَ :
الْقُرْطُ ، وَالذَّمْلُجُ ، وَالسَّوَارُ .

٢٨ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ .
فِي هَذَا اخْتِلَافٌ .

رَوَى أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : الثِّيَابُ ^(٤) .

-
- (١) قوله « ذُو قَرْنَيْهَا » أي طرفي الجنة وجانبيها . اهـ النهاية لابن الأثير ٥١/٤ .
(٢) رواه أبو داود في النكاح ، باب ما يؤمر من غض البصر رقم ٢١٤٩ وليس فيه لفظ « وإنك ذو قرنيها » وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه أحمد في المسند ٣٥٣/٣ .
(٣) إذا أطلق لفظ « عبدالله » فإنه يراد به « عبدالله بن مسعود » رضي الله عنه ، وهو من كبار الفقهاء من الصحابة ومن كبار المفسرين ، والقُرْطُ : ما تتحلّى به المرأة في أذنها ، والذَّمْلُجُ : المِعْصَدُ من الخلي ، كذا في لسان العرب ٢٧٦/٢ .
(٤) الأثر أخرجه الطبري في تفسره ١١٧/١٨ عن ابن مسعود قال : الزينة زينتان : فالظاهرة منها الثياب ، وما خفي الخللخالان ، والقرطان ، والسواران .

وهذا مذهبُ أبي عُبيدٍ .

وَرَوَى نافع عن ابن عمر قال : الوجهُ ، والكفَّان^(١) .

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عن ابن عباس قال : الوجهُ ،
والكفُّ^(٢) .

وبعضُهم يقول عن ابن عباس : الكُحْلُ ، والخِضَابُ ،
وكذلك قال مجاهدٌ ، وعطاء^(٣) .

ومعنى الكحلِ والخِضَابِ ، ومعنى الوجهِ والكفِّ ، سواء^(٤) .

وَرَوَتْ أُمُّ شَيْبٍ عن عائشة قالت : القُلْبُ ، والْفَتْحَةُ^(٥) .

والْفَتْحَةُ : الخاتمُ ، وجمعُها فَتَحٌ ، وَفَتْخَاتٌ^(٦) .

قال أبو جعفر : وهذا قريبٌ من قول ابن عمر ، وابن
عباس ، وهو أشبهُ بمعنى الآية من الثَّيَّابِ ، لأنَّه من جنس الزينة
الأولى .

وأكثرُ الفقهاء عليه ، ألا ترى أنَّ المرأةَ يجبُ عليها أن تستر في

(١-٥) هذه الأقوال منقولةٌ جميعها عن السلف ، وانظر الطبري ١١٨/١٨ وابن كثير ٤٧/٦ والدر
المنثور ٤١/٥ .

(٦) قال الجوهري : الْفَتْحَةُ بالتحريك : حلقةٌ من فضةٍ لا فصَّ فيها ، فإذا كان فيها فصٌّ فهي الخاتم ،
والجمع فَتَحٌ ، وَفَتْخَاتٌ . اهـ الصحاح ٤٢٨/١ .

الصَّلَاةُ كُلُّ مَوْضِعٍ مِنْهَا يَرَاهُ الْمَرْءُ ، وَأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ مِنْهَا إِلَّا وَجْهَهَا
وَكَفَّاهَا ؟!

وَالْقُلُوبُ : السَّوَارُ^(١) ، قَالَ ذَلِكَ يَحْيَى بْنُ سَلْمَانَ الْجُعْفِيُّ^(٢) .

٢٩ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ [آية ٣١] .

يعني النِّسَاءُ الْمُسْلِمَاتُ^(٣) .

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُبَيِّنَ ذَلِكَ لِلْمُشْرِكَاتِ ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿ أَوْ
نِسَائِهِنَّ ﴾ .

٣٠ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ [آية ٣١] .

فيه أقوال :

الأول : أَنَّ لَهُنَّ أَنْ يُبَيِّنَ ذَلِكَ لِعَبِيدِهِنَّ ، وَأَنْ يَرَوْنَ شُعُورَهُنَّ ،

وهذا القول معروف من قول عائشة ، وَأَمَّ سَلَمَةَ^(٤) .

(١) في المصباح : وَقُلِبُ الْفَضَّةُ : بِالضَّمِّ ، سَوَارٌ غَيْرُ مَلُوبٍ . أَدَّى مِنْ طَاقٍ وَاحِدٍ لَا مِنْ طَاقَيْنِ .

(٢) هو أَبُو سَعِيدٍ يَحْيَى بْنُ سَلْمَانَ الْجُعْفِيُّ الْمَقْرِيءُ تَوَفَّى بِمِصْرَ سَنَةَ ٢٣٧ هـ ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي
الثَّقَاتِ ، وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ : ثَقَّةٌ ، وَقَالَ الْعَقِيلِيُّ : ثَقَّةٌ وَلَهُ أَحَادِيثُ مُنَاكِيرٌ ، وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي
التَّهْذِيبِ ٢٢٧/١١ .

(٣) هذا قول ابن عباس ومجاهد كما في تفسير ابن كثير ٥٠/٦ .

(٤) انْظُرِ الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ لِلْقُرْطُبِيِّ ٢٣٣/١٢ فَقَدْ جَاءَ فِيهِ : ظَاهِرُ الْآيَةِ ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ ﴾ يَشْمَلُ الْعَبِيدَ وَالْإِمَاءَ ، وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْكِتَابِيَّاتِ ، وَهُوَ الظَّاهِرُ مِنْ مَذْهَبِ عَائِشَةَ وَأُمِّ =

جَعَلْنَا الْعَبْدَ بِمَنْزِلَةِ الْمُحَرَّمِ فِي هَذَا ، لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يَتَزَوَّجَ
بِسَيِّدَتِهِ مَا دَامَ مَمْلُوكًا لَهَا ، كَمَا لَا يَحِلُّ ذَلِكَ لَذَوِي الْمَحَارِمِ .

وَيُقَوَّى هَذَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَتْ أَدْنَىٰكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ ، وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ (١) ..

وَالْقَوْلُ الثَّانِي : أَنَّهُ لَيْسَ لِعَبِيدِهِنَّ أَنْ يَرَوْا مِنْهُنَّ ، إِلَّا مَا يَرَى
الْأَجْنَبِيُّ .

كَما رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : وَلَا
يَنْظُرُ عَبْدُهَا إِلَى شَعْرِهَا ، وَلَا تَحْرِهَا ، وَأَمَّا الْخُلْخَالُ فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ إِلَّا
الزَّوْجُ .

وهو مذهب عبدالله بن مسعود ، ومجاهد ، وعطاء ،
والشَّعْبِيِّ (٢) .

وَرَوَى أَبُو مَالِكٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ خِلَافَ هَذَا ، قَالَ : يَنْظُرُ
الْعَبْدُ إِلَى شَعْرِ مَوْلَاتِهِ (٣) ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ عَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي ﴿أَوْ مَا

= سلمة رضي الله عنهما ، وقال ابن عباس : لا بأس أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته ، وقال
أشهب : سئل مالك أتلقي المرأة بحمارها بين يدي الخصى ؟ فقال نعم : إذا كان مملوكاً لها أو
لغيرها ، وقال سعيد بن المسيب : لاتفرنكم هذه الآية ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ إنما عني بها
الإماء ، ولم يعن بها العبيد ، وكان الشعبي يكره أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته ، وهو قول
مجاهد وعطاء .

(١) سورة النور آية ٥٨ .

(٢) و(٣) انظر الطبري ٢٠/١٨ والدر ٤٢/٥ .

مَلَكَتْ أَيْمَانَهُنَّ ﴿ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ ، أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ ، ثُمَّ
حُذِفَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا
عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ^(١)

عَلَى أَنَّ يَزِيدَ بْنَ الْقَعْقَاعِ وَعَاصِمًا قَرَأَا ﴿ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ ﴾^(٢)
بِنَصَبِ غَيْرٍ ، فَعَلِيَ هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْإِسْتِثْنَاءُ مِنْهُمَا جَمِيعًا .

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ : أَنْ يَكُونَ ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَهُنَّ ﴾ لِلْإِمَاءِ
خَاصَّةً ، قَالَ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَقِيلَ : الصَّغَارُ خَاصَّةٌ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : هَذَا بَعِيدٌ فِي اللُّغَةِ ، لِأَنَّ « مَا » عَامَةٌ .

٣١ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ ﴾ [آيَةُ ٣١] .

قَالَ عَطَاءٌ : هُوَ الَّذِي يَتَّبِعُكَ ، وَهَمُّهُ بَطْنُهُ^(٣) .

رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : هُوَ الْمُعْقَلُ ،
وَقِيلَ : الطُّفْلُ^(٤) .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : هُوَ الَّذِي لَا أَرْبَ لَهُ فِي النِّسَاءِ^(٥) .

وَقَالَ عِكْرَمَةُ : هُوَ الْعَيْنِيُّ^(٦) .

(١) تقدم ذكر هذا الشاهد في الجزء الثالث صفحة ٢٢٩ وهو لعمر بن قيس الخزرجي ، وهو من شواهد سيبويه .

(٢) هذه من القراءات السبع ، وانظر النشر ٣٣٢/٢ والسبعة في القراءات ص ٤٥٥ .

(٣-٦) انظر الآثار في الطبري ١٢٢/١٨ وابن كثير ٥١/٦ والدرر النور ٤٣/٥

وهذه الأقوال متقاربة ، وهو الذي لا حاجة له في النساء ،
نحو الشيخ الهرم ، والخُنْثَى ، والمَعْتَوَى ، والطفَل ، والعَيْنِ (١) .

والإِرْبَةُ والأَرْبُ : الحاجةُ ، ومنه حديث (وأَيْكُمْ أَمْلَكُ لِأَرْبِهِ مِنْ
رسولِ الله ﷺ) (٢) ؟ ومن رواه « لِأَرْبِهِ » فقد أخطأ ، لأنه يقال :
قَطَعْتُهُ إِرْبًا ، إِرْبًا ، أي عُضْوًا ، عُضْوًا (٣) .

٣٢ - وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ
النِّسَاءِ .. ﴾ [آية ٣١] .

الطِّفْلُ ههنا بمعنى : الأطفال ، يدلُّ على هذا قوله ﴿ الَّذِينَ لَمْ
يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ أي لم يُطِيقُوا ذلك ، كما تقول : ظَهَرَ
فلانٌ على فلانٍ ، أي غَلَبَهُ وَقَوَّى عَلَيْهِ (٤) .

(١) العَيْنُ : بكسر العين هو الذي لا يستطيع إتيان النساء .
(٢) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الصوم ١٣١/٤ ومسلم رقم ١١٠٦ في الصوم أيضا ،
ولفظه عن عائشة قالت (كان رسول الله ﷺ يَقْبَلُنِي وهو صائم ، وأَيْكُمْ يَمْلِكُ أَرْبِهِ كما كان
رسول الله ﷺ يملك إربه ؟

(٣) في المصباح : الأَرْبُ والإِرْبَةُ بالكسر : الحاجة ، والإَرْبُ بالكسر يستعمل في الحاجة ، وفي
العضو ، والجمعُ آرابٌ مثل جَمَلٍ وأَحْمَالٍ ، وفي الحديث (كان أَمْلَكُكُمْ لِأَرْبِهِ) أي لنفسه عن
الوقوع في الشهوة . اهـ المصباح مادة أَرْب . وفي النهاية لابن الأثير ٣٦/١ ومنه حديث عائشة
(كان ﷺ أَمْلَكُكُمْ لِأَرْبِهِ) أي لحاجته ، تعني أنه كان غالباً لهواه ، وأكثرُ المحذَّتين يروونه بفتح
الهمزة والراء ، يعنون الحاجة ، وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء ، تأويلان : أحدهما أنه
الحاجةُ ، والثاني أرادت به العضو ، وَغَنَتْ من الأعضاء الذَّكَرَ خاصة . اهـ .

(٤) قال القرطبي ٢٣٦/١٢ : ﴿ لَمْ يَظْهَرُوا ﴾ أي لم يكشفوا عن عوراتهن للجماع لصغرهن ،
وقيل : لم يبلغوا أن يُطِيقُوا النِّسَاءَ ، يُقال : ظهرتْ على كذا أي علمته ، وظهرتْ على كذا أي قهرته اهـ .

٣٣ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ رِبِّتِهِنَّ... ﴾ [آية ٣١] .

قال أبو الجوزاء^(١) : كَنَّ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لَتَبْدُوْنَ خَلَاخِيلَهُنَّ^(٣) .

وقال أبو مالك^(٣) : كَنَّ يجعلن في أرجلهنَّ حَرَزًا ، ويحركنها حتى يُسْمَعَ الصَّوْتُ^(٤) .

قال غيره : فَهِنَّ عن ذلك ، لأنه يحركُ من الشهوة^(٥) .

٣٤ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَلْبِسُوا الْأَيَّامِي مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ... ﴾ [آية ٣٢] .

قال الضحَّاك : هُنَّ اللَّوَاتِي لَا أَزْوَاجَ لَهُنَّ^(٦) ، يُقَالُ : رَجُلٌ أَيْمٌ ، وَامْرَأَةٌ أَيْمٌ ، وَقَدْ آمَتْ ، تَيْمُمٌ .

(١) أبو الجوزاء : هو (أوس بن عبدالله الرُّبَيْعِي) تابعي ثقة توفي سنة ٨٣ هـ وانظر تقريب التهذيب ٨٦/١ وتهذيب التهذيب ٣٨٣/١ .

(٢) (٥،٤،٢) انظر الآثار في الطبري ١٤٣/١٨ وابن الجوزي ٣٤/٥ وابن كثير ٥١/٦ .

(٣) أبو مالك : اسمه سعد بن طارق الأشجعي الكوفي ثقة من الطبقة الرابعة . مات في حدود سنة ١٤٠ هـ انظر التقريب ٢٨٧/١ .

(٦) قال القرطبي ٢٣٨/١٢ : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ﴾ أي لاتضرب المرأة برجلها إذا مشت لئلا تسمع صوت خلخالها فإسماع صوت الزينة كإبداء الزينة وأشدُّ ، والغرضُ التسترُ ، وقال الزجاج : وسماعُ هذه الزينة أشدَّ تحريكا للشهوة من إبدائها . اهـ .

وقرأ الحسن : ﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبِيدِكُمْ ﴾ ^(١) يقال :
عَبَدَ ، وَعَبَادٌ ، وَعَبِيدٌ .

٣٥ — وقوله تعالى ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾
[آية ٣٢] .

وكذا قوله ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ﴾ أي
بالنكاح ، لأنه لم يجعل كل زوج مقصوراً على زوج أبداً .

والفقر : الحاجة إلى الشيء المذكور بعقبه ، ومثله ﴿ إِنَّمَا
الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ ^(٢) أي للفقراء إلى الصدقات ، وقد يكون الرجل
فقيراً إلى الشيء ، وليس بمسكين .

٣٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا .. ﴾ [آية ٣٣] .

قيل : هذا على الحضّ والنّدب ، لاعلى الحثيم والوجوب ^(٣) ،
ولولا الإذن لما علمنا أن ذلك يجوز .

- (١) في البحر ٤٥١/٦ وهذه قراءة مجاهد والحسن ، وأكثر استعمال العبيد في الممالك .
(٢) سورة التوبة آية رقم ٦٠ وقامها ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَلَّفَةِ
قُلُوبِهِمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْغَارِمِينَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الآية .
(٣) قال ابن جرير ١٢٧/١٨ قال الثوري : إذا أراد العبد من سيّده أن يكتبه ، فإن شاء السيد
كتبه ولا يجبر على ذلك ، وقال ابن زيد : ليس بواجب عليه أن يكتبه ، وإنما هذا أمرٌ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ
فيه اهـ .

وَكِتَابٌ ، وَمُكَاتِبَةٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، كَمَا يُقَالُ : قِتَالٌ ، وَمُقَاتَلَةٌ .

٣٧ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِنَّ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال أبو جعفر : في هذا اختلاف .

قال الحسن : أي دِينًا وَأَمَانَةً^(١) .

وقال إبراهيم النَّحَّعي : أي صِدْقًا ووفاءً^(٢) .

وقال عبيدة : إن أقاموا الصلاة^(٣) .

وقال سعيد بن جبير : إن علمتم أنهم يريدون بذلك الخير^(٤) .

قال أبو جعفر : وأجمَعُها قولُ سعيد بن جبير ، لأنه إذا أراد بذلك الخير استعمل الوفاء ، كما يستعمل أهل الدين والوفاء ، والصدق والأمانة ، ومن يقيم الصلاة يرى لها حقاً .

وفي الآية قول آخر .

قال مجاهد وعطاء : الخيرُ ههنا : المَالُ^(٥) .

(١-٤) هذه الآثار والأقوال كلها وردت عن السلف ، وأجمَعُها — كما قال المصنّف — قول من ذهب إلى أن الخير يُراد به الدِّينُ والصدقُ ، والأمانةُ والوفاء .. انظر والطبري ١٢٧/١٨ والقرطبي ٢٤٥/١ .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢٩/١٨ وابن الجوزي ٣٧/٦ ورجح الطبري أن المراد بالخير القوة على الاحتراف والاكتساب .

وهذا بعيد جداً ، لأنه كان يجب على هذا أن يقول : « إن علمتم لهم خيراً » .

وأيضاً فإن العبد مأل لمولاه ، فكيف يُقال : إن علمتم لهم مالأ ؟

وقال أشهب : سئل مالك عن قوله جل وعز ﴿ إِن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ فقال : إنه ليُقال « الخير » القوة ، والأداء .

قال أبو جعفر : وهذا قول حسن ، أي قوة على الاحتراف والاكساب ، ووفاء بما أوجب نفسه ، وصدق لهجة ، فأما المال وإن كان من الخير ، فليس هو في العبد ، وإنما يكون عنده أو له .

٣٨ — ثم قال جل وعز ﴿ وَآتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال أبو جعفر : في هذا ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يكون على الحَضِّ والتَّدْبِ .

كما رَوَى ابنُ بُرَيْدَةَ^(١) عن أبيه ، قال : حَثُّهم على هذا ..

ويُروى هذا عن عُمَرَ ، وعثمان ، والزيبر ، وعن إبراهيم النَّخَعِي .

(١) ابن بُرَيْدَةَ تابعي واسمه « عبدالله بن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب » الأسلمي أبو سهل المروزي قاضي مرو ، وأخو سليمان وكانا تَوَآمِيْن ، قال عنه ابن معين ، وأبو حاتم : ثقة ، توفي سنة ١١٥ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٥٧/٥

ويكون المعنى : وأعطوهم ما يستعينون به على قضاء الكتابة ،
بدفع إليهم ، أو بإسقاط عنهم^(١)

والقول الثاني : أن يُسقط المكاتب عن مكائبه شيئاً محدوداً .

رُوي عن علي بن أبي طالب قال : الرُّبع ، وكذا قال
مجاهد^(٢) .

وعن ابن مسعود قال : الثُّلُثُ^(٣) .

والقول الثالث : قاله سعيد بن جبيرة ، قال : يضع عنه شيئاً
من كتابته ، ولم يُحدِّده^(٤) .

قال أبو جعفر : قيل : أولاه القول الأول ، لجلالة من قال

به .

وأيضاً : فإنَّ قوله تعالى ﴿ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي
آتَاكُمْ ﴾ معطوف على قوله ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ فيجب في العريضة أن
يكون مثله على الحضر والنَّدب .

(١) قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٢٥١/١٢ : هذا أمرٌ للسادة بإعانتهم في مال
الكتابة ، إمَّا بأن يعطوهم شيئاً مما في أيديهم أعني أيدي السادة — أو يحطُّوا عنهم شيئاً من
مال الكتابة . اهـ وانظر الطبري ١٢٩/١٨ وابن كثير ٥٦/٦ .

(٢-٤) انظر الآثار في الطبري ١٣٠/١٨ وزاد المسير ٣٧/٦ وابن كثير ٥٧/٦ ومعنى قوله « ولم
يحدِّده » أي لم يحدِّدوا مقداراً معيناً من المال .

وأيضاً فإن قول « عليّ » عليه السلام : الرُّبْع ، وقول
عبدالله : « الثُّلُث » لا يوجب أن يكون ذلك حتماً واجباً ، ويحتمل
أن يكون على النَّدْب .

٣٩ — وقوله جلّ وعزّ ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال مجاهد : نزلت في « عبدالله بن أبيّ بن سلول » ^(١) أمّته
أن تزني ، فجاءته بيّرد ، فأمرها أن تعود إلى الزنى فأبّت ، فأنزل الله
عز وجل ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾ ^(٢) .

وروى أبو سفيان عن جابر وعكرمة عن ابن عباس قال :
نزلت في « عبد الله بن أبيّ » أكره أمّته على الزنى ، فأنزل الله جل
وعز ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾ ^(٣) .

(١) « عبدالله بن أبيّ بن سلول » هو رئيس المنافقين في عهد النبي ﷺ وهو الذي نزلت فيه الآية
الكريمة ﴿ وَلَا تُصَلُّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً .. ﴾ الآية من سورة التوبة .

(٢) روي عن جابر عن عبدالله أن هذه الآية نزلت في « عبدالله بن أبيّ » وكانت له جارتان إحداها
تسمى « مُعَاذَة » والأخرى « مُسَيِّكَة » وكان يكرهما على الزنى ، ويضربهما عليه ، ابتغاء المال
وكسب الولد ، فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين . اهـ
تفسير القرطبي ٢٥٤/١٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١٢٣/١٨ وأصله في صحيح مسلم من كتاب التفسير
٢٣٢٠/٤ عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبيّ بن سلول يقال لها « مُسَيِّكَة » وأخرى يقال
لها : « أميمة » وكان يكرهما على الزنى ، فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا
فَتِيَاتِكُمْ .. ﴾ الآية .

وَيُسْأَلُ عَنْ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ ﴿إِنْ أَرَدْنَا نَحْصِنَا﴾ !!

فالجواب أن المعنى : ولا تُكْرِهوا فتياتكم على البِغَاءِ البتَّة ..

وقوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿إِنْ أَرَدْنَا نَحْصِنَا﴾ متعلِّقٌ بقوله سبحانه
﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ .. إِنْ أَرَدْنَا نَحْصِنَا﴾^(١) .

ومعنى قوله ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لتبتغوا أجورهن
مما يَكْسِبْنَ .

٤٠- [وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾^(٢)] آية ٣٣ .

(١) قال المفسرون : ﴿إِنْ أَرَدْنَا نَحْصِنَا﴾ أي إن أردنا التعفُّف عن مقارفة الزَّنى ، وليس هذا للقيّد أو الشرط ، وإنما هو لبيان فظاعة الأمر وشناعته ، فالأصل في الأمة المملوكة أن يُحصَنَ سيّدُها ويكفَّها عن القبيح ، أمّا أن يأمرها بالزنى ويكرهها عليه ، وتمتنع هي وتريد العفة ، فذلك منتهى الخسّة والدناءة منه ، فالآية بيان للواقع ، لا قيد ولا شرط فتنبه والله يريعاك .

قال ابن العربي : وإنما ذكر الله تعالى إرادة التحصن من المرأة ، لأن ذلك هو الذي يصوّر الإكراه ، فأما إذا كانت هي راغبة في الزنى لم يتصور إكراه . وذهب هذا النظر عن بعض المفسرين ، فقال بعضهم إنه راجع إلى الأيامي ، وقال الزجاج في الكلام تقديم وتأخير أي وأنكحوا الأيامي والصالحين من عبادكم إن أردنا تحصنًا ، وقال بعضهم : هذا الشرط يُلغى ، ونحو ذلك مما يضعف من الأقوال اهـ . القرطبي ٢٥٥/١٢ .

(٢) سقطت الآية من المخطوطة وإثباتها ضروري لأنها مشروحة .

قال مجاهد : فَإِنَّ اللَّهَ لِلْمُكْرَهَاتِ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(١) .

٤١ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَلَقَدْ أُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ .. ﴾ [آية ٣٤] .

قال قتادة : يَعْنِي الْقُرْآنَ ، فِيهِ بَيَانُ الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ .
وَيُقْرَأُ « مُبَيِّنَاتٍ » بِكَسْرِ الْيَاءِ أَيْ بَيِّنَاتٍ هَادِيَاتٍ .

٤٢ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .. ﴾ [آية ٣٥] .
هُوَ تَمَثُّلٌ ، أَيْ بِنُورِهِ يَهْتَدِي أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .
وَالْتَقْدِيرُ : اللَّهُ ذُو نُورِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(٢) .
وَالْهُدَى يُمَثَّلُ بِالنُّورِ ^(٣) .

٤٣ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ .. ﴾ [آية ٣٥] .

رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ اللَّهُ نُورٌ ^١

(١) قرأ ابن مسعود وجابر ﴿ لَمْ يَنْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وهذه القراءة كالتفسير للآية وقد عدّها ابن جني في المحتسب ١٠٨/٢ من الشواذ .

(٢) على هذا التقدير يكون في الآية حذف المضاف ، وهذا معروف في العربية .

(٣) كقوله تعالى ﴿ لَنُخْرِجَنَّ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي من الضلال إلى الهدى .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ قال : هادي أهل أهل السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (١) ، كما هُده في قلب المؤمن ، كما يكاد الزيتُ الصافي يضيء قبل أن تمسّه نارٌ ، فإذا مسّته ازداد ضوءاً على ضوء ، كذا قلبُ المؤمن ، يعمل الهدى قبل أن يأتيه العلمُ ، فإذا جاءه العلمُ ، ازداد هدى ، ونوراً على نور .

كما قال إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله — قبل أن تحييه المعرفة حين رأى الكوكب — : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ من غير أن يُخبره أحدٌ أن له ربّاً ، فلما أخبره الله جلَّ وعزَّ أنه ربُّه ، ازدادَ هدىً على هده (٢) .

قال ابن عباس : هذا للمؤمن .

وقال سعيد بن جبير : أي مثْلُ نور المؤمن (٣) .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٥/١٨ وإليه ذهب جمهور المفسرين ، قال الطبري : أي هادي من في السموات والأرض ، فهم بنوره إلى الحق يبتدون ، وبهده من حيرة الضلالة يعتصمون اهـ . وانظر-القرطبي ٢٥٦/١٢ والبحر ٤٥٥/٦ وإذا أردت التفصيل ، فارجع لكتابنا صفوة التفاسير ٣٤٠/٢ فقيه ما يشفي الغليل .

(٢) في كلام المصنف نظر ، فإن إبراهيم عليه السلام ما قال ﴿ هذا ربِّي ﴾ عن شكٍّ في الإله الخالق — حاشاه — بل قاله في معرض المناظرة للردِّ على الخصم ، بدليل قوله تعالى بعده ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ وقوله تعالى عنه ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ فإبراهيم عليه السلام كان على الفطرة ، وعلى الإيمان والتوحيد ، منذ حداثة سنّه ، وليس كما قال المصنف .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٣٦/١٨ والضمير في قوله تعالى ﴿ مثْلُ نُورِهِ ﴾ عائِد على المؤمن ، على قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقيل : يعود على الله جل وعلا والمعنى : مثْلُ نور الله =

وَرَوَى أَبُو الْعَالِيَةِ عَنْ أَبِي بِن كَعْب أَنَّهُ قَرَأَ ﴿مَثَلُ نُورِ
الْمُؤْمِنِ﴾ ^(١) .

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ : يَعْنِي الْقُرْآنَ ^(٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : مَثَلُ نُورِهِ لِلْمُؤْمِنِ ،
وَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِلْمُؤْمِنِ .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ كِمِشْكَاةٍ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عَمْرٍ : الْمِشْكَاةُ : هِيَ الْكُوَّةُ ^(٣) .

وَرَوَى أَبِي بِن كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَا شَرْقِيَّةَ
وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ أَيِ تَصْيِيفِهَا الشَّمْسُ وَقْتَ الشَّرْقِ ، فَهِيَ شَرْقِيَّةٌ
غَرْبِيَّةٌ ^(٤) .

= سبحانه في قلب عبده المؤمن ، كِمِشْكَاةٍ — أَيِ كُوَّةٍ وَطَاقَةٍ — فِيهَا مُصْبِحٌ ، وَانْظُرِ الطَّبْرِي
١٣٧/١٨ وَالْقُرْطُبِي ٢٥٧/١٢ وَالْبَحْرُ الْمَحِيْطُ ٤٥٥/٦ .

(١) هَذِهِ الْقِرَاءَةُ مَحْمُولَةٌ عَلَى التَّفْسِيرِ ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْقِرَاءَاتِ الْمَعْتَدِ بِهَا وَهِيَ قِرَاءَةُ شَاذَةٌ .

(٢) وَ(٣) انْظُرِ الطَّبْرِي ١٣٧/١٨ وَابْنُ كَثِيرٍ ٦٢/٦ .

(٤) قَالَ الْقُرْطُبِي : اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَكْرَمَةُ
وَقَتَادَةُ : الشَّرْقِيَّةُ الَّتِي تَصْيِفُهَا الشَّمْسُ إِذَا اشْرَقَتْ ، وَالْغَرْبِيَّةُ عَكْسُهَا ، أَيِ أَنَّهَا شَجَرَةٌ فِي صَحْرَاءٍ
مُنْكَشَفَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، لَا يَوَارِيهَا عَنِ الشَّمْسِ شَيْءٌ ، وَهُوَ أَجْوَدُ لَزِيَّتِهَا ، فَلَيْسَتْ خَالِصَةً لِلشَّمْسِ
فَتَسْمَى شَرْقِيَّةً ، وَلَا لِلْغَرْبِ فَتَسْمَى غَرْبِيَّةً ، بَلْ هِيَ شَرْقِيَّةٌ غَرْبِيَّةٌ . اهِدِ الْقُرْطُبِي ٢٥٨/١٢ .

وقال عكرمة : لا تخلو من الشمس وقت الشروق والغروب ،
وذلك أصفى لدهنها^(١) .

ثم قال تعالى ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ أي لصفائه ﴿ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ تم الكلام .

٤٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ [آية ٣٥] .

قال الضحَّاك : أي الإيمان ، والعمل^(٢) .

وقال غيره : نور السراج ، على نور الزيت والقنديل^(٣) .

وقال أبي بن كعب : مثله كمثِّل شجرة التفت بها الشجر ،
لاتصيبها الشمس على حال^(٤) ، فهي خضراء ناعمة ، فكذا المؤمن ،
نور على نور ، كلامه نور ، وعلمه نور ، ومصيره إلى النور يوم
القيامة^(٥) .

وقال السدي : نور النار ، ونور الزيت ، لا يغيّر واحداً تغيّر
صاحبه ، وكذا نور القرآن ، ونور الإيمان^(٦) .

(١-٣) انظر الآثار في الطبري ١٤٢/١٨ والبحر المحيط ٤٥٧/٦ وابن كثير ٦٣/٥ .

(٤) هذا القول روي أيضاً عن ابن عباس ، قال ابن عطية ٥١٢/١٠ : وهذا قول لا يصح عندي عن
ابن عباس ، لأن الثمرة التي بهذه الصفة يفسد جناها ، وذلك مشاهد في الوجود . اهـ .

(٥-٦) انظر الآثار في جامع البيان ١٤٢/١٨ وتفسير ابن الجوزي ٤٣/٦ والدر المنثور ٤٩/٥ .

٤٥ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ فِي يُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ .. ﴾ [آية ٣٦] .

والمعنى : كمشكاة في بيوت^(١) .

وقيل المعنى : المصباح في بيوت^(٢) .

وقيل المعنى : يُسَبِّحُ له رجال في بيوت^(٣) .

قال الحسن : ﴿ فِي يُيُوتِ ﴾ أي مساجد ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ ﴾ أي تُعْظَمَ وتُصَانَ .

وقال عكرمة : هي البيوت كلها^(٤) .

وقال مجاهد : ﴿ أَنْ تَرْفَعَ ﴾ أي تُبْنَى .

٤٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَا ثَلَمِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٣٧] .

(١-٣) ذكر هذه الوجوه المفسرون ، ولكن أقوى هذه الوجوه ، أن تكون الآية مستأنفة ، وتكون متعلقة بفعل محذوف ، دل عليه ما بعده ، والمعنى : سَبَّحُوا ربكم أيها الناس في هذه المساجد ، التي أمر الله تعالى أن تُبْنَى وتُشَاد على اسمه . الخ وهذا ما رجحه أيضاً أبو حيان في البحر المحيط ٤٥٨/٦ والجلالان السيوطي والمخلي ٢٢٦/٣ وهو الأظهر والأوجه .

(٤) قول الحسن هو الأصح ، وليس كما قال عكرمة ، لأن الله تعالى ذكر من صفتها قوله ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ ﴾ وهذا لا يكون إلا للمساجد بيوت الله .

قال عطاء : أي لاثلهم تجارة ولا بيع ، عن حضور الصلاة في جماعة^(١) .

وقال سالم : جاز عبد الله بن عمر بالسوق ، وقد أغلقوا حوانيتهم ، وقاموا ليصلوا في جماعة^(٢) ، فقال فيهم نزلت ﴿ رَجُلٌ لَا ثَلَمِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ .. ﴾^(٣) .

٤٧ — وقوله جل وعز : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [آية ٣٧] .

أي تعرف القلوب الأمر عياناً ، فتقلب عما كانت عليه من الشك والكفر ، ويزداد المؤمنون يقيناً ، ويكشف عن الأبصار غطاؤها

(١) هذا قول ابن عباس أيضاً ، وانظر الطبري ١٤٦/١٨ والقرطبي ٢٧٩/١٢ والدر المنثور ٥٢/٥ .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ٢٧٩/١٢ والطبري ١٤٦/١٨ عن ابن مسعود وكذلك الحافظ ابن كثير ٧٤/٦ .

(٣) وفي التسهيل : نزلت الآية في أهل الأسواق ، الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة ، تركوا كل شغل وبادروا إليها ، والبيع من التجارة ، ولكنه يخص بالذكر تجريداً ، كقوله تعالى ﴿ فيها فاكهة ونخل ورمان ﴾ أو أراد بالتجارة الشراء . اهـ التسهيل لعلوم التنزيل ١٤٧/٣ .

فَنَنْظُرُ^(١) ، ومثله ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ
حَدِيدٌ﴾^(٢) .

٤٨ — ثُمَّ مَثَلُ جَلٍّ وَعِزٌّ عَمَلُ الْكَافِرِ — بَعْدَ الْمُؤْمِنِ — فَقَالَ :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [آية ٣٩] .

قَالَ الْفَرَاءُ : قِيعَةٌ جَمْعُ قَاعٍ ، كَمَا يُقَالُ جِيرةٌ وَجَارٌ^(٣) .

وَقَالَ أَبُو عبيدة : قِيعَةٌ وَقَاعٌ وَاحِدًا^(٤) .

وَالْقَاعُ وَالْقِيعَةُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ : مَا انْبَسَطَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَمْ يَكُنْ
فِيهِ نَبْتُ^(٥) .

(١) هَذَا الْقَوْلُ ذَكَرَهُ الْفَرَاءُ ٢٥٣/٢ فَقَالَ : الْمَعْنَى مِنْ كَانَ فِي دُنْيَاهُ شَاكًا ، أَبْصَرَ ذَلِكَ فِي أَمْرِ
آخِرَتِهِ ، وَمِنْ كَانَ لَا يَشْكُ أَزْدَادَ قَلْبِهِ بَصَرًا لِأَنَّهُ لَمْ يَرِهِ فِي دُنْيَاهُ ، فَذَلِكَ تَقْلُبُهَا . اهـ وَهَذَا الْقَوْلُ
وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ لَكِنَّهُ خِلَافُ الظَّاهِرِ ، فَإِنَّ الْآيَةَ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْفَزَعِ وَالْهَوْلِ الَّذِي يَكُونُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، قَالَ فِي التَّسْهِيلِ ١٤٧/٣ أَيْ تَضْطَرِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْخَوْفِ ،
كَأَنَّهَا سَبَّحَانَهُ ﴿وَبَلَغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ﴾ وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الطَّبْرِيُّ وَالْقُرْطُبِيُّ وَصَاحِبُ
الْبَحْرِ ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ فَهُوَ يَوْمُ خَوْفٍ وَفَزَعٍ لَا يَوْمَ مَعْرِفَةٍ وَيَقِينٍ .

(٢) سُورَةُ ق وَالْقُرْآنُ الْحَمِيدُ آيَةُ رَقْمُ ٢٢ .

(٣) انْظُرْ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ ٢٥٤/٢ .

(٤) انْظُرْ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ لِأَبِي عبيدة ٦٦/٢ .

(٥) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يُقَالُ : قَاعٌ ، وَقِيعَانٌ ، وَقِيعَةٌ ، وَقِيعٌ ، وَهُوَ مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ ، وَقَالَ
الليث : الْقَاعُ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ مَطْمِئِنَّةٌ انْفَرَجَتْ عَنْهَا الْجِبَالُ وَالْأَكَامُ ، وَبِجَمْعِ الْقِيعَةِ وَالْقِيعَانِ وَهُوَ مَا
اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ ، لَا حَصَى فِيهِ وَلَا حَجَارَةٌ ، وَلَا نَبْتُ الشَّجَرِ . اهـ تَهْذِيبُ اللُّغَةِ ٣٣/٣ .

٤٩ — ثم قال جل وعز : ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ..﴾ [آية ٣٩] .

أي العطشان ، والسراب : ما ارتفع نصف النهار ، فإذا رُئي من بُعد ، ظن أنه ماء^(١) .

٥٠ — ثم قال جل وعز : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [آية ٣٩] .

أي حتى إذا جاء إلى الموضع الذي فيه السراب ، لم يجده شيئاً مما قدّره ، ووجد أرضاً لا ماء فيها .

وفي الكلام حذف : فكذلك مثل الكافر ، يتوهم أن عمله ينفعه ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ أي مات ، لم يجد عمله شيئاً ، لأن الله جل وعز قد محقه ، وأبطله بكفره ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أي عند عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ أي جزاءه .

فمثل جل وعز عمل الكافر بما يُوجد ، ثم مثله بما يُرى^(٢)

فقال :

(١) عبارة القرطبي ٢٨٢/١٢ : والسراب : ما يُرى نصف النهار في اشتداد الحر ، كالماء في المفاوز

يلتصق بالأرض ، وسُمي سراباً لأنه يسرب أي يجري كالماء ، فيغتر به العطشان قال الشاعر :

فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عَهْدُهُمْ كَلَمْعَ سَرَابٍ بِالْفَلَاحِ مُتَأَلِّقِ

(٢) في البحر ٤٦٠/٦ : مثل للكفرة ولأعمالهم مثلين : أحدهما يقتضي بطلان أعمالهم في الآخرة

وأَنهم لا ينتفعون بها ، والثاني يقتضي حالها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظلمة .. شبه أولاً

أعمالهم في اضمحلالها وفقدان ثمرتها ، بسراب في مكانٍ منخفض ، ظنه العطشان ماء فقصدته

وأَتعب نفسه في الوصول إليه ، حتى إذا جاء موضعه الذي تخيَّله فيه لم يجده شيئاً أي فقده ،

كذلك الكافر يظن أن عمله نافعه ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة صار وبالاً عليه ، وفي الثاني شبه

أعمالهم وضلالهم بالظلمات المتكاثفة التي لا يرى معها الإنسان شيئاً . هـ .

٥١ — قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾ [آية ٤٠] .

وهو منسوبٌ إلى اللُّجِّ وهو وَسَطُ البحر^(١) .

قال أبيُّ بن كعب : الكافرُ كلامُهُ ظُلْمَةٌ ، وعمله ظُلْمَةٌ ، ومصيره إلى ظلمة^(٢) .

٥٢ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ [آية ٤٠] .

قال أبو عبيدة : أي لم يرها ، ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ أي لا يراها إلاَّ على بعد^(٣) .

قال أبو جعفر : وأصحُّ الأقوال في هذا ، أن المعنى : لم يُقارب رؤيتها ، وإذا لم يُقارب رؤيتها ، فلم يرها رؤيةً بعيدة ولا قريبة .

٥٣ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

(١) في تهذيب اللغة ٤٩٣/١٠ لُجَّةُ البحر : حيث لا يدرك قعره ، قال الفراء : يقال بحرٌ لُجِّيٌّ ، ولُجِّيٌّ بالضم والكسر . اهـ وقال الزمخشري : اللُّجِّيُّ : العميق الكثير الماء ، منسوب إلى اللُّجِّ وهو معظم ماء البحر . اهـ الكشاف ٨٤/٢ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥١/١٨ والقرطبي ٢٨٥/١٢ بلفظ : « الكافر يتقلب في خمس من الظلمات : كلامُهُ ظُلْمَةٌ ، وعمله ظُلْمَةٌ ، ومدخله ظُلْمَةٌ ، ومخرجه ظُلْمَةٌ ، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات في النار ، وبئس المصير » .

(٣) انظر مجاز القرآن ٦٧/٢ قال المبردُ : يعني لم يرها إلاَّ من بعد جهْدٍ ، كما تقول : ماكدتُ أراك من الظلمة ، وقد رآه بعد يأس وشدة ، وقيل المعنى قُرْب من الرؤية ولم ير ، كما تقول : كاد النعام يطير . اهـ الجامع لأحكام القرآن ٢٨٥/١٢ .

وَالْأَرْضُ ، وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ .. ﴿ [آية ٤١] .

حدثنا الفريابي ، قال أنبأنا أبو بكر بن أبي شيبة ، قال أخبرنا
شبابة عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ﴿ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ الصلاة للإنسان ، والتسبيح لما سوى ذلك
من خلقه (١) .

٥٤ — وقوله جل وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا .. ﴾ [آية ٤٣] .

أي يسوقه ﴿ ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ ﴾ أي يجمع القطع المتفرقة ، حتى
تتألف ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا ﴾ أي بعضه فوق بعض ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ
يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ .

الودق : المطر ، يقال : ودقت سرته تدق ، ودقاً ، ودقة ،
وكل خارج وادق كما قال :
فَلَا مُزْنَةَ وَدَقْتُ وَدَقَهَا
وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا (٢)

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٥٢/١٨ والقرطبي ٢٨٦/١٢ وقال الزمخشري في الكشاف
٨٤/٢ : الصلاة : الدعاء ولا يعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه ، كما ألهمها سائر العلوم
الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها . اهـ .

(٢) البيت لعامر بن جُوَيْن الطائي ، واستشهد به في الصحاح ١٥٦٣/٤ واللسان مادة ودق ، وهو
في المغني ص ٣١٣ والطبري ١٥٣/١٨ والشتنمري ٢٤٠/١ والقرطبي ٢٨٩/١٢ ومجاز القرآن
٦٧/٢ .

و « خِلَالٌ » جَمْعُ خَلَلٍ ، يُقَالُ : جَبَلٌ ، وَجِبَالٌ .

٥٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ۖ ﴾ [آية ٤٣] .

قيل : المعنى من جبالِ بَرَدٍ فيها ، كما تقول : هذا خائِمٌ في يدي من حديد ، أي هذا خائِمٌ حديد في يدي .

كما يُقَالُ : جِبَالٌ من طين ، وجِبَالٌ طين .

وقيل : إن المعنى من مقدار جبالٍ ، ثم حذف كما تقول : عند فلان جِبَالٌ مالٍ .

والأخفشُ يذهب إلى أن « مِنْ » فيهما زائدة^(١) أي جبالاً فيها بَرَدٌ .

قال : وقال بعضهم : الجبالُ من بَرَدٍ ﴿ فِيهَا ﴾ في السماء ، وتجعلُ الإنزال منها^(٢) .

(١) هذا كلام الفراء في معانيه ٢٥٦/٣٢ حيث قال : المعنى : إن الجبال في السماء من بَرَدٍ ، خِلَقَةٌ مخلوقة ، كما تقول في الكلام : الآدميُّ من لحمٍ ودمٍ ، ف « مِنْ » ههنا تسقط فتقول : الآدميُّ لحمٌ ودمٌ ، والجبالُ بَرَدٌ . اهـ . وفي القرطبي ٢٨٩/١٢ قال الأخفش : إن « مِنْ » في الجبال ، و « من بَرَدٍ » زائدة في الموضعين ، أي ينزل من السماء برداً يكون كالجبال . اهـ . أقول : وهذا القول هو الأظهر والأشهر .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٩/٤ فقد فصل في المعنى ووضح .

٥٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ يَكَادُ سَنًا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [آية ٤٣] .

أي ضوء بَرْقه (١) .

وَرَوَى ربيعةُ بن أبيضَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .
قال : « البرقُ : مخاريقُ الملائكة » (٢) .

وقال عبدالله بن عمرو : هو ما يكون من جبال البرد (٣) .

حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال : حدثني عبدالله بن أحمد
ابن حنبل ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن
الأعمش ، عن طلحة بن مصرف أنه قرأ ﴿ يَكَادُ سَنَاءُ بَرْقِهِ ﴾ (٤) .
قال أحمد بن يحيى (٥) : وهو جمعُ بَرْقَةٍ .

قال أبو جعفر : البرقةُ : المقدارُ من البرق ، والبرقةُ : المرةُ
الواحدة ، مثلُ غُرْفَةٍ ، وغُرْفَةٍ .

(١) قال الطبري ١٥٤/١٨ : السَّنا مقصورٌ : وهو ضوء البرق ، وكذلك قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٦٨/٢ .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ٢٦/٢ : المخاريقُ جمعُ مَخْرَقٍ ، وهو في الأصل ثوبٌ يُلَفُّ ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً ، وأراد بالحديث « البرقُ مخاريقُ الملائكة » أنه آلة تُزَجَّرُ به الملائكةُ السحاب وتسوقه ، ويفسره حديثُ ابن عباس : « البرقُ سَوَاطٍ من نور ، تزجر به الملائكةُ السحاب » اهـ وانظر الطبري ١٥٣/١ .

(٣) انظر البحر المحيط ٤٦٥/٦ والقرطبي ٢٩٠/١٢ وروح المعاني ١٩١/١٨ .

(٤) هذه من القراءات الشاذة وانظر المحتسب لابن جني ١١٤/٢ .

(٥) أحمد بن يحيى : هو الإمام ثعلب ، وقد تقدمت ترجمته ٥٢/١ .

٥٧ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ۚ ﴾ [آية ٤٥] .

يُقال لكل شيء من الحيوان ، مُمَيِّزاً كان أو غير مُمَيِّز :
دابة^(١) .

٥٨ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾ [آية ٤٥] .

ولم يقل « فمِنْهَا » ولا « فمِنْهُمْ » لأنه غَلَبَ ما يُمَيِّزُ^(٢) ، فلمَّا وقعتِ الكِنَايَةُ على ما يَكُونُ لما يُمَيِّزُ ، جَاءَ بـ « مَنْ » ولم يَأْتِ بـ « ما » ألا تَرَى أَنَّهُ قد خَلَطَ في أوَّلِ الكلام ما يُمَيِّزُ مع ما لا يُمَيِّزُ^(٣) ؟!

٥٩ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ [آية ٤٩] .

(١) الدابة : كُلُّ مادَّةٍ على وجه الأرض ، من إنسانٍ أو حيوانٍ ، يُقال : دَبٌّ يدبُّ فهو دابٌّ ، والهاء للمبالغة ، ومنه قوله سبحانه ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ۚ ﴾ وانظر تهذيب اللغة ، واللسان مادة دَبٌّ .

(٢) هذا ما يسمَّى « باب التغليب » ، حيث يُغَلَّبُ العاقل على غير العاقل ، قال الفراء ٢/٢٥٧ : يُقال كيف قال ﴿ مَنْ يَمْشِي ﴾ وإنما تكون « مَنْ » للناس ، وقد جعلها ههنا للبهائم ؟ قلت لما قال ﴿ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ﴾ فدخل فيهم الناس كُنِيَ عنهم فقال ﴿ مِنْهُمْ ﴾ فخالطهم الناس ، ثم فسَّرهم بـ « مَنْ » لمَّا كُنِيَ عنهم كناية الناس خاصة ، ألا ترى أنك تقول : الرجل وأباعرُهُ مقبلون ، فكأنهم ناسٌ إذا قلت مقبلون .

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ وهي تشمل الإنسان والبهائم وسائر الدواب .

قال عطاء: أي مُسرَّعين وهم قريش ، يُقال : أذعن إذا جاء مُسرَّعاً طائعاً غير مُكرِه^(١) .

٦٠ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۖ ﴾ [آية ٥٠] .

والمعنى : أم يخافون أن يحيف عليهم رسول الله ﷺ ؟

وقوله ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ افتتاح كلام^(٢) ، ألا ترى أن قبله ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ ولم يقل : ليحكم بينهما ؟!

وهذا كما يُقال : قد اعتقك الله وأعتقتك ، وما شاء الله ثم شئت .

٦١ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [آية ٥١] .

(١) قال أهل اللغة : الإذعانُ : الانقيادُ والخضوعُ يقال : أذعن فلانٌ لفلان : انقاد له ، وخضع ، وذُلَّ وأسرع في الطاعة ، كذا في القاموس المحيط ، قال القرطبي ﴿ مُذْعِنِينَ ﴾ أي طائعين متقادين ، لعلمهم أنه عليه السلام يحكم بالحق اه القرطبي ٢٩٣/١٢ .

(٢) افتتاح كلام : أي افتتح به الكلام للتعظيم قال الفراء في معاني القرآن ٢/٢٥٨ : جعل الحيف — الجور — منسوباً إلى الله وإلى رسوله ، وإنما المعنى للرسول ، وإنما بُدِءَ بالله إعظاماً له كما تقول : ما شاء الله وشئت وأنت تريد ما شئت . انتهى .

خبرٌ فيه معنى الأمر ، والتَّخْضِيزِ .

أي إِنَّمَا ينبغي أَنْ يكونُوا كذا^(١) .

قُرِئَ عَلَى بَكْرِ بْنِ سَهْلٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ هِشَامٍ — وَهُوَ
الْبَيْرُوتِيُّ — عَنْ ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ^(٢) فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾
[آية ٥٢] .

قال : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ ﴾ فَيُوحِّدُهُ ﴿ وَرَسُولَهُ ﴾ فَيُصَدِّقُهُ
﴿ وَيَخْشَى اللَّهَ ﴾ فِيمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ ﴿ وَيَتَّقُهُ ﴾ فِيمَا بَقِيَ مِنْ
عَمَلِهِ ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾^(٣) .

قال أبو جعفر : والفوزُ في اللغة : النَّجاةُ^(٤) .

(١) قال في التسهيل ١٥٢/٣ ومعنى الآية : الواجبُ أَنْ يقولَ المؤمنونَ « سمعنا وأطعنا » إذا دُعوا إلى الله ورسوله اهـ .

(٢) هو سليمان بن أبي كريمة روى عنه عمرو بن هشام البيروقي ، ضعفه أبو حاتم ، وقال ابن عدي : عامة أحاديثه مناكير ، وانظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٢٢١/٢ والجرح والتعديل للرازي ١٣٨/٤ .

(٣) ذكرها في البحر ٤٦٨/٦ وفي القرطبي ٢٩٥/١٢ وقال القرطبي : ذُكِرَ أَنَّ رجلاً من دهاقين الروم أسلم لهذه الآية ، وقال : إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل .

(٤) وفي المصباح ١٣٩/٢ : (فَارَ يَفُوزُ فَوْزًا) ظَفِرَ وَنَجَا . اهـ والفائزُ : من نجا من النَّارِ ، وأدخل الجنة ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿ فَمَنْ رُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ .

٦٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ
لَيُخْرِجَنَّ ، قُلْ لَا تُقْسِمُوا .. ﴾ [آية ٥٣] .

﴿ قُلْ لَا تُقْسِمُوا ﴾ تم الكلام ، ثم قال ﴿ طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ﴾
أي طاعة معروفة أمثل^(١) ، وهذا للمنافقين .

أي لا تحلفوا على الكذب فالطاعة أمثل .

ويجوز أن يكون المعنى : لَتَكُنْ منكم طاعة .

٦٣ — وقوله جل وعز : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا
حُمِّلْتُمْ .. ﴾ [آية ٥٤] .

والمعنى : فإن تولوا ثم حذف ، ويدل على أن بعده ﴿ وَعَلَيْكُمْ
مَا حُمِّلْتُمْ ﴾ ولم يقل : وعليهم^(٢) .

والمعنى : فإنما على النبي ﷺ التبليغ ، وعليكم القبول ،
وليس عليه أن تقبلوا .

(١) في التسهيل ١٥٢/٣ : « طاعة معروفة » مبتدأ وخبره محذوف أي طاعة معروفة أمثل وأولى
بكم ، أو خبر مبتدأ محذوف أي المطلوب منكم طاعة معروفة ، وقال البقاعي : لاتقدير في
الكلام و« طاعة » مبتدأ ، خبره « معروفة » وسوغ الابتداء بالنكرة العموم أي لاتقسموا فإن
الطاعة معروفة منكم أنها باللسان لا بالقلب . وانظر الألوسي ١٩٩/١٨ .

(٢) المراد أن الفعل « تَوَلَّوْا » لو كان ماضياً لقال تعالى « وعليهم » ولكنه مضارع حذف منه
إحدى التاءين ، ولهذا جاء اللفظ « وعليكم ما حُمِّلْتُمْ » فدل على أن الفعل مضارع .

٦٤ - وقوله جل وعز : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ۖ ﴾ [آية ٥٥] .

جاء باللام ، لأن معنى « وَعَدَ » و « قَالَ » واحد^(١) .

والمعنى : ليجعلنهم يخلفون من قبلهم .

﴿ وَلَيُمْكِنَنَّ لَهُمْ دِينُهُمْ ﴾ وهو الإسلام .

٦٥ - وقوله جل وعز : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۖ ﴾ [آية ٥٧] .

أي هم في قبضة الله جل وعز .

٦٦ - وقوله جل وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ ﴾ [آية ٥٨] .

في هذه الآية أقوال :

(١) عبارة القرطبي ٢٩٩/١٢ أوضح فقد قال : واللام في ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ جواب قسم مضمرة ، لأن الوعد قول ، مجازها : قال الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والله ليستخلفنهم في الأرض ، فيجعلهم ملوكها ، وسكانها . اهـ .

وقال الزمخشري : فإن قلت أين القسم المتلقى باللام والثنون في ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ ؟ قلت : هو محذوف تقديره : وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم ، أو نزل وعد الله في تحقيقه منزلة القسم ، فتلقى بما يتلقى به القسم ، كأنه قيل : أقسم الله ليستخلفنهم . اهـ الكشف ٨٦/٢ .

- أ — رَوَى ابن جريج عن مجاهد قال : هم العبيدُ المملوكون^(١) .
- ٢ — وَرَوَى اسرائيل عن ليث عن نافع عن ابن عمر ﴿ لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ الْإِنَاثُ^(٢) .
- ٣ — وَرَوَى سفيان عن أبي حُصَيْن عن أبي عبد الرحمن قال : هي لِلنِّسَاءِ خَاصَّةً^(٣) .
- أي إِنَّ سَبِيلَ الرِّجَالِ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَالنِّسَاءُ يَسْتَأْذِنُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ خَاصَّةً .
- ولا يَجُوزُ فِي اللُّغَةِ أَنْ يُقَالَ لِلنِّسَاءِ « الَّذِينَ » ولو كان للنساءِ خَاصَّةً لَقِيلَ « اللَّاتِي » أو « اللَّائِي » أو ما أَشْبَهَ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنْ يَجْتَمَعَ مَذَكَّرٌ وَمَوْثَّثٌ ، فيقال « الَّذِينَ » لهم جميعاً .
- وَرَوَى عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو ، عن عكرمة ، عن ابن عَبَّاسٍ : « أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، سَأَلَاهُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ سَتِيرٌ ، يَحْبُ السُّتْرَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ يَوْمئِذٍ سِتُورٌ ، وَلَا حِجَالٌ^(٤) ، فَكَانَ وَلَدُ

(١-٣) هذه الآثار كُلُّهَا مَرْوُوعَةٌ عن السلف ، وانظر الطبري ١٦١/١٨ والقرطبي ٣٠٤/١٢ والبحر ٤٧٢/٦ .

(٤) حِجَالٌ : جَمْعُ حَجَلَةٍ وهي بَيْتٌ يَزِينُ بِالثِّيَابِ وَالْأَسْرَةِ وَالسُّتُورِ كَالْقُبَّةِ ، وله أَرْزَارٌ كِبَارٌ . اهـ
لسان العرب ١٥٢/١٣ .

الرَّجُل ، وَخَادِمُهُ وَبَتِيمُهُ ، رَبُّمَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَعَ أَهْلِهِ ، فَأَمَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِالْإِسْتِئْذَانِ ، فَلَمَّا بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ ، وَاتَّخَذَ النَّاسُ السُّتُورَ وَالْحِجَالَ ، رَأَوْا أَنَّ ذَلِكَ يَغْنِيهِمْ عَنِ الْإِسْتِئْذَانِ — وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ — فَتَرَكَ النَّاسُ الْعَمَلَ بِالْآيَةِ ^(١) .

قال الشعبي : ليست بمنسوخة ^(٢) .

وَأَوَّلَى مَا فِي هَذَا ، وَأَصَحُّهُ إِسْنَاداً ، مَا رَوَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : ثَلَاثُ آيَاتٍ تَرَكَّ النَّاسُ الْعَمَلَ بِهَا :

أ — قَوْلُهُ ﴿ لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ .

ب — وَقَوْلُهُ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

ويقول فلان : أنا أكرم من فلان ، وإنما أكرمهما أتقاهما .

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب رقم ٥١٩٢ قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، وانظر الطبري ١٦٢/١٨ ، والقرطبي ٣٠٣/١٢ وأخرجه ابن كثير ٩٠/٦ بلفظ قال ابن عباس : « إن الله سَتِيرٌ يَجِبُ السُّتْرُ ، كَانَ النَّاسُ لَيْسَ لَهُمْ سِتُورٌ عَلَى أَبْوَابِهِمْ وَلَا حِجَالَ فِي بَيْوتِهِمْ ، فَرُبَّمَا فَاجَأَ الرَّجُلَ خَادِمُهُ أَوْ وَلَدُهُ أَوْ بَتِيمُهُ فِي حَجَرِهِ وَهُوَ عَلَى أَهْلِهِ ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا فِي تِلْكَ الْعُورَاتِ الَّتِي سَمِيَ « اِهْ » .

(٢) انظر الأثر في الدر المنثور ٥/٥ وتفسير ابن كثير ٨٩/٦ وتتمته : قلت : فإن الناس لا يعملون بها ؟ فقال : الله المستعان .

قال عطاء : ونسيْتُ الثالثة^(١) .

قال أبو جعفر : فهذا من ابن عباس على جهة الإنكار ، وهو مفسر لما رواه عكرمة ، في رواية من قال : « فترك الناس العمل بها » .

وقد روى ابن عُيَيْنَةَ عن عُيَيْنَةَ اللّهِ بن أبي يزيد عن ابن عباس قال : « إني لآمرٌ جاريتي هذه — وأوماً إلى جاريتٍ بيضاء قصيرة — أن تستأذن عليَّ »^(٢) .

٦٧ — ثم يَبَيِّنُ المَرَّاتِ فقال سبحانه : ﴿ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ﴾ لأنه الوقت الذي يلبس الناس فيه ثيابهم ، يخرجون من فُرُشِهِمْ^(٣) .
﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ﴾ لأنه وقت القائلة^(٤) .

(١) الرواية في الدر المنثور للسيوطي ٥٦/٥ قال ابن عباس رضي الله عنهما : تَرَكَ النَّاسُ ثَلَاثَ آيَاتٍ ، فلم يعملوا بهن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ .. ﴾ الآية والآية التي في سورة النساء ﴿ وَإِذَا خَضَعَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى .. ﴾ الآية ، والآية التي في سورة الحجرات ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وانظر تفسير ابن كثير ٨٩/٦ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود برقم ٥١٩١ في باب الاستئذان وهو في الدر المنثور ٥٦/٥ والقرطبي ٣٠٣/١٢ وابن كثير ٨٩/٦ .

(٣) في المخطوطة « فروشهم » وهو خطأ ، لأن جمع الفراش « فُرُشٌ » وانظر المصباح المنير مادة فرش .

(٤) القائلة : القيلولة وهي النوم في الظهيرة منتصف النهار ، ومنه قوله تعالى ﴿ فجاءهم بأسنا بيانا ﴾ أوهم قائلون ﴿ .

﴿ وَمَنْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴾ قال الزهري : وهي التي يسميها النَّاسُ العَتَمَةَ ، .

قال : فيستأذنون في هذه الأوقات خاصةً ، فأما غيرهم فيستأذنوا كل وقت (١) .

٦٨ — ثم قال تعالى ﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ .. ﴾ [آية ٥٨] .

أي أوقات الاستئذان ثلاث عورات .

والنَّصْبُ (٢) بمعنى يستأذنون وقت ثلاث عورات لكم .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾ أي في الدخول بغير إذن .

﴿ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي يخدمونكم .

﴿ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي يطوف بعضكم على بعض (٣) .

٦٩ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا .. ﴾ [آية ٥٩] .

(١) الأثر في الطبري ١٦٣/١٨ والقرطبي ٣٠٤/١٢ والبحر المحيط ٤٧٢/٦ .

(٢) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وقرأ الجمهور بالرفع ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٩ قال الفراء في معاني القرآن ٢/٢٩٠ : والرفع في العربية أحبُّ إليَّ ، لأن المعنى : هذه الخصال وقت العورات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن . اهـ .

(٣) يريد أن بكم وهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة ، يطوفون عليكم للخدمة ، وتطوفون عليهم للاستخدام . اهـ الكشف ٨٧/٢ .

قال الزهري : أي يستأذن الرجلُ على أمِّه ، وفي هذا المعنى
نزلت هذه الآية ^(١) .

٧٠ — ثم قال تعالى ﴿ كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [آية ٥٩] .

يعني البالغين .

٧١ — وقوله جلَّ رِعْزٌ : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا .. ﴾ [آية ٦٠] .

قال أبو جعفر : أبو عُبيدة يذهب إلى أن المعنى : اللواتي قَعَدْنَ
عن الولد ^(٢) .

وقال غيره : يُراد بهذا العجوزُ الكبيرة ، التي قعدت عن
التصرف ، لأنها قد تقعد عن الولد ، وفيها بقية .

قال ربيعةٌ : هي التي إذا رأيتها استقدرتها ^(٣) .

(١) روي أن رجلاً سأل النبي ﷺ « آستأذن على أُمِّي ؟ قال نعم ، قال إني معها في البيت ؟ قال :
استأذن عليها ، قال إني خادمتها ، فأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال : أفتحب أن تراها
عريانة ؟ قال : لا ، قال فاستأذن عليها » . أخرجه البيهقي في السنن ، وانظر الدر المنثور
٥٧/٥ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٦٩/٢ فقد قال فيه : القواعدُ : هنَّ اللواتي قد قعدن عن الولد ولا
يحضن .

(٣) قال القرطبي في جامع الأحكام ٣٠٩/١٢ : القواعد واحدتها قاعدة وهنَّ العَجَزُ اللواتي قعدن
عن الولد ، والحيض ، هذا قول أكثر العلماء ، وقال ربيعة : هي التي إذا رأيتها تستقدرها من
كبرها .

٧٢ — ثم قال تعالى ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ [آية ٦٠] .

رَوَى أَبُو وَائِلٍ ^(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : يَعْنِي الرِّدَاءَ .

قال أبو جعفر : والمعروف من قراءة عبدالله ﴿ أَنْ يَضَعْنَ مِنْ

ثِيَابَهُنَّ ﴾ ^(٢) .

٧٣ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ [آية ٦٠] .

قال مجاهد : أي يلبسن الجلباب خيراً لهن ^(٣) .

٧٤ — وقوله جل وعزَّ ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ

حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ .. ﴾ [آية ٦١] .

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري ، قال حدثنا زيد بن أجزم ،

قال أنبأنا بشر بن عمر الزهراني ، قال حدثنا إبراهيم بن سعيد ، عن

صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان

(١) « أبو وائل » اسمه « شقيق بن سلمة الأسدي » الكوفي تابعي مخضرم ، كان أعلم أهل الكوفة بحديث ابن مسعود .

(٢) ذكره القرطبي ٣٠٩/١٢ وذكر الطبري ١٦٧/١٨ : أنها قراءة أبي بن كعب ، وهذه ليست من القراءات السبع ، وهي محمولة على التفسير .

(٣) قال في التسهيل ١٥٥/٣ : أباح الله لهذا الصنف من العجائز ، ما لم يُيح لغيرهن من وضع الثياب ، قال ابن مسعود : إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء ، وإنما أبيح لهن وضع الثياب ، بشرط ألا يقصدن إظهار الزينة ، والأولى لهن أن يلتزمن ما يلتزمه الشابات من الستر . انتهى .

المسلمون يُوعِبون^(١) في النفي مع رسول الله ﷺ ، فكانوا يدفعون مفاتيحهم إلى ضَمَنَاهُمْ ويقولون : إن احتجَّتم فكلوا ، فيقولون : إنما أحلَّوه لنا عن غير طيب نفس ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ يُؤْتِكُمْ أَوْ يَبِئْتُمْ آبَائِكُمْ ﴾^(٢) إلى آخر الآية .

قال أبو جعفر : « يوعبون » : أي يخرجون بأجمعهم في المغازي .

يُقَالُ : أَوْعَبَ بنو فلانِ لِبَنِي فلان : إذا جاءوهم بأجمعهم ، ويُقَالُ : بَيْتٌ وَعِيبٌ : إذا كان واسعاً ، يستوعب كل ما وُضِعَ فيه .
وَالضَّمْنَى : هُمُ الزَّمْنَى ، واحدهم ضَمِنٌ ، مِثْلُ زَمِنَ .

قال مَعْمَرٌ : سألتُ الزهريَّ عن قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ .. ﴾ ما بال هؤلاء ذُكِرُوا ههنا ؟ فقال : أخبرني عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، أَنَّ النَّاسَ كانوا إذا خرجوا إلى الْعَزْوِ ، دفعوا مفاتيحهم إلى الزَّمْنَى ، وأحلُّوا لهم أن يأكلوا ممَّا في بيوتهم ، فكانوا لا يفعلون ذلك ،

(١) في الصحاح ٢٣٣/١ : أَوْعَبَ الْقَوْمُ : إذا حشدوا ، وجاءوا موعيين : إذا جمعوا ما استطاعوا من جمع ، فلم يبق في البلد أحد . انتهى .

(٢) انظر الأثر في الدر المنثور للسيوطي ٥٨/٥ والطبري ١٦٨/١٨ وابن كثير ٩٣/٦ .

وَيَتَوَقَّوْنَ وَيَقُولُونَ : إِنَّمَا أَطْلَقُوا لَنَا عَنْ غَيْرِ طَيِّبِ نَفْسٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ..﴾^(١) .

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا يَبَيِّنُ ، أي ليس عليهم في الأكل شيء^(٢) .

والقول الآخر : قول ابن عباس ، حدثناه بكر بن سهل ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ يُؤْتِكُمْ ..﴾ إلى قوله ﴿جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾ وذلك لما أنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(٣) فقال المسلمون : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قد نهى أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ ، وَالطَّعَامُ هُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَمْوَالِ ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِنَّا أَنْ يَأْكُلَ عِنْدَ أَحَدٍ ، فَكَفَّ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ إلى قوله

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٦٩/١٨ وابن كثير ٩٣/٦ والسيوطي في الدر ٥٨/٥ وعزاه إلى عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، والبيهقي . وقال الفراء في معاني القرآن ٢٩١/٢ : كانت الأنصار يتنزهن عن مؤاكلة الأعْمَى والأعرج والمريض ، ويقولون : نُبْصِرُ طَيِّبَ الطَّعَامِ وَلَا يُبْصِرُهُ ، فنسبته إليه ، والمريض يضعف عن الأكل ، والأعرج لا يستمكن من القعود ، فينال ما يناله الصحيح ، فكانوا يعزلونهم فنزلت الآية .

(٢) يريد أن في الآية حذفاً والمعنى : ليس على هؤلاء جناح في الأكل من هذه البيوت .

(٣) سورة النساء آية ٢٩ .

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ وهو الرجل يُوَكِّل الرجل بضيَعَتِهِ^(١) .

قال أبو جعفر : والذي رَخَّص الله جُلَّ وعز أن يُؤْكَل من ذلك : الطَّعَامُ وَالتَّمَرُ ، وشربُ اللَّبَنِ ، وكانوا أيضاً يَتَّقُونَ ويتحرَّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده ، حتى يكون معه غيره ، فَرَخَّصَ اللهُ لَهُمْ ، فقال جُلَّ وعزَّ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ﴾^(٢) .

قال أبو جعفر : فبيِّن ابنُ عباس في هذا الحديث ، ما الذي رُخِّصَ لَهُمْ فيه من الطعام .

وفي غير هذه الرواية عنه : أن الأعمى كان يتحرَّج أن يأكل طعامَ غيره لجعله يده في غير موضعه ، وكان الأعرج يتحرَّج لاتِّساعه في الموضع ، والمريض لرائحته وما يلحقه ، فأباح الله جُلَّ وعز لهم الأكل مع غيرهم .

وهذا معنى رواية صالح عنه .

٧٥ — فأما قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ .. ﴾

[آية ٦١] .

فقليل معناه : من بيوت عيالكم .

(١) انظر الأثر في الدر المنثور ٥٨/٥ والطبري ١٦٩/١٨ والألوسي ١٢٨/١٨ .

(٢) انظر الطبري ١٧٠/١٨ والقرطبي ٣١٢/١٢ والبحر المحيط ٤٧٤/٦ .

وقيل معناه : من بيوت أولادكم ، لأن أولادهم من كسبهم ،
فنسبت بيوتهم إليهم^(١) .

واستدل صاحب هذا القول ، بأنه ذكر الأقرباء بعد ، ولم
يذكر الأولاد .

ومعنى « إخوانكم » و « إخوتكم » واحد .

وفي غير رواية معاوية عن ابن عباس ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ
مَفَاتِحُهُ ﴾ يعني : العبيد .

وقيل : يعني الزماني أبيع لهم ما خزنوه من هذا للغزاة .

وقرأ سعيد بن جبير ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ ﴾ بضم الميم
وتشديد اللام^(٢) .

وقال مجاهد : كان الرجل يذهب بالأعمى ، وبالأعرج ،
وبالمريض إلى بيت أبيه ، أو غيره من الأقرباء ، فيتخرج من ذلك
ويقول : هو بيت غيره ، فنزلت هذه الآية رخصة .

(١) القرطبي ٣١٤/١٢ وابن كثير ٦٣/٦ ويؤيده حديث (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ) أخرجه أحمد في
المسند ١٧٩/٢ .

(٢) ذكرها في البحر ٤٧٤/٦ وروح المعاني ٢١٩/١٨ وليست من القراءات السبع ، وقراءة الجمهور
« مَلَكَتُمْ » بالتخفيف .

وقيل : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ﴾ أي في الغزو ^(١) ،
وكذا الأعرج المريض .

﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ .

أي من بيوت أنفسكم ، لأنه قد كان يجوز أن يُحْظَر ذلك ،
لأنه قد يكون في بيت الرجل ما ليس له .

وكان يجوز أن يُحْظَر عليه مال غيره ، وإن أُذِن له ، فأُيْحَ
ذلك لهذا ، إذا أُذِنَ له أحدٌ من هؤلاء .

وذكر فيهم الخاص والعام ، لأن قوله ﴿ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ ﴾
عام ^(٢) .

(١) هذا قول ابن زيد حكاه عنه الطبري في تفسيره ١٦٩/١٨ والقرطبي ٣١٣/١٢ .
قال الحافظ ابن كثير ٤٢/٦ : « اختلف المفسرون في المعنى الذي رُفِعَ من أجله الحرجُ عن
الأعمى ، والأعرج ، والمريض ههنا ، ف قيل : نزلت في الجهاد أي إنهم لا إثم عليهم في ترك
الجهاد ، لضعفهم وعجزهم ، وجعلوا هذه الآية كالتي في سورة الفتح ، فإنها في الجهاد لا
محالة ، وكالآية في سورة التوبة ﴾ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون حرج ... ﴾ الآية » اهـ .

(٢) قال في التسهيل ١٥٥/٣ : اختلفت في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى ،
والأعرج ، والمريض في هذه الآية ، ف قيل : هو في الغزو ، أي لا حرج عليهم في تأخيرهم عنه ،
وقوله ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ مقطوعٌ من الذي قبله على هذا القول ، كأنه قال : ليس على
هؤلاء الثلاثة حرجٌ في ترك الغزو ، ولا عليكم حرجٌ في الأكل ، وقيل : الآية كلها في معنى
الأكل ، فأباح الله للإنسان الأكل في هذه البيوت المذكورة فبدأ ببيت الرجل نفسه ، ثم ذكر
القربة على ترتيبهم ، ولم يذكر الابن لأنه دخل في قوله ﴿ من بيوتكم ﴾ لأن بيت ابن الرجل بيته
لقوله عليه السلام « أنت ومالك لأبيك » اهـ .

٧٦ — وقوله جل وعز : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ .. ﴾
[آية ٦١] .

رَوَى عُمَرُ بْنُ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا ﴾
قال : المساجد^(١) .

﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ يقول : السَّلَامُ علينا وعلى عباد
الله الصَّالِحِينَ .

وقال أبو مالك : إذا دخلتم بيوتاً ليس فيها أحدٌ من
المسلمين ، فقولوا : السَّلَامُ علينا وعلى عبادِ الله الصَّالِحِينَ^(٢) .

وقال ماهان^(٣) : إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحدٌ ، فقل :
السَّلَامُ علينا من ربِّنا .

وقال الحسن : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ ليسلم بعضكم
على بعض .

(١-٢) انظر الآثار في القرطبي ٣١٨/١٢ والطبري ١٧٤/١٨ والبحر المحييط ٤٧٤/٦ قال ابن
العربي : القول بالعموم في البيوت هو الصحيح ، ولا دليل على التخصيص ، فهو عام في كل
بيت .

(٣) « ماهان » أبو سالم الحنفي ، الكوفي العابد ، ذكره ابن حبان في الثقات ، كان لايفتر عن
التسبيح ، قتله الحجاج سنة ثلاث وثمانين ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٥/١٠ وتقريب
التهذيب ٢٢٧/٢ .

كما قال تعالى ﴿ فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (١) .

قال الضحَّاك : فسلّموا على أهليكم وغيرهم (٢) .

قال أبو جعفر : قول الحسن في هذا قولٌ صحيحٌ في اللغة ،
والمسلم من المسلم بمنزلة نفسه ، لأنّ دينَهُما واحدٌ ، وعلى كل واحدٍ
منهما نصُّحٌ صاحبه ، وقال الشاعر :

« قد جعلتُ نفسي في الأديم »

يعني الماء : لأنّ الماء به العيشُ ، فجعله نفسه ، فكذلك المسلم
يطمئنُّ إلى المسلم كما يطمئنُّ إلى نفسه .

والأوّلَى أن يكون لجميع البيوت (٣) ، لأنّ اللفظ عامٌّ ،
والمعنى : فليحيي بعضكم بعضاً ، تحيةً من عند الله مباركةً طيبةً .

ثم خبر أن السّلام طيّبٌ مباركٌ فقال ﴿ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ [آية ٦١] .

٧٧ — وقوله جلّ وعز : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا

(١) سورة البقرة آية رقم ٥٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٧٤/١٨ وابن الجوزي ٦٧/٦ .

(٣) ما رجحه المصنف هنا هو الذي اختاره الطبري ١٧٥/١٨ وقال الطبري ٣١٥/١٢ : والأوجه أن
يُقال إنّ هذا عامٌّ في دخول كل بيت ، فإن كان فيه ساكنٌ مسلمٌ ، يقول : السّلام عليكم
ورحمة الله وبركاته ، وإن لم يكن فيه ساكنٌ يقول : السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإن
كان في البيت من ليس بمسلم قال : السّلام على من أتبع الهدى . اهـ .

كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ... ﴿٦٢﴾

قال سعيد بن جبير : إِذَا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ مِنْ حَرْبٍ أَوْ غَيْرِهَا ،
اسْتَأْذَنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبُوا^(١) .

وقال مجاهد : هَذَا فِي الْعَزْوِ ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ^(٢) .
وقال قتادة والضحاك : ﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ
جَامِعٍ ﴾ أَي عَلَى أَمْرٍ طَاعَةٍ^(٣)

قال أبو جعفر : قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَوَّلَاهَا ، أَي إِذَا احتَاجَ
الإمام إِلَى جَمْعِ الْمُسْلِمِينَ ، لِأَمْرٍ يَحْتَاجُ إِلَى اجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ ، فَالْإِمَامُ
مُخَيَّرٌ فِي الْإِذْنِ لِمَنْ رَأَى الْإِذْنَ لَهُ .

فَأَمَّا إِذَا انْتَقَضَ وَضُوُّهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَلَا وَجْهَ لِمُقَامِهِ فِي
المسجد ، وَلَا مَعْنَى لاسْتِئْذَانِهِ الْإِمَامَ فِي ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ مَنَعُهُ .
٧٨ — وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ
مِنْهُمْ ﴾ [آية ٦١] .

قال قتادة : وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ

(١-٣) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ١٧٦/١٨ والدر المنثور ٦٠/٥ والبحر المحيط ٢٢٣/٦ .

لَهُمْ ﴿١﴾ فنسخت هذه — يعني التي في سورة النور — التي في سورة براءة .

٧٩ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا .. ﴿٣﴾ [آية ٦٣] .

قال مجاهد : قولوا : يا رسول الله ، في رفيق ولين ، ولا تقولوا يا محمد يَتَجَهَّمُ (٢) .

وقال قتادة : أَمُرُوا أَنْ يُفَحِّمُوهُ وَيُشْرِفُوهُ (٣) .

ويُروى عن ابن عباس كان يقول : دعوة الرسول عليكم واجبة فاحذروها (٤) .

وهذا قول حسن ، لكون الكلام متصلاً (٥) ، لأن الذي قبله

(١) سورة براءة آية رقم ٤٣ وهي في المنافقين خاصة الذين استأذنوا الرسول ﷺ دون حاجة .

(٢-٣) انظر الآثار في الطبري ١٧٧/١٨ وتفسير ابن الجوزي ٦٨/٦ وابن كثير ٩٦/٦ .

(٤) قال الفراء في معاني القرآن ٢٦٢/٢ : أي لاتدعوه بقولكم يا « محمد » كما يدعو بعضكم بعضاً ، ولكن وقروه ، وعظموه ، فقولوا : يا نبي الله ، يا رسول الله ، يا أبا القاسم . اهـ وهذا رأي جمهور المفسرين ، قال الزمخشري ٨٩/٢ : لاتقولوا : يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله ، مع التوقير والتعظيم ، والصوت المنخفض ، والتواضع . اهـ .

(٥) هذا الرأي الذي رجحه المؤلف قول مرجوح ، ومعناه : دعاؤه عليكم مستجاب فاحذروه ، والآية إنما وردت في بيان مقام الرسول ﷺ والتأدب في حضرته وفي مخاطبته ، قال ابن عطية ٥٥٦/١٠ : ولفظ الآية يدفع هذا المعنى ، لأن الغرض توقير النبي وإجلاله . اهـ وكذلك قال ابن كثير ٩٦/٦ قال : وهو الظاهر من السياق .

والذي بعده ، نهى عن مخالفته ، أي لا تتعرضوا لما يُسخطه ، فيدعو عليكم فتهلكوا ، ولا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس .

٨٠ — وقوله جل وعز : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا .. ﴾ [آية ٦٣] .

قال مجاهد : أي خلافاً^(١) .

وقيل : حياداً ، كما تقول : لُذْتُ من فلان أي حُذْتُ عنه .

وقيل : ﴿ لِوَاذًا ﴾ في سُترة ، ولُذْتُ من فلان : تنَحَّيْتُ عنه في سُترة^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة .

وقول مجاهد يدل عليه ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ .

و﴿ لِوَاذًا ﴾ مصدر « لَوَاذَ » فأما « لَآذَ » فمصدره لِيَاذًا^(٣) .

(١) الأثر في الطبري ١٧٨/١٨ والدر المنثور ٦١/٥ .

(٢) قال ابن الجوزي ٩٦/٦ : أي يلوذ هذا بهذا أي يستتر ذا بدا ، وإنما قال ﴿ لِوَاذًا ﴾ لأنها مصدر « لَوَاذْتُ » ولو كان مصدرًا لـ « لُذْتُ » لقلت : لُذْتُ ليَاذًا ، كما تقول : قمتُ قيامًا ، وكذلك

قال ثعلب : وقع البناء على لاوذ لِوَاذًا ، ولو بنى على لاذ ، يلوذ ، لقليل : ليَاذًا . اهـ

(٣) في القاموس : اللوذ بالشيء : الاستتار والاحتضان به ، كاللواذ مثلثة . اهـ وفي التفسير أن المنافقين كانوا يخرجون متسترين بالناس ، من غير استئذان النبي ﷺ ، يلوذ بعضهم ببعض ، أي يستتر بعضهم لئلا يظهروا ويكشفوا ففضحهم الله عز وجل .

وزعم أبو عبيدة أن قوله ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ .

معناه : يخالفون أمره^(١) .

قال أبو جعفر : وهذا القول خطأ ، على مذهب الخليل وسيبويه ، لأنَّ « عَنْ » و « عَلَى » لا يُفعل بهما ذلك ، أي لا يُزادان ، و « عَنْ » في موضعها غير زائدة .

والمعنى : يخالفون بعد ما أمر ، كما قال الشاعر :

« نُوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ »^(٢)

وحقيقة « عَنْ » وهنا إن شئت خلافتهم أن تأمر ، فخلافتهم عن أمره ، وهذا مذهب الخليل وسيبويه ، كذا قالوا في قوله جلَّ وعز ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾^(٣) .

انتهت سورة النور

* * *

(١) على رأي أبي عبيدة أنَّ « عَنْ » زائدة ، وعبارته كما في مجاز القرآن ٦٩/٢ : مجازُه : يخالفون أمره ، و « عَنْ » زائدة .

(٢) هذا من معلقة امرئ القيس كما في ديوانه ص ١٧ وتماث البيت :
وَنُضْجِي فَتَيْتَ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نُوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ
واستشهد به على أن المعنى « عن تفضل » أي لم تشدَّ نطقاً عليها ، بعد تفضل ، فعن ليست زائدة .

(٣) سورة الكهف آية ٥٠ .

تم الجزء الرابع من
معاني القرآن الكريم
بحمد الله وتوفيقه في البلد الحرام
« مكة المكرمة »



مطابع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام
مكة المكرمة. ت: ٥٢٠٣٠٥٤